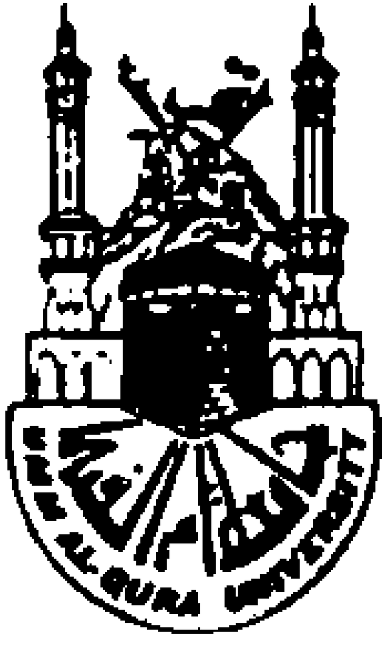
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى – مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



سلاجقة الروم

في الثلث الأول من القرن السابع الهجري

٦٠١ – ٦٣٤هـ / ١٢٠٥ – ١٢٣٦م

دراسة سياسية حضارية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالبة

صيته بنت عبدالله بن سرحان

إشراف

الأستاذ الدكتور / علي بن محمد عودة الغامدي

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية

بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : صيته بنت عبدالله بن علي بن سرحان الكلية : الشريعة والدراسات الإسلامية قسم : التاريخ

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه في تخصص : التاريخ الإسلامي " عصر وسيط " .

عنوان الأطروحة : **سلاجقة الروم في الثلث الأول من القرن السابع الهجري**

(٦٠١-٦٣٤هـ / ١٢٠٥ - ١٢٣٧م)

دراسة سياسية حضارية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

بناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه، والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢٣/٢/٢٨هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تمّ عمل اللازم، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه،،

والله الموفق ،،،

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الأول (خارجي)	المناقش الثاني (داخلي)
الاسم : أ.د. علي بن محمد عوده الغامدي	أ.د. عبدالله بن علي المسند	أ.د. مسفر بن سالم الغامدي
التوقيع :	التوقيع	التوقيع :

١٠/٧/١٤٢٢هـ

رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الاسم : أ.د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي

التوقيع :

---

* يوضع هذا النموذج أمام النسخة المقابلة لنسخة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة.



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى — مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

سلاجقة الروم

في الثلث الأول من القرن السابع الهجري

٦٠١ - ٦٣٤هـ / ١٢٠٥ - ١٢٣٦م

دراسة سياسية حضارية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالبة

صيته بنت عبدالله بن سرحان

إشراف

الأستاذ الدكتور / علي بن محمد عودة الغامدي

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد ﷺ . . . وبعد :

إن موضوع البحث هو **سلاجقة الروم في الثلث الأول من القرن السابع الهجري (٦٠١-٦٣٤هـ / ١٢٠٥-١٢٣٧م) - دراسة سياسية وحضارية**. قسم البحث لمقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث وملاحق احتوت على خريطتين توضح الأولى توسع دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى في فترة موضوع البحث، والثانية توضح طرق التجارة العالمية والمحلية لدولة سلاجقة الروم أيضا في فترة موضوع البحث. كذلك احتوت الملاحق على توضيح لشجرة نسب سلاجقة الروم ونصوص معاهدات تجارية وكذلك ٢١ مصور توضيحي لمواضيع الرسالة الحضارية. أما المقدمة فبُيِّن بها أهمية البحث وسبب اختياره وعرض موجز لأهم المصادر التي أفادته. وتناول التمهيد عرض موجز لتاريخ سلاجقة الروم في فترة موضوع البحث. وتناول الفصل الأول دولة سلاجقة الروم في عهد السلطان غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان ٦٠١-٦٠٧هـ / ١٢٠٥-١٢١٠م بُين فيه كيف قسم السلطان عزالدين قلج أرسلان الثاني البلاد بين أبنائه ثم النزاع الذي حدث نتيجة هذا التقسيم، ثم انفراد السلطان غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بالحكم وفتوحاته على ساحلي البحرين الأبيض المتوسط والبحر الأسود ثم استشهاده. أما الفصل الثاني فقد سلط الضوء فيه على دولة سلاجقة الروم في عهد السلطان عزالدين كيكاوس بن كيخسرو ٦٠٧ - ٦١٦هـ / ١٢١٠ - ١٢١٩م وكيف ارتقى السلطان عرش الدولة ثم فتح ميناء سينوب على ساحل البحر الأسود وأهميته. واشتمل الفصل الثالث على دولة سلاجقة الروم في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ ٦١٦هـ - ٦٣٤هـ / ١٢١٩ - ١٢٣٧م ظهر فيه سياسة السلطان الداخلية وفتوحاته في آسيا الصغرى وشبه جزيرة القرم. أما الفصل الرابع فقد بُين فيه العلاقات بين سلاجقة الروم والقوى الإسلامية خلال الثلث الأول من القرن السابع الهجري، وهذه العلاقات مع الخلافة العباسية، والأراتقة، والأيوبيين ثم الخوارزمية. وفي الفصل الخامس العلاقات بين سلاجقة الروم والقوى غير الإسلامية خلال فترة البحث وذلك مع امبراطورية طرابزون، امبراطورية نيقية، الصليبيين، مملكة أرمينية الصغرى، مملكة الكرج والأبخاز، القفجاق والروس، ثم المغول. أما الفصل السادس فقد تناول حضارة سلاجقة الروم خلال الثلث الأول من القرن السابع الهجري، حيث وضح نظام الحكم والإدارة، الإقطاع الحربي والجيش والبحرية، الأحوال الاقتصادية، الحياة الثقافية، الأحوال الاجتماعية، المنشآت العمرانية والمرافق العامة والمدن الجديدة. أما الخاتمة فاشتملت على أهم ما توصل إله البحث من نتائج على الصعيدين السياسي والحضاري منها :

نجاح الحكم المركزي في تدعيم قوة الدولة وقدرتها على تحويل آسيا الصغرى من أرض يونانية نصرانية إلى أرض تركية إسلامية، وذلك بفتح عدة مدن ذات مواقع استراتيجية مهمة على السواحل الشمالية والجنوبية لآسيا الصغرى مثل مدينة سينوب في الشمال ومدينة انطاليا في الجنوب ودخول جزيرة القرم وفتح مدينة سوداق ورفع الأذان في تلك البقعة البعيدة كما أصبحت بضائع بلاد الروس من أهم صادرات دولة سلاجقة الروم إلى ماجاورهم من بلاد.

أيضا اتضح من الدراسة حرص سلاطين سلاجقة الروم على أسلمة وتتريك المدن المفتوحة بتحويل تلك المدن إلى مدن إسلامية عن طريق تحويل الكنائس الكبرى إلى جوامع يرفع من فوقها الآذان وتعيين القضاة والأئمة والخطباء فور فتحها وتشجيع رؤوس الأموال الإسلامية على السكنى فيها.

اتضح من الدراسة عدم استغلال القوى الإسلامية العسكرية لقوتها العسكرية سواء سلاجقة الروم أو من جاورها في الوقوف في وجه الجحافل المغولية ودرء خطرها، وعلى عكس من ذلك استخدمت هذه القوة العسكرية في التناحر بينهم وإضعاف البلاد الإسلامية مما سهل الأمر على المغول في التوغل في آسيا الصغرى.

واتضح من الدراسة أن دولة سلاجقة الروم دولة زراعية من الدرجة الأولى وذلك من تنوع المحاصيل الزراعية سواء الغذائية أو التجارية مثل القطن فأدى ذلك إلى الاكتفاء الذاتي للدولة بل والتصدير إلى البلاد الأخرى.

اتضح من الدراسة حرص سلاطين سلاجقة الروم على رعاية الثقافة بكل فروعها وفتح أبواب الدولة على مصراعيها أمام العلماء والأدباء والفنانين فلمعت أسماء علماء عملوا على رقي الثقافة في الدولة فكان ذلك البذرة المكونة للثقافة الإسلامية التركية.

أوضحت الدراسة تنوع عناصر المجمع السلجوقي زمن سلطنة سلاجقة الروم من ترك وتركمان وفرس وسربان وأكراد بالإضافة إلى أقليات أرمنية وأوربية وانسجام هولاء جميعاً تحت مظلة دولة سلاجقة الروم.

اتضح من الدراسة اهتمام سلاطين سلاجقة الروم بالمنشآت العمرانية والتوسع في بنائها سواء كانت عمائر دينية كالجوامع والمساجد أو مدنية كالمستشفيات والقصور والاستراحات أو تجارية كالخانات والتي مازال بعضها ظاهراً إلى الآن ليشهد على ماتميزت به قوة البناء وروعة التصميم ودقة وجمال الزخرفة.

انتهى

اسم الطالبة	اسم المشرف	عميد كلية
صيته بنت عبدالله بن علي بن سرحان	أ.د. علي بن محمد عوده الغامدي	الشريعة والدراسات الإسلامية
		د/ عابد بن محمد السفياني

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين . . وبعد :

فإنه لا يسعني وقد أنعم اللّه علي بإتمام هذا البحث إلاّ أن أشكر اللّه ﷻ الذي بنعمته تتم الصالحات . ثم أتقدم بالشكر الجزيل لوالديّ محمد بن علي بن سرحان وعبدالله بن علي بن سرحان لما قدّماه من عون ومساندة طيلة إعدادي لهذا البحث وتحملهما معي عناء السفر إلى مكة المكرمة وتذليلهما جميع الصعاب التي اعترضتني في مسيرتي العلمية .

كما أشكر وكالة الرئاسة لكليات البنات وكلية إعداد المعلمات لمرحلة الإبتدائي في الرياض لإتاحتها الفرصة لي لإتمام دراستي العليا .

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساندني وقدم لي العون وساهم في إمدادي بالمراجع العلمية .

كما أشكر جميع أفراد أسرتي لما بذلوه لي من جهد وهيأوا الأجواء اللازمة لاستكمال مسيرتي العلمية جزاهم اللّه عني كل خير .

المقدمة

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . . وبعد :

من المعروف أن الأناضول كانت موطناً لكثير من الشعوب ، ومسرحاً لحضارات كثيرة ، كما أنها كانت حلقة وصل بين القارات الثلاث ، وقد خضعت بلاد الأناضول طوال تاريخها لكثير من التحولات العرقية والدينية واللغوية والثقافية والفنية ، حتى أصبحت خلال القرون السابقة لفتح السلاجقة لها القاعدة الرئيسة للدولة البيزنطية والحضارة اليونانية والديانة النصرانية ، وترتب على فتح السلاجقة لآسيا الصغرى قيام دولة سلاجقة الروم التي عملت على نقل هذه البلاد نقلة كاملة من الحضارة اليونانية إلى الحضارة الإسلامية ومن النصرانية إلى الإسلام . وقد استغرق تمصير الأناضول بضعة قرون .

استمرت دولة سلاجقة الروم زهاء قرنين ونصف القرن من الزمان (٤٦٧ - ٧٠٨هـ / ١٠٧٤ - ١٣٠٨م) ، وقد اختصت دراستي هذه بالفترة من سنة ٦٠١ - ٦٣٤هـ / ١٢٠٥ - ١٢٣٧م ، وهي ما يمكن أن نطلق عليه بالعصر الذهبي لدولة سلاجقة الروم ، وتبدأ بوصول السلطان غياث الدين كيخسرو إلى عرش السلطنة وتنتهي بوفاة السلطان علاء الدين كيقباذ .

وتعود أهمية هذه الدراسة إلى أن تاريخ دولة سلاجقة الروم ظل يكتنفه الغموض وذلك لقلة التركيز عليه في المصادر العربية القديمة ، مما جعل الكثير من الباحثين يتجنبون إلى حد كبير التعرض لتاريخ دولة سلاجقة الروم لأن ذلك يحتاج إلى الإطلاع على كل ما كتب عنه في اللغات الفارسية والتركية واليونانية والأرمنية واللاتينية ، أو ما ترجم عن هذه اللغات إلى اللغات الأوربية الحديثة . كما يحتاج إلى الإلمام بتاريخ سائر القوى الإسلامية وغير الإسلامية المحيطة بدولة سلاجقة الروم والتي دخلت معها في علاقات كثيرة متشابكة في سائر المجالات . كما تعود أهمية هذه الدراسة إلى أنها تلقي الضوء على أحوال دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى خلال الثلث الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وخاصة الإنجازات

العظيمة التي قام بها سلاطين سلاجقة الروم في هذه الفترة سواء كانت هذه الإنجازات مدنية أو عسكرية ، خاصة وأن الدراسات التي تناولت تاريخ دولة سلاجقة الروم إما أن تكون سابقة لفترة موضوع الدراسة أو مختصة بإحدى جوانب تلك الفترة كدراسة إحدى المدن السلجوقية فقط أو علاقة دولة سلاجقة الروم بالقوى المجاورة لها وتخصيص تلك الدراسات بواحدة من تلك القوى الإسلامية أو النصرانية . لذا فقد وجدت أن هذه الفترة من تاريخ دولة سلاجقة الروم من سنة ٦٠١ - ٦٣٤هـ / ١٢٠٤ - ١٢٣٧م جديرة بأن يفرد لها دراسة مستقلة تحدد فيها خصائصها وأبعادها ونتائجها ، ومن ثم كان اختياري لهذا الموضوع لأتقدم به لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي .

واستعنت بالله وبدأت في جمع المادة العلمية من مظانها الأصلية العربية والأجنبية المخطوط منها والمطبوع وما هو مؤلف باللغة الفارسية والتركية ، واللغات الأوربية ، ويعلم الله بأني عانيت أشد المعاناة في ذلك إذ يتطلب الوصول إلى تلك المعلومات ترجمتها إلى اللغة العربية سيما وأنهم قلة من يتقنون فن الترجمة من اللغات الشرقية إلى العربية ، هذا بالإضافة إلى ندرة المصادر الأصيلة لهذا الموضوع ومعظم تلك المعلومات استعنت بها من مراجع تركية وفرنسية وانجليزية ، ولم تقتصر الندرة على المصادر الأصلية بغير اللغة العربية ، بل إن المصادر العربية تتناول حوادث تلك الفترة بإشارات متناثرة لا تخلو في مجملها من الوقوع في خطأ فهم الرواية وربما يعود ذلك إلى البعد المكاني للمؤرخين المسلمين المعاصرين لحوادث الفترة موضوع الدراسة أو من نقل عنهم .

وقد طبقت خلال دراستي هذه المنهج التاريخي حيث تتبعت الحوادث التاريخية المُستقاة من مصادرها الأصلية بالإضافة إلى المنهج التحليلي ، فلم أقتصر على تتبع الروايات والتثبت منها فقط . بل قارنت بين روايات المعاصرين للحوادث وبين المتأخرين زمنياً للوصول إلى حقيقة الحدث التاريخي وتأصيله وتوثيقه وبمزيج من هذين المنهجين خلصت لنتائج هذه الدراسة كما عنيت بترجمة العديد من الشخصيات التاريخية التي وردت في البحث دون البعض القليل منها الذين لم أتمكن من العثور على

ترجمة لحياتهم بين ثنايا كتب التراجم والطبقات ، هذا بالإضافة إلى تعريف المواقع من مدن وقلاع وحصون تتعلق بموضوع البحث مستعينة في ذلك بالمصادر الجغرافية وكتب الرحلات واعتمدت في دراستي كذلك على عدد من المصادر الأصيلة التي كتبها المعاصرون للفترة موضوع الدراسة ومن أهم هذه المصادر وأولها على الإطلاق الأوامر العلائية في الأمور العلائية [1] الذي ألفه ابن بيبي وهو ناصر الدين حسين بن علي الجعفري الرغدي من أدباء القرن السابع الهجري ومؤرخيه ، عمل والده في ديوان الطغراء الخاص قبل سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٤م وأصبح هو أمير الطغراء في دولة سلاجقة الروم واشتهر باسم ابن بيبي نسبة إلى والدته المنجمة في بلاط السلطان علاء الدين كيقباذ [2] ، حيث أتاح له منصب والده في ديوان الطغراء في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو وأيضاً كونه أحد سفراء الدولة لحمل الرسائل إلى القوى الإسلامية والنصرانية المعاصرة فرصة الإطلاع على الوثائق التاريخية المهمة ومراقبة ومعايشة أدق تفاصيل الحوادث التاريخية في فترة موضوع البحث فخط في هذا المجلد ما جرى من الأمور في السنين والشهور في بلاد الروم مما قد رأى وسمع [3] فتناول الحوادث التاريخية لدولة سلاجقة الروم من سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م إلى سنة ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م .

وكان منهجه بسط تاريخ الدولة من خلال شخصية سلاطينها ، وقد استفدت من هذا المؤلف في الإطلاع على معظم الحوادث التاريخية وخاصة ما يتعلق بفتح مدينة سوداق [4] التي لم تتعرض لها المصادر العربية إلاّ بإشارات شديدة الإيجاز . وكذلك

---

(١) الأوامر العلائية نسبة إلى علاء الدين ملك الجويني (ت ٦٨١هـ / ١٢٨١م) حاكم العراق من قبل المغول وهو الذي طلب من ابن بيبي كتابة هذا السفر ، في الأمور العلائية أي السلطان علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو . انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص : و ، ز .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص م .

(٤) وردت باسم سوغداق في مخطوط منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ورقة ٥٧٩أ ولكن في كتب الجغرافيين التي رجعت إليها في تعريف المدن وردت بـ سوداق . لذا تناولت اسم سوداق في البحث دون سوغداق .

السبب الحقيقي لعودة عزالدين كيكاوس عن الاستمرار في الهجوم على حلب سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م إذ انفرد ابن بيبي بهذه الحادثة حتى عن المصادر التاريخية الإسلامية الأيوبية ، ولكن يعاب على هذا المؤلف عدم دقته في تأريخ بعض حوادثه . كذلك استفدت من هذا المصدر في معرفة النواحي الحضارية لدولة سلاجقة الروم إذ أسهب في وصف الحفلات السلطانية سواء الرسمية منها أو حفلات الزواج وخاصة زواج كل من السلطان عزالدين كيكاوس وعلاء الدين كيقباذ ابني غياث الدين كيخسرو وكذلك معرفة المسميات الوظيفية في الإدارة السلجوقية كأمير الأمراء ، وأمير المجلس ، المستوفي ، وكذلك بعض المنشآت المعمارية .

إلى جانب الأوامر العلائية هناك كتاب أخبار سلاجقة الروم « مختصر سلجوقنامه » لمؤلف مجهول قام بترجمته الدكتور محمد السعيد جمال الدين وهو مختصر عن كتاب ابن بيبي مع الاحتفاظ بما ورد في الكتاب الأصلي من تسلسل المواضيع بأسلوب سهل وبسيط [1] . ونظراً لأن هذا الكتاب مترجم إلى اللغة العربية فقد سهل عليّ عناء الإطلاع على أدق تفاصيل بعض الحوادث في كتاب ابن بيبي الفارسي اللغة ، فاعتمدت على كلا الكتابين لإمداد بحثي بما يحتاجه من مادة علمية ، كما أن هناك ترجمة أخرى لنفس الكتاب بعنوان « تاريخ سلاجقة الروم » قام بترجمته الدكتور محمد علاء الدين منصور فكنت أعود إليه إذا حدث اضطراب في ترجمة كتاب أخبار سلاجقة الروم .

كما تعد وثائق الوقف السلجوقي العائدة لدولة سلاجقة الروم من المصادر المهمة للاطلاع على عصر سلاجقة الروم ، فهي تلقي أضواء جديدة على تاريخ سلاجقة الروم لاسيما في المجالات الثقافية والإجتماعية الإقتصادية ، فهذه الوثائق مصدقة من القاضي ومذيلة بشهود على مافيها ، لهذا فإن لهذه الوقفيات الموثقة أهمية كبرى لموضوع الدراسة وخاصة الفصل السادس من البحث ، إذ أفدت من تلك الوقفيات عند دراسة التاريخ الحضاري والإجتماعي للعصر السلجوقي في الأناضول ، ومن هذه الوقفيات : وقفية شمس الدين ألتون آبا ، ووقفية جلال الدين قراتاي ،

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ص : ج ، ط .

وكلتاهما نشرهما عثمان توران في مجلة بللتان (Bellettan) كما لا تقل عنهما أهمية وقفية دار الشفاء في عهد السلطان عزالدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو .

من المصادر المعاصرة لموضوع البحث « الكامل في التاريخ » لابن الأثير [1] وهو تاريخ عام سار في تأليفه على طريقة الحوليات ، وكان مرجعي للتثبت من تأريخ بعض الحوادث التي يُغفل ابن بيبي ذكرها ، كما ترجع أهميته للبحث بأنه أحد المؤرخين المعاصرين للكثير من الحوادث التي أتناول دراستها . منها تقسيم السلطان عزالدين قلج أرسلان الثاني مملكته بين أبنائه واستيلاء السلطان ركن الدين سليمان شاه على أملاك إخوته وتوحيد البلاد تحت سلطته ، ثم ملك غياث الدين كيخسرو البلاد بعد وفاة أخيه ركن الدين سليمان شاه ، استيلاء غياث الدين كيخسرو على انطاليه والتي صحفت عنده فذكرها انطاكيه . كما تناول حادثة هجوم السلطان عزالدين كيكاوس على حلب سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م ولكنه لم يشر إطلاقاً إلى الخدعة التي حاكت أطرافها أخت الملك الأشرف ووالدة الملك العزيز صاحب حلب والتي بسببها عاد السلطان كيكاوس عن الهجوم على حلب مع هزيمة قواته أمام القوات الشامية . كما أفادني الكامل في التاريخ في دراسة العلاقات مع الدولة الأيوبية والخوارزمية وتحركات المغول قبل سنة ٦٢٨هـ والتي توقف المؤلف عندها إذ توفي سنة ٦٣٠هـ ، وترجع أهمية مؤلف ابن الأثير إلى أنه يروي حوادثه عن من يثق به [2] وهو شاهد عيان لتلك الوقائع .

ومن المصادر المهمة المعاصرة كتاب النسوي « سيرة جلال الدين منكبرتي » وتعود أهمية هذا المؤلف إلى أن النسوي أحد رجالات الدولة الخوارزمية والمطلع على تفاصيل الحوادث التاريخية وكذلك المراسلات بين الدولة الخوارزمية ودولة سلاجقة الروم في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ ولكن لم يدون النسوي الحوادث التاريخية حسب ترتيبها الزمني إنما قام بطرح الموضوعات التي اهتم بالكتابة عنها دون التقيد بترتيبها زمنياً ، وقد استفدت من كتاب النسوي في دراسة العلاقات مع الدولة

---

(١) انظر : علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) انظر : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص ٨٨ .

الخوارزمية وخاصة حصار مدينة أخلاط ونتائجه .

أيضاً كان لمخطوط منجم باشي المولوي الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي والمعروف مخطوطه بصحائف الأخبار في وقائع الأعصار الأهمية الكبرى في الاستفادة مما ورد فيه من ذكر الحوادث التاريخية لدولة سلاجقة الروم والتي تناولها خلال ذكره لشخصيات سلاطينها حيث عرض أعمال هؤلاء السلاطين بكل دقة وتركيز ، وقد أفاد هذا المخطوط البحث في معظم فصوله ومن ذلك تقسيم السلطان قلج أرسلان البلاد بين أبنائه ثم ندمه على ذلك ومحاولته استعادة البلاد تحت سيطرته ثم نزاع الأبناء فيما بينهم بعد وفاته ، أيضاً أفاد هذا المخطوط البحث في دراسة العلاقات مع الخلافة العباسية ، والدولة الأيوبية والدولة الخوارزمية وكذلك العلاقة مع القوى غير الإسلامية ، وقد استفدت منه أيضاً في معرفة مسميات المناصب التي تقلدها كبار رجال دولة سلاجقة الروم والسياسة الداخلية لدولة سلاجقة الروم في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ .

ومن المصادر المهمة « زبدة الحلب في تاريخ حلب » لابن العديم [(1)] وتعود أهمية هذا المصدر إلى أن ابن العديم أحد المؤرخين المعاصرين للفترة موضع البحث ، لذا أفادني عند دراسة علاقة دولة سلاجقة الروم مع الأيوبيين ولكن مع الأسف لم يشر ابن العديم إلى ما قامت به والدة الملك العزيز صاحب حلب سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م للدفاع عن مدينة حلب من هجوم السلطان عزالدين كيكاوس شأنه في ذلك شأن جميع المصادر التاريخية العربية .

كما يعد ابن العبري من المؤرخين الذين لا غنى عن مؤلفاتهم لهذا البحث سيما وأن ابن العبري من المؤرخين المعاصرين لفترة موضوع الدراسة فكان لمؤلفيه : « تاريخ مختصر الدول » و « تاريخ الزمان » أهمية في تتبع الحوادث التاريخية لدولة سلاجقة الروم عند دراسة العلاقات مع المغول وعن أوضاع السريان في دولة سلاجقة الروم .

ومن المصادر المهمة التي عدت في بعض فصول البحث إليها مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي [(2)] المتوفي سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م ، وتعود أهمية هذا

---

(١) انظر : علي الغامدي : بلاد الشام قبل الغزو المغولي ص ١٧ .

(٢) انظر : علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ص ١٥ .

المصدر لمعاصرة سبط ابن الجوزي لفترة موضوع الدراسة وقد أفاد البحث من مرآة الزمان عند دراسة علاقة دولة سلاجقة الروم بالأيوبيين ووقائع معركة ياسي جمن بين التحالف الأيوبي السلجوقي والسلطان الخوارزمي والتي رواها عن شاهد عيان ، ومن أهم المصادر لبعض فصول الدراسة كتاب « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » لابن واصل [1] وقد أفاد البحث عند دراسة علاقة دولة سلاجقة الروم بالدولة الأيوبية والأراتقة ومملكة أرمينية الصغرى .

كما كان لمؤلفات أبو الفداء « المختصر في أخبار البشر » و « تقويم البلدان » المكانة المهمة في معظم فصول الدراسة ، فاستفدت من كتاب « المختصر » في دراسة الموضوعات السياسية ، بينما أفادني كتاب « تقويم البلدان » في التعريف ببعض المدن والحصون التي يصادف ذكرها في موضوعات الدراسة .

ويعد مؤلف ابن فضل اللّه العمري « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » من أهم المصادر لدراسة النواحي الحضارية في البحث ، فقد أفاد البحث منه في معرفة الأحوال الإقتصادية لدولة سلاجقة الروم ، إذ عرض ذلك بصورة مفصلة سيما المنتجات الزراعية والثروة الحيوانية وكذلك وصف الخانات السلجوقية من الناحية المعمارية ودورها الاقتصادي والاجتماعي للدولة .

ومن المصادر الجغرافية « كتاب الجغرافيا » لابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت ٦٨هـ / ١٢٨٦م) [2] والذي يعد بحق أهم المصادر التي تعنى بالتعريف بالبلدان ، فقد أفاد منه البحث في التعريف بالمدن كموقع جغرافي وأيضاً إعطاء صورة واضحة عن العناصر السكانية ونشاطهم وما تتميز به المدن من منتجات زراعية أو صناعية ، وقد نقل عنه القلقشندي في صبح الأعشى وأبو الفداء في تقويم البلدان ، ومن المصادر الجغرافية أيضاً رحلة ابن بطوطة « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار » وتعود أهمية هذه الرحلة إلى أن ابن بطوطة سجل ما شاهده في بلاد الروم من غرائب ووصف المدن التي مر بها وصفاً دقيقاً ، وقد أفاد البحث منه عند دراسة النواحي الحضارية لدولة سلاجقة الروم في معرفة كل مدينة

---

(١) انظر : علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ص ١٨ ، ١٩ .

(٢) انظر التعريف بهذا المؤلف وحياته ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ص ١٦ .

وعناصرها السكانية وما تتميز به من منتجات زراعية وصناعية وكذلك معرفة العادات والتقاليد الاجتماعية .

تلك كانت أهم المصادر المعاصرة لموضوع دراستي ، وهناك بالطبع العديد من المصادر والمراجع العربية والأجنبية (التركية - والأوربية) التي استعنت بها في ثنايا فصول البحث ومن ضمنها كتب الطبقات والتراجم والمعاجم الجغرافية ، حيث شكل كل منها لبنة قوية في بنيان الرسالة وخصصت ثبتاً بها في ختام هذا البحث في قائمة المصادر والمراجع .

هذا وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة :

المقدمة :

تناولت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره وأهميته العلمية مع دراسة لأهم مصادر البحث .

التمهيد :

عرض موجز لتاريخ دولة سلاجقة الروم منذ قيامها إلى آخر القرن السادس الهجري.

الفصل الأول :

بعنوان (دولة سلاجقة الروم في عهد السلطان غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان ٦٠١هـ / ١٢٠٥م - ٦٠٧هـ / ١٢١٠م) .

تناول الفصل الأول تقسيم السلطان عزالدين قلج أرسلان الثاني البلاد بين أبنائه . وبيّن الفصل سبب هذا التقسيم وأشار إلى نتائج تلك الخطوة على الوحدة الوطنية إذ دب النزاع بين الأبناء ، ووضّح الفصل بعد ذلك دهاء السلطان ركن الدين سليمان شاه الذي استطاع توحيد البلاد تحت سيطرته لمدة عشر سنوات توفي بعدها ليعقبه أخوه غياث الدين كيخسرو فتحدث الفصل عن كيفية وصوله إلى الحكم والفتوحات التي قام بها على سواحل البحرين المتوسط والأسود ونجاحه في فتح انطالية على ساحل البحر المتوسط ، وبرهن الفصل على إدراك السلطان لأهمية رعاية التجارة وحمايتها كعصب حيوي لاقتصاد البلاد .

ثم ناقش الفصل الأول أسباب الحرب مع إمبراطورية نيقية البيزنطية مختتماً ذلك

بفشل السلطان غياث الدين كيخسرو في محاولته الإستيلاء عليها واستشهاده في تلك المعركة التي عرفت باسم معركة ألاشهر .

الفصل الثاني :

وعنوانه (سلاجقة الروم في عهد السلطان عزالدين كيكاوس ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م - ٦١٦هـ / ١٢١٩م) .

تحدث الفصل الثاني عن مبايعة السلطان عزالدين كيكاوس سلطاناً لدولة سلاجقة الروم بعد استشهاد والده في معركة ألاشهر وتناول الفصل معارضة أخيه علاء الدين كيقباذ له عندما حاصره في مدينة قيساريه وشاركه في هذه المعارضة والحصار كل من عمهما مغيث الدين طغرل شاه صاحب ارزن الروم والملك ليو الثاني الأرمني . وبرهن الفصل على الدور الفاعل لرجال الدولة في إنقاذ الدولة من الدخول في دائرة الصراع التنافسي بين الأخوة وذلك من خلال موقف جلال الدين قيصر شحنة قيساريه . وبيَّن الفصل أهمية مدينة سينوب كمنفذ على ساحل البحر الأسود والترتيبات التي وضعها ونفذها عزالدين كيكاوس للاستيلاء على تلك المدينة الاستراتيجية ونجاحه في ذلك . كما تناول الفصل الثورة التي قامت في انطاليه سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م وناقش ظروف قيام هذه الثورة وهوية القوى المساعدة لها ونتائجها . كما وضَّح الفصل الأعمال التوسعية للسلطان عزالدين كيكاوس على حساب مملكة أرمنية الصغرى ثم محاولته الفاشلة في الهجوم على حلب واختُتِم الفصل بمناقشة التأريخ الصحيح لسنة وفاة عزالدين كيكاوس .

الفصل الثالث :

بعنوان (سلاجقة الروم في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ ٦١٦هـ / ١٢١٩م - ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م) .

ابتدأ الفصل بشرح كيفية اعتلاء السلطان علاء الدين كيقباذ عرش دولة سلاجقة الروم ثم وضح سياسته الداخلية التي برهن فيها على ما يتمتع به من بعد نظر

وحنكة سياسية فبدأ بتحصين كبريات المدن وألزم أمراء الدولة بالمشاركة في تلك التحصينات ، ووضح الفصل كيفية تخلص السلطان علاء الدين كيقباذ من هؤلاء الأمراء لخطرهم على سلطانه ، كذلك استعرض الفصل فتوحات السلطان علاء الدين كيقباذ في آسيا الصغرى وشبه جزيرة القرم والتي بدأها بالاستيلاء على قلعة كالونورس بالقرب من انطاليه وتحويل اسمها بعد الفتح إلى علائيه وبناء قلعة جديدة بها ثم توسعه في شرق البلاد على حساب الإمارات الأرتقية وتحدث الفصل عن الإضافة الجديدة لدولة سلاجقة الروم في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ بعبور قواته البحر الأسود وفتح مدينة سوداق في جزيرة القرم على الساحل الشمالي للبحر الأسود ونشر الإسلام في تلك البقعة البعيدة . ثم ناقش الفصل السنة التي تم فيها هذا الفتح لإغفال بعض المصادر ذكر سنة الفتح أو الوقوع في خطأ تاريخها . كما بين الفصل الحملات العسكرية التوسعية التي أرسلها علاء الدين كيقباذ إلى مملكة أرمينية الصغرى ونجاح تلك الحملات في الاستيلاء على عدد من الحصون والقلاع ودخول مملكة الأرمن في طاعة السلطان علاء الدين كيقباذ ، وكذلك الاستيلاء على بعض مدن الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى وتتريكها بتوطين العشائر التركمانية ، وناقش الفصل أخيراً أسباب وفاة السلطان علاء الدين كيقباذ ثم عرض لبعض سمات شخصيته .

الفصل الرابع :

وعنوانه (العلاقات بين سلاجقة الروم والقوى الإسلامية خلال الثلث الأول من القرن السابع الهجري) .

بدأ الفصل بالحديث عن العلاقات مع الخلافة العباسية التي حرص سلاطين سلاجقة الروم على مد التواصل معها والحرص على الحصول منها على التقليد والخلع لإضفاء صبغة الشرعية على حكمهم . ثم تناول الفصل العلاقات مع الإمارات الأرتقية في ديار بكر والجزيرة والتي تتراوح بين التبعية لدولة سلاجقة الروم أو العصيان والانضمام إلى قوى مجاورة مراعاة لمصالحهم الذاتية ولمن يجدون أمنهم معه .

كما شرح الفصل العلاقات مع الأيوبيين تلك العلاقة التي تراوحت بين الود

والمصاهرة أحياناً والعداء السافر أحياناً كثيرة ، وذلك تبعاً لمصلحة كل من الدولتين . ثم تعرض الفصل لشرح العلاقات مع الدولة الخوارزمية التي بدأت بالتواصل الودي وتبادل الرسائل الودية والتعاون بين الدولتين ، ثم تحولت العلاقة إلى نزاع وصدام مسلح بين الدولة الخوارزمية والتحالف السلجوقي الأيوبي في معركة ياسي جمن ، واستعرض الفصل تفاصيل تلك المعركة ونتائجها على الطرفين .

الفصل الخامس :

بعنوان (العلاقات بين سلاجقة الروم والقوى غير الإسلامية خلال فترة البحث).

وضّح الفصل قيام امبراطورية طرابزون في شمال دولة سلاجقة الروم ، ثم بيّن العلاقة بين امبراطورية طرابزون ودولة سلاجقة الروم التي لم تكن ودية ، فبيّن الفصل الأسباب التي أدت إلى خروج السلطان عزالدين كيكاوس للسيطرة على تلك الإمبراطورية حيث تحقق له ذلك وفتح سينوب وسامسون أهم ميناءين على ساحل البحر الأسود الجنوبي ودخول امبراطورية طرابزون في طاعة سلاطين دولة سلاجقة الروم ، كما تناول الفصل طبيعة العلاقة بين امبراطورية نيقيه ودولة سلاجقة الروم إذ حرصت الأخيرة على المحافظة على سياسة حسن الجوار مع نيقيه لمصلحة كل منهما . ووضح الفصل العلاقات مع مملكة أرمينية الصغرى التي تراوحت بين التبعية والصدام المسلح الذي ينتهي دائماً لصالح دولة سلاجقة الروم ، ثم بيّن الفصل طبيعة العلاقات مع مملكة الكرج والأبخاز التي بدأت بمحاولة سلاطين دولة سلاجقة الروم مد نفوذهم إلى بلاد الكرج ولكن تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح وتحولت العلاقة إلى مصاهرة بين ابنة ملكة الكرج والسلطان غياث الدين كيخسرو الثاني بن علاء الدين كيقباذ . وبيّن الفصل نوعية العلاقة مع القفجاق والروس والتي تغلب عليها المصالح التجارية حيث شرح الفصل هجوم دولة سلاجقة الروم على بلاد القفجاق والروس في شبه جزيرة القرم وفتح مدينة سوداق تحقيقاً لأهداف تجارية ، وتناول الفصل العلاقة مع المغول موضحاً خطر المغول وإن دولة سلاجقة الروم شأنها شأن الدول الإسلامية المهددة بهذا الخطر وعرض استعدادات السلطان علاء الدين كيقباذ الدفاعية

في بلاده ضد المغول بتحصين كبريات المدن ورغبة السلطان في طرق أبواب الصلح مع خانات المغول وعدم التصدي لهم بالقوة ، وختم الفصل بتبادل الرسائل بين السلطان علاء الدين كيقباذ والخان المغولي أوكتاي بن جنكيز خان التي تبين الرغبة في بدء علاقات ودية بين الدولتين ولكن وفاة السلطان علاء الدين كيقباذ أجهضت هذه المحاولة .

الفصل السادس :

وعنوانه (حضارة سلاجقة الروم خلال الثلث الأول من القرن السابع الهجري).

بدأ الفصل بتوضيح نظام الحكم في دولة سلاجقة الروم القائم على الحكم المركزي وأن قانون « إن الدولة ملك مشترك للجميع » فشل تطبيقه ودخلت البلاد بسببه في صراع بين الأخوة وبرهن الفصل على أن المنصب الإداري في الدولة يتأثر بقوة شخصية متقلده من الأمراء ، واستعرض الفصل مسميات المناصب الإدارية وأهم متقلديها ودورهم الفاعل في الدولة ، ومن هذه المناصب ملك الأمراء ، النائب ، البرواناه ، أمير المجلس . ثم ناقش الفصل المحرك في الإدارة السلجوقية المنصب أم الشخص نفسه فتوصل إلى أن لشخصية متقلد المنصب الأثر في قوة المنصب وأثره على الدولة سواء من ناحية القوة أو الضعف . ووضح الفصل أن الإقطاع الحربي في دولة سلاجقة الروم يختلف عن الإقطاع المطبق في الممالك الإسلامية المجاورة ، إذ نجح سلاطين دولة سلاجقة الروم في الاستفادة من توزيع الإقطاعات على الأمراء مع الإحتفاظ بأصله للدولة ، كما بيَّن الفصل أثر الإقطاع الحربي الإيجابي على الجيش السلجوقي إذ أصبح للدولة جيش كبير دون أن يكون هذا الجيش عبئاً عليها ، ثم استعرض الفصل أقسام الجيش في دولة سلاجقة الروم وأنواع الفرق المصاحبة للقوات عند خروجها للقتال أو الدفاع . وألقى الفصل أضواء جديدة على نشوء البحرية لدولة سلاجقة الروم بعد فتح المدن الاستراتيجية الساحلية على البحرين : البحر الأبيض المتوسط ممثلاً في انطاليه والعلائية ، والبحر الأسود ممثلاً في سينوب وسامسون وقدرة الأساطيل البحرية السلجوقية على خوض المعارك البحرية ومقاومة القوى

البحرية المجاورة ذات التاريخ العريق في مجال القتال البحري .

درس الفصل الأحوال الإقتصادية مستعرضاً أوجه النشاط البشري في دولة سلاجقة الروم ابتداء من النشاط الزراعي وذلك باستغلال ماحبى اللّه بلاد سلاجقة الروم من وفرة المياه وخصوبة الأراضي وانتشار المراعي الطبيعية بتشجيع الزراعة ورعاية الثروة الحيوانية وتنميتها . أما النشاط الصناعي فقد درس الفصل أنواع المعادن المتوفرة في بلاد سلاجقة الروم وتشجيع استغلال تلك المعادن في الصناعات المحلية وتصدير الخام منها إلى مناطق الإستهلاك العالمي آنذاك ، كما وضح الفصل أنواع الصناعات المحلية ومنها صناعة البسط والسجاجيد بحيث بلغت شهرتها الآفاق .

كما تناول الفصل اهتمام سلاطين سلاجقة الروم بالتجارة وحمايتها ورعايتها وتأمين طرق التجارة العالمية ، ودرس الفصل الحياة الثقافية في دولة سلاجقة الروم ودور السلاطين في ازدهار الثقافة في البلاد والاهتمام بنشر الإسلام وخاصة المذهب السني الحنفي وإنشاء المدارس العديدة لتحقيق ذلك ، وتناول الفصل حرص سلاطين سلاجقة الروم على استقطاب العلماء وتشجيعهم على الاستقرار في البلاد وتهيئة المناخ المناسب لإثراء الحياة الثقافية للدولة ، كما شرح الفصل جهود بعض من علماء العلوم الدينية الذين شملتهم رعاية سلاطين سلاجقة الروم، ولا يقتصر اهتمام السلاطين بالعلوم الدينية بل شمل اهتمامهم جميع المعارف والعلوم. ودرس الفصل الحياة الاجتماعية مبتدأ بتوضيح العناصر السكانية للدولة وأثر كل عنصر على المجتمع في دولة سلاجقة الروم ، ثم مظاهر الاحتفالات في المجتمع السلجوقي وشرح مظاهر بعض العادات والتقاليد المميزة للمجتمع في الدولة ، وتحدث الفصل عن أهم مظهر اجتماعي ظهر في فترة موضوع البحث في دولة سلاجقة الروم ألا وهو رعاية السلاطين لنظام الفتوة الذي كان له أثر واضح على المجتمع السلجوقي. واختُتم الفصل بتناول المنشآت العمرانية في دولة سلاجقة الروم من ناحية عمارتها وزخرفتها سواء هذه العمارة دينية كالجوامع الكبيرة والمساجد والمجمعات العمرانية المكونة من مدرسة وجامع وضريح ومستشفى أو الخانات التجارية ، وبرهن الفصل على أن بقاء بعض العمائر السلجوقية إلى وقتنا الحاضر يعود إلى جودة عمارتها واستخدام الحجارة المحلية لبنائها .

الخاتمة :

وأنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها بعد دراسة دولة سلاجقة الروم تاريخياً وحضارياً في الثلث الأول من القرن السابع الهجري .

وذيّلت الرسالة بملاحق اشتملت على خرائط توضح توسع دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى في فترة موضوع البحث وملاحق توضيحية لبعض مواضيع الرسالة الحضارية ونصوص لمعاهدات تجارية .

ثم قائمة بأسماء المصادر والمراجع من عربية وأجنبية وهي التي اعتمدت عليها واستعنت بها في جمع المادة التاريخية والحضارية المتعلقة بموضوع البحث وأخذت منها فوائد كبيرة .

وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني وتقديري للأستاذ المشرف أ.د. علي محمد علي عودة الغامدي الذي تفضل بقبول الإشراف على رسالتي ، ثم بذل معي جهداً مضنياً في جميع مراحل البحث ، ولم يتوان في إسداء النصح إليّ وتوجيهي ، فكان له عظيم الأثر في إخراج هذه الرسالة في صورتها النهائية ، ولم يبخل بإمدادي بما يرفع مستوى بحثي علمياً وإعانتي بالمصادر المخطوط منها والمطبوع ، وتزويدي بكل ما أنتجه فكره من دراسات وبحوث لها صلة وثيقة برسالتي فجزاه اللّه عني كل خير وأعاننا اللّه وإياه على خدمة العلم والعلماء .

وأشكر جامعة أم القرى التي أتاحت لي الفرصة لتحضير هذه الرسالة بها .

كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة على التوجيهات والملاحظات التي سوف يتفضلون بها أثناء مناقشة هذه الرسالة .

والله ولي التوفيق ،،،

ض

التمهيد

عرض موجز لتاريخ دولة سلاجقة الروم

(منذ قيامها إلى أواخر القرن السادس الهجري)

كان الأتراك السلاجقة يقطنون منطقة تركستان في بلاد ماوراء النهر وكانوا قبائل بدوية متنقلة [١] وبما أنه لم يحدد تاريخ معين لهجرتهم نحو الغرب فيبدو أن تلك الهجرة بدأت خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة تحت وطأة الظروف الاقتصادية المختلفة وغلبة قبائل أكثر منها قوة [٢] ، ويرجع نسب السلاجقة إلى سلجوق بن دقاق[٣] زعيم إحدى تلك القبائل التركية ، وقد اعتنق السلاجقة الإسلام في أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ودخلوا العالم الإسلامي في صورة قوات عسكرية مساندة تعمل في خدمة القوى الإسلامية المتنازعة في تلك البلدان [٤]. وخلال سنوات قليلة نمت قوة السلاجقة وما أن حل عام ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م حتى سيطر طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق [٥] على المناطق الجنوبية من إيران ، فاستولى على أصبهان واتخذها عاصمة لدولته [٦]، ثم رنا ببصره إلى بغداد فقرر الحلول محل البويهيين الشيعة سيما وأن السلاجقة على المذهب السني فنجح في كسب ثقة الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ / ١٠٣١ - ١٠٧٥م) حيث تلقى دعوته للقدوم إلى بغداد واستقبله الخليفة العباسي وأقيمت الخطبة له في جوامع بغداد بعد الخليفة [٧] ليعلن في عام ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م قيام السلطنة السلجوقية في بغداد

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص ٦٣ - ٦٤ ، انظر : علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، مكتبة الفيصلية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٠٩ .

(٢) علي الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، ص ١٠٩ .

(٣) دقاق أو تقاق عرف بـ "تيمور يلخ" أي ذي القوس الحديد بلغة الترك. انظر دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثاني عشر ، ص ٢٤ – علي عودة الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، ص ١٠٩ . انظر ملحق ص ٣٣٨ م .

(٤) كليفورد ، أ. بوزورث : الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة حسين علي اللبردي ، موسسة الشراع ، الطبعة الثانية ١٩٩٥م ، ص ١٦٩ .

(٥) انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص ٦٣ .

(٦) علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، ص ١١١ .

(٧) علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، ص ١١٥ .

حيث أصبحت في وقت قصير « دولـة ذات نسق هرمي يـتربع على قمته السـلطان السلجوقي مدعما بهيئة إدارية فارسية وجيش متعدد القوميـات يشـرف على إعـداده قواد من المماليك الأتـراك » [١] وقـد امتـدت أمـلاك سـلاطين السـلاجقة العظـام مـن خراسان وما وراء النـهر شـرقا إلى الأنـاضول والشـام غربـا ، وقـد بلغـت امبراطوريـة السلاجقة العظام أقصى اتساعها في عهد السلطان الب ارسـلان بـن طغـرل (٤٥٥ - ٤٦٥ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢م) بطل معركة ملاذكرد (مانزيكرت) [٢] سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م والتي انتصر فيها على الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع (٤٦١ - ٤٦٤هـ / ١٠٦٨ - ١٠٧١م) فترتب على ذلـك أن أصبحـت آسيا الصغرى مفتوحـة على مصراعيها أمام الأتراك السلاجقة بالإضافة إلى قبـائل التركمـان الـتي توغلـت في آسـيا الصغرى عقب معركة مانزيكرت ، ويمكن القول أن معركة مانزيكرت تشـبه معركـة اليرموك ، فـإذا كـانت معركـة اليرموك قـد قـررت مصـير بـلاد الشـام فـإن معركـة مانزيكرت قد قـررت مصـير آسـيا الصغـرى حيـث انتقلـت هـذه البـلاد مـن الديانـة النصرانية والحضارة البيزنطية إلى الديانة والحضارة الإسلامية . فتوغلت قبائل التركمان في معظم مناطق آسيا الصغرى ، كما ذهـب إلى تلك البلاد ابناء قتلمش عـم السـلطان الب أرسلان وأشهر هؤلاء الأبناء سليمان بـن قتلمـش (٤٧٠ - ٤٧٩هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨٦م) [٣] الذي استطاع في سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م فتـح مدينـة نيقيـة في غـرب آسيا الصغرى وهي المدينة المقدسة في عالم النصرانية واتخذها عاصمة لدولته واسـتطاع خلال عشـر سنوات تاليـة أن يتوسـع في غـرب وجنـوب آسـيا الصغـرى عـن طريـق التدخل في المنازعات التي قامت بين القادة البـيزنطيين الراغبـين في الوصـول إلى عـرش القسطنطينية . ولم يكتف سليمان بذلك بل اتجه شرقا وضم إلى دولته مدن مهمة مثـل

---

(١) كليفورد . أ. بوزورث : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٢) انظر عن معركة مانزيكرت : علي عودة الغـامدي : بـلاد الشـام قبيـل الغـزو الصليبـي ، ص ١٣٢ - ١٣٩.

(٣) عن سليمان بن قتلمش انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص ٧١ ، ٢٦٨ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.45, 81.
أيضا انظر : نسب سلاجقة الروم ملحق ص ٣٣٨ م .

طرسوس وعين زربه والمصيصة [1] وغيرها ، ثم طمع في أن يمد نفوذه إلى بلاد الشام فاستولى على أنطاكية وأراد الاستيلاء على حلب فاصطدم مع تتش بن ألب أرسلان شقيق السلطان ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢م) سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م ودفع حياته ثمناً لذلك الطموح . وبذلك يكون سليمان بن قتلمش المؤسس الأول والحقيقي لسلطنة سلاجقة الروم .

وإذا كانت تلك السلطنة تعرضت لأزمة بعد مقتل سليمان فإن تلك الغمة لم تلبث أن انكشفت عندما تمكن قلج أرسلان الأول بن سليمان (٤٨٥ - ٥٠٠هـ / ١٠٩٢ - ١١٠٧م) من العودة إلى آسيا الصغرى حيث استقبله الأتراك ونصبوه على عرش والده واستطاع أن يعيد تلك السلطنة من جديد .

وعلى الرغم مما تعرض له سلاجقة الروم من خسائر بسبب الحملة الصليبية الأولى فإنهم لم يلبثوا أن استعادوا قوتهم زمن السلطان مسعود بن قلج أرسلان الأول (٥١٠ - ٥٥١هـ / ١١١٦ - ١١٥٦م) وظلت دولة سلاجقة الروم تتعرض لهجمات شديدة من قبل البيزنطيين الذين كانوا يطمعون في استرداد آسيا الصغرى من سلاجقة الروم ومن الإمارات التركمانية الأخرى من الدانشمديين [2] وغيرهم إلى أن آلت دولة سلاجقة الروم إلى قلج أرسلان الثاني (٥٥١ - ٥٥٨ هـ / ١١٥٦ - ١١٩٢م) الذي خلف والده على العرش واستطاع طوال سنوات حكمه مواجهة المؤامرات الداخلية من قبل الدانشمديين وغيرهم ومواجهة الأخطار الخارجية التي تمثلت في الخطر البيزنطي والخطر الصليبي .

---

(١) طرسوس : مدينة بثغر الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم وعلى طرسوس سوران وخندق واسع . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٢٨ - ٢٩ .
عين زربه : ويقال عين زَرْبَى بلد بالثغر من نواحي المصيصة . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدحان ، ج٤ ، ص ٧١٧ - ١١٨ .
المصيصه : هي مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم بها بساتين كثيرة وكانت ذات سور وخمسة أبواب . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ١٤٥ .

(٢) الدانشمديين : أو دانشموند كلمة فارسية بمعنى العالم تتكون من مقطعين " دانش " بمعنى العلم و " مند " صيغة النسب وكانت تطلق على المعلمين في بعض أنحاء آسيا الوسطى بنو دانشمند أسرة حاكمة تولت على بعض أنحاء آسيا الصغرى (الأناضول) قبل قيام الدولة العثمانية تنسب إلى شمس الدين دانشمند أحمد غازي الذي تولى على سيواس سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م ، ثم تعاقب على الحكم أبنائه من بعده وأحفاده . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، ج٢ ، ص ٣٣١ - ٤٣٢ أيضاً . انظر: كليفورد . م. بوزوروث : الأسرات الحاكمة ص ٥٣ .

الفصل الأول

دولة سلاجقة الروم

في عهد السلطان كيخسرو بن قليج أرسلان

٦٠١ - ٦٠٧هـ / ١٢٠٥ - ١٢١٠م

- السلطان قليج أرسلان الثاني وتقسيم السلطنة بين أولاده .
- النزاع بين أبناء السلطان قليج أرسلان الثاني .
- وصول كيخسرو بن قليج أرسلان إلى عرش سلاجقة الروم .
- فتوحات السلطان كيخسرو على سواحل البحرين المتوسط والأسود .
- الحرب مع إمبراطورية نيقية البيزنطية واستشهاد السلطان كيخسرو .

قليج أرسلان وتقسيم السلطنة بين أولاده

استطاع السلطان قليج أرسلان الثاني بن مسعود [١] - الثاني - (٥٥٠-٥٨٨هـ / ١١٥٥-١١٩٢م) أن يكوّن خلال ثلاثين عاماً ، دولة مترامية الأطراف . فقد قضى على إمارة الدانشمديين عام ٥٧١هـ / ١١٧٥م ، وضم أملاكها إلى سلطنته ، وبعدها أنزل هزيمة فادحة بالقوات البيزنطية عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م في معركة ميريوكيفالوم [٢] ، والتي نتج عنها رسوخ الوجود التركي السلجوقي على أرض آسيا الصغرى ، وتبديد الحلم البيزنطي في إعادتها لحظيرة الإمبراطورية البيزنطية، وأيضاً توغل التركمان المسلمون بخيولهم وماشيتهم متتبعين مجاري الأنهار حتى مصباتها في بحر إيجة ، وساد النظام وبدأت حقبة التقدم الاقتصادي والثقافي في وسط الأناضول [٣] .

وبعد هذه الإنجازات [٤] ، التي قام بها قليج أرسلان الثاني ، ومع تقدم السن

---

(١) قليج أرسلان بن مسعود بن قليج بن أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق. حكم في الفترة مابين ٥٥١-٥٨٨هـ / ١١٥٦-١١٩٢م . انظر ابن الأثير : عزالدين بن الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم (ت : ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) . الكامل في التاريخ، دار صادر ، بيروت ، ج١٢ ، ص ٨٨ ؛ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥هـ / ١٤٤١م): كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه د. محمد مصطفى زيادة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦م، ج١ ، ق٢ ، ص١١٢ ؛ منجم باشي المولوي : أحمد بن لطف الله ، صحائف الأخبار في وقائع الأعصار ، مخطوط محفوظ بمكتبة أحمد الثالث ، استانبول ، رقم ١٢٥٤/١ ، ورقة ٥٧٢ .

(٢) عن معركة ميريوكيفالوم : انظر علي محمد عودة الغامدي : معركة ميريوكيفالوم ٥٧٢هـ / ١١٧٦م من المعارك الحاسمة ، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية ، العدد الأول ص ١٢٣ - ١٥٠ .

(٣) علي الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٤) لئلا نخرج عن موضوع البحث ، ولعدم التوغل في حوادث سابقة على الفترة الزمنية السابقة للبحث ، وللإطلاع على هذه الإنجازات وتتبعها ، انظر :

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiya, Istanbul, 1996, s.197-217, s229-236.

عثمان توران : الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية ، ترجمة د. علي عودة الغامدي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

The Cambridge History of Islam, Vol, 1A, Cambridge, 1980. pp.242-245.

به ، وشعوره بآثار الشيخوخة ، رأى أن يقسّم[١] بلاده بين أبنائه ، ليتيح لنفسه الراحه ، وفي الوقت نفسه ، يعطي أبناءه ، في حياته ، فرصة ممارسة الحكم ، وإدارة سياسة تلك الإمارات ، وبذلك اتبع تقاليد السياسة التركية ، التي تركز على أن « الدولة ملك مشترك للعائلة المالكة » [٢] .

وبناء عليه ، قسّم السلطان مملكته إلى أحد عشر إقليماً ، وعيّن كل واحد من أبنائه حاكماً على إقليم ، وحمل كل واحد منهم لقب ملك ، وطبقاً لروايات المصادر ، التي تكمل بعضها البعض [٣] ، فقد جاء التقسيم كالتالي :

---

(١) لم تحدد المصادر التاريخية تاريخ هذا التقسيم . ولكن لما كان غياث الدين كيخسرو قد ساد حكمه على أولوبورلو ، التي تم فتحها سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م ، فالمعتقد استناداً إلى ذلك ، أن هذا التقسيم قد تم بعد هذه السنة ، كما أن السلطان عزالدين قليج أرسلان كان في حالة حرب مع ابنه قطب الدين ملكشاه سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م ، فمعنى ذلك أن هذا التقسيم قد تم قبل هذا التاريخ ، ومما يستخلص من ذلك أن هذا التقسيم قد تم فيما بين سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م - ٥٨٤هـ / ١١٨٨م ، وفي الغالب سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م ، انظر :

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.216.

زبيدة عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ، ص ١٠٣ .

(٢) عثمان توران : الأناضول في عهد السلاجقة ، ص ٣٣ .

Nejat Kaymaz : Anadolu Selçuklu Devletinin Inhitatinda Idare Makanizmanin Rolü, Tarih Araştirmalari Dergisi, Ankara, 1961,I,s,110.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٨٨ ، ابن بيبي :

Ibn-I Bibi : El-HÜSEYN B. MUHAMMED B. ALI EL CA'FERI ER-RUGEDI, EL-EVAMIRÜ' L ALAIYYE FI'L – UMURI'L – ALAIYYE, Önsöz ve fihristi hazirliyan : Adnan Sadik Erzi, I. Tipkibasim, Ankara, 1956, s.22.

انظر أيضاً : .

- أخبار سلاجقة الروم ، لمؤرخ مجهول : ترجمة د. محمد السعيد جمال الدين ، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، الدوحة ، جامعة قطر ، ١٤١٤هـ ، ص٥ .
- ابن كثير : إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، حققه مكتب تحقيق التراث ، موسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ج١٢ ، ص ٤٢٨ ، النويري : شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت : ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق د. سعيد عاشور ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٦٦م ، ج٢٧ ، ص ٩٦ ، منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧١ .
- ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) : تاريخ ابن الفرات، حققه د. حسن الشماع ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة ، العراق ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ج٢، ص ٩٥ .
- Aksarayli : Kerimüddin Mahud : Müsameret ül ahbar, Mogollar Zamaninda Türkiye Selçuklular Tarihi , neşreden Osman Turan , Ankara , 1944 s.30.

القاضي أحمد النكَدي : الولد الشفيق المجلد الثاني ورقة ١٤١ أ ، ب .

١ - قطب الدين ملكشاه ملك على سيواس [١] وأقصرا [٢] .

٢ - ركن الدين سليمان شاه ملك على توقات [٣]

٣ - نورالدين محمود سلطان شاه ملك على قيسارية [٤] .

٤ - مغيث الدين طغرل شاه ملك على أبلستان [٥] .

٥ - معزالدين قيصر شاه ملك على ملطية [٦] .

٦ - محيي الدين مسعود ملك على أنقرة [٧] وما يتبعها .

---

(١) سيواس : مدينة تقع في وسط الأناضول ، وقد شيدت أبنيتها الجديدة - في زمن علاء الدين كيقباذ - كلها من الحجارة ، وهي مدينة حسنة العمارة ، واسعة الشوارع ، أسواقها غاصة بالناس. أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ ج٣ ، ص٦٢٠. ابن بطوطة : محمد بن عبدالله بن يوسف اللواتي (٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) : رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق محمد بن عبدالمنعم العريان ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج١ ، ص٣٠٣ ، كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) أقصرا : أو أقسراي ، وتعني القصر الأبيض ، من أحسن بلاد الروم وأتقنها ، تحفّ بها العيون الجارية والبساتين من كل ناحية ، وتشق المدينة ثلاثة أنهار ، وفيها الأشجار ، ودوالي العنب . انظر : ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٠٢.

(٣) توقات : بلدة بين قونية وسيواس ، ذات قلعة حصينة ، بينها وبين سيواس مسيرة يومين : ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي : (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج٢ ، ص٥٩.

(٤) قيصارية : وتكتب قيسارية وقيصرية : مدينة كبيرة عظيمة ، وهي ثاني مدن السلطنة السلجوقية ، بنى السلطان علاء الدين كيقباذ حولها سور من حجر . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٢١ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، ١٧٨ .

(٥) أبلستان : أبلستين ، مدينة تقع شرق قيصرية ، وهي من مدن الثغور في أيام الروم . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٧٥ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٦) ملطية أو ملاطية : بناها الإسكندر وبعد الفتح الإسلامي شيد الصحابة بها جامعاً ، كانت من أعظم الثغور الإسلامية في الحرب ضد الروم ، وصفت بأنها مدينة حسنة ، ذات حصن منيع ، يكثر فيها القمح والقطن . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ١٩٢ ، كي لسترنج : بلدان الخلافة ، ص١٥٢ ، ١٥٣ .

(٧) أنقره أو أنكورية : مدينة ذات هواء بارد ، يكثر فيها القمح والقطن والفواكه . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٧١ ، كي لسترنج : المرجع السابق ، ص١٨٢ .

٧ - غياث الدين كيخسرو ملك على أولبروغلوا (١) وضواحي كوتاهية (٢) .

٨ - ناصر الدين بركياروق شاه ملك على نيكسار (٣) وقويلوحصار (٤) .

٩ - نظام الدين أرغون شاه ملك على أماسية (٥) .

١٠ - أرسلان شاه ملك على نيكدة (٦) .

١١ - سنجر شاه ملك على أراكلية (٧) والحدود الجنوبية .

وقد تمتع هؤلاء الملوك بالإستقلال الذاتي داخل أقاليمهم ، فقد أشار ابن بيبي إلى ذلك بقوله : « و لم يكن يعود من أعمال تلك الديار على ديوان سلطنة الوالد شيء قط ، قل أو كثر » (٨) . ومعنى ذلك « أن هذه الأقاليم تدار أمورها الإدارية والمالية والعسكرية ، من ديوان الحكومة المشكل في الولايات » (٩) . وكان من حق هؤلاء الملوك الخروج لفتح المناطق البيزنطية ، المتاخمة لممالكهم ، وعقد اتفاقيات

---

(١) أولبروغلوا : ألوبرلو ، بُرغلو : برلو ، مدينة صغيرة في غرب بحيرة أكردور ، تقع على تل ، تحتها خندق، ولها قلعة فوق جبل . انظر : كي لسترنج : المرجع السابق ، ص١٧٤ ، ١٨٤ . ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص٣٢٢ .

(٢) كوتاهية : (كوتيوم Cotyaoum) وعرفت أيضاً باسم قطية ، وقد اتخذت عاصمة لإمارة كرميان، إحدى الإمارات التركمانية ، في القرن السابع الهجري . وأشار ابن بطوطة إلى أن فيها طائفة من قطاع الطرق، انظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ج١ ، ص ٢٩٦ ، كي لسترنج: المرجع السابق، ص١٨٦.

(٣) نيكسار : وهي نيو سيزارية أو نيو قيصرية (Neo-caesarea) ، مدينة وسطة حولها بساتين تكثر فيها الفاكهة . انظر : كي لسترنج : المرجع السابق ، ص١٦٨ ، ١٧٩ .

(٤) قويلوحصار : لم أجد لها تعريفاً في معاجم البلدان . انظر ملحق ص ٣٣٧ .

(٥) أماسية : مدينة كبيرة حسنة ، فسيحة الشوارع والأسواق ، ذات أنهار وبساتين ، وعلى أنهارها النواعير . انظر : ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٠٤ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص١٧٩ .

(٦) نيكده : نكده : مدينة كبيرة ، كثيرة العمارة ، وكان قد تخرب بعض عمارتها ، حسب رواية ابن بطوطة الذي مر بها ، ويشقها النهر الأسود ، وهو من كبار الأنهار ، عليه ثلاث قناطر : انظر ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٠٢ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص١٨٣ .

(٧) أراكلية : وعرفت باسن هرقله ، هركلية (Heraaclia) على الحدود الجنوبية ، شرقي قونية . انظر كي لسترنج ، ص٢٣٤ ، ١٧٤ - ١٧٥ .

(٨) أخبار سلاجقة الروم ، ص٥ . Ibn Bibi : op. Cit, p.22.

(9) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye, p.218.

الصلح مع الدول المجاورة [1] . وكانت تقام الخطب على المنابر بأسمائهم ، ولهم حق سك النقود الخاصة بهم في عواصم أقاليمهم [2]

ومع هذه الاستقلالية ، إلاّ أن هؤلاء الملوك كانوا يفدون سنوياً إلى قونية ، للمثول بين يدي والدهم ، وتقديم فروض الطاعة والتبعية [3] . ولكن يبدو أن تلك الزيارة السنوية اقتصرت على السنوات الأولى للتقسيم ، إذ ما لبثت أن انطلقت شرارة الصراع بين الأبناء ، توحجها الرغبة في السيطرة والسيادة على جميع أقاليم السلطنة . وأوقد تلك الشرارة الملك قطب الدين ملكشاه ، صاحب سيواس ، وهو أكبر أبناء السلطان عزالدين قليج أرسلان .

وقد اختلفت المصادر في أسباب النزاع بين الإخوة ونتائجه ، إذ يذكر ابن الأثير [4] أن السلطان قليج أرسلان الثاني ندم على تقسيم البلاد ، ورغب في أن يجمع الجميع لولده الأكبر قطب الدين ، وخطب له ابنة السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٧٠ - ٥٨٩هـ / ١١٧٥ - ١١٩٣م) ليقوى به . فلما سمع باقي أولاده ذلك ، امتنعوا عليه، وخرجوا عن طاعته ، فأصبح السلطان قليج أرسلان يتردد بينهم ، على سبيل الزيارة ، إلى أن وصل كيخسرو ، صاحب قونية . فخرج إليه كيخسرو وأكرمه، وسلم قونيه إليه ، وطلب عزالدين قليج أرسلان من كيخسروا أن يسير معه إلى ولده نورالدين محمود ، صاحب قيسارية ، الذي وصفه بالملعون ، حسب رواية ابن الأثير ، كي يستعيد قيساريه منه . ولكن السلطان قليج أرسلان مرض ، وتوفي أثناء حصار قيساريه ، « وبقي كلُ واحد من الأولاد على البلد الذي بيده » [5] . وقد زاد منجم باشي المولوي بقوله : « وكان قد عاق أبيه ، وحجبه ، وبالغ في الجور » [6] ، يعني بذلك نورالدين محمود سلطان شاه ، صاحب قيسارية .

---

(1) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye, op. Cit, p.218.

(٢) إسماعيل غالب : تقويم مسكوكات سلجوقية قسطنطينية ١٣٠٩هـ / ـــــ م ص ٩ - ١٣ .

(٣) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥ . Ibn Bibi, op. Cit, p.22 .

(٤) الكامل : ج١٢ ، ص ٨٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج١٢ ، ص ٨٩ .

(٦) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧١ ب .

أما ابن الفرات [١] ، فقد اقتصرت روايته على تقسيم البلاد على عشر أبناء فقط ، فقال : « إن قليج أرسلان له عشر بنين ، وقد ولى كل واحد منهم قطراً ، وأكبرهم قطب الدين ملك شاه » . وتكاد تكون روايته متفقة مع رواية ابن الأثير [٢]، إلاّ أنه زاد أن السلطان صلاح الدين الأيوبي أرسل رسولاً للإصلاح بين قليج أرسلان وأبنائه ، حيث أخذ الرسول يتردد أكثر من سنة » .[٣]

وعند ابن بيبي : إن قليج أرسلان عندما دنت منيته ، استدعى أصغر أبنائه ، غياث الدين كيخسرو ، الذي كان ملازماً له ، وعهد إليه بالسلطنة من بعده ، ثم أمر باجتماع أركان الحضرة ، وأعيان السلطنة ، وأبلغهم قراره هذا ، وأخذ منهم المواثيق والأيمان ، وأجريت مراسيم التعيين . وعندما علم باقي إخوته بذلك ، غضبوا ، واجتمعوا بأخيهم ركن الدين سليمان شاه ، فأظهروا له غضبهم لهذا القرار ، ورفضهم إياه . ولكن ركن الدين سليمان شاه هدأ من غضبهم ، وعادوا إلى بلادهم . وبعد وفاة السلطان قليج أرسلان ، خرج ركن الدين سليمان شاه من توقات . وما كاد يصل أقصرا حتى لحق به جيش ضخم جداً ، واتجه إلى قونية ، حيث قاوم أهلها مدة ، ثم اضطروا إلى التسليم ، ولكن بشرط خروج كيخسرو وابنيه إلى أي بقعة يرتضيها[٤].

وبعد استعراض روايات المصادر التاريخية لهذه الحوادث نخرج بالتالي :

١ - إجماع المصادر على بدء قطب الدين ملكشاه النزاع ، واتخاذه جميع التدابير لإكمال مشروعه ، في السيطرة على الدولة بعد أبيه ، حيث جرّد والده من نصائح وزيره [٥] وآرائه ، عندما اتفق مع بهرام شاه ، صاحب

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٩٥ .

(٢) سبق أن ذكر ابن الأثير في رواية أخرى ، وذكرها ابن الفرات أيضاً ، أن قطب الدين ملكشاه ، قتل وزير والده حسين بن غفرلس ، لأن الأخير يحذر السلطان من أطماع قطب الدين ملكشاه . الكامل ، ج١٢ ، ص ٨٨ .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٩٥ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧ ؛ Ibn Bibi : op. Cit, p.31 .

(٥) هو اختيار الدين حسن بن غفرلس ، كان أكبر قادة السلطان قليج أرسلان ، ومن المقربين منه ، ومدبر دولته ، انظر : أبو شامة : شهاب الدين أبي محمد عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي ، الروضتين

أرزنجان [١] ، على التخلص من هذا الوزير ، ثم قتله جماعة من أمراء أبيه ، وتعيين أمراء اختارهم ، فأصبح والده معه كالمعتقل . وقد انفرد ابن بيبي بالقول أن سبب النزاع تعيين أصغر الأبناء ، غياث الدين كيخسرو، ولياً للعهد، وأن أول من بدأ الصراع على السلطنة ركن الدين سليمان شاه [٢] .

٢ - ندم السلطان عز الدين قليج أرسلان على قرار التقسيم ، ورغب في إعادة توحيد البلاد تحت سلطته ، ولكن لضعفه وشيخوخته ، فقد اختار أصغر أبنائه وليّاً للعهد ، لتتحقق له السيطرة على مقاليد الحكم .

٣ - نستغرب قول السلطان قليج أرسلان لابنه كيخسرو ، كما في رواية ابن الأثير والمولوي : « أريد أن أسير إلى ولدي الملعون نورالدين صاحب قيسارية ... » ، فلربما حدث هنا سوء فهم من قبل ابن الأثير ، من راوي هذه الأحداث ، إذ إن الروايات لم تشر إلى ارتكاب نور الدين في حق والده ، ما يجعله يطلق عليه هذه الصفة ، وقد ذكر ابن واصل أن نورالدين سلطان شاه قد « أكرم أباه وعظّمه » [٣] ، وربما المقصود هنا قطب الدين ، وقرينتنا هنا ما قاله المولوي : « أريد أن أسير إلى ولدي الملعون ، يعني نور الدين ... » ، إذ كلمة يعني هذه ، توحي أن قليج أرسلان لم يصرح باسم الابن ، وإنما ظن الراوي الأصلي الذي

في أخبار الدولتين ، دار الجيل ، بدون طبعة وتاريخ ، ج٢ ، مصر ١٢٨٨هـ ، ، ص١٢٤ ؛ ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ ١٢٩٨م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب تحقيق د.جمال الدين الشيال ، الإسكندرية ، ١٩٦٠م ، ج٢ ، ص ٢٥٣ .

(١) أرزنجان : وأهلها يقولون : أرزنكان : بلدة طيبة مشهورة ، كثيرة الخيرات ، والأصل بين بلاد أرمينية قرية من أرزن الروم ، وغالب أهلها أرمن ، وفيها مسلمون ، وهم أعيان أهلها . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ١٥٠ .

(٢) من المستغرب مخالفة ابن بيبي بقية المؤرخين في عدم ذكره خروج قطب الدين ملك شاه على والده ، ونزاعه مع إخوته ، على الرغم من ورود إشارة بسيطة إلى ذلك ، في معرض حديثه - عن مناقب ركن الدين سليمان شاه ، واهتمامه بنظم الشعر ، قائلاً : « ومن بين ما أنتجته قريحته هذا البيت الذي قاله في حق أخيه قطب الدين ملكشاه ، ملك سيواس وأقصرا ، بسبب ما كان بينهما من عداء » : انظر ذلك في الأوامر العلائية ، ص ٥٩ . انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص٢١.

(٣) مفرج الكروب : ج٢ ، ص٤١٢ .

أخذ عنه ابن الأثير ، أنه قطب الدين ، ويؤيد استنتاجنا هذا قول المولوي ، " فحاصر نور الدين ... وكان قد عاق أباه وحجبه ... " ، وهذه الأفعال تنطبق على قطب الدين ، لا على نور الدين .

ولم يرد في بقية المصادر ذكر لرسول صلاح الدين ، الذي ورد في رواية ابن الفرات . وربما أن هذا الرسول كان قد أُرسل من قبل صلاح الدين الأيوبي ، عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م ، عندما لجأ إليه معز الدين ، صاحب ملطية ، أثناء خروج قطب الدين ملكشاه على والده ، وتهديده لبقية أملاك إخوته ليوحد البلاد تحت سيطرته ، فقد ذكر ابن واصل ، في حوادث سنة ٥٨٧هـ " ووصل معز الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان مستنصراً بالسلطان على أبيه وإخوته ، فإنهم قصدوا أخذ بلده منه... "[١].

وعلى كل حال ، فقد أدت وفاة السلطان قليج أرسلان عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م ، في قونية ، بعد مرض أصابه أثناء حصاره لأقصرا ، إلى بقاء كل ابن في إقطاعه ، وأصبح غياث الدين كيخسرو ، صاحب قونيه خليفة والده ، على عرش سلاجقة الروم . إلاّ أن هذا الوضع لم يرضِ قطب الدين ملكشاه ، ونظراً لما يضمره لأخيه نورالدين محمود شاه ، صاحب قيسارية ، من ضغينة ، فقد أصبحت الفرصة مواتية لاستيلائه على قيسارية ، بسبب انشغال كل واحد من إخوته بشؤونه الخاصة ، وتقع قيسارية بين أملاك قطب الدين ملكشاه ، فعمل قطب الدين ، كعادته ، الحيلة للاستيلاء على قيساريه ، فجعل طريقه بين مدنه يمر عليها ، وكان يجتمع بأخيه أثناء مروره بمدينة الأخير ، إلى أن اطمئن نورالدين محمود إليه ، فقبض عليه قطب الدين وقتله ، ودخل قيسارية [٢] . ثم التفت بعد ذلك إلى مدينة إبلستان ، إلاّ أنه لم ينجح في الإستيلاء عليها ، بسبب لجوء صاحبها ، مغيث الدين طغرل شاه ، لجاره الأرمني

---

(١) مفرج الكروب ، ج٢ ، ص ٣٧١ ؛ انظر :
Claude Cahen : Pre-Ottoman Turkey, Tarnslated from the French by J. Jonsis william London, 1968., p.113.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٨٩ . منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٢أ.

ليو ، ملك أرمينية الصغرى [١] ، حيث وقف في وجه قطب الدين ، وبذلك نجا مغيث الدين طغرل شاه بأملاكه من سيطرة أخيه [٢].

وبعد وفاة قطب الدين ملكشاه [٣] ، حانت الفرصة لركن الدين سليمان شاه، صاحب توقات ، الذي ظهر بدوره يريد توحيد البلاد تحت سيطرته ؛ فقد وجّه بصره إلى قونية ، العاصمة ومركز الخزانة السلجوقية ، واستولى - وهو في طريقه إلى قونيه - على أملاك أخيه قطب الدين ملكشاه ، سيواس وقيصارية وأقصرا ، ومايتبعها من مناطق . وفي أقصرا أخذ يستعد للهجوم على قونية ، وكان بها أخوه غياث الدين كيخسرو ، إلاّ أن قونية لم تكن بالسهولة التي ظنها ركن الدين سليمان شاه ، إذ كان الأهالي يميلون لغياث الدين كيخسرو ، وذلك لولائهم لوالده أولاً ، ولأن غياث الدين يعد السلطان الشرعي للدولة السلجوقية ، وذلك بتقليد من قليج أرسلان الثاني

---

(١) استطاع روبن الأول (٤٧٣ - ٤٨٨هـ / ١٠٨٠ - ١٠٩٥م) تأسيس إمارة أرمينية مستقلة في منطقة قليقية وذلك بمساعدة الأرمن المقيمين في المنطقة والوافدين إليها بعد سقوط أرمينيا الكبرى الأم في شرق الأناضول ٤٦٤هـ / ١٠٧١م ، وقد كان لهذه الإمارة الأرمينية الدور البارز في مساعدة الحملة الصليبية الأولى سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٨م وعمل أمراء أرمينية الصغرى على الحفاظ على موقعهم السياسي وسط كيانات سياسية صليبية وبيزنطية وسلجوقية إما عن طريق التحالف أو المصاهرة ثم ما لبث أن أصبحت مملكة بعد جهود عسكرية وسياسية من ليو الثاني (٥٨٢ - ٦١٦هـ / ١١٨٦ - ١٢١٩م) حيث جرى تتويجه سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٩م ملكاً لمملكة أرمينية الصغرى من قبل الإمبراطور الألماني هنري السادس ، وقد حاولت مملكة أرمينية الصغرى مقاومة الخطر المغولي والمملوكي إلى أن سقطت عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٥م واستطاع المماليك حكم منطقة قليقية .

لمزيد من التفصيل عن مملكة أرمينية الصغرى انظر : مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م ، ص ٢٢٣ - ٢٣١ ، جوناثان رايلي سمث : الاسبتارية ترجمة صبحي الجابي ، دار طلاس ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م ، ص١٠٩ - ١١١ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٩٠ . وانظر أيضاً :

Claude Cahen : Pre-Ottoman Turkey, p.115.

(٣) لم تحدد المصادر التاريخية سنة وفاة السلطان قطب الدين ملكشاه ، وبما أن هناك عملة سكت باسم ركن الدين سليمان شاه في قيصرية سنة ٥٩٢هـ / ١١٩٥م ثم احتلاله قونيه ٥٩٣هـ ، فيبدو أن قطب الدين ملكشاه توفي فيما بين ٥٨٩ - ٥٩٢هـ / ١١٩٣ . إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص ١٦ ؛ عثمان توران : الأناضول ص ٢١ .

قبل وفاته (١) . وقد استمات المدافعون عن المدينة ، « من حملة الأقواس ، طيلة أربعة أشهر ، وبصورة يومية » (٢) ، ولكن يبدو أن قوات ركن الدين سليمان شاه ، كانت من القوة بحيث لم تتأثر بثبات المدافعين ، مما اضطر غياث الدين كيخسرو إلى طلب الصلح ، وذلك رأفة بالأهالي ، الذين لم يخذلوه ، ولخوف غياث الدين كيخسرو من غدر أخيه ، بعد طلب الصلح (٣) ، أصرّ على أن يرافق العهود ، المراد توقيعها من ركن الدين سليمان شاه ، « اثنان من أهل المدينة ، ممن لهم علم بظواهر الأمور وبواطنها ... بهدف التأكد ، وأن يحصلوا على وثيقة ورسالة خطية ، من ركن الدين سليمان شاه ، مؤكدة بأقسام القسم والأيمان الغلاظ »(٤) . وبالفعل ، تعهد ركن الدين سليمان بألاّ يتعرض لأخيه غياث الدين كيخسرو ، وله أن يخرج بما يريد من متاع وأملاك .(٥)

وبعد أن دخل سليمان شاه قونية ، جلس على عرش السلطنة ، واستقبل الأعيان والأشراف ، واستمال الأهالي بتوزيع خراج خمس سنوات ، دفعة واحدة ، على الخاص والعام (٦) ، وأحسن السيرة في الرعية والجند (٧) .

وبعد أن تحقق له عرش قونية ، رنا ببصره إلى أقصى الشمال الشرقي ، حيث نكسار وأماسية ، فعلى الرغم من أن هاتين المدينتين مجاورتين لتوقات ، التي أقطعها إياه والده ، إلاّ أنه فضّل تأجيل الإستيلاء عليهما ، إلى ما بعد دخول قونية . فسار إلى

---

(١) Ansiklopedisi of Islam, Vol.2, p.614. ، وانظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧ ، انظر : Ibn Bibi : p.31.

(٣) سبق أن غدر قطب الدين ملكشاه بأخيه نورالدين محمود سلطان شاه ، صاحب قيسارية ، انظر ذلك في ابن الأثير : الكامل ، ج١٢ ، ص ٨٩ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص ٩٧ .
الحسين : غياث الدين بن همام : حبيب السير في أخبار أفراد بشر ، تهران ، ١٣٥٣هـ (ج٢) چاپ دوم ص ٥٣٩ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨ . Ibn Bibi : op.cit, p 33.

(5) Erdogan Merçil : NA'L-BAHA ve Kullanilişina dair örneklen, Belleten, C.LX, Nisan 1996, Sayi : 227'den ayrbasim, Türk Tarih Kurumu Basimevi, Ankara, 1996. S.23.

(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢ . Ibn Bibi : op.cit, p.33.

(٧) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٢ أ .

نكسار ثم أماسية ، وأخذهما من أخويه ، ناصر الدين بركياروق ونظام الدين أرغون شاه (١) .

وفي سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م ، اتجه ركن الدين سليمان شاه إلى ملطية ، فلم يستطع صاحبها ، معزالدين قيصر شاه ، أن يقف في وجهه أو يقاومه ، ولم تنفعه مصاهرته للسلطان الأيوبي العادل بن أيوب (٥٩٢-٦١٥هـ/١١٩٦-١٢١٨م) ، بسبب انشغال الأخير في نزاعه مع أبناء أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ومع الصليبيين ، فضلاً عن سياسة العادل القائمة على عدم التدخل في شؤون سلاجقة الروم، فاكتفى بالسماح لقيصر شاه بالإقامة في الرها (٢). وبعد الإستيلاء على ملطية ، اتجه سليمان إلى أرزن الروم ، التي كانت تحت حكم أسرة آل سلدق التركمانية (٤٩٦ - ٥٩٠هـ / ١١٠٣ - ١١٩٤م) . وكان صاحبها في ذلك الوقت ، علاء الدين سلتقي (٣) ، قد آثر عدم الدخول في معركة لا يضمن نتائجها ، فحاول عقد صلح مع ركن الدين سليمان شاه، على شروط ترضي الطرفين ؛ ولكن ركن الدين سليمان شاه خيّب ظنه ، وقبض عليه ، واعتقله ، ودخل البلد (٤) . وقد انفرد ابن بيبي ، عن بقية المصادر ، بذكر سبب استيلاء ركن الدين سليمان شاه على أرزن الروم ، فذكر أنه تباطأ عن حشر الجند ، والامتثال لأوامر ركن الدين سليمان ،

---

(١) منجم باشي المولوي: صحائف الأخبار، ورقة ٥٧٢أ. ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص ٩٨ ؛ Claud Cahen : Pre-Ottoman Turkey , p.115 .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ١٦٩ - ٢٠١ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٢أ .

Claude Cahen : Pre-Ottoman Turkey , p.115.

(٣) علاء الدين بن ملكشاه بن محمد ، ملك سلدق علي أبو القاسم ، جده ناصر الدين محمد بن سلدق ، أحد عمال السلاجقة . البدليسي : الأمير شرف خان : الشرفنامه في تأريخ الدول والإمارات الكردية، نقله إلى العربية ملا جميل بندي زوز بياني ، مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٣٧٢ ، ص١٨٣-١٨٤ ؛ انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، إخراج زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٠، ج٢ ، ص ٢١٩ .

(٤) الغساني : الملك الأشرف : العسجد المسبوك والجوهر المحكوك ، في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق شاكر محمود عبدالمنعم ، دار البيان ، بغداد ، ١٣٩٥هـ ، ص ٤٤١ .

حينما دعا ملوك الأطراف لقتال الكُرج [١] ، « فأمر السلطان بعزله ، وعهد بتلك المملكة - أي أرزن الروم - إلى مغيث الدين طغرل شاه » [٢] . وهذا يدل على دهاء ركن الدين سليمان وبُعد نظره ، فقد أراد ضم أبلستان إلى دولته الموحدة ، دون الصدام مع أخيه مغيث الدين طغرل شاه . وفي الوقت نفسه يمدّ نفوذه المباشر إلى أرزن الروم ، ويبّن للرأي العام أن ابن سلدق تقاعس عن دعوة الجهاد ، التي أعلنها ضد الكرج . وبهذا تحقق لركن الدين الاستيلاء على أرزن الروم دون قتال ، وأبعد أخاه طغرل شاه ، بتعيينه عليها ، عوضاً عن أبلستان .

على كل حال ، استطاع ركن الدين سليمان شاه ، توحيد البلاد تحت سيطرته ، فيما بقيت أنقرة تحت حكم أخيه محيي الدين مسعود شاه . ونظراً لحصانة موقعها ، وبعدها نسبياً عن العاصمة قونية ، وقربها من البيزنطيين ، فقد استعصت عليه ، عندما طوقها محاصراً ، تمهيداً للاستيلاء عليها . فقد ضرب عليها الحصار قرابة ثلاث سنوات ، صيفاً وشتاءً . وقد عانى سكانها من شدة الحصار ، إذ قلّت الأقوات ، وضعفت المقاومة. و لم يكن في مقدور البيزنطيين تقديم المساعدة لأنقرة ، بسبب الإضطرابات الداخلية القائمة بينهم ، إضافة إلى هجوم الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م ، فاضطر صاحب أنقرة ، محيي الدين مسعود شاه ، إلى الإستسلام ، على عوض ، يأخذه من ركن الدين سليمان شاه . فاستجاب ركن الدين سليمان لمطالب أخيه ، وحدد له قلعة في أطراف بلده ، وأقسم على ذلك . وعندما خرج محيي الدين مسعود بصحبة أبنائه ، غدر به ركن الدين سليمان شاه ، وتنكر للأيمان والعهود التي قطعها على نفسه ، حيث أمر بقتله وقتل

---

(١) الكُرْجُ : بالضم ثم السكون ، وآخره جيم : وهو جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبال القبق وبلد السرير وبلاد الكرج الآن جورجيا وغالب بلادهم جبال وتلال وهضاب ولا توجد سهول إلاّ على السهل الساحلي للبحر الأسود . انظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٤٦ ؛ موجز دائرة المعارفة الإسلامية ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ج ٢٧ ، ص ٨٥١١ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٦ . Ibn Bibi, s.73.

أبنائه [١] . ولكنه لم يهنأ بما حققه من إنجازات بعد ذلك ، فأصيب بالقولنج ، ثم توفي بعد بضعة أيام . وقد علّل المؤرخون [٢] سبب إصابته بهذا المرض ، وموته أنه نتيجة لغدره بأخيه [٣].

خلف قليج أرسلان الثالث (٦٠٠ - ٦٠١هـ / ١٢٠٣ - ١٢٠٤م) والده ركن الدين سليمان شاه على عرش السلطنة . ونظراً لصغر سنه ، إذ كان ابن إحدى عشر سنة ، فقد ظهر التنافس بين كبار رجال الدولة السلجوقية . فبينما بايع كل من نوح ألب وتوز بيك [٤] ، ابن ركن الدين سليمان شاه ، خدمة لمصالحهما ، إذ رأوا في صغر سن السلطان الجديد سبباً يتيح لهما التصرف في أمور الدولة باسمه ، ووفق مايريدان ، طالب كل من مظفر الدين محمود ، وظهير الدين إيلي ، وبدر الدين يوسف ، أبناء ياغي سيان باستدعاء السلطان المنفي غياث الدين كيخسرو لاعتلاء عرش السلطنة ، لأحقيته بهذه المكانة ، لأن والده كان قد عيّنه وليّاً للعهد ، في تقليد شهده الأمراء والأعيان ، إضافة إلى قدرته على إدارة السلطنة ، مقارنة بالقاصر قليج أرسلان الثالث ، الذي سيصبح خاضعاً للأمراء المتسلطين عليه [٥].

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٦٠ . النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص ٩٨ . الغساني : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٢ .
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.247. Claud Cahen : Pre-Ottoman... p.115-116.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ١٩٦ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٦٠ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٣أ .
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.262.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ١٩٦ ؛ ابن الساعي : أبي طالب علي بن أنجب تاج الدين (٦٧٤هـ / ١٢٧٥م) : الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، تعليق حواشي مصطفى جواد ، المطبعة السريانية ، بغداد ، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ، ج٩ ، ص ١٣٦.

(٤) كان كلاهما قد قدم من توقات ، للانضمام إلى رايات السلطان ، فتقلدا المناصب الكبرى ، وصارا موضع الأسرار الملكية . انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٨ . **Ibn Bibi, s.75**

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٨ .
Ibn Bibi, op.cit, p .75. Osman Turan: Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.265.

وصول كيخسرو بن قليج أرسلان إلى عرش سلاجقة الروم

قبل الحديث عن اتصال الأمراء بالسلطان غياث الدين كيخسرو في منفاه لاستدعائه لتقلد السلطة يجدر أن نلقي الضوء على ظروف خروجه من دولته إلى المنفى والصعوبات التي تعرض لها حتى عودته إلى بلاده .

عندما خرج غياث الدين كيخسرو من قونية ، سنة ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م [(١)] ، بعد عهد الاستسلام والأمان ، الذي وقعه مع أخيه ركن الدين سليمان شاه ، كان يأمل أن يحصل على مساعدة عسكرية تعيده إلى مركزه ، فاتجه قاصداً الدولة البيزنطية ، وسلك طريق آلاشهر [(٢)] . إلاّ أن ابنيه الصغيرين ، عزالدين كيكاوس وعلاء الدين كيقباذ ، تعرضا لهجوم ونهب من قِبَل أهالي قرية لاديق [(٣)] ، مما جعله يرسل إلى أخيه ركن الدين سليمان شاه ، معاتباً ، وشاكياً من هؤلاء الأوغاد [(٤)] . وقد يُستغرب موقف غياث الدين كيخسرو هذا ، إذ كيف يرسل رسالة المعاتبة والشكوى لأخيه ركن الدين سليمان ، الذي تسبب في إبعاده ، وتعرض الأميرين الصغيرين لهجوم أهالي لاديق . ومما يزيد هذه الحادثة غموضاً ، عدم إشارة المصادر إليها ، وانفراد ابن بيبي بروايتها . وذكر أن ركن الدين سليمان شاه ، غضب من

---

(١) لم تورخ المصادر للسنة التي خرج فيها غياث الدين كيخسرو من قونية عدا ابن بيبي ، انظر : الأوامر العلائية ، ص ٣٨ ؛ انظر : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨ .

(٢) آلاشهر : وتعرف باسم أق شهر : لم أجد لها تعريفاً في معاجم البلدان فأشار أبو الفدا بقوله : "وأخبر من رآها قال : هي عن قونية مسيرة ثلاثة أيام شمال غرب ، وهي على بحيرة عرفت باسمها ومعناها المدينة البيضاء (آق شهر) " ، انظر ملحق ص ٣٣٧ خارطة تبين موقعها . أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نورالدين علي صاحب حماه (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ١٨٤٠م ص ٣٨٣ .

(٣) لاديق : عرفت باسم لاديق سوخته ، أي لاديق المحترقة (Laodicea comburta) تقع شمال قونيه، انظر ملحق ص ٣٣٧ ؛ انظر : كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٨٢.

(٤) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨ - ٩ ؛ Ibn Bibi, op.cit, p. 38 .

الهجوم على الأميرين ، وعاقب الجناة بصلبهم على شرفات المدينة ، ثـم استدعى ابني غياث الدين كيخسرو ، وأبدى حبه وعطفه عليهما ، ثم سيرهما إلى والدهما مزودين بالخلع النفيسة [(١)] .

ونظراً لانفراد ابن بيبي بالرواية ، فإننا نأخذها بتحفظ ؛ فابن بيبـي ، مـؤرخ دولة سلاجقة الروم ، لـذا يحرص على إظهار هـؤلاء السـلاطين بـالصورة الحسـنة ، وإخفاء مواقفهم السلبية .

وكيفما كان ، فإن هذه الحادثة قد غيّرت مسار غيـاث الديـن كيخسـرو ، إذ عاد أدراجه إلى الجنوب الشرقي من البلاد ، ونزل بضيافة ليو الملـك الأرمـني . ونظـراً لقوة مركز ركن الدين سليمان شاه آنذاك ، إذ يسـيطر علـى معظـم سـلطنة سـلاجقة الروم ، فقد خاف ملك الأرمـن ، مـن أن يدخـل في مصادمـات معـه ، بسبب لجـوء غياث الدين كيخسرو إليه . ولهذا اكتفى باستضافته ، دون الاستجابة لمساعدته . ولما لم يجد غياث الديـن كيخسـرو أيـة مسـاعدة مـن الأرمـن ، سـار نحـو أخيـه صـاحب أبلستان، وقد تباينت روايات المؤرخين في وصول كيخسرو إلى أبلستان . ففيما يذكر ابن بيبـي أن غياث الدين اتجه إلى أبلستان ، ورحب بـه صاحبـها ، بـل صـرّح بتنازلـه عنها له ، كنوع من الإكرام والولاء لأخيه [(٢)] ، نجد منجـم باشـي المولـوي يذكـر أن ركن الدين سليمان شاه ، عوض غياث الدين كيخسرو عن قونيـه ، فأعطـاه أبلسـتان "فسار إليـها ولم يـأمن جـانب أخيـه ... فسـار إلى الشـام ... ثـم سـار مـن البحـر إلى القسطنطينية " [(٣)] . نخرج من هاتين الروايتين ، بأن غياث الدين كيخسرو بدأ بطلـب المساعدة من أخوته ، ولكن أول هؤلاء الإخوة ، طغـرل شـاه ، أوضـح لغيـاث الديـن كيخسرو عدم قدرته على مساعدته عسكرياً ، لمواجهة أخيـهم ركـن الديـن سـليمان شاه ، لذا آثر التنازل عن أملاكه لأخيه غيـاث الديـن ، حـين "أحضـر قـاضي المدينـة

---

(١) الأوامر العلائية ، ص ٣٨ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٩ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠ . Ibn Bibi, s.40.

(٣) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٢أ.

وأئمتها ... وقال : أُقرّ بأن ملك أبلستان وتوابعه - كما ولانيه أبي ... ملك سيدي وأخي السلطان غياث الدين كيخسرو ... »[(١)] .

وبطبيعة الحال ، لم يكن ليقنع غياث الدين بهذه المدينة الصغيرة ، مقارنة بقونية ، وسلطتها وأملاكه في البرلو ، كما أننا نرجح رواية ابن بيبي ، إذ أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أي تعويض التزم به ركن الدين سليمان شاه لغياث الدين كيخسرو . هذا بالإضافة إلى أن طبيعة الحوادث آنذاك ، ومكانة غياث الدين كيخسرو لدى أتراك الأناضول ، تجعل ركن الدين سليمان شاه لا يسمح لكيخسرو بحكم أي من المدن التابعة للسلطنة السلجوقية ، حتى لا يكون شوكة تؤرقه ، وتخل بمخططه الرامي إلى بسط نفوذه الكامل على الدولة السلجوقية . ومما يزكي هذا الاستنتاج ، ما فعله ركن الدين سليمان مع أخيه طغرل شاه ، إذ أبعده إلى أرضروم[(٢)] ، وضمّ أبلستان إليه ، لهذا فليس من المعقول أن يفرط في هذه المدينة ويتركها لأشد إخوته خطراً .

ومهما يكن من أمر ، فإن كيخسرو لم ييأس ، واتجه إلى أخيه معزالدين قيصر شاه ، صاحب ملطية ، وصهر الملك العادل الأيوبي ، طمعاً في الحصول على المساعدة المطلوبة ، إلاّ أن قيصر شاه ، خيّب ظنه ، بل وأبان عن ضعف شخصيته ، إذ آثر ، مثل أخيه طغرل شاه ، أن يتنازل عن مدينته لكيخسرو ، على أن يواجه أخيه ركن الدين سليمان شاه وزاد على ذلك أنه على استعداد للجوء إلى حميّه ، الملك العادل ، فشكره كيخسرو على عرضه هذا ، ثم قدم قيصر شاه ، قلنسوة بقيمة خمسين ألف دينار ، لخازن السلطان ، « ومن الأمتعة بما لا حصر له »[(٣)] .

وعندما يئس غياث الدين كيخسرو من مساعدة إخوته ، اتجه إلى الشام ، متطلعاً إلى الحصول على المساعدة والمشورة من السلطان العادل ، فقال : « أذهبُ إليه - أي الملك العادل- وأرى بماذا يشير عليّ »[(٤)]. ولكن ظروف الدولة الأيوبية ، في

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠ . Ibn Bibi, op.cit, s.40

(٢) أرض روم : أو أرزروم : مدينة جبلية عرفها الأرمن باسم كرن Karin والروم باسم ثيودسيوبوليس Theodosiopolis انظر : كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢ .

ذلك الوقت ، لم تكن تسمح بتقديم المساعدة له ، بسبب النزاع بين أبناء صلاح الدين وعمهم الملك العادل ، الذي أراد توحيد الدولة الأيوبية تحت سيطرته ، إضافة إلى جهادهم للقوى الصليبية المقيمة في الشام [١] . ولما اتجه إلى الملك الظاهر غازي ، صاحب حلب ، « لم ينل أي مساعدة مما تمناه » [٢] .

وهكذا فإن رحلات غياث الدين كيخسرو التالية إلى ديار بكر ، لم تكن بأفضل مما سبقها . وقد يتبادر إلى الذهن سؤال هو : لماذا لم يتجه غياث الدين كيخسرو ، بعد خروجه من قونية ، إلى الدولة البيزنطية . فأملاكه التي أعطاه إياها والده تجاور البيزنطيين ، وأيضاً أمه بيزنطية ؟

بعد النظر في طبيعة الحوادث في تلك المنطقة آنذاك ، نجد أن عدم اتجاه غياث الدين كيخسرو ، رأساً إلى الدولة البيزنطية ، يعود في نظري لعدة أسباب :

أولاً : لأنه سليل أسرة سلاطين السلاجقة ، حماة الإسلام ، ورافعي راية الجهاد ضد القوى النصرانية . وكان يدرك أنه إذا اتجه إلى أعداء الإسلام والمسلمين لينصروه على أخيه ، فهذه المساعدة سوف تُفقده تعاطف الرأي العام الإسلامي ، ويتألب عليه المسلمون في كل آسيا الصغرى . فقد كانت ذريعة ركن الدين سليمان في الإستيلاء على أنقرة ، وقتل أخيه مسعود شاه ، هو اتهامه بالتحالف مع البيزنطيين [٣] .

ثانياً : أن الدولة البيزنطية ، في ذلك الحين ، كانت عاجزة عن تقديم المساعدة الفعالة ، بسبب ما أصابها من ضعف وتدهور ، بعد وفاة الإمبراطور مانويل كومنين Manowel Komnin (٥٣٨-٥٧٦هـ/١١٤٣-١١٨٠م) والمعروف أن الدولة البيزنطية تخلت عن سياسة التدخل بين الأتراك في آسيا الصغرى بعد معركة ميريوكيفالوم.[٤]

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٤٦ - ٧٨ ؛ علي عودة الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٥١-٦٣.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٢ ، ص ٤١٢ ؛ انظر : منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ورقة ٥٧٢ب وانظر :
Ansiklopedisi of Islam, s.615 Osman Turan Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.269.

(٣) انظر : Claud Cahen : op.cit, p.115 .

(٤) انظر نتائج معركة ميريوكيفالوم : علي عودة الغامدي : معركة ميريوكيفالوم ، ص١٤١ ؛ اسمت غنيم: الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار الشعب، القاهرة، ص٣٠-٣٤.

ثالثاً : خوف كيخسرو من قبائل التركمان ، التي كانت ترابط على أطراف الحدود ، حيث تُكن تلك القبائل العداء للدولة البيزنطية ، إضافة إلى خوفه من غدر أخيه ركن الدين سليمان شاه ، الذي سبق أن غدر بأخيهم صاحب أنقرة ، وأيضاً ما تعرض له ابنا كيخسرو ، عزالدين كيكاوس وعلاء الدين كيقباذ ، من إهانات ، ونهب الأمتعة ، عند قرية لاديق ، مما جعله يغير اتجاه سيره .

رابعاً : خوفه من خيبة الأمل والإحباط فيما لو لم يحصل على مساعدة البيزنطيين.

على أية حال ، فإن غياث الدين كيخسرو ، بعد خروجه من أخلاط اتجه إلى طرابزون [١] ، على ساحل البحر الأسود ، ليتخذ طريق البحر ، قاصداً القسطنطينية ، حيث لجأ إلى الإمبراطور البيزنطي Alexis III ألكسيس أنجليوس الثالث (٥٩١ - ٥٩٩هـ / ١١٩٥ - ١٢٠٣م) . ولم تطلعنا المصادر على مادار بين الإمبراطور البيزنطي وغياث الدين كيخسرو ، وهل طلب منه مساعدة ؟ وما مقابل تلك المساعدة ؟ وكل ما ذكره المؤرخون هو أن الأمبراطور البيزنطي لم يقصّر في واجب الضيافة والإكرام [٢] ، إذ خصص لكيخسرو إقطاعاً من عشرة آلاف دينار ذهبي [٣] ، ومكث في القسطنطينية ، إلى أن حدث نزاع بينه وبين أحد الأمراء البيزنطيين ، فاضطر الإمبراطور ألكسيس إلى الطلب من كيخسرو « التوجه إلى الملك مفرزوم »[٤] ، حيث بقي عنده ، وزوجه ابنته [٥] . ولقد اضطره استيلاء الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية ، في سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م ، إلى أن يهرب ، مع حميه ، إلى إحدى

---

(١) طرابزون : (Trebizond) وكتب اسمها طرابزونده أو اطرابزندة : ميناء كانت تجلب إليها السلع من القسطنطينية ، في صدر الدول العباسية وتحمل منها إلى بلاد الشام . فكان التجار العرب ووكلاؤهم ينقلون السلع منها ، عبر الجبال إلى ملطية ، وغيرها من مدن الفرات الأعلى . أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣٩٣ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٢) منجم باشي المولوي : المصدر السابق ، ورقة ٥٧٢أ : الغساني : المصدر السابق ، ص ٣١١ .
Ansiklopedisi of Islam, s.615. Ibn Bibi, op.cit, s.53.

(3) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s. 270-271.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠.
Erdoğan Merçil : Bizansta Selçuklu Hanedan Mensuplari, XI Türk Tarih Kongresi'nden ayribasim, Türk Tarih Kurumu Basimevi- Ankara, s.715.

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٢ ب.

القلاع التابعة للأخير (١) . ولما توفي أخوه ، ركن الدين سليمان شاه ، في عام ٦٠١هـ / ١٢٠٥م ، خلى عرش السلطنة السلجوقية من سلطان قوي ، يستطيع أن يملأ الفراغ الذي تركه ركن الدين سليمان شاه ، إذ أن ابنه قليج أرسلان الثالث كان صغيرا ، لم يتجاوز عمره أحد عشر عاماً ، ورغم أنه نصب بعد والده ، إلاّ أن ذلك لم يرض معظم الأمراء ، وخاصة أمراء الحدود ؛ فاتفقوا على استدعاء غياث الدين كيخسرو لاعتلاء عرش السلطنة ، وأوفدوا زكريا الحاجب بالمواثيق والرسائل ، و"كان معروفاً بكفاءته العالية ، ومعرفته بالألسنة واللغات ... ووضعوا تلك العهود والرسائل في تجويف عصا ، وأعطوها له ، وألبسوه ثوب القساوسة » (٢) . ومن خلال تلك الترتيبات السرية التي أحيطت بهذا الرسول ، يتضح أن هناك طائفة من أمراء السلطان القاصر قليج أرسلان لا يرغبون في عودة كيخسرو ، خوفاً على مصالحهم الخاصة ، وحفاظاً على المكانة التي وصلوا إليها . كما أن هناك أمراً آخر اتضح من سياق الحوادث التي أعقبت وصول زكريا إلى السلطان غياث الدين كيخسرو ، ورغبة الأخير في العودة إلى عرش آبائه ، إذ اشترط عليه ثيودورو لاسكاريس (٦٠٠-٦١٩هـ/١٢٠٤-١٢٢٢م) ، أن يتنازل له عن القلاع التي استولى عليها السلاجقة حديثاً ، مثل خوناس ولاديق (٣) ، مقابل أن يسمح له بالخروج عائداً إلى عرشه ، ورهن ابنيه عزالدين كيكاوس وعلاء الدين كيقباد ، إلى حين تنفيذ ذلك الشرط (٤) . ويبدو أن لاسكاريس رغب في توسيع منطقة نفوذه ، بضم خوناس ولاديق ، بعد أن ضاعت القسطنطينية من البيزنطيين لحساب الصليبيين ، سيما أن أهل خوناس ولاديق من اليونانيين ، ولم يجر تتريكهم بعد ، الأمر الذي يوفر له قوة بشرية إضافية ، في صراعه لاستعادة القسطنطينية من الصليبيين . فانتهز لاسكاريس تلك

---

(1) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.270.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٩ .

(٣) خوناس ويسمى في وقتنا هذا دوناس ، وهو على مسيرة يوم ونصف من لاذق ، وهو حصن كبير في أسفله ربض ، لاديق : سماها الأتراك دنزلو (المياه الوافرة) لكثرة أنهارها . وهي من أبدع المدن وأضخمها . انظر : محمود الشرقاوي : رحلة مع ابن بطوطة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٥٣ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣١ .
Aksarayl : op.cit,p32, Erdoğan Mençil : Bizanta, Selçuklu Hanedan Merrupulani, s.716.

الفرصة ، للطلب من كيخسرو تسليم المدينتين ، واحتفظ بابنيه رهينتين لديه . غير أن خطة لاسكاريس فشلت ، إذ نجح زكريا الحاجب ، الذي بقي مع ابني غياث الدين كيخسرو ، في الهرب بهما ، ودخول الأراضي السلجوقية بسلام ، « فأرسل زكريا إلى السلطان رسولاً ، يبلغه ألاّ يسلم القلاع والبلاد ... فقد وصل الأمراء ... إلى التخوم ، ولحقوا بحدود ملك الجدود » [١].

وهدأت نفس غياث الدين كيخسرو بوصول الرسالة ، وأخذ في إعداد الخطط، وتدبير القوات التي زوده بها أمراء الأوج[٢] في مدينة ألوبرلو ، حيث اتجه من هناك إلى قونية و لم تكن الأوضاع بالسهولة التي توقعها غياث الدين كيخسرو ، إذ صمد ابن أخيه قليج أرسلان الثالث ، ومن ورائه أمرائه ، ودام الحصار مدة شهر ، عانى منه المحاصِرون والمحاصَرين ، واضطر غياث الدين كيخسرو إلى التراجع ، أمام صمود المدافعين ، نحو مدينة آب كرم [٣] .

ويبدو أنه كان لغياث الدين كيخسرو مكانته في نفوس عامة الشعب التركي ، فما أن سمع أهل أقصرا بوصول كيخسرو إلى البلاد ، وحصاره قونية ، حتى ثاروا على الوالي التابع لإدارة ركن الدين سليمان شاه ، وطردوه ، ونادوا بشعار غياث الدين كيخسرو ، وأرسلوا إليه يستدعونه ، ويعلنون ترحيبهم به . فكانت هذه الخطوة ، من قبل أهالي أقصرا ، بمثابة الإشارة لأهالي قونية للقيام بالشيء نفسه . ولعل أنصار كيخسرو وأتباعه استغلوا انشغال المدافعين عن أسوار قونية ، وقاموا بثورة داخلية ، أجبرت قليج أرسلان الثالث وأمرائه ، على طلب الصلح بشروط من غياث الدين كيخسرو ، هي « أن يفعل مع السلطان قليج أرسلان ما فعله السلطان ركن الدين سليمان مع الأميرين عزالدين كيكاوس ، وعلاء الدين كيقباذ ، وأن ينصّبه ملكاً على أحد الأقاليم » [٤] . فاستجاب غياث الدين كيخسرو لذلك العرض،

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٢ . Ibn Bibi, s.79

(٢) الأوج : لم أجد تعريف لهذا المصطلح فيما بين يدي من مصادر ومراجع ولكن من سياق ورودها في ثنايا الدراسة فهي تعني الحدود أو الثغور لدولة سلاجقة الروم واتخذ هذا المصطلح في المصادر المعاصرة لموضوع الدراسة (الباحثة).

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢٠٠؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٢ب ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص ٩٩ – ١٠٠ .
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.274.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٣ ؛ Ibn Bibi : op.cit, p.85 .

وأحسن استقبال الرسل ، وتسلم قونية في رجب سنة ٦٠١ هـ / فبراير ١٢٠٥م.[1]

وعلى الرغم من أن ابن بيبي يشير إلى أن السلطان غياث الدين كيخسرو أمر بتنصيب قليج أرسلان الثالث ، ملكاً على توقات ، وكتب له منشوراً بذلك ، وأكرم وفادته ، حيث أجلسه على ركبته ، " ومنحه هدية ملوكية " [2] . فإن الواقع مغاير لذلك ، إذ يشير بعض المؤرخين إلى أن كيخسرو ما أن دخل قونية حتى قبض على ابن أخيه ، قليج أرسلان الثالث ، وأمرائه ، وسجنهم في قلعة كاولة [3]. ويبدو أن ابن بيبي أورد هذا لأنه عاش في كنف سلاطين السلاجقة ، وألف كتابه هذا لهم ، فكان لابد أن يصورهم بالمظهر اللائق ، البعيد عن الغدر ونكث العهود ، فلم يذكر ما جرى بين قطب الدين ملكشاه وإخوته ، بل عرض الأمر بصورة تظهر حسن العلاقة بين الإخوة [4] . وعلى كل حال ، فقد اعتلى غياث الدين كيخسرو عرش سلاجقة الروم ، عام ٦٠١هـ / ١٢٠٥م ، ليبدأ عصراً جديداً ، وبعيد بناء سلطنة سلاجقة الروم ، ويوسع حدودها فأخذ في تنظيم دولته داخلياً ، ومن ذلك أنه عين ابنه عزالدين كيكاوس على ملطية ، وابنه علاء الدين كيقباذ على توقات ، مما ينفي رواية ابن بيبي السابقة ، التي زعم فيها أن كيخسرو عين ابن أخيه ، قليج أرسلان الثالث ملكاً عليها .[5]

---

(١) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ورقة ٥٧٣أ ؛ إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص ١٩ .
Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkey. s274.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٣ Ibn Bibi: op.cit, s.88

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٠١ ؛ الغساني : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٩١ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٣أ . Ansikopedisi of Islam, s.616 ، وهذا يؤيد ما سبق ذكره ، ص ١٣ من أن ابن بيبي يُحسّن من سير السلاطين دولة سلاجقة الروم .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥ .

(5) Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Türkiye, s.275.

ونظراً لصغر سن هذين الأميرين ، فقد رافق كل منهما أتابك [١] خاص به ، ومجموعة من الموظفين والقضاة [٢] ، « ثم أرسل إلى ملوك الأطراف وسلاطينها ، الرسائل والمبعوثين » [٣] ، وذلك لإعلان سلطانه ، وإيضاح سياسته الخارجية .

(١) أتابك : لقب يتكون من لفظين : « آتا » بمعنى أب و « بك » بمعنى أمير ، وقد أطلق هذا اللقب على من يتولى تربية أبناء السلطان السلجوقي وتدريبهم على الحكم . وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة ٤٦٥هـ وقد تطور لفظ الأتابك في العصرين الأيوبي والمملوكي بحيث أصبح يطلق على قائد الجيش. للمزيد انظر القلقشندي : أبي العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ = ١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م ، ج٤ ، ص ١٨ ؛ حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، الدار الفنية ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ ، ص ١٢٢ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٨ ؛ انظر : Ansiklopedisi of Islam, s.616

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٥ . Ibn Bibi, s.87

فتوحات غياث الدين كيخسرو على سواحل البحرين : المتوسط والأسود

ترتب على استيلاء الصليبيين على القسطنطينية من الروم ، في سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م ، تمزق الإمبراطورية البيزنطية ، وتكوّن إمارات مستقلة ، منها طرابزون ، على السواحل الشرقية للبحر الأسود ، ونيقية ، على السواحل الغربية لآسيا الصغرى[(١)] . وقد أثرت هذه الحوادث والقلاقل السياسية على طرق التجارة الدولية ، المارة بدولة سلاجقة الروم ، متجهة من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب، إذ أغلقت الطرق التجارية ، « فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم ، والروس ، والقبجاق وغيرها ، براً وبحراً » [(٢)] . وبطبيعة الحال ، لم يستطع التجار في تلك المناطق دخول الأراضي السلجوقية ، وكذلك العكس ، فلحق الأهالي خسارة كبيرة ، واحتشد التجار المتجهين إلى الأناضول ، من بلاد الشام والعراق والموصل ، في سيواس ، وقد خلقوا ازدحاماً كبيراً [(٣)] . وأمام هذه المشكلة الاقتصادية والسياسية، كان لابد لكيخسرو من أن يجد طريقة لحلها ، دون الدخول في حروب غير مضمونة النتائج مع القوى البيزنطية . لذا فقد استغل حاجة والي سامسون البيزنطي ، الراغب في الحفاظ على موقعه ، مستقلاً بمدينته عن صاحب طرابزون ، والذي أعلن تبعيته لتيودورو لاسكاريس Theodoros Laskaris ، صاحب نيقية [(٤)]. وبما أن لاسكاريس كان حليفاً لغياث الدين كيخسرو [(٥)]، فقد وقف إلى جانب الحاكم البيزنطي، ضد صاحب طرابزون ، وبذلك استطاع الحصول على منفذ للتجارة عن طريق سامسون ، دون

---

(١) حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ ص ٢٦٥ .

Claude Cahen : Pre-Ottoman Turkey, p.117 ; Ansiklopedisi of Islam, s.616.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٤٢ .

(3) Ansiklopedisi of Islam , s.617 Osman Turan: Selçuklular, Zamaninda Türkiye, s.280.

(4) Alexis G.S. Savvides: Byzantian in the Near east its relations with the Seljuk Sultanate of rum in Asia minor the Armenians of celicia the mongols A.D.C. 1192-1237. University of Thessaloniki, 1981, P.59.

(5) Ansiklopedisi of Islam , s.616-617; Osman Turan : Sleçuklular Zamaninda Türkiyes. 279-280.

السيطرة عليها ، إذ لم يذكر المؤرخون خبراً عن فتح سامسون أو ضمها على يد غياث الدين كيخسرو .

وهكذا صارت الطرق القادمة من الشمال آمنة نسبياً ، ولكن مازالت الحاجة ملحة لإيجاد منفذ لتسهيل طرق التجارة . وبما أن الموانئ الشمالية صعبة المنال، فقد وجه السلطان غياث الدين كيخسرو نظره إلى الجنوب ، إلى ساحل البحر المتوسط ، حيث كانت لأنطاليا (١) أهمية كبرى ، في ربط العلاقات التجارية بين مصر وأوربا والأناضول، كما أن والده السلطان قليج أرسلان الثاني، قد حاول ، في عام ٥٧٨هـ / ١١٨٢م ، محاصرة أنطاليا ، ولم ينجح في ذلك (٢) . أما الآن ، فإن عدم الإستقرار السياسي ، الذي أعقب سقوط الإمبراطورية البيزنطية في القسطنطينية، قد ألقى بظلاله على بقية المدن التابعة لها ؛ فقد انفرد بأنطاليا ألدوبر انديني (٣) Aldobrandini ، الذي تملكته النزعة العنصرية ، والتعصب الديني ضد المسلمين ، فتعرض التجار ، والمواطنين الأتراك في المدينة ، للمضايقات والحبس ، كما نهبت قافلة تجارية لتجار عراقيين وخرسانيين قادمين من مصر (٤) . هنا ضج هؤلاء بالشكوى إلى السلطان غياث الدين كيخسرو ، لينقذهم مما هم فيه ، من ظلم وتعديات . وقد كانت تلك هي الفرصة التي يتحينها للانقضاض على المدينة ، فأسرع باستدعاء الجند، وضرب حصاراً شديداً على أنطاليا ، أشرف عليه بنفسه ، ولكن نظراً لمنعة المدينة وتحصينها ، واتصال حاكمها الدوبرانديني بفرنجة قبرص ، الذين أمدوه " بمراكب

---

(١) تقع أنطالية في جنوب آسيا الصغرى على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب الغربي من مدينة قونيه . انظر أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٣٨١ ؛ كي لسترنج . المرجع السابق ص ١٨٣ - ١٨٤ ؛ علي عودة الغامدي : أنطالية في عصر الحروب الصليبية ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢ - ٥ .

(٢) انظر أنطاليا : علي الغامدي ، ص ٢٢ ؛ Ansiklopedisi of Islam, op.cit. s.617

(٣) مغامر من أواسط أنطاليا من توسكانيا ، كان في السابق في خدمة البيزنطيين .
Claud Cahen : Pre-Ottoman Turkey, p.119. Ansiklopedisi of Islam, s.616.
Marten, M.E. Notes and Documents, The Venetion Seljuk Treaty of 1220, in The English Historical Review, Oxford, April 1980.

(٤) أخبار السلاجقة الروم ، ص ٣٩ - ٤٠ ؛
Ibin Bibi : op.cit. p95 - 96 ; Ansiklopedisi of Islam, op.cit, s.616.

كثيرة » [١] ، فقد اضطر السلطان غياث الدين كيخسرو إلى فك الحصار والتراجع . ولكنه قرر تمهيد الطريق للاستيلاء على المدينة ، فوضع فرقاً عسكرية على الطرق والممرات المؤدية إليها . كما قام بتخريب الأراضي الزراعية القريبة من المدينة ، وتحت هذا الضغط الخارجي ، انفجر الموقف من الداخل ، إذ حدث خلاف بين الروم واللاتين ؛ فقد طلب الأهالي الروم من الإدارة اللاتينية (الفرنج) الخروج لقتال القوات السلجوقية ، التي أغلقت الطرق المؤدية إلى مدينتهم ، فانقطعت عنهم الميرة والغذاء ، وأصابهم الضرر من ذلك ، في الوقت الذي كان فيه الفرنج يتلقون الإمدادات عن طريق البحر من فرنج قبرص [٢] ، وبناء على ذلك حدث صدام بين الطرفين ، جعل الروم يرسلون إلى السلطان غياث الدين كيخسرو « يستدعونه إليهم ليسلموا البلد» [٣]. فسهلت تلك الدعوة على السلاجقة اقتحام المدينة ، في الثالث من شعبان سنة ٦٠٣هـ / ٥ مارس ١٢٠٧م [٤] ، حيث أباح السلطان لقواته قتل من في المدينة من المحاربين الفرنج، ومن ساعدهم من الروم، ونهبها، وذلك جزاء ما اقترفوه من ظلم وتعديات على التجار والمواطنين الأتراك . وكان السلطان قد أقام معسكره خارج المدينة ، وبعد ثلاثة أيام ، أخذوا في إعادة ترميم ما خرب داخل المدينة ، وإصلاح الأسوار ، التي تثلمت من جراء القتال . وبعد هذا ، التفت لتقرير إدارة المدينة ، حيث عيّن مبارز الدين أرتقوش بن عبدالله ، قائداً ووالياً على أنطاليا وضواحيها ، وأوكل إليه إقامة المؤسسات العلمية والدينية وتنظيمها [٥] . كما حرص السلطان غياث الدين كيخسرو على تطوير ثغر أنطاليا ، فاتخذ الإجراءات الضرورية لاستقرار التجار

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ص ٢٥٢ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص ١٠٠ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٣أ ؛
Savvides : op.cit, p.88 ; Osman Turan : Salçukluler Zamaninda Turiye s. 283.

(2) Ansiklopedisi of Islam, s.617.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٥٢ ، منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٣أ.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٥٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٩ - ٤١ ؛
Ibin Bibi : op.cit, p.95, 96 ; Osman Turan : Selçukular Zamaninda Türkiy. S.284.

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤١ ؛ Ibn Bibi, s.99 ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٣ ب.
Claude Cahen : Pre-Ottoman, p.120, Ansiklopedisi of Islam , s.617.

الترك (١) ، وعقد المعاهدات التجارية مع البنادقة (٢) . وبـهذا الفتـح الجديـد ، تعـززت مكانة دولة سلاجقة الروم السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وأصبحت أنطاليا قاعدة لتدعيـم القـوة البحريـة ، وجعلـت السـلطان غيـاث الديـن كيخسـرو يواجـه القـــوى البيزنطية بكل قوة .

(1) The Cambridge History of Islam, Vol IA, p.245 ;

عثمان توران : الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية ، ص ٢٢ .

(2) Osman Turan : Türkiye Selçukulari Hakkinda Resmi Veskalar, Türk Tarih Kurumu Bsimevi, Ankara, Ikincibaski, 1988.s.124-125.

الحرب مع امبراطورية نيقية البيزنطية واستشهاد كيخسرو

بعد ضم مدينة أنطاليا الساحلية إلى العرش السلجوقي ، تعزز موقف غياث الدين كيخسرو الاقتصادي ، إذ أبرمت أول اتفاقية تجارية بين السلاجقة والبنادقة [1]. وسعى السلطان إلى الحفاظ على هذا المكسب الجديد ، وحمايته ، خاصة من جاره تيودور لاسكاريس ، إمبراطور نيقية البيزنطية ، الذي مازال يهدد حدوده الغربية ، ويحول بينه وبين الوصول إلى بحر إيجه . ولكن نظراً لارتباطه معه بعهود [2] ، ولأنه ملتزم بدفع ماعليه من أتاوات ، فقد تريث في مواجهته . إلاّ أن هذا الإلتزام قد بدأ يتهاوى ، ففي غمرة انشغال السلطان غياث الدين كيخسرو في إقرار دعائم دولته ، ونشاطه في شرق البلاد ، ضد الأرمن [3] ، كانت قوة لاسكاريس تتنامى ، حتى أحس بأنه قادر على الوقوف في وجه سلطان دولة سلاجقة الروم [4]، وشعر السلطان غياث الدين كيخسرو بهذا التحدي ، فاجتمع بأركان دولته ، للتشاور في أمر إمبراطور نيقية . ولم يحبذ المستشارون الدخول في حرب مع الإمبراطور ، "ولكن السلطان رأى أن تمهّل لاسكاريس ، وإبطائه في إرسال الأتاوات وارتسام الأوامر والخدمات " [5] ، وعدم تأديبه على ذلك ، إنما هو ضعف من دولة السلاجقة ، ويجب أن يظهر له عكس ذلك . وهذا ما ذكره ابن بيبي سبباً مباشراً للهجوم على إمبراطورية نيقية ، بينما ذكرت بعض المصادر التاريخية ، أسباباً أخرى لقيام السلطان غياث الدين كيخسرو بالتقدم لمقاتلة إمبراطور نيقية ، ومنها إقدام إحدى الفرق اليونانية ، التابعة لإمبراطورية نيقية ، نتيجة فتح أنطاليا ، بانتهاك الحدود الغربية لدولة

---

(1) Osman Turan : Türkiye Selçukulari hakkinda... pp.124-125 ; Ansiklopeidis of Islam. s.617.

(2) Savvides : op.cit, p.94.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٣٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٨٧؛ OsmanTuran : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.286.

(٤) انظر : اسمت غنيم : امبراطورية في المنفى ثيودور لاسكاريس وإحياء الإمبراطورية البيزنطينية في نيقية . مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، المجلد ٣٦ ، ١٩٨٨م ، ص ٢١٢ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٣ .

سلاجقة الروم . ورد السلطان غياث الدين كيخسرو ، في سنة ٦٠٧هـ / ١٢١١م ، على ذلك الاعتداء بمعاقبة إمبراطورية نيقية ، ففتح دِنِزلي Denizli ، والمناطق العليا من نهر الياندر ، فأصبحت الحرب حتمية مع لاسكاريس إمبراطور نيقية (١) . ومن تلك الأسباب ، حضور الإمبراطور البيزنطي السابق ، ألكسيس الثالث ، إلى السلطان غياث الدين كيخسرو ، أثناء فتح أنطاليا ، وطلبه المساعدة من السلطان في الإستيلاء على نيقية ، وطرد لاسكاريس منها . ومن الأسباب ، مؤامرات الإمبراطور اللاتيني هنري في القسطنطينية ، وكذلك البنادقة (٢) . وقد نفى سافيلس Savvides ، وجهة النظر القائلة أن لاسكاريس هو الذي قدم للسلاجقة سبباً للحرب ، وكذلك لاتينيو القسطنطينية . بينما أكد أن مطالبة ألكسيس الثالث بعرش نيقية ، هو السبب الرئيسي لقيام الحرب بين السلطان غياث الدين كيخسرو وإمبراطور نيقية تيودورو لاسكاريس (٣) .

وعلى كل حال ، فإن رغبة السلطان غياث الدين كيخسرو في تقليص قوة لاسكاريس ، والإطاحة به ، ثم إحلال ألكسيس الثالث مكانه ، كتابع له ، كان دافعاً قوياً في اتخاذ قرار المواجهة . لذلك « أرسل إلى أطراف البلاد ، وحرّض أمراء الجند ، كبيرهم وصغيرهم ، على نية الغزو والجهاد » (٤) . وبعد أن اكتملت قواته ، مضى على رأس جيشه إلى نواحي مياندر ، وتقدم نحو آلاشهر (فلادلفيا) (٥) ، وفي الوقت نفسه ، كان الإمبراطور النيقي ثيودوروس لاسكاريس ، قد سمع بتلك التحركات السلجوقية ، فأعلن التعبئة في جيشه ، واستنجد بالجنود المرتزقة من « القبائل والعشائر والجزر » (٦) ، المتاخمة لبلاده ، فوصلت تلك القوات إلى ألفي مقاتل ، منهم ثمانمائة رجل من المرتزقة (١) . والتقت القوتان عند مدينة آلاشهر (٢) .

(1) Claud Cahen : Pre-Ottoman Turkey, p.120.

(٢) حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ ؛ اسمت غنيم : امبراطورية في المنفى ... ص ٢١٣ .
Claude Cahen : Pre-Ottoman, p.120; Ansiklopedisi of Islam, s.617.
Ali Sevim. yasar yücel : Türkiye Tarih, Fetih, Selçüuklu ve Beylikler Dönemi, Türk Tarih Kurumu yayinlari - Ankara 1989. s. 146-147.

(3) Op.cit, p.95.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٤ .

(٥) انظر : Savvides : op.cit, p.96.

(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٤ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٣أ.

مقاتل ، منهم ثمانمائة رجل من المرتزقة (١) . والتقت القوتـان عنـد مدينـة آلاشـهر (٢). ونظراً للتفوق العددي للقوات السلجوقية ، فقد رجحـت كفـة السـلاجقة ، و " قتـل مرتزقة الإمبراطور " (٣) ، ثم التقى السلطان كيخسـرو بالإمـبراطور لاسـكاريس ، في مبارزة فردية ، سجلها ابن بيبي بقوله : " حين شاهد السلطان تطاول الرمح وتعـدي السهم ... وصل وسط المعركة ، إلى قلب العدو ، فرأى لشـكري واقفاً ، فـامتنع عـن مهاجمته بالسيف ، وأمسك بسنان مسـتقيم ، فـأراه منـذ الضربـة الأولى وجـه الطامـة الكـبرى ، وأطـاح بـه مـن فـوق ظـهر الحصـان إلى الأرض ... وطلـب عبيـد الخاصـة السلطانية أن يفصلوا رأسه عن جسده ، فحال السلطان دون ذلك ، وأمـر أن يضعـوه فوق ظهر الحصان مرة أخرى ، ويطلقوه " (٤) . وقـد تنـاول سـافيدس Savvides ذلـك أيضاً ، نقلاً عن مؤرخين بيزنطيين ، بقوله : (إن الإمبراطور لاسكاريس عندما سقط على الأرض ، من جراء الضربـة الـتي وجهـها لـه السـلطان غيـاث الديـن كيخسـرو ، استطاع أن يسترد وعيه سريعاً - للحظات فقط - وقبض علـى سـيفه وبضربـة سـريعة وقوية موجهة لأرجل حصان السـلطان سـقط السـلطان على الأرض ، فأسـرع أحـد حاملي الرماح النيقيين وقطع رأسه ، ورفعه على الرمح ، قبل أن يفيق لاسكاريس من ضربته الأولى (٥) .

وبالنظر لهاتين الروايتـين ، نجـد أنـهما تصـوران مـاحدث في المبـارزة ، ولكـن بصورة تبرز شجاعة الطرف الموالي له الـراوي ، ولم يختلفـا في الصـورة الـتي استشـهد عليها السلطان .

وكيفما كان الأمـر ، فنتيجـة لمـا حلّ بالإمـبراطور النيقـي مـن سـقوطه علـى الأرض بضربة من يد السلطان السلجوقي ، وسقوط معظـم قواتـه في أرض المعركـة ،

---

(١) اسمت غنيم : امبراطورية في المنفى ... ص ٢١٣ ؛ Savvides : op.cit. p.97 .

(2) Savvides : op.cit. p.101.

(3) Savvides: op.cit. p.103; Mihin Eren: Theodor I. Laskaris 1204-22. Ve I.Giyaseddin Keyhursreu, Selçuklu Arastrmalari Dergisi, III, 1971 Güven Matbaari, Ankara, 1971, p.595.

(٤) الأوامر العلائية ، ص ١١٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٥ .

(5) Op.cit, p.103-104.

فقد انهزم بقية الجيش النيقي ، مما أدى إلى انطلاق المقاتلين السلاجقة خلف الهاربين ، لجمع الغنائم ، وبقي السلطان غياث الدين كيخسرو دون حراسة ، مما أتاح الفرصة لأحد الجند النيقيين والتمكن منه ، وقتله ، وسلب " عدته وسلاحه وملابسه " (١) ، فانقلبت نتيجة المعركة لصالح الإمبراطور لاسكاريس . وما أن علمت القوات السلجوقية بسقوط السلطان شهيداً في أرض المعركة ، حتى ولت الأدبار واقتفت أثرهم القوات النيقية (٢) ، فمن نجا من القتل ، وقع في الأسر ، وكان من الأسرى الإمبراطور البيزنطي السابق ألكسيس الثالث ، والأمير سيف الدين أيبه (٣) . فأما ألكسيس فقد " قضى بقية حياته في أحد أديرة نيقية " (٤) ، بينما أصبح الأمير سيف الدين إيبة ورقة بيد لاسكاريس في محاولته تحسين العلاقات مع السلطان السلجوقي الجديد . فبعد استشهاد السلطان غياث الدين كيخسرو ، والاقتصاص من قاتله (٥) ، أرسل لاسكاريس معتذراً عما حدث لعزالدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو وخليفته ، وطلب الصلح (٦) . والدليل على صدقه ، إطلاق سراح سيف الدين أيبه ، ترافقه هيئة السفارة ، التي بعث بها لاسكاريس إلى السلطان السلجوقي الجديد ، لتجديد اتفاقية الصداقة (٧) .

ومع ذلك ، لم يأمن لاسكاريس جانب سلاجقة الروم ، في ذلك الوقت ، لذا نجده يعد العدة ، ويجهز جيشه ، فإذا ما رفض السلطان عزالدين كيكاوس تجديد

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٦ .

(٢) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٦ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٦ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.110-111 .

(٤) حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ ؛ اسمت غنيم : امبراطورية في المنفى ... ص ٢١٣ ؛ Savvides : op.cit, p.105.

(٥) روى ابن بيبي أن الإمبراطور لاسكاريس عندما رأى لباس السلطان مع الجندي الذي قتله في أرض المعركة ، وسلبه لباسه ، عرف ملابس السلطان ، فسأل الجندي : من أين جئت بهذه الملابس ؟ فأخبره الجندي بأنه قتل صاحبها ، فطلب منه إحضار الجثة ، وعندما رآها عرفه ، أجهش بالبكاء ، وأمر بقتل الجندي جزاء قتله السلطان (الأوامر العلائية ، ص ١١٠ ، أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٦) .

(6) Savvides: op.cit, p.104.

(7) Ansiklopedisi of Islam, s.618.

الصداقة ، يكون على استعداد للدفاع . وعلى كل حال ، فإن تجديد الصداقة من جانب لاسكاريس ، يعد مكسباً كبيراً لدولة سلاجقة الروم ، على الرغم من انهزام جيوشها أمامه ، واستشهاد السلطان نفسه ، إذ أن هذه الاتفاقية تعطي الإدارة السلجوقية الجديدة الفرصة لإقرار الأوضاع الداخلية ، سيما أن غياث الدين كيخسرو لم يعين ولياً للعهد . وهذا ينذر بتفجر أزمة الصراع بين الأبناء ، فيتيح فرصة للأعداء المحيطين بالدولة للانقضاض عليها . وهكذا ترك السلطان غياث الدين كيخسرو ، في عام ٦٠٧هـ / ١٢١٠م ، لأبنائه ، دولة قوية موحدة ، وأصبح عليهم مواجهة القوى المحيطة ، وإثبات وجودهم كقوة سياسية واقتصادية إسلامية في آسيا الصغرى .

الفصل الثاني

سلاجقة الروم في عهد السلطان عـزالدين كيكاوس

٦٠٧هـ / ١٢١٠م - ٦١٦هـ / ١٢١٩م

- تولية عز الدين كيكاوس السلطنة .
- النزاع بين عزالدين كيكاوس وأخيه علاء الدين كيقباذ ، وانتصار كيكاوس .
- فتح ميناء سينوب على ساحل البحر الأسود وأهميته .
- وفاة السلطان كيكاوس .

تولية عزالدين كيكاوس السلطنة

كان السلطان غياث الدين كيخسرو قد عاد إلى قونية ، للمرة الثانية سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م ، وجلس على عرش السلطنة السلجوقية. ولكي يثبت دعائم ملكه ، عين أبناءه على إقطاعات خاصة بهم ، فعزالدين كيكاوس على ملطية ، وعلاء الدين كيقباذ على توقات ، وجلال الدين كيفريدون في إقطاع خاص به [(١)] . وأرسل مع كل واحد منهم ، أتابكاً خاصاً به ، وجهاز إداري متكامل من الموظفين [(٢)].

وكان الأتابك المرافق لعزالدين كيكاوس ، مجدالدين إسحاق [(٣)]، الذي كان كلف بتعليمه ، وتربيته ، وتسيير الأمور الإدارية الخاصة به في مدينة ملطية [(٤)] .
ويبدو أ ن السلطان غياث الدين كيخسرو رمى من تعيين ابنيه ، عزالدين كيكاوس على ملطية ، وعلاء الدين على توقات ، إلى قطع الطريق أمام إخوته للمطالبة بمدنهم التي أخذت منهم . فقد ذكر ابن الأثير أن أخاه قيصر شاه ، صاحب ملطية ، « لما سمع بملك أخيه غياث الدين ، سار إليه ، فلم يجد عنده قبولاً ، وإنما أعطاه شيئاً ، وأمره بمفارقة البلاد » [(٥)] .

وعلى كل حال ، فقد بقيت الأمور على ماهي عليه ، مدة ست سنوات ، ولم

---

(١) لم تحدد المصادر التاريخية الإقطاع الذي عين عليه كيفريدون ، أو نشاطه كأحد أبناء البيت السلجوقي الحاكم في آسيا الصغرى ، وكل ماورد أنه معتقل في قويلوحصار ، دون ذكر سبب اعتقاله . انظر : Ibn Bibi, s.203. ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ١٠٢ ، منجم باشي المولوي : جامع الدول ، مخطوطة في مكتبة نوري عثمانية ، رقم ٣١٧١ و ٣١٧٢ ، ورقة ٧٠ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٤ ، ٣٥ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٤أ .

(٣) مجد الدين إسحاق ، كان صديقاً مقرباً من السلطان غياث الدين كيخسرو ، ولما طرد غياث الدين من قونية ، على إثر النزاع بينه وبين أخيه ركن الدين سليماه شاه ، في سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م ، خرج مجدالدين إسحاق من بلاد الروم إلى الشام ، وبقي هناك حتى عودة غياث الدين كيخسرو إلى قونية للمرة الثانية ، سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م ، حيث دعاه الأخير بقصيدة طويلة ، وصف فيها حاله في غربته عن وطنه . انظر : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٥ ، ٣٨ .

(٤) انظر : Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.293.

(٥) الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص ٢٠١ .

تشر المصادر التاريخية إلى أي نشاط قام به هؤلاء الأبناء ، أثناء حياة والدهم . وعندما استشهد السلطان غياث الدين كيخسرو ، وقع أمراء الدولة في حيرة من أمرهم فيمن يخلف السلطان .

وقد نتساءل : كيف يغفل السلطان كيخسرو عن هذا الأمر المهم ، سيما وأنه عانى شخصياً من جراء إغفال تعيين ولي عهد لأبيه السلطان قليج أرسلان الثاني ، أو عدم العدل فيه ، وإجابة على هذا التساؤل نقول : ربما كان انشغاله في تثبيت أركان دولته ، صرفه عن هذا الأمر ، فقد دخل في صراع مع ابن أخيه ، ركن الدين سليمان شاه وأمرائه ، وبعد اعتلائه العرش ، وجد نفسه محاطاً بقوى سياسية ، تطمع في مدّ نفوذها إلى أراضيه . إضافة إلى محاولاته لإيجاد حل لمشكلة تأمين الطرق التجارية المارة بآسيا الصغرى ، سواء شمالية أو جنوبية ، ثم صدامه مع الإمبراطور ثيودور لاسكاريس، إمبراطور نيقية البيزنطية ، ومن ثمّ استشهاده . ولعله كان يظن أن العمر سيطول به ، ويقرر أمر ولاية العهد والوراثة ، إذ كان له إلى جانب أبنائه ، إخوة يطمعون في اعتلاء عرش السلطنة ، وعليه تأكيد إقرار الحكم في أبنائه من بعده . ولكن يبدو أن مرد تأجيله هذا الأمر ، ثقته في رجالات دولته ، وقد ظهر ذلك في تصديهم لتقرير من سيتولى السلطنة ، بعد استشهاد سلطانهم غياث الدين كيخسرو ، فلم تدفعهم أهواؤهم أو أطماعهم في اختيار السلطان الجديد، إنما تشاوروا فيما بينهم، محكّمين بذلك العقل لا العاطفة ، فوافقوا على ما أشار به الأمير نصرة الدين الحسن بن إبراهيم ، ملك مرعش [1] باختيار أكبر الإخوة ، عز الدين كيكاوس [2] ،

(١) الأمير نصرة الدين الحسن بن إبراهيم بن حسام الدين حسن ، كان جده حسام الدين حسن من كبار أمراء السلطان غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان الثاني ، وقد عينه على مرعش بعد الإستيلاء عليها سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م ، أثناء حملته على الأرمن . خلف حسام الدين ابنه إبراهيم ، ثم نصرة الدين الذي حكم مدة خمسين عاماً ، وتلا ذلك ابنه مظفر الدين ، ثم أخوه عماد الدين الذي تخلى عن المدينة عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، للأرمن والكرج ، عندما لم يجد عوناً من السلطان السلجوقي في قونية والسلطان المملوكي في مصر . انظر : ابن الشحنة : أبو الفضل محمد (٨٩٠هـ / ١٤٨٥م) ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تقديم عبدالله محمد الدرويش ، دار الكتاب العربي ، ص١٩٢ ؛
Ansiklopedisi of Islam, p.632.

مرعش : بلدة من الشام وهي مدينة عامرة وقد كانت إحدى مدن الثغور بين الشام وبلاد الروم وبها مياه وفيرة وأشجار كثيرة . انظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٠٧ ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٢٦٣ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٨ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٤أ ؛
Claud Cahen : Pre Ottoman. p.120.

الذي كان يومئذ في ملطية ، ثم تشكل وفد من كبار الأمراء ، وانتقلوا من قونية إلى قيسارية ، ليكونوا في استقبال السلطان الجديد ، القادم من ملطية ، وخرجت كتيبة عسكرية ، يرأسها أحد الأمراء ، لإبلاغ عزالدين كيكاوس ، بما استقر عليه رأي الأمراء . وعندما وصل الرسول ، ودخل على عزالدين كيكاوس ، عزاه في وفاة والده السلطان غياث الدين كيخسرو ، وهنأه بجلوسه على عرش دولة سلاجقة الروم ، ودعاه لأخذ البيعة من الأمراء في قيساريه ، وبمصاحبتهم إلى العاصمة قونية [١] .

ونظراً لطبيعة النفس البشرية من حب التملك والسيطرة بصفة عامة وعند أبناء البيت السلجوقي بصفة خاصة ، فقد كان الأمراء في غاية العجلة لوصول السلطان عزالدين كيكاوس إلى مقر الحكم قبل ظهور أحد المطالبين بالعرش وكان " قد خرج قادة البلاد وهم بملابس العزاء لاستقباله في كدوك " [٢] ، ثم دخلوا المدينة جميعاً ، وجرت مراسيم إقرار السلطة لعزالدين كيكاوس ، في ٦ صفر سنة ٦٠٨هـ / ٢١ يولية ١٢١١م ، من مبايعة الأمراء له ، ثم خلعه الخلع عليهم، وطبقاً لدستور السلطنة، حدد عزالدين كيكاوس مناشير الرتب والإقطاع والأملاك ، وإقرار الإقطاعيات ، والملكيات الجديدة [٣] .

والحقيقة أن هذا الموقف الحازم والشجاع ، من قبل أمراء دولة سلاجقة الروم في تلك الفترة ، يدل على ما يتمتع به السلطان غياث الدين كيخسرو من بعد النظر ، وحسن اختيار رجال دولته ، فاستشهاده بهذه الصورة ، كاد أن يقوض كل الإنجازات التي سبق أن قام بها ، لولا سرعة تعيين الابن الأكبر للسلطان ، وهو عزالدين كيكاوس ، من قبل أمراء الدولة . فدولة سلاجقة الروم اتسعت أملاكها ، في ذلك الوقت ، على حساب جيرانها ، الأرمن والبيزنطيين ، وكذلك الأيوبيين ،

---

(١) منجم باشي مولوي : جامع الدول ، ورقة ٧٠ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.294.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٨ ؛
Dr. Salim KOGA, Sultan Izzeddin Keykavus ile Melik Alaeddin Keykubad arasinda geçen otorite mücadelesi, Belleten, LIV. c.sayi, 211, Ankara 1990, s.936.
كدوك : لم أجد لها تعريفاً انظر ملحق ص ٣٣٧ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص٤٨، ٤٩، ٤٩ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٤أ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.294, Ansiklopedisi of Islam, s.632.

وأصبحت كل القوى المحيطة تتحين الفرص لاستعادة ما فقدته . إضافة إلى ذلك ، فهناك الملوك السلاجقة ، المنتظرين دورهم في السلطنة ، وهذا ينذر بعودة الحروب الداخلية . وهذا ما حدث بالفعل ، إذ أثناء استعداد السلطان الجديد للتحرك من قيسارية إلى العاصمة قونية ، حدث ما كان يتخوف منه كبار الأمراء ، فقد ظهر منافس السلطان عزالدين كيكاوس ، ومطالب بالعرش ، وهو صاحب توقات ، علاء الدين كيقباذ ، الابن الثاني لغياث الدين كيخسرو . إذ يبدو أن علاء الدين كيقباذ استغل عدم وجود منشور بولاية العهد لأحدهم ، وأراد اعتلاء العرش بالقوة ، وقد رتب لذلك بمساعدات داخلية وخارجية . فاتفق مع عمه مغيث الدين طغرل شاه ، صاحب أرزن الروم ، وظهير الدين إيلي ، أحد كبار أمراء الأوج ، واتصل بملك الأرمن ليو الثاني ، واتجه مع حلفائه إلى قيسارية . وفي هذه الأثناء ، كان السلطان عزالدين كيكاوس يعد العدة للرحيل ، إلى العاصمة قونية ، ولكن قدوم أخيه علاء الدين كيقباذ ، بقواته ، وتطويق المدينة بحصار شديد ، فت في عضده . فلم يتوقع أن يخرج أخوه عليه ، ويصل إليه بهذه السرعة والقوة ، سيما أن قواته الموجودة داخل المدينة ، لا تقارن بقوات أخيه علاء الدين كيقباذ وحلفائه . ولم يكن أمامه إلاّ الصمود داخل المدينة ، ولكن شدة الحصار ، وقلة الأقوات والأرزاق ، جعلت اليأس يتسرب إلى نفسه ، فجمع أمراءه ، وهم مبارز الدين جاولي ، جاشنكير [١] ، وزين الدين بشارة ، أمير آخور ، ومبارزالدين بهرامشاه ، أمير المجلس [٢] ، واستشارهم بافتعال هجوم مباغت ، يخرج أثناءه من قيسارية إلى قونية للاحتماء بها . ولكن

---

(١) الجاشنكير : لفظ يتألف من كلمتين فارسيتين : جاشا ومعناها التذوق ، وكير أي المتعاطي ، وهو الذي يتصدى لتذوق طعام وشراب السلطان أو الأمير ، قبل إدخاله عليه ؛ وذلك خوفاً أن يُدس له فيه السم. القلقشندي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢١ . وانظر : محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، ص ٥٠ .

(٢) أمير آخور : منصب من مناصب الإدارة السلجوقية ، ويعني الأمير المكلف بالإشراف على اصطبل السلطان وخيوله ، وهو مقدم ألف . انظر : القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٨ ؛ محمد أحمد دهمان : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

أمير مجلس : لقب لمن يتولى أمر مجلس السلطان ، محمد أحمد دهمان : المرجع السابق ، ص ٢٢.

المستشارين ، وهم أمراؤه المقربون ، وأعضاء حكومته في ملطية ، لم يحبذوا هذه الخطة ، لما فيها من خطورة عليه ، ففشلها المتوقع سيقضي عليه إلى الأبد (١) .

وعندما اشتد الكرب بالسلطان عزالدين كيكاوس ، جاءه الفرج على يد جلال الدين قيصر ، شحنة (٢) قيسارية ، الذي كان موضع ثقة والده السلطان غياث الدين كيخسرو ، لما يتمتع به من دهاء وذكاء شديدين ، حيث طبق المثل القائل « فرق تسد » . فقد طلب من السلطان أن يحضر له قطعة ذهبية ، غالية الثمن ، ليستخدمها في الخطة التي وضعها لنفسه ، فأعطاه السلطان حلياً ذهبية ، يقدر ثمنها باثني عشر ألف دينار ذهبي ، وخرج في جنح الظلام إلى معسكر الملك ليو الأرمني .

وهناك قابل الملك ليو ، وبموجب الصداقة التي بينهما ، بيّن له بأن من مصلحة الملك الأرمني عدم الزج بنفسه ، وبمركزه السياسي ، في صراع عائلي ، لن يستفيد منه شيء ؛ فمغيث الدين طغرل شاه ، يطلب ملك أخيه ، وعلاء الدين كيقباذ يريد أن يحل محل أبيه » (٣) ، فما شأنه بينهم ؟ ثم وضع بين يديه الحلية الذهبية ، ونصحه بترك الحلف ، والعودة إلى بلاده ، وإذا استقر السلطان لعزالدين كيكاوس ، فسوف يتعهد السلطان بأن لا يلحق بملك الأرمن أذى ، بأي وجه من الوجوه ، طيلة مدة سلطنته ، طالما بقي الملك وفياً لعهوده (٤) .

وأمام هذه المغريات قبل ملك الأرمن هذه النصيحة ؛ ولكن ليطمئن قلبه ، طلب

---

(١) أخبار سلاجقة الروم : ص ٥١ ؛

Ibn Bibi, op.cit. p.110. Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.295.
Salim Koga, op.cit. s.936.

(٢) الشحنة : كلمة فارسية وهو رئيس الشرطة أو الموكل بالأمن في بلد من البلاد . انظر القلقشندي : المصدر السابق ج٥ ، ص ٣٦٢ ؛ محمد التونجي ، المعجم الذهبي فارسي – عربي فرهنك طلائي دار العلم للملايين ، لبنان، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢م ، ص ٣٦٩ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم : ص ٥١ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم : ص ٥٢ ؛ أحمد توني عبداللطيف : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م . ص ٢٩٧ .

Salim KOGA : op.cit, s.937. Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, Türkiye, s.295.

وثيقة موقعة من عزالدين كيكاوس نفسه تضمن ما تعهد به آنفاً ، فتحقق له ما أراد . وسار بجيشه ومعداته في الليلة التالية منسحباً في سرية تامة . وبذلك تخلص كيكاوس من أشد المتحالفين خطورة عليه ، بفضل خطة جلال الدين قيصر شاه . وأحدث هذا الرحيل المفاجئ صدمة شديدة في نفس علاء الدين كيقباذ ومغيث الدين طغرل شاه ، وشكّ كل منهما في نوايا الآخر ، ثم ما لبث أن انسحب مغيث الدين طغرل شاه عائداً إلى بلاده . ولما وجد علاء الدين كيقباذ نفسه وحيداً أمام أخيه عزالدين كيكاوس ، اتجه من فوره إلى أنقرة وتحصن بها [١] . وأرسل الأمير ظهير الدين إيلي ، ليهيئ له قاعدة عسكرية في بلدة نيكدة ، وذلك لقربها من الأرمن والأيوبيين. وقد فطن السلطان عزالدين كيكاوس لذلك ، فبعد انفراط عقد الحلفاء ، عمل على إقرار إدارته الجديدة . ومن ضمن التعيينات التي أصدرها لإحباط خطط أخيه ، أن أقطع زين الدين بشارة بلدة نيكدة ، وأمره بالتوجه السريع إليها . وبالفعل اتجه زين الدين بشارة إلى نيكدة ، فوصلها قبل وصول مندوب علاء الدين كيقباذ ، وبدأ « باستمالة الأهالي والأعيان بفنون الإحسان » [٢] . ولم يكتف مبارز الدين بشارة بتأمين الداخل ، إنما أرسل إلى ملك الأرمن ليو الثاني ، يؤكد له استقرار السلطة لعزالدين كيكاوس ، وهو بذلك يرمي إلى تحييد الجانب الأرمني عن الصراع العائلي السلجوقي . وما أن وصل ظهير الدين إيلي ، مبعوث علاء الدين كيقباذ ، إلى نيكدة ، حتى وجد الأمر قد خرج من يده ، بل اعتدى عليه الأهالي . فذكر ذلك ابن بيبي بقوله : « فلم يستطع البقاء بسبب الأوباش والسفلة » [٣] ، فخرج من نيكدة إلى سيس [٤] ، عاصمة الأرمن . ولما لم يجد التجاوب منهم ، اتجه إلى الشام ؛ ولكن

---

(١) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ٥٧٤ب ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٠ – ٥٢ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢١٧ .
Aksarayh : op.cit. p.29 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, Türkiye, s.295 ; Ali Sevim, Yaşar Yücel : op.cit, s.148.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٤ ؛ Ibn Bibi, s.119 .

(٣) الأوامر العلائية ، ص ١١٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ٥٤ .

(٤) سيس : بلد بين أنطاكية وطرسوس وهي عاصمة مملكة أرمينية الصغرى . انظر : ياقوت الحموي ج٣، ص ٢٩٧ .

المرض داهمه بالقرب من تل باشر [١] فتوفي ، ودفن هناك ، دون تحقيق الهدف الذي خرج من أجله [٢] .

على أية حال ، فإن التعيينات التي أقرها عزالدين كيكاوس في قيساريه ، لم تقتصر على نيكدة ، بل عين جلال الدين قيصر على بروانكيته » [٣] ، وذلك مكافأة له على الموقف البطولي الذي أنقذ به السلطان من موت محقق . كما أقطع حسام الدين يوسف ، ملطية ومبارزالدين جاولي ، أبلستان [٤] . ويبدو أن إقطاعه أبلستان بالذات لأحد رجاله المقربين ، إنما يرجع لأهميتها الاستراتيجية ، إذ أنها على الطريق إلى الشام [٥] . وبذلك يتحكم رجاله في المنافذ الخارجية ، لمنع أي إمدادات أو مساعدات لأخيه علاء الدين كيقباذ . إضافة إلى ذلك فهو يرسل إشارة لعمه طغرل شاه ، بأن لا يفكر في استعادتها مرة أخرى .

وبعد أن أنهى أعماله في قيسارية ، خرج متوجهاً إلى قونية العاصمة ، حيث استقبل بكل حفاوة وتكريم ، وبايعه الأمراء وكبار رجال الدولة بها . وجرت مراسم جلوسه على عرش سلطنة سلاجقة الروم ، وفق التقاليد المتبعة ، حيث تقدم الأمراء بالمبايعة ، وتقديم الهدايا ، وقام بدوره « بتوزيع الأملاك ، والإقطاعات ، ومناشير الرتب والمقامات ، على كبار رجال الدولة ، وألبسهم الخلع » [٦] ، كما عفا عن المساجين ، وأمر بإطلاق سراحهم [٧] . ثم التفت إلى تنظيم علاقاته الخارجية ، فبدأ بالخلافة العباسية ، وذلك لإضفاء الصفة الشرعية على حكمه ، فأرسل في رمضان سنة ٦٠٨هـ / فبراير ١٢١٢م [٨] إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥ -

(١) تل باشر : قلعة حصينة في شمال حلب ، انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج٢ ، ص٤٠.
(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٤ .
(٣) البروانه : لفظ فارسي معناه في الأصل الحاجب ، ويطلق في دولة سلاجقة الروم على الوزير الأكبر . محمد أحمد دهمان ؛ المرجع السابق ، ص٣٣ . وانظر : محمد التونجي : المرجع السابق ، ص ١٥٢ .
(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٤ . Ibn Bibi, s.119 وانظر : Salim Koça : op.cit.s.939
(5) Claud Cahen : op.cit, p.240.
(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٤ ؛ Salim Koca: op.cit., s.939
(٧) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٤ Ibn Bibi, s.128. Salim Koca: op.cit.,s.939
(٨) أورد ابن بيبي هذا المنشور بعد فتح سينوب ، والمطلع على كتابه « الأوامر العلائية » ، يظن أن هذا =

٦٢٢هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥م) ، يخبره باعتلائه عرش دولة سلاجقة الروم . وقد رد عليه الخليفة بمنشور ، يحتوي الاعتراف به ، وأرفق به علامات السلطنة ، وإقراره عضواً في الفتوة (١) ، المنظمة الجديدة (٢).

ولم تقتصر الرسل على مقام الخلافة في بغداد ، بل أرسل إلى جميع الممالك المحيطة به لإعلان سلطته ، وقد رد عليه هؤلاء بالتبريكات والهدايا . ومن أهم القوى السياسية المجاورة ، إمبراطورية نيقية البيزنطية ، فما زالت حالة التوتر قائمة ؛ فجثة السلطان الشهيد ، غياث الدين كيخسرو ، مدفونة مؤقتاً في آلاشهر ، ومازال كبار أمرائه يقبعون في الأسر . ولئلا تتطور الأمور إلى أسوأ من ذلك ، أراد الإمبراطور لاسكاريس تحسين العلاقات مع السلطان الجديد ، عزالدين كيكاوس ، بالمبادرة بطلب الصلح . فأرسل سفارة ، على رأسها الأمير سيف الدين أيبه ، بعد فكه من الأسر ، وإصلاح شأنه ، وحمّله رسائل الاعتذار ، ومبلغ ٣٠,٠٠٠ دينار مع الهدايا (٣). والحقيقة ، فإن إسراع الإمبراطور لاسكاريس في طلب الصلح ، إنما ليؤمّن جانب السلطان الجديد ، لضغط الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية على إمارته ،

=

المنشور أرسل للتبشير بفتح سينوب ، ولكن التاريخ الذي ذيل به المنشور يوضح أنه خلاف ذلك . انظر ملحق ص٣٤١-٣٤٣.

Ibn Bibi, s.157-158; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.298.

(١) الفتوة ، نظام اجتماعي إسلامي قديم يتميز بالتحلي بآداب الفروسية وصفاتها ، ومن أهمها الشباب والقوة ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الكذب ، والرحمة باليتيم ، وإكرام الضيف ، ومساعدة الضعيف . ولها ذكر في الأحاديث النبوية . وقد نسبت إلى علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . وظل هذا النظام متبعاً خلال العصور الإسلامية ، يتطور بتطورها ، فيقوى حيناً ويضعف أحياناً ، إلى أن جاء الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، فبعث هذا النظام من جديد ، وترأس طائفته . وللفتوة أنظمة معينة وطقوس خاصة ، فلا يقبل أي عضو جديد إلاّ إذا زكاه فتيان في المنظمة . وقد كتب الخليفة الناصر لدين الله ، في سنة ٦٠٧هـ ، إلى ملوك الأطراف ، لشرب كأس الفتوة ، ولبس سراويلها . للمزيد انظر : ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٠٦ ، حاشية رقم ٢٢١ ؛ ابن الساعي : المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٢٣٣ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٣٠٥ ، حاشية رقم (٢) ؛ أحمد دهمان : المرجع السابق ، ص ٩٠.

(٢) ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٠٦ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٦ ، ٥٧ ؛ منجم باشي المولوي ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٤ ب ؛ Ali Sevim, Yaşar Yücel, op.cit. s.149.

من جهتيها الشمالية والغربية [١] ، ومع ذلك فقد وضع احتمال رفض الصلح ، وسانده مستشاره ، في الأخذ بأسباب الأهبة ، والاستعداد للقتال [٢] .

والواقع ، إن عزالدين كيكاوس كان في حاجة إلى هذا الصلح ، إذ إن أخاه علاء الدين كيقباذ مازال متحصناً في أنقرة ، وبطبيعة الحال ، لابد من الإسراع في محاصرته ، واستئصال خطره قبل أن يتفاقم . لذا نجده يقبل اعتذار الإمبراطور ، ويوافق على الصلح [٣] ، حيث ترتب على ذلك ، نقل جثمان السلطان الشهيد غياث الدين كيخسرو ، من آلاشهر ، ودفنه في قبة أبيه ، في قونية [٤] ، والاتفاق على أن يحترم الطرفان حدود الآخر .

وبعد أن أقر السلطان عزالدين كيكاوس الأوضاع الداخلية والخارجية ، اتجه بكل قوته لمواجهة أخيه في أنقرة . إذ بعد فشله وحلفائه - علاء الدين كيقباذ - في حصار أخيه السلطان عزالدين كيكاوس في قيساريه اضطر إلى اللجوء إلى مدينة أنقرة، وذلك لموقعها الحصين ، واتخذها مقراً له ، وملاذاً من أخيه عزالدين كيكاوس ، الذي قدر بدوره قوة هذه المدينة ، وصعوبة اقتحامها ؛ لهذا قام باستعدادات ضخمة ، فأرسل في طلب المقاتلة ، وجمع عدة الحصار والقتال ، وسار نحو أنقرة . ولما سمع علاء الدين كيقباذ بقدوم أخيه بقواته ، أصلح أسوار المدينة ، وأغدق الأموال على الأهالي [٥] لضمان ثبات جبهته الداخلية .

والحقيقة أن السلطان عزالدين كيكاوس كان مصمماً على إنهاء عصيان أخيه ، مهما كلف الأمر . فبعد ضرب الحصار على المدينة ، وإصرار أخيه على المقاومة ، أمر

---

(1) Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.121, 122 ; Osman Turan : Selçuklulare Zamanind Türky. s299.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٦ .

(٣) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٧٥٤ب ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.299 - 300 ; Ansiklopedisi of Islam, s.633.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٧ ؛ منجم باشي المولودي : صحائف الأخبار ، ورقة ٧٤ه‍ب .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٨ ؛
Ibn Bibi, op.cit p.134 ; Salim Koca, op.cit. s940-941 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.300.

بالإقامة حول المدينة ، وبنى لنفسه داراً ، تحولت فيما بعد إلى مدرسة [١] ، كما أنشئت الأبنية والمعسكرات ، لسكن القوات المحاصرة . وطالت مدة الحصار ، وقضى كيكاوس مع قواته ، شتاء عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م ، محاصراً لأخيه في أنقرة ، وقطع كل مساعدة أو معونة تحاول الوصول إلى المدينة . وقد حاول علاء الدين كيقباذ الاستنجاد بالملك الأيوبي الظاهر غازي ، صاحب حلب ، الذي لم يكن بمقدوره تقديم مساعدة فعالة ، في ضوء إمكاناته المحدودة [٢] ، فاكتفى بإرسال الشيخ تقي الدين علي بن أبي بكر الهروي ، للوساطة بين الأخوين . ومع ذلك لم يقبل السلطان عزالدين كيكاوس هذه الوساطة ، ورده دون الاستماع إليه [٣] . وأصر على استمرار الحصار حتى التسليم . وقد عانى أهالي أنقرة من قلة الأقوات ، وانتشار المجاعة ، كما نفدت الذخيرة [٤] ، من جراء طول الحصار وشدته . وقد أدرك علاء الدين كيقباذ مقدار ما تحمله الأهالي من معاناة من أجله ، سيما وأن إمكانية المساعدات الخارجية مستحيلة . كما أن الوضع جعله أمام خيارين ، إما سقوط المدينة عنوة وهلاكه المحتم ، أو التسليم بشروط ، تُبقي على حياته . لذا عندما شرح له كبار الأعيان الحالة السيئة التي وصلت إليها المدينة ، وافق على الاستسلام بشرط تأمين حياته ، وحياة أهل القلعة ، وعدم المصادرة أو الإيذاء [٥] . وكان لشرط عدم الغدر به أهمية عظيمة،

---

(١) نذر عزالدين كيكاوس أنه إذا تيسر له الظفر أن يوقف على هذه المدرسة أوقافاً ، ويغدق على فقرائها، فلما استخلص أنقرة وقبض على أخيه ، وفى بالعهد والنذر ، وأتم وقفه . ثم هدمت هذه المدرسة بعد اعتلاء علاء الدين كيقباذ سدة الحكم . انظر : Ibn Bibi, op.cit, p.134-135 .

(٢) ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، ج٦ ، ص ١٨٢ . ولمزيد من التفصيل ، انظر : علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٦١-٦٢.

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٢٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢١٨ ؛ Salim Koca, op.cit, s.940.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٩ ، منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٥أ ؛ Salim Koca, op.cit. s.941; Ansiklopedisi of Islam , s.634.

(٥) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٥أ ؛ Salim Koca, op.cit, s.942 ; Osman Turan : Selçuklulare Zamanind . s. 301.

إذ عُرف عـن سـلاطين سـلاجقة الـروم القضـاء علـى الخصـم ، مـهما كـانت درجـة قرابته [١]. لذا نجد علاء الديـن كيقبـاذ ، يطلـب الأمـان علـى حياتـه ، بكتـاب موثـق بالعهود والأيمان المغلظة ، فحد ذلك من قـرار عزالديـن كيكـاوس في التخلـص منـه ، واضطر لتحقيق ما طلـب منـه . وقـد ذكـر بعـض المؤرخـين [٢] أن شـفاعة مجدالديـن إسحاق ، أتابك عزالدين كيكاوس ومعلمه ، في عدم قتل أخيه ، قد أثرت في ما عـزم عليه من قتل أخيه ، فتراجع عن قراره . ولكنه لم يستطع كبح جمـاح نفسـه في معاقبـة كبار القادة ، الذين ساندوا أخاه علاء الدين كيقباذ ، فقبض عليهم ، وحلق شعورهم ولحاهم ، وأمر بأن يطاف بهم في أرجاء المدينـة علـى ظـهور الخيـل ، ويصفعـوا علـى وجوههم ، وينادي المنادون بأن هذا جـزاء مـن يـهين السـلطان [٣] » . وأنـزل بذلـك هيبته في قلوب الأهالي ، مع التزامه بما تعهد به لأخيه ، بعدم قتل من في القلعة .

ظل علاء الدين كيقباذ محتجزاً في قلعة أنقرة ، وأخذ السلطان في إنهاء الترتيبات الإدارية للمدينة ، فاستمال قلـوب الأهـالي ببـذل الأمـوال ، واسـترضائهم . واستقبل كبار الأعيان ، الذي قدموا الأموال والهدايا ، وبايعوه . ثم أمر بعدة تعيينات ، وجعـل أحد أمرائه نائباً له في أنقرة . ثم أرسل أخاه علاء الدين كيقباذ ، ومعـه حاشـية تحـت إشراف الأمير سيف الدين إيبه ، إلى ملطية لاعتقاله في قلعـة منشـار . ونظـراً لخطـورة أخيه ، وعدم قدرته على التخلص منه ، لم يأمن أحد على إحكام اعتقالـه ، إلاّ أمـرائه المقربين ، حيث أرفق معه سيف الدين إيبه ، إلى ملطية ، التي تحت إدارة الأمير حسـام

---

(١) علق ابن واصل على هذه الحادثة ، بقوله : « وهذه رذيلة كانت في البيت السلجوقي ، طهر الله البيـت الأيوبي منها ، فإن البيت السـلجوقي كان إذا ظفر واحد منهم بأخيه ، أو ابـن عمـه ، أعدمـه وأحسـن أحواله أن يعتقله حتى يموت » ، مفرج الكروب ، ج٣ ، ص ٢١٩ .

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢١٩ ؛ ابن إيبك الداوداري : أبو بكر بـن عبـدالله بـن أيبـك (٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) : كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق برند راتكة ، المعهد الألماني للآثار ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج٧ ، ص ١٧٥ . الجنـابي : العيلـم الزاخـر في أحـوال الأوائـل والأواخـر ، مخطوطة في مكتبة راغب باشا، رقم ٩٨٣ ، ورقة ٣٠١أ .

(٣) أبو الفداء : المختصر في أخبـار البشـر ، ج٣ ، ص ١١٥ ؛ ابـن واصـل : المصـدر السـابق ، ج٣ ، ص ٢١٨ ؛

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.301; Salim Koca, op.cit, s.942 ; Ansikopedisi of Islam, s.634.

الدين يوسف ، أحد رجالات عزالدين كيكاوس ، وأشرف سيف الدين إيبه بنفسه على ترتيب شؤون علاء الدين الحياتية ، « فرتب الرواتب ووظائف بيت الثياب والمطبخ والشربخانة [١] » ، ثم أخذ حُجّةً من أمير القلعة باستلامه الملك علاء الدين كيقباذ ، وعاد إلى قونية .

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال عن موقف كل من كيفريدون ، الابن الأصغر للسلطان غياث الدين كيخسرو ، وعمه مغيث الدين طغرل شاه ، صاحب أرزن الروم .

يمكن القول أنه بالنسبة لكيفريدون ، الابن الثالث لغياث الدين كيخسرو ، لم تتعرض المصادر التاريخية لحياته أو نشاطه ، وكل ماورد عنه ، إشارة في كتاب منجم باشي ، جامع الدول [٢] ، تفيد أن كيفريدون كان في إقطاع خاص به ، ثم حدد هذا الإقطاع ، فيما بعد ، بقويلو حصار . فيما ذكر ابن بيبي ، وصاحب أخبار سلاجقة الروم [٣] ، أن كيفريدون كان معتقلاً في قويلو حصار ، وذلك أثناء استشارة الأمراء فيمن يولون العرش ، بعد وفاة عزالدين كيكاوس . ونستشف من لفظ « معتقل » أن السلطان عزالدين كيكاوس ربما اعتقله في قلعة قويلو حصار ، رغم صغر سنه ، حتى لا تكون هناك فرصة له ، أو لمن يريد استغلاله ، للقيام بثورة ضد كيكاوس . كما أننا لا نستبعد الرأي الذي توصل إليه الدكتور سليم قوجه ، بإنكار ما توصل إليه كلود كاهن ، من أن كفريدون كان المحرض على ثورة أنطاليا ، إذ قال قوجه : « ولا يوجد أي دليل يؤيد ما ذهب إليه كلود كاهن ، والنص المذكور [٤] لا ينص على

---

(١) الشربخانة : بيت الشراب ، وفيه شتى أنواع الأشربة ، وما يتعلق بها من سكر وفواكه وغير ذلك . القلقشندي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢١ ؛ أحمد دهمان : المرجع السابق ، ص ٩٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦١ ؛

Ibn Bibi, op.cit. p.137. Aksarayli : op.cit, p.33.

(٢) مخطوطة جامع الدول ، ورقة ٧٠ أ ، ٩٨ .

(٣) الأوامر العلائية في الأمور العلائية ، ص٢٠٣ . مؤلف مجهول ، ص ١٠٢ .

(٤) يقصد بالنص المذكور أن كلود كاهن اطلع على نص في سلجوق نامه ، مجهولة المؤلف ، مع أننا اطلعنا على سلجوق نامه ، مجهولة المؤلف ، المترجم للعربية ، ولكن لم نجد النص الذي أشار إليه كلود كاهن .

كيفريدون ، ولكن يتحدث عن نشاطات شخص يسمى الملك إبراهيم » [١] .

أما مغيث الدين طغرل شاه ، فإنه بعد انسحابه من حصار قيسارية سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م الذي اشترك فيه بطلب من علاء الدين كيقباذ وضم معهما الملك الأرمني ليو ، متحالفين ضد السلطان عزالدين كيكاوس ، لم يذكر أنه قام بأي نشاط ضد السلطنة في قونية ، بل بقي في بلاده أرزن الروم ، حتى توفي في سنة ٦٢٢هـ / ١٢٣٤م [٢] . ووقوع وفاته في تلك السنة ، وعند ابن الأثير ، ينفي ماورد في بعض المصادر التاريخية الإسلامية [٣] من أن السلطان عزالدين كيكاوس ظفر به ، في سنة ٦١٠هـ / ١٢١٣م ، وقتله ، وأخذ بلاده . ولأنه كان أحد المرشحين لتولي العرش ، بعد وفاة السلطان عزالدين كيكاوس ، سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م ، فهذا يؤكد عدم صحة رواية ابن واصل [٤] ، ومن نقل عنه من المؤرخين . فقد روى ابن بيبي أن الأمراء ، بعد وفاة عزالدين كيكاوس ، « تشاوروا فيمن يجلسونه على العرش ، فأشارت جماعة إلى مغيث الدين طغرل شاه بن قلج أرسلان ، صاحب أرزن الروم ، وكان ملكاً متمكناً محباً للرعية » [٥] .

وهكذا فإن كل من كيفريدون ومغيث الدين طغرل شاه ، لم يشكلا أية خطورة على السلطان عزالدين كيكاوس .

---

(١) انظر : Salim Koea, op.cit, s.943; Calud Cahen : Pre-Ottoman, p.121

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٢٩ .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢١٩ ؛ ابن سباط : حمزة بن أحمد بن عمر (ت ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) تاريخ ابن سباط « صدق الأخبار » تحقيق : عمر بن عبدالسلام تدمري ، طرابلس ، ج١ ، ص ٢٥٢ ؛ ابن ايبك الداوداري : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٧٥ .

(٤) مفرج الكروب ، ج٣ ، ص ٢١٩ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص١٠٢ ؛ Ibn Bibi, op.cit. p.203 .

فتح ميناء سينوب على ساحل البحر الأسود وأهميته

بعد استقرار الأوضاع الداخلية لدولة السلطان عزالدين كيكاوس ، وتخلصه من منافسيه ، وخضوع البلاد بجميع مدنها لسلطته ، اتجه إلى تأمين حدوده الشمالية ، والاستفادة سياسياً واقتصادياً ، من مجريات الأحداث المحيطة بدولته (١) . فقرر في سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م ، مد نفوذه إلى مدينة سينوب ، الواقعة على ساحل البحر الأسود . وذلك لموقعها الاستراتيجي ، الذي سيتيح لدولته الاتصال بالمناطق المطلة على البحر الأسود والانفتاح عليها ، كما أن هذا الميناء يؤمن الحركة التجارية الخارجية والداخلية من الأناضول وإليها ، فضلاً عن الحد من أطماع الإمبراطور لاسكاريس ، إمبراطور نيقية ، الذي يتطلع إلى توسيع نطاق بلاده شرقاً . وكان ينافسه في ذلك إمبراطور طرابزون ، ألكسيوس كومنين (٢)، الذي كان السبب المباشر في قرار عزالدين كيكاوس إخضاع المنطقة لسيطرته. فقد توالت الشكاوى من الأهالي، في منطقة سيواس، من غارات أتباع ألكسيوس كومنين، على قراهم وأراضيهم(٣). فاتجه السلطان عزالدين كيكاوس إلى سيواس ، للاقتراب من منطقة

---

(١) أسفرت الحملة الصليبية الرابعة سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م عن سقوط الإمبراطورية البيزنطية في القسطنطينية ، وانقسامها إلى إمبراطورية نيقية ، في غرب آسيا الصغرى ، وإمبراطورها ثيودور لاسكاريس ، وإمبراطورية طرابزون ، الممتدة إلى أقصى البحر الأسود شرقاً ، وإمبراطورها الكسيوس كومنين . ومنذ ذلك التاريخ عمل إمبراطور نيقية على عودة الإمبراطورية البيزنطية ، إلى القسطنطينية، لذا كرس جهده لتقوية إمبراطوريته لمواجهة اللاتين . كما حرص على عدم إثارة جيرانه الشرقيين ، سلاجقة الروم ، فسعى لطلب الصلح ، على إثر معركة آلاشهر ، وإعادة علاقات الصداقة القديمة مع السلاجقة ، وذلك ليكون في أمان من هذا الجانب . فاستغل السلطان عز الدين كيكاوس هذه الفرصة، لتنفيذ مخططه بالاستيلاء على سينوب ، ومنع تطويق بلاده من الشمال ، من قبل البيزنطيين ، سواء الشرقيين أو الغربيين ، وإنعاش التجارة ، وتأمين طرقها . لمزيد من الإيضاح ، انظر :
Calud Cahen : Pre-Ottoman, p.163-164; Ali Sevim: Yaşar yücel op.cit. p.15 ;
كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة أحمد الشيخ ، سينا للنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ ، ص ٢٣٠ .

(٢) اسمت غنيم : امبراطورية في المنفى ، ص ٢١٦ ؛
Savvides : op.cit. p. 121 .

(٣) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٥أ .

الأحداث ، وللاطلاع عن كثب على حقيقة الأوضاع هناك . وفي سيواس ، وصلت إليه تقارير من محافظي الثغور عن تجاوزات إمبراطور طرابزون ، وتعديه على ممتلكات السلاجقة [(١)] ، مستغلاً انشغال السلطان عزالدين كيكاوس في صراعه مع أخيه على السلطة .

وهكذا أصبح على السلطان عزالدين كيكاوس وضع الخطط المناسبة لتنفيذ ضربته ضد حاكمي طرابزون ونيقية ، بأقل الخسائر ، وبأسرع وقت ممكن ، سيما أن مدينة سينوب حصينة الموقع ، ولن تسقط إلاّ بحصار شديد وطويل الأمد ، وذلك حسب ما ذكره مستشاروه ، الذين لهم دراية واسعة بموقع المدينة [(٢)] .

ومن سيواس ، القاعدة العسكرية لعزالدين كيكاوس ، أخذ في تنظيم عملياته ، فخرجت قوة بقيادة عدد من أمرائه ، لاستطلاع الأوضاع المتاخمة لمدينة سينوب ، وتقدير قوة العدو ، واستكشاف مواطن الضعف ، وتحديد مراكز القوة . فقام هؤلاء بدورهم بإرسال جواسيس للحصول على أدق المعلومات ، فعلموا أن الإمبراطور يقضي وقته في رحلة صيد ، في قلة من قواته ، لا يتجاوز عددهم خمسمائة فارس [(٣)]. فكانت هذه فرصة عظيمة للنيل منه ، فانطلقت فرقة تركمانية إلى الموقع ، واشتبكوا مع حرس الإمبراطور ، وبعد مناوشات قصيرة ، ظفروا بالإمبراطور ، وقبضوا عليه ، واقتادوه أسيراً ، مع من نجا من أمرائه ، إلى مقر القيادة في سيواس [(٤)] .

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٥ - ٦٦ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.353.

(٢) وصف ابن بطوطة مدينة سينوب ، بأنها مدينة جمعت بين التحصين والتحسين ، ويحيط بها البحر من جميع جهاتها إلاّ واحدة وهي جهة الشرق ، ولها هنالك باب لا يدانيها أحد إلاّ بإذن أميرها . رحلة ابن بطوطة ، ج١ ص ٣٤٨ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٦ ؛
Ibn Bibi, op.cit. p.148 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.303.

(٤) يقع لبس وخطأ بين المصادر التاريخية العربية والمصادر التركية ، في فهم رواية الكثير من الحوادث ، فعلى سبيل المثال : ذكرت هذه الحادثة عند ابن واصل ، أن الإمبراطور المأسور هو اللشكري ، قاتل غياث الدين كيخسرو ، ويقصد بذلك ثيودور لاسكاريس . ويفهم من روايته أنه وقع في يد التركمان، بدون سابق تخطيط ، وفدى نفسه بالأموال والكثير من القلاع . وهذا بطبيعة الحال مخالف لبعض الحوادث ، حسب ما ذكرته المصادر التركية . وربما مرد ذلك ، البعد عن المنطقة ، وعدم الاطلاع على المصادر المؤرخة لتلك الوقائع . ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٢٥ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص ١١٦ . انظر : Ansiklopedisi of Islam, s.636. .

وهكذا أصبحت الكفة الراجحة لصالح السلطان عزالدين كيكاوس ، وبإمكانه مساومة الإمبراطور على حياته وحريته ، مقابل تسليم مدينة سينوب . وبالفعل اتجه السلطان عزالدين كيكاوس بأسيره ، وصحبته قواته ، في عدتها وعتادها ، باتجاه سينوب ، وهناك أمر بضرب الحصار عليها ، من جهة اليابسة (١) ، ثم طلب من الإمبراطور الأسير إرسال أحد رجاله إلى حكومته ، داخل المدينة ، ليطلب منها تسليم المدينة ، ولكن هذا الطلب قوبل بالرفض من قبل أهلها (٢). وإمعاناً في إظهار عدم مبالاتهم بأسر الإمبراطور ، وإصرارهم على موقفهم ، فقد قالوا : « إن كان كيرالكس قد أسر ، فإن له أبناء لائقين ، سنقيم واحداً منهم ملكاً » (٣) . وأمام إصرارهم هذا ، شدد السلطان عزالدين كيكاوس الضغط على حكومة سينوب ، بتعذيب الإمبراطور أمامهم. ولم يكتف بذلك ، بل قام بإقلاق المحاصرين ، باستخدام أساليب الحرب النفسية ، إذ أمر أحد قادته بالتوجه مع قواته إلى الواجهة البحرية لسينوب ، والقيام بإحراق ٣٠ سفينة تابعة للمدينة (٤) ، وذلك لقطع أي اتصال خارجي يمكن أن ينقذ المدينة . ونتيجة لهذه المحاولة الناجحة ، استسلم المقاومون ، ولكن بشروط هي :

أولاً : أن يقسم السلطان عزالدين كيكاوس على تأمين حياة الإمبراطور ألكسيوس آل كومنين .

ثانياً : إعطاء المقاومين الأمان على أرواحهم وأهلهم وأموالهم وأبنائهم .

ثالثاً : عدم اعتراض من أراد الخروج من المدينة ، والسماح لهم بأن يذهبوا إلى حيث يريدون .

وهكذا شهد يوم السبت ، السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦١١هـ / ٢ نوفمبر ١٢١٤م ، رفع علم السلطان عزالدين كيكاوس ، على سور مدينة

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٧ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٥ب ؛ جامع الدول ، ورقة ٧٩ أ ؛ Ali Sevim : yaşar yücel op.cit. s.150.

(2) Savviydes : op.cit. p.127.

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٧ ؛ Ibn Bibi, s.10

(4) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.304; Ansiklopedisi of Islam, p.635.

سينوب [١] . واعترف الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين بالتبعية لدولة سلاجقة الروم ، والالتزام بما على التابع من واجبات للمتبوع ؛ فقد تضمنت وثيقة التبعية تلك ، ما يلي :

« بما أن السلطان عزالدين كيكاوس قد أنعم على الإمبراطور ألكسيوس بإقطاعه جانيت [٢] ، له ولأبنائه ، فإن عليه التزامات مالية وعسكرية . فالالتزام المالي أن يدفع عشرة آلاف دينار سنوياً ، وخمسمائة رأس من الخيل ، وألفين رأس من الأبقار ، وعشرة آلاف رأس من الأغنام ، وخمسين حمل من أنواع التحف . وأيضاً على التابع تزويد السلطان بقوة عسكرية ، عند الحاجة ، قوامها ألف مقاتل ، منهم مائتا فارس ، من حاملي الحراب » [٣] وبعد توثيق هذه الوثيقة ، وشهادة الشهود على مافيها ، أودعت الخزينة السلطانية [٤] .

على أية حال ، فبعد فتح سينوب ، وضمها للعرش السلجوقي ، مكث السلطان عزالدين كيكاوس عدة أيام ، وأصدر عدداً من القرارات الرامية إلى إعمار المدينة ، وإبرازها كمركز تجاري تركي إسلامي ، بعد أن كانت يونانية مسيحية . ونظم النواحي الدينية والإدارية والتجارية ، فحول الكنيسة الكبرى إلى جامع ، تقام فيه الشعائر الإسلامية ، وكذلك بقية الكنائس الموجودة ، وعين قاضياً للمدينة ، وإماماً وخطيباً . ولترسيخ الهوية التركية ، أصدر أمراً إلى جميع الولاة في البلاد ، لتشجيع رؤوس الأموال ، والحرفيين ، على الرحيل إلى سينوب . وطلب من ولاته أن يشتروا الأملاك غير المنقولة ، من أصحاب رؤوس الأموال ، بعد أخذ رضائهم وموافقتهم ، ودونما إجبار ، وتدفع لهم القيمة من الخزينة الخاصة [٥] ، لضمان استقرارهم في

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٦ ؛ Savvides : op.cit. p. 128 ; Ibn Bibi, op.cit, p.53 .

(٢) جانيت : بلدة تقع على ساحل البحر الأسود ، شرق سامسون ، انظر ملحق ص ٣٣٧ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٩ ؛ Savvides : op.cit. p.128 .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٩ ؛ علي عودة الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، المؤرخ المصري – قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد ١٩ يناير ١٩٩٨م ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ؛ Ibn Bibi, op.cit.153; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.305-306.

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٠ ؛

=

سينوب . وهذه أولى خطوات التتريك التي حرص سلاطين السلاجقة على انتهاجـها . وحفاظاً على سلامة المدينة ، والاستعداد للرد على أي هجوم ، جعـل إدارة المدينـة في يد قائد عسكري يدعى هيثوم وهو أمير أرمـني اعتنـق الإسـلام ويبـدو أن لديـه خـبرة ودراية في إدارة المدن الساحلية فتعيينه كان بدافع الحرص على تطوير تجـارة الاسـتيراد والتصدير عبر ميناء سينوب ، فهو مؤهـل بشـكل أفضـل مـن أي تركـي للتعـامل مـع التجار النصارى المترددين على موانئ البحر الأسـود وسـينوب بـالذات [١] ، " وجعـل بصحبته جيشاً مهيباً للدفاع عن ذلك الثغر " [٢] . كما اشترك الأمراء المصاحبين له في الفتح في إصلاح أسـوار المدينـة ، وترميـم مـا انثلـم منـها . وسـاهموا في تنفيـذ بعـض المنشآت ؛ وثبت ذلك من الكتابات التي كتبت على أسوار المدينة ، فبلغوا خمسة عشر أميرا [٣] . واكتملت هذه الإنشاءات كلها ، بعد الفتح بثمانيـة أشـهر ، في ربيـع سـنة ٦١٢هـ / حزيران ١٢١٥م[٤] .

وكالعادة المتبعة لملوك الدول الإسلامية ، التي تعترف بالتبعية للخلافة العباسية في بغداد ، أرسل السلطان عزالدين كيكاوس رسوله الخاص ، أتابكه مجدالدين إسـحاق ، إلى الخليفة النـاصر لديـن الله ، يبشـره بفتـح سينوب . وهـذا يـدل علـى أهميـة هـذه المدينة ، وأن إضافتها إلى السلطة الإسلامية مكسب عظيم للإسلام والمسلمين. وبصفة خاصة لدولة سلاجقة الروم إذ احتلت سينوب في تلك الآونة مكانة هامة بالإضافة إلى كونها ميناء بحرياً استراتيجياً على ساحل البحر الأسود فهي أيضاً مدينة تجارية وحلقـة وصل بين التجارة العالمية لدول البحـر الأسـود ومنـاطق التجـارة الإسـلامية والأوربيـة آنذاك . كما أصبح لسلاجقة الروم أفضل قاعدة عسـكرية بحريـة علـى سـاحل البحـر

=

Ibn Bibi, s.154; Osman Turan, Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.306; Savvides, op.cit.p129 ; Ali sevim, Yaşar yücel : op.cit. p.150.

(١) علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في البحر الأسود ص ١٩٠ ؛
Savvides : op.cit. p.129 ; Claud cahen : pre Ottoman Turkey, p.123 .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٠ .

(3) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, 2.306.;Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.123.

(٤) انظر : Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Türkiye s.307 .

الأسود ساعد الأسطول السلجوقي الذي أنشئ فيها على مد نفوذ سلاجقة الروم إلى حزيرة القرم والمناطق الروسية المحيطة بالبحر الأسود شمالاً وشرقاً . [١]

وبعد مضي عام على فتح سينوب ، وتمتع السلطان عزالدين كيكاوس بسيطرته على البحرين ، الأسود في الشمال ، والبحر الأبيض المتوسط في الجنوب ، حدث ما لم يكن في الحسبان ، فقد اندلعت ثورة في أنطاليا تزعمها السكان الروم فيها ، حيث هاجموا حراس القلعة ، وقتلوهم ، وسيطروا على المدينة . ولم تمر ثلاثة أيام ، حتى علم السلطان عزالدين كيكاوس بأمر تلك الثورة ، فأمر على الفور باجتماع القوات ، واتجه مسرعاً إلى أنطاليا ، حيث طوق المدينة من جهتيها ، البرية والبحرية ليحول دون وصول أي إمدادات خارجية قد تأتي لمساعدتها ، وتؤخر سرعة استعادتها . ونظراً لأهمية أنطاليا ، وحرصاً من السلطان على قمع الثورة قبل تطورها ، أمر باقتحام المدينة ، بالسلالم عبر الأسوار ، وذلك بعد حصار دام شهراً [٢] ، استخدم أثناءه المنجنيق ، لتمهيد عملية الاقتحام . وقد نجحت قوات السلطان كيكاوس في هذا الاقتحام ، وقتلوا المدافعين ، ثم فتحت الأبواب ، أمام دخول السلطان وقواته المحاصرة ، وقد وافق ذلك يوم عيد الفطر ، سنة ٦١٢هـ / ٢٢ يناير ١٢١٦م [٣] .

وهكذا استطاع السلطان عزالدين كيكاوس استعادة ثغر أنطاليا ، في مدة وجيزة ، قياساً بموقع هذه المدينة ، واستعانتها بقوات خارجية .

ونتساءل هنا عن الحاكم الإداري للمدينة ، هل كان في المدينة أم خارجها أثناء وقوع الأحداث ؟ وأيضاً هل استفاد الثوار من المساعدات الخارجية التي طلبوها ؟

بالنسبة للإجابة على التساؤل الأول ، فإنه لم يرد في المصادر التاريخية أي ذكر

---

(١) أحمد توني عبداللطيف : المرجع السابق، ص٤٣ ؛ علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في البحر الأسود، ص١٩١ - ١٩٢ ؛ عثمان توران : الأناضول ، ص ٢٣ ؛
Claud Cahen : pre Ottoman Turkey. p.122 : The Cambbidge History of Eslam. vo.IA. p.246.

(٢) أحمد توحيد : أنطاليا سور لرى كتابه لرى ، تورك تاريخ انجمني مجموعة سي ، أون بشنجي سنه ، ١ مايس ١٣٤١ ، استانبول ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٣ ؛ علي الغامدي : أنطالية ، ص ٣٢ - ٣٣ ؛
Ali Sevim : Yaşar Yüçel : op.cit. s.151 ; Osman Turan : Selçuklalare Zamanind Turkey s.309.

لمبارزالدين أرتقوش ، أو أي حاكم إداري كان في المدينة في ذلك الوقت . وقد يستغرب خلو المدينة ، على الرغم من أهميتها ، من قوة دفاعية ؛ وهذا ما شجع الثوار على القيام بعصيانهم . وقد حاول عثمان توران التوصل إلى معرفة سبب خلو المدينة من قوة دفاعية ، عن طريق تحليل المراسلات التي جرت بين عزالدين كيكاوس والملك هيو ملك قبرص (٦٠١-٦١٥هـ/١٢٠٥-١٢١٨م) في سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م ووصل إلى احتمال انشغال القوات السلجوقية آنذاك ، بفتح سينوب [1] . إلاّ أننا لا نؤيده في هذا الاحتمال ، إذ إن هذه الحادثة ، قد وقعت بعد فتح سينوب بعام كامل . فقد كان فتح سينوب في السادس والعشرين من جمادى الآخرة من عام ٦١١هـ / ١٢١٤م ، وأحداث أنطاليا وقعت قبل رمضان لعام ٦١٢هـ / ١٢١٥م بقليل . ودليلنا على ذلك ، أن وقائع الحدث عند ابن بيبي [2] ، تروى بالأيام ، مثل قوله : « وبعد ثلاثة أيام بلغ الخبر مسامع السلطان » ، و « ساروا في اليوم التالي » . وتحديد عباراته بالأيام ، دليل على تسارع الحدث ، أي لم يمض وقت طويل على الثورة ، حتى طوقها عزالدين كيكاوس . كما أنه من غير المعقول أن تحدث ثورة في الجنوب ، وفي أهم ثغر للبلاد ، ويؤجل عزالدين كيكاوس إخمادها لغرض فتح مدينة جديدة في الشمال ، وهي سينوب . كما أن ابن واصل ، يذكر في أحداث سنة ٦١٢هـ / ١٢٥١م [3] : « ملك فرنج أنطالية – من بلاد السلطان عزالدين كيكاوس – صاحب بلاد الروم – وقتلوا من بها من المسلمين ، ثم استعادها منهم عزالدين في هذه السنة » . أيضاً تفصل لنا الكتابات ، التي وجدت على أسوار أنطاليا ، أحداث هذه الثورة ، منذ قيامها إلى انتصار السلطان عزالدين كيكاوس ، ودخوله المدينة ، كما فهم من هذه الكتابات حرص السلطان عزالدين كيكاوس على استعادة المدينة ، مهما كلف الأمر ، إذ قرر صرف جامكيات [4] الجند ، من محصلات أنطاليا بعد

---

(1) Osman Turan : Türkiye Selçuklular Hakkinda Resmi Vesiikalar, s.104.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٢ ، ٦٣ ؛ Ibn Bibi, op.cot, 143,144 .

(٣) مفرج الكروب ، ج٣ ، ص ٢٣٣ – أيضاً انظر : المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص١٨٠.

(٤) الجامكية : لفظ فارسي مشتق من جامة بمعنى اللباس ، أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي ، وترد أيضاً بمعنى الأجر ، والراتب ، أو المنحة . انظر : القلقشندي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٥ ؛ أحمد دهمان : المرجع السابق ، ص ٥١ .

استعادتها ، وذلك تشجيعاً لهم على مواصلة القتال ، « واستغرق في الجمادكية جهازه ، ههنا من اللّه تعالى فأوعده » [١] . و لم تتناول المصادر التاريخية ولو في إشارة ، إلى وجود الحاكم الإداري في المدينة ، الذي كان خارجها ، بالتأكيد ، وإلاّ لقتل مع من قتل أثناء الثورة . وربما - وهذا افتراضي - أن حاكم المدينة ، مبارز الدين أرتقوش ، كان من ضمن أمراء الأطراف ، الذي اجتمعوا بالسلطان ، في مراعي يانلو ، لقضاء فترة الربيع ، إذ قال ابن بيبي ، بعد فتح سينوب ، وانقضاء فصل الشتاء ، « ومضي أمر القضاء صادراً بأن يسير أمراء الأطراف ، بجميع العساكر ، إلى منطقة الرعي في « بنلو » ، ولحق الأمراء الكبار بالبلاط » [٢] .

أما بالنسبة لحصول الثوار على مساعدات خارجية ، فيبدو أن هذا العصيان قد حدث داخلياً ، وبجهود ذاتية من الروم بالمدينة ، دون الترتيب لمساعدة قوات خارجية . و لم يفطنوا إلى حاجتهم إلى ذلك ، إلاّ بعد أن بدأوا عصيانهم . إذ يشير ابن بيبي ، إلى أن الثوار جميعاً ، سمعوا بمسير السلطان عزالدين كيكاوس إليهم ، فاستنجدوا بملوك الفرنج ، وهذا الاستنجاد ، كما وصفه ابن بيبي ، اتخذ صيغة التوسل ، حيث قال : « فتوسلوا بسبب الإضطرار والمحنة لملوك الفرنج ، فسارعوا بشحن بضعة سفن بالمحاربين ، وأرسلوها لمددهم » [٣] . و لم يحدد المؤرخون مَنْ مِن ملوك الفرنج ساندوا الثوار . وربما نستبعد - وهذا احتمال - المساعدات من قبل ملك قبرص ، وذلك استناداً إلى رسائل الصداقة المتبادلة بينه وبين السلطان عزالدين كيكاوس ، في سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م ، وتأكيد ملك قبرص على المحافظة على عهد

---

(١) هذه العبارة هي إحدى الكتابات التي أرخت لأحداث استعادة أنطاليا ، والتي وحدت على أسوار أنطاليا . ونتيجة لاضطراب الألفاظ ، انعكس ذلك على المعنى ، ولكن معناها يفهم من عبارة ابن بيبي التي تقول : « وبذل لهم الوعود الجميلة - أي المقاتلين - حتى حملوا بأسرهم حملة كعزرائيل ». انظر : أحمد توحيد : المرجع السابق ، ص ١٦٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٤ ؛
Ibn Bibi: op.cit, p.145 .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٣ . Ibin Bibi, op.cit, p.163

(٣) أخبار السلاجقة الروم ، ص ٦٢ .

الصداقة ، الذي أبرم قبل ست سنوات من هذا التاريخ [1]. إضافة إلى ذلك لم يرد في المصادر التاريخية نص أو إشارة تثبت اشتراك ملك قبرص. كما أن من مصلحة ملك قبرص عدم مساعدة الثوار ، وذلك لدوام علاقاته الحسنة مع سلاجقة الروم، واستفادة بلاده من استمرار العلاقات التجارية القائمة بينهم . ثم إن الرسائل التي أرسلها ملك قبرص ، هيو ، المؤرخة في ٦١٣هـ / ١٢١٦م ، لم يتبين من خلالها وجود اعتذار عن تدخلات ، أو ذكر لأحداث أنطاليا ، بل يؤكد فيها صداقته للسلطان عزالدين كيكاوس ، واستعداده للتصديق على الاتفاقية التي سبق أن اقترحها بنفسه [2] .

أما إمارة أنطاكية ، فقد انشغل الأمير بوهمند الرابع (٥٩٧ - ٦١٣هـ / ١٢٠١ - ١٢١٦م) بخلافاته مع ليو الثاني ، ملك الأرمن ، ومحاولات [3] الأخير لوضع يده على أنطاكية . وقد تحقق له ذلك في ٤ شوال ٦١٢هـ / ١٤ فبراير ١٢١٦م ، وتزامن سقوط أنطاكية في يد ليو الأرمني [4] ، مع استعادة السلطان عزالدين كيكاوس أنطاليا من الثوار . يوضح لنا عدم اشتراك إمارة أنطاكية أو مملكة قليقية ، في مساندة الثوار في أنطاليا . ويبدو أن قلة حجم المساعدات الخارجية ، التي حصلت لثوار أنطاليا ، حيث كانت بضع سفن ، وعدم استفادتهم منها في التصدي

---

(1) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.139.

(2) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye : op.cit. s140.

(٣) شُغلت منطقة شمال الشام ، على مدى خمسة عشر سنة ، بمشكلة الصراع بين ملك الأرمن ليو الثاني ، وكونت طرابلس بوهمند الرابع ، ومحاولة كل منهما بسط سيطرته على أنطاكية ، فليو يطالب بها باعتبارها حقاً شرعياً لابن ابنة أخيه ريموند روبين بن بوهمند الثالث ، صاحب أنطاكية . وبوهمند الرابع يطالب بها باعتباره الوريث الشرعي للإمارة ، التي مات أبوه من أجلها ، مثلما كان بوهمند الرابع وريثاً شرعياً ، فأيضاً ريموند روبين كان وريثاً شرعياً . ولكن بارونات أنطاكية حرصوا دائماً على إبقاء أنطاكية لاتينية ؛ لذا كان لكل من الطرفين مؤيدوه . وفي سنة ٦١٢هـ / ١٢١٦م ، نجح ليو في دخول أنطاكية ، وبصحبته ريموند روبين ، وتوجها إلى كنيسة القديس بطرس ، وقدما فروض الولاء والطاعة ، إلى البطريك اللاتيني ، ألذي أعلن ريموند أميراً على أنطاكية ، لمزيد من التفصيل انظر حسين محمد عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م ، ص ٢٤٥ - ٢٩٧ . انظر أيضاً : علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٥٠ - ٣٥٤ ، حصن بغراس ودوره الحربي في عصر الحروب الصليبية ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٤١٦هـ ، ص٢٩٢.

(٤) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٣٣؛ ابن إيبك الداوداري: المصدر السابق، ج٧، ص١٨٢.

لضربات قوات السلطان عزالدين كيكاوس ، الدليل على أن هذه القوة المساندة لم ترسل من قوى سياسية مجاورة وربما كانت مرتزقة .

على أية حال ، بعد استرداد السلطان كيكاوس المدينة ، ودخوله إليها ، قام بعدة ترتيبات ، أولها معاقبة العصاة ، بقتلهم جميعاً ، وسبي أبناءهم ، ومصادرة أموالهم وأملاكهم ، وتسجيلها في الديوان الخاص . وأعاد تعيين الأمير مبارزالدين أرتقوش قائداً للمدينة ، وذلك لمعرفته بأحوال المنطقة . كما استمال الأهالي بإصلاح أحوالهم ، وأصلح سور المدينة ، وزاد من ارتفاعه ، وسد كل ثلمة فيه » [١] ، كما أمر ببناء قلعة في المدينة لحمايتها [٢] . وتخليداً لهذا الحدث العظيم ، ولإعلام القوى الإسلامية بما حققه من إنجاز ، بعث برسائل بشرى استعادة أنطاليا إلى الحكام المسلمين ، ومن ضمن هؤلاء الظاهر صاحب حلب ، حيث أرفق مع رسالة البشارة هدايا قيمة [٣] . ومنهم جلال الدين بن حسن الإسماعيلي [٤] . وبعد أن اطمأن السلطان إلى استقرار الأمور في مدينة أنطاليا ، عاد إلى قونية ، وفي ذهنه مخطط لإقرار أوضاع حدوده الجنوبية ، مع ملك الأرمن ليو الثاني ، الذي سبق أن استولى على عدة قلاع للسلاجقة . وقد أراد السلطان عزالدين كيكاوس ، استغلال فرصة انشغال ليو بخلافه مع بوهمند الرابع ، حول ضم أنطاكية ، لاستعادة هذه القلاع وتأديب ملك الأرمن ، إذ يبدو أن المرتزقة الذين ساندوا ثوار أنطاليا ، قد جاءوا بإيعاز من ليو الثاني . وفي الحقيقة ، ليس لدينا نصوص صريحة تثبت ذلك أو تنفيه ، ولكن نظراً لتأييد فرسان

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٤ ؛
Ibin Bibi, s.154; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s. 309.

(٢) أحمد توحيد : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٣ .

(٤) أعلن جلال الدين حسن بن الصباح صاحب قلعة ألموت ، زعيم الفرقة الإسماعيلية في سنة ٦٠٨هـ ، أتباعه شعائر الإسلام ، وأمر أتباعه في خراسان وبلاد الشام بإقامة الصلوات والحج والصيام وإقامة وظائف الشريعة على المذهب الشافعي ، وكتب بذلك إلى الخليفة ، وجميع الممالك الإسلامية . انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٩٨ - ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢١١. انظر التعريف بالإسماعيلية ص ٩٤ من البحث .

الاسبتارية [١] ، لليو الثاني ، أثناء نزاعه مع بوهمند على أنطاكية ، واعتماده عليهم في حماية ظهره أثناء ذلك [٢] ، يجعلنا نشك في خروج السفن التي ساندت ثوار أنطاليا من سلوقية [٣] ، مركز الاسبتارية ، سيما وأن السلطان عزالدين كيكاوس حاصرها في الفترة من ٦١٣ - ٦١٥هـ / ١٢١٦ - ١٢١٨م . ولم يقتصر حصار عزالدين كيكاوس سلوقية ، بل أسرع لاستعادة لارندة [٤] ، وهرقلة ولولوة (لولوا قشلا) [٥] التي سبق أن استولى عليها ليو أثناء انشغال السلطان عزالدين كيكاوس في النزاع مع أخيه علاء الدين كيقباذ على عرش السلطنة .

وهكذا خسر الملك ليو تلك المواقع الاستراتيجية في غرب قليقية ، وعبر جبال طورس في مقابل بسط سيطرته على أنطاكية ، هذه السيطرة التي ضاق بها ذرعاً الملك الأيوبي ، الظاهر في حلب . وقد أراد عزالدين كيكاوس اقتناص هذه الفرصة ، والاتفاق مع الملك الظاهر ، ضد ليو الأرمني ، الذي إن لم يحد من قوته ، سيكون

---

(١) الإسبتارية : تسمية عربية للفظة (Hospitallers) أي فرسان المستشفى ، أسست هذه المنظمة سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م كجمعية خيرية في بيمارستان قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس للعناية بفقراء الحجاج المسيحيين ، قدم هؤلاء الفرسان المساعدات للحملة الصليبية الأولى عند حصار بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م . وقد اعترف بهذه المنظمة كأخويه مستقلة من قبل البابوية سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م ثم تطورت هذه المنظمة لتتحول إلى هيئة عسكرية سياسية امتلكت عدداً من القلاع والحصون في بلاد الشام وساهمت في معظم الأعمال العسكرية الصليبية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ولعبت دوراً في الحرب بين مملكة أرمينية الصغرى ودولة سلاجقة الروم سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م ، كما شاركت في الحملة الصليبية الخامسة . لمزيد من التفصيل انظر : جوناثان رايلي سميث : المرجع السابق ص ٧ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ١٣٤ .

(٢) حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، ص ٣٠٠ ؛ وانظر علي الغامدي : حصن بغراس ودوره الحربي في عصر الحروب الصليبية ، ص٢٩٢.

(٣) سلوقية : واسمها حالياً سلفكة ، تقع بمحاذاة ساحل البحر المتوسط ، انظر : كي لسترنج : المرجع السابق ، ص١٨١.

(٤) لارنده : مدينة حسنة ، كثيرة المياه والبساتين : ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٣٢٣ ؛ كي لسترنج ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٥) لولوا : قلعة عظيمة في الطرف الشمالي من درب أبواب قليقية . وقشلا : لفظ تركي يعني المعسكر الشتوي . كي للسترنج : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ؛ أحمد دهمان : المرجع السابق ، ص١٢٤ .

خطراً دائماً ، يهدد جنوب الأناضول .

فأرسل السلطان في المحرم سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م ، إلى الملك الظاهر للتنسيق معه لشن الهجوم على ملك الأرمن [١] ، إلاّ أن هذا التحالف لم يتم ، مما اضطر السلطان عزالدين كيكاوس إلى الهجوم ، بدون حلفاء ، على قلاع الأرمن ، مبتدئاً بالقلاع القريبة من مرعش ، فنجح في الاستيلاء على جنجن ثم على كابجن [٢] . ثم التحمت القوات السلجوقية مع القوات الأرمنية ، في معركة ، لحقت فيها الهزيمة بالقوات الأرمنية ، مما اضطر الملك الأرمني ، ليو ، إلى توقيع معاهدة تبعية للسلطان ، مع شروط تتضمن دفع جزية سنوية ، وتقديم خمسمائة جندي بكامل معداتهم ، وقت الطلب ، هذا عدا الهدايا المختلفة [٣] .

وهكذا نجح السلطان عزالدين كيكاوس في تأمين حدوده الجنوبية و لم تقف تطلعاته على تأديب ملك الأرمن وإخضاعه لتبعيته بل تطلع إلى مملكة حلب ، خاصة بعد وفاة الملك الظاهر غازي سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م وتقلد ابنه العزيز (٦١٣ - ٦٣٤هـ / ١٢١٦-١٢٣٦م) مقاليد الحكم وهو طفل صغير ، فأراد استغلال هذا الوضع والتقدم بقواته جنوباً باتجاه الشام مظهراً في بدء الأمر النوايا الحسنة بتضمين رسالة العزاء في وفاة الملك الظاهر غازي لزعماء حلب الاقتراح بتعيين الملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط[٤] أتابكاً للعسكر فهو أكبر أبناء صلاح الدين الأيوبي وعم الملك الصغير « وهو أولى بتربيته وحفظ ملكه » [٥] وكان يرمي من وراء ذلك بسط نفوذه على حلب عن طريق الأفضل الخاضع لنفوذه ولكن أغلب الحلبيين لم يقبلوا باقتراحه هذا فما كان منه إلاّ أن نفذ الشق الثاني من خطته وهو الهجوم

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الفصل الخامس ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٥ ، ٧٦ ؛ منجم باشي المولوي : جامع الدول ، ورقة ٨٢ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ١٨١ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٧٩ ؛

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.315; Savvides : op.cit. p.130: Ali Sevim. yaşar yücel, op.cit. s.151.

(٤) سميساط : مدينة صغيرة حصينة على نهر الفرات من بلاد الشام. أبو الفدا : تقويم البلدان، ص ٢٦٧.

(٥) ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٥٠ .

العسكري [(١)] وسنفصل ذلك لاحقاً - إن شاء الله - والذي انتهى بإلحاق هزيمة فادحة بالقوات السلجوقية تجرع مرارتها السلطان عزالدين كيكاوس .

وعلى الرغم من ذلك أراد الانتقام من الملك الأشرف الأيوبي (٦٢٦-٦٣٥هـ / ١٢٢٩ - ١٢٣٧م) الذي كان له دور في فشل حملته - أي السلطان عزالدين كيكاوس - على حلب ، فأخذ يعد العدة للهجوم على أملاك الأشرف ، والإتفاق مع الأمراء لتعزيز موقفه ، مستغلاً في ذلك محاولة صاحب أربل ، مظفر الدين كوكبوري ، الذي اتفق مع صاحبي آمد وماردين[(٢)] ، على مهاجمة أملاك الأشرف ، والاستيلاء على القلاع التابعة لأتابك الموصل بدرالدين لولو [(٣)] . وعلى الرغم من معاناة السلطان عزالدين كيكاوس من المرض إلاّ أنه اتجه بقواته إلى ملطية [(٤)] ، ولكن حالته الصحية لم تعد تسمح له بمواصلة المسير للإنضمام إلى الخلفاء للهجوم على

---

(١) ابن العديم : كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) زبد الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق : سامي الدهان ، بيروت ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م ، ج٣ ، ص ١٧٦ ؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ص٣١٨ .

(٢) صاحب آمد ، ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق ، صاحب ماردين الملك المنصور ناصر الدين بن أدزي بن البي بن تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق .

(٣) بعد وفاة صاحب الموصل ، الملك القاهر عزالدين مسعود بن أرصلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ، في ربيع الأول سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م ، طمع أخوه عماد الدين زنكي صاحب قلاع عقر الحميدية وشوش في استلام حكم الموصل بعده إلاّ أن الأتابك بدرالدين لولو قطع الطريق عليه واستصدر منشوراً من الخليفة العباسي بتعيين ابن عزالدين مسعود نورالدين أرسلان شاه ابن العشر سنوات مكان والده وأن يكون بدرالدين لولو أتابكه ومدبر دولته ، وبطبيعة الحال غضب لذلك عماد الدين زنكي وأصر على تحقيق حلمه بحكم الموصل وما يتبعها من قلاع ، فبدأ بالاستيلاء على قلاع الهكارية والزوزان ، مما أدى إلى إثارة الأتابك بدرالدين لولو خاصة وأن عماد الدين زنكي حصل على تأييد صهره صاحب أربل فظفر الدين كوكبوري فأرسل إلى الملك الأشرف يعلن انضمامه إليه ويطلب مساعدته . للمزيد انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٣٣ - ٣٤١ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٠ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٥٤ ؛

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.318.

أملاك الأشرف ، فاضطر إلى الانتقال من ملطية إلى بلدة قريبة منها [١] للاستشفاء ، ولكن المرض تمكن منه ، وتوفي في شوال سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م .

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ، فمؤلف أخبار سلاجقة الروم ، حدد التاريخ في ٤ شوال ٦١٧هـ / ديسمبر ١٢٢٠م [٢] . ومنجم باشي المولوي ذكر أنه توفي في أوائل سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م [٣] ، وابن تغري بردي ذكر أن وفاة عزالدين كيكاوس ، ضمن حوادث سنة ٦١٥هـ / ديسمبر ١٢١٨م ، شوال [٤] . ويتفق ابن الأثير وابن واصل [٥] في القول أن وفاة عزالدين كيكاوس كانت سنة ٦١٦هـ. وإننا هنا أمام اختلاف الروايات ، من ذكر وفاة السلطان في سنة ٦١٥هـ أو سنة ٦١٧هـ ، نجد أنفسنا مع القائل بوفاته في سنة ٦١٦هـ ، وذلك لوجود عملة ، سكت في تلك السنة ، وتحمل اسم علاء الدين كيقباذ في قونية [٦] . ويرجح أنها سكت في الشهرين التاليين من السنة ، إذا كان عزالدين كيكاوس توفي في شوال . وهذا ما اتفق عليه معظم المؤرخين ، ويؤيد رأينا هذا ، عرض ابن واصل أحداث النزاع بين مظفر الدين كوكبوري وأتابك الموصل ، في رجب سنة ٦١٦هـ [٧] ، وقد سبق أن عرفنا أن مظفر الدين كوكبوري أرسل إلى السلطان عزالدين كيكاوس ، يطلب منه نجدته ، ضد الأتابك بدرالدين لؤلؤ ، وحليفه الأشرف موسى بن العادل .

أما بالنسبة لما ورد في كتاب أخبار سلاجقة الروم ، من أن وفاته وقعت في ٤ شوال سنة ٦١٧هـ ، فإن الكتابة الموجودة على أحد أبراج قلعة أنطاليا تنفي هذا

---

(١) عندما اشتد المرض بعزالدين كيكاوس عاد إلى سيواس ، ولكن الأطباء نصحوه بعدم شرب مائها لتأثيرها السلبي على صحته ، فانتقل إلى بلدة ويران شهر بالقرب من ملطية ليكون بالقرب من نهر الفرات لمناسبة مائه له . منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦أ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.319.

(٢) مؤلف مجهول : ص ١٠٠ .

(٣) صحائف الأخبار : ورقة ٥٧٦أ .

(٤) النجوم الزاهرة : ج٦ ، ص ١٩٧ .

(٥) الكامل في التاريخ : ج١٢ ، ص ٣٥٤ ؛ مفرج الكروب : ج٤ ، ص ٣٠ .

(٦) إسماعيل غالب : تقويم مسكوكات ، ص ٢٦ .

(٧) مفرج الكروب : ج٤ ، ص ٢٧ .

التاريخ ، إذ جاء في الكتابة ما نصه : « أمر بـهذه العمـارة في أيـام السـلطان المعظـم ، علا الدنيا والدين ، أبو الفتح كيقباذ بـن كيخسـرو ، نـاصر أمـير المؤمـنين في جمـادى الأولى سنة سبع عشرة وستمائة ».(١)

وعلى أية حال ، فإن السلطان عزالدين كيكاوس استطاع خلال فـترة حكمـه ، التي قاربت ثمان سنوات ، أن يحقق للدولـة سلاجقة الـروم مكانتـها السياسـية ، رغـم صغر سنه ، إذ توفي في الثلاثين من عمره (٢) ؛ فقد حافظ على حدود بـلاده ، وتحقـق في عصره فتح مدينة سينوب ، أهم ميناء تجاري على ساحل البحر الأسود ، ممـا أتـاح لبلاده التحكم في الطـرق التجاريـة القادمـة مـن الشـمال إلى الجنـوب ، والتعـامل مـع القوى المطلة على البحر الأسود . ورغم أن ابن الأثـير علـق علـى انسـحابه مـن بـلاد الشام سنة٦١٥هـ ، بعد محاولته الاستيلاء على حلب ، « بأنه صبي غر ، لا معرفـة لـه بالحرب » (٣) ، إلاّ أننا هنا نرى أن ابن الأثير قد تحامل في وصفه السلطان ، فالسياسـة التي اتبعها تجاه الدول المجاورة ، تعكس ما يتمتع بـه السـلطان عزالديـن كيكـاوس مـن كياسة وحسـن تدبير ، إذ حـرص علـى الارتبـاط مـع ملـك قـبرص هيـو ، بعلاقـات اقتصادية حسنة ، ليأمن جانبه قبل توجهه لفتح سينوب . ثم استغل الظروف السياسية الـتي تمخضـت عـن انقسـام الإمبراطوريـة البيزنطيـة ، إلى إمـارتي طرابـزون ونيقيـة ، واستطاع تحييـد الإمبراطوريـة في نقيـة لجانبـه ، ثـم إجبـار إمـبراطور طرابـزون علـى الخضوع له ، والالتحاق بتبعيته ، ثم شل قوة الأرمن ، واستعاد ما فقـده مـن قـلاع ، وأجبر الملك الأرمني ليو على الإعتراف بالتبعية لدولة سلاجقة الروم .

---

(١) أحمد توحيد : أنطاليا سور لري كتابه لري ، ص ١٧٥ .

(2) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.319.

(٣) الكامل في التاريخ : ج١٢ ، ص ٣٤٩ .

الفصل الثالث

سلاجقة الروم في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ

٦١٦هـ / ١٢١٩م - ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م

- إطلاق سراح كيقباذ ومبايعته بالسلطنة .
- سياسته الداخلية .
- فتوحات السلطان كيقباذ في آسيا الصغرى وشبه جزيرة القرم.
- وفاة السلطان كيقباذ ونهاية العصر الذهبي .

إطلاق سراح علاء الدين كيقباذ ومبايعته بالسلطنة

حال مرض السلطان كيكاوس المفاجئ وموته وهو في سن مبكرة دون أن يتخذ له ولياً للعهد ، وأصبح عرش سلاجقة الروم شاغراً . فاجتمع كبار الأمراء (١) للتشاور في اختيار أحد المؤهلين من البيت السلجوقي لشغل هذا المنصب ، حيث أشار بعضهم إلى مغيث الدين طغرل شاه بن قلج أرسلان لمكانته السياسية ؛ فهو ملك أرزن الروم ، وعلى حد قول صاحب أخبار سلاجقة الروم أنه كان « محباً للرعية » (٢) . والبعض الآخر أشار بالابن الأصغر لغياث الدين كيخسرو كيفريدون ، ولكن أمير المجلس مبارز الدين بهرامشاه والجاشنكير سيف الدين أيبه كان لهما رأي آخر في شخص من يلي أمور السلطنة ، فهما من أفضل رجالات غياث الدين كيخسرو ، والأفضل لديهما بأن لا تخرج السلطنة من بيته وخاصة وأنهما تشككا في مغيث الدين طغرل شاه الذي سبق وأن تحالف ضد السلطان عزالدين كيكاوس ، كما أن كيفريدون صغير السن ، والدولة بحاجة لشخص قوي ومن بيت غياث الدين كيخسرو ؛ لذا أشارا باختيار ابنه علاء الدين كيقباذ لهذا المنصب وفي ذلك يقول ابن بيبي : « إلاّ أن الأمير مبارزالدين بهرامشاه أمير المجلس والأمير سيف الدين آيبه قالا إنه في حالة وجود أمير مثل علاء الدين كيقباذ لا يجب التفكير في شخص آخر » (٣) . ورغم أن بعض الأمراء قد أظهروا ترددهم تجاه علاء الدين كيقباذ معتبرين أنه شخص حقود ومتكبر ... وأنه سيسوم الناس جميعاً سوء العذاب » (٤) ، إلاّ أن الجاشنكير وأمير

---

(١) ضم اجتماع الأمراء إضافة إلى الجاشنكير سيف الدين آيبه وأمير المجلس مبارز الدين بهرامشاه ، زين الدين بشارة أميرة آخور ونظام الدين أحمد بن محمد بن محمود الوزير أمير العارض وشرف الدين محمد برواناه ومبارز الدين جاولي أمير الدواة ، كما شاركهم أمراء من الديوان مثل الصاحب مجدالدين بكر، والطغرائي شمس الدين حمزة بن المؤيد ، والصاحب شمس الدين الأصفهاني . انظر أخبار سلاجقة الروم، ص ١٠٠ ، ١٠١ ؛ Ibin Bibi, op.cit. p.200 ؛ منجم باشي المولوي : جامع الدول ، ورقة ٨٨ ؛ صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦أ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s326.

(٢) مؤلف مجهول ، ص ١٠٢ .

(٣) انظر : الأوامر العلائية ، ص ٢٠٠ .

(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

المجلس لم يحفلا بهذا الإعتراض ، وطلب الجاشنكير أن يذهب بنفسه إلى علاء الدين كيقباذ في معتقله بقلعة منشار لمبايعته وإحضاره لاستلام مقاليد الحكم . وسبب هذا الطلب هو أن الجاشنكير سيف الدين آيبه كان قد أشرف على إجراءات اعتقال علاء الدين كيقباذ ، فأراد بذلك أن يحصل على الأمان من السلطان الجديد حتى لا ينتقم منه ، ثم بعد ذلك أخذ البيعة من الأمراء للملك علاء الدين كيقباذ (١) ، واتجه إلى قلعة منشار .

وعندما اقتربت كوكبة الفرسان التي يقودها سيف الدين آيبه من القلعة وشاهدها علاء الدين كيقباذ عن بعد ، أوجس في نفسه خيفة ، وتوقع أنهم قدموا لقتله . فطلب من مستحفظ القلعة إشغالهم حتى يتوضأ ويصلي ركعتين قبل دخولهم عليه (٢) . وما أن وصل سيف الدين آيبه حتى طمأن الحارس وطلب مقابلة السلطان ، وعندما مثل بين يديه ، قدم له الخاتم والعمامة ، رمز السلطة ، وخر أمامه متذللاً طالباً العفو عما بدر منه والأمان على حياته . ولم يكتف بذلك ، بل جعله يقسم على كتاب الله بأن لا يصيبه بسوء طيلة حياته ، هو أو أي أحد من أتباعه (٣) . وقد حصل سيف الدين آيبه على طلبه ، ثم صحب السلطان علاء الدين كيقباذ إلى سيواس حيث يتواجد كبار الأمراء هناك لاستقباله .

وقد ذكر بعض المؤرخين (٤) بأنه عندما اشتد المرض على عزالدين كيكاوس ، وأحس بدنو أجله « أحضره عنده من السجن - علاء الدين كيقباذ - ووصى له بالملك ، وحلف الناس له ، ورغم أن هذه الرواية غريبة ، إلاّ أنها ربما تكشف لنا

---

(١) أخبار سلاحقة الروم، ص١٠٢؛ منجم باشي المولوي: جامع الدول، ورقة ٨٩ أ ؛
Ibn Bibi. op.cit. p.204 .
ابن العبري : غريغورس أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبري (ت٦٨٣هـ/١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، صححه وفهرسه: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، ص٤٠٧.

(٢) منجم باشي المولوي : جامع الدول ، ورقة ٩٠ ب ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.327: Ibin Bibi, s.205.

(٣) أخبار سلاحقة الروم ، ص ١٠٤ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦أ ؛ جامع الدول ، ورقة ٩٠ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.327.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٥٤ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٧٥ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.325.

السبب الحقيقي لإصرار الأمير سيف الدين آيبه ومبارز الدين بهرامشاه على أخذ البيعة لعلاء الدين كيقباذ بالذات ، إذ ربما أسر عزالدين كيكاوس لهذين الأميرين بذلك .

ولكن بطبيعة الحال ، لم يحضر علاء الدين كيقباذ إلى سيواس ، إذ أن مجريات الحوادث لم تشر إلى ذلك ، كما أن علاء الدين كيقباذ قد فوجئ بحضور الجاشنكير ومن معه وظن أن في الأمر هلاكه .

وكيفما كان الأمر ، فإن السلطنة استقرت لعلاء الدين كيقباذ واستُقْبل في سيواس استقبالاً يليق بمكانته ، وتقدم كبار الأمراء والأئمة والأعيان وبايعوه ، ثم أجريت مراسيم العزاء لوفاة السلطان عزالدين كيكاوس حيث لبس السلطان علاء الدين كيقباذ « الأطلس الأبيض ، وأعلنوا الحداد ثلاثة أيام » (١) ، وبعد انقضاء مدة العزاء خلع على الأمراء ومنح مناشير الإمارات والمناصب والإقطاعات » (٢) ، ثم خرج من سيواس متوجهاً إلى قونية عن طريق قيسارية وأقسرا ، وقد أقيمت الإحتفالات لاستقبال السلطان الجديد في هذه المدن وعلى الطريق الموصلة بينها (٣) . وقد بسط ابن بيبي في الأوامر العلائية مظاهر هذه الإحتفالات ورغم ما فيها من مبالغة إلاّ أنها تشير إلى ما تتمتع به دولة سلاجقة الروم من قوة اقتصادية ، كما أن هؤلاء الأمراء أعدوا هذه الاحتفالات لإرضاء السلطان ومحاولة إزالة ما بنفسه عليهم ، فقد كانوا جميعاً من أمراء السلطان عزالدين كيكاوس ، واشتركوا في حصاره في أنقرة، لذا أرادوا إظهار تقديرهم له ، وذلك ليأمنوا انتقامه . ثم طلب - السلطان علاء الدين كيقباذ - أمراء الأطراف حيث حضر كل من الأمير سيف الدين قزل وحسام الدين جوبان ، حاكم قسطموني (٤) ، حاملين الهدايا من الذهب والفضة

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠٦ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) ذكر ابن بيبي بأن الأمراء وضعوا ما اكتسبوه في أعمارهم وادخروه طوال حياتهم نثاراً لقدوم المليك وصنعوا خمسمائة حوسق (مقر صغير ينصب في بقعة بعيدة عن العمران) مائتي جارية وثلاثمائة ساكنة وزينوها جميعاً بغرائب السلاح والخرائد ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠٨ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.328; Ibin Bibi, op.cit. p.210.

(٤) قسطموني : قسطمونية ويقال كستمونية : وهي شرقي هرقلة وبينها وبين سينوب مسيرة ثلاثة أيام ، =

والمماليك وأيضاً بقية أمراء الأوج ومعهم هدايا كثيرة من الغنم والخيل والعبيد ، فأكرمهم السلطان وخلع عليهم ، وجدد مناشير الإقطاع لهم ، وعادوا إلى مواطنهم بعد مبايعتهم له (١) .

وهكذا استقرت الأمور للسلطان علاء الدين كيقباذ وتربع على عرش دولة سلاجقة الروم في العاصمة قونية وتأكد باعتراف الخليفة العباسي الناصر لدين الله به وإضفاء الصفة الشرعية على حكمه بمنشور السلطنة « ونيابة ممالك الدولة » (٢) .

سياسته الداخلية :

بعد إنهاء إجراءات توليه العرش واستقرار علاء الدين كيقباذ سلطاناً لدولة سلاجقة الروم في قونية كان عليه إجراء عدة ترتيبات لحماية دولته ، فمازال هناك توتر قائم بين دولة سلاجقة الروم والملك الأيوبي الأشرف بن العادل ؛ لذا حرص السلطان علاء الدين كيقباذ على إنهاء هذا الأمر بما يخدم مصلحة الدولة « فراسل الأشرف واتفق معه » (٣) . وبذلك أمن خطر هذه الجبهة والتفت لإصلاحاته الداخلية والمتمثلة في تحصين كبريات المدن وتقويتها بعمل الاستحكامات المنيعة (٤) ، وتحصين

=

كما أنها تقع غرب سينوب وبها ألف بيت من التركمان . ابن سعيد المغربي : ابن الحسن علي بن موسى بن سعيد (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) كتاب الجغرافيا ، حققه إسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٠م ، ص ١٩٥؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٩٣.

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١١ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦ب ؛ جامع الدول ، ورقة ٩٠ ب ؛

Ibin Bibi : op.cit. p.210 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.329.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٦ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦ب . أيضاً انظر تفصيل ذلك في الفصل الرابع ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ١٨٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٠ .

(٤) من المدن التي جدد أسوارها أو بنيت لها أسوار : قيساريه ودولو - من أعمال نيكده - وبقشهر . انظر: كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٨٥ .

قلاع الحدود ، وذلك لظهور خطر التتار (١) في الشرق واجتياحهم وسط آسيا واقترابهم من حدود خوارزم ووصولهم حتى القوقاز والقرم ، ويرجع اهتمامه هذا إلى إدراكه لمدى خطورة هذه الجحافل المدمرة سيما وأن بعض المدن المهمة قد خربت أسوارها أو أن هذه الأسوار غير محكمة لصد أي هجوم .

ومن أهم هذه المدن التي اهتم بها السلطان علاء الدين كيقباذ مدينتي سيواس وقونية . فسيواس ذات أهمية تجارية لأنها ملتقى طرق التجارة القادمة من الشرق إلى الغرب عبر الأناضول ، ومن بلاد الشام والعراق إلى سواحل البحر الأسود (٢) . وتقع على الخطوط الأمامية الشرقية . أما قونية العاصمة وقاعدة الحكم وموضع خزينة السلطان ، فهي مدينة شبه مكشوفة ، إذ أن سورها القديم أصبح في وسطها لنموها واتساع مساحتها . روى ابن بيبي بأن السلطان علاء الدين كيقباذ بينما كان يتنزه يوماً « ألقى بنظره صوب المدينة ، فرآها مدينة قد ازدادت بما فيها من بشر ومتاع ، بلغت مساحتها مسيرة يوم ، قد غرست في طولها وعرضها المزروعات والأشجار المثمرة » (٣) . لذا أصدر أمراً سنة ٦١٨هـ / ١٢٢٠م بإقامة سور حديد يحيط بالمدينة لحمايتها والدفاع عنها (٤) . ولأهمية هذا السور ، أشرف على إقامته بنفسه ، حيث

---

(١) تقطن قبائل التتار المنطقة التي يحدها شمالاً نهري أرقون وسلنجا ومملكة القرغيز وإقليم الخطا (الصين الشمالية) شرقاً وممالك الأيغور غرباً وإقليم التبت جنوباً ؛ وكانت هذه القبائل من أشد قبائل الجنس الأصفر بطشاً وجبروتاً في أقاليم آسيا الشمالية وهم يتشعبون إلى شعب كثيرة ، وكانوا يعيشون في صراع دائم مع بعضهم البعض ، ولم يهدأ صراع هؤلاء التتار حتى ظهور جنكيز خان. ولما كان هؤلاء التتار يعادون المغول ويناصرون القبائل الثائرة عليهم ، كان جنكيز خان ينظر إليهم على أنهم ألد أعدائه وأعداء آبائه وأجداده ، فبعد أن انتهى من القضاء على القبائل المناوئة له تفرغ للتتار ، فقام مع جنوده بالإجهاز عليهم واستئصال شأفتهم ، ولكن اسمهم غلب عليه وعلى أتباعه . فؤاد عبدالمعطي الصياد : المغول في التاريخ ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ص ٢٥ - ٢٧ .

(2) Claud Cahen : pre Otteman, p.164.

(٣) الأوامر العلائية : ص ٢٥٣ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٨ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.333; Ibin Bibi, op.cit. p.253.

(٤) نورة باذياب : قونية عاصمة سلطنة سلاجقة الروم : دراسة تاريخية حضارية ، رسالة غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٤٣ ؛ خليل أدهم : قيصريه شهري ، مباني إسلامية وكتابه لري ، مطبعة اورخانيه ، استانبول ، ١٣٣٤هـ ، ص ٤٦ .

جمع المعماريين والرسامين وتدارس معهم وضع تخطيط متكامل لسور مدينة قونية وعدد الأبراج المقامة عليه ، وكذلك المصروفات اللازمة لإنجازه . فالتزم بجزء من النفقات والمتمثل في إقامة أربع بوابات مع بعض الأبراج والأبدان [١] . وألزم كبار رجال الدولة وأمراءها بتحمل نفقات بقية الأبراج حيث شيد مائة وأربعين برجاً على طول امتداد ذلك السور على نفقة مائة وأربعين أميراً ، وبلغ محيط السور عشرة آلاف خطوة وارتفاعه ثلاثين ذراعاً [٢] ، واستخدم في بنائه أحجار مقدودة وقطع من مخلفات قديمة من التحصينات والعمائر اليونانية والرومانية والبيزنطية القديمة المتهدمة التي كانت توجد في المنطقة المحيطة بقونية [٣] . وحرص السلطان علاء الدين كيقباذ على إنجاز هذا العمل بأقصى سرعة وعلى غاية من الفخامة والقوة ، حيث" تواصل العمل ليلاً ونهاراً ولم يتركوا شيئاً إلاّ فعلوه في سبيل تقوية القواعد " [٤] . ووضع اسم كل أمير على القسم الذي تكفل به .

وكما حرص السلطان علاء الدين كيقباذ على قوة ومتانة هذا السور ، فقد حرص أيضاً على وضع لمسات جمالية ، حيث نقشت على أحجار مداخل السور الرئيسية نقوش وزخارف مقتبسة من الفن السلجوقي الفارسي والبيزنطي [٥] ، وزينت جنبات الأبراج والأبواب بآيات من القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول ﷺ ، وأبيات من منظومة " الشاهنامه " [٦] كتبت كلها على رخام " مرمر "أبيض ، وعلى الجانب الآخر زينت برسوم تحمل معاني الفخر والعظمة ، واختص كتابة اسمه وألقابه على

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٩ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.333.

(٢) كي لسترنج ، المرجع السابق ، ص ١٨١ ؛ نوره باذياب : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

(٣) نوره باذياب : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٩ .

(٥) تمارارايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفي الخوري وإبراهيم الداقوقي ، مراجعة عبدالحميد العلوجي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨م ، ص ١٨٧ .

(٦) كلمة الشاهنامه : كلمة فارسية مركبة بمعنى كتاب الملوك ، وهو كتاب يصور البطولات القومية في قوالب شعرية أشهرها الشاهنامه للفردوسي . انظر : أحمد عطية الله : المرجع السابق ، ج٤ ، ص ٣٩.

الأبواب بالحفر والنقش بالذهب »[1] ، ولم يكتف بذلك بل أمر بحفر خندق حول السور بعرض عشرين ذراعاً ليحفظ مدينة قونية من خطر السيول المنحدرة من الجبال الواقعة في شمال غرب المدينة حيث تصب هذه السيول في الخندق ثم تصب في المراعي المنبسطة حول البحيرة الموجودة في جنوب قونية[2] . وفي نفس الوقت ، كان قد أرسل إلى أمير المجلس مبارز الدين بهرام شاه في سيواس بأن يقوم بإنشاء سور قوي يحيط بها ويشاركه في ذلك الأمراء في تلك النواحي حيث أتمت هذه العمارة في سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م[3] .

وتتضح لنا قوة شخصية السلطان علاء الدين كيقباذ الحازمة وحسن سياسته الداخلية وبعد نظره من خلال مشاركة كبار أمراء الدولة في تحمل بناء وترميم استحكامات تلك المدن ، إذ أن قوة مركز هؤلاء الأمراء المالية والإدارية كادت تهدد أمن الدولة لولا تدخل السلطان وقضاءه عليهم . فقد كان لكبار الأمراء منذ عهد السطان غياث الدين كيخسرو اليد الطولى في التدخل في إدارة الدولة السلجوقية ، وازداد هذا النفوذ بعد وفاته حيث كان لهم الدور الكبير في تعيين السلطان وتقرير الكثير من القرارات العسكرية والسياسية وخاصة في عهد السلطان عزالدين كيكاوس. وقد تضرر السلطان علاء الدين كيقباذ من ذلك النفوذ وتلك القوة المتنامية لكبار الأمراء ، فلم ينس مشاركة هؤلاء الأمراء لأخيه عزالدين كيكاوس في حصاره في أنقره واقتياده إلى قلعة مشار وسجنه فيها ومعاناته من مرارة السجن طوال ثمان سنوات ، لذا أصبح يتحين الفرص للحد من هذا النفوذ والتخلص منهم ولم يكن ذلك بالأمر السهل ، إذ كان لعلو مناصبهم وفاعليتها في الدولة الأثر في ازدياد ثرواتهم وبالتالي توسع شعبيتهم في الدولة وكثرة عدد أتباعهم وحاشيتهم ، فقد كانت ضعف حاشية السلطان نفسه وخاصة الأمير سيف الدين آيبه الذي كان صاحب نفوذ قوي

---

(١) انظر : Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.332 .

(٢) نوره باذياب : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٩ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.333 ;
خليل أدهم : قيصرية شهري ، س٤٦.

على جميع الأمراء [١] ، ونفقات قصره تدل على تفوقه على السلطان علاء الدين كيقباذ ، حيث كانت تذبح يومياً ثمانون رأساً من الغنم من أجل إطعام منسوبي قصره ، بينما يذبح في قصر السلطان ثلاثون رأساً فقط من الغنم [٢]، أيضاً استهتار البعض الآخر بالسلطان وقد اتضح ذلك من دخول الأمير قتلوغجة ملطية بعد عودته من جهة الموصل أثناء استنجاد الخليفة الناصر لدين الله بالقوات الإسلامية ضد التتار ، وكان الأولى به التوجه مع السنجق[٣] السلطاني وتقديم فروض الطاعة للسلطان [٤].

لذا بدأ السلطان بالحد من ازدياد ثرواتهم وذلك بإلزامهم بالمشاركة في الأعمال الإنشائية في الدولة وتحصين المدن وبناء الأسوار ، رغم أن هذا جزء من واجباتهم الإقطاعية ، إلاّ أنه توسع في هذا الإلزام والإثقال عليهم بالمساهمات المالية . ذكر ابن بيبي أن السلطان بعد إتمام بناء أسوار قونيه أمر بأن ينقش كل واحد منهم – أي الأمراء – اسمه بالذهب على الحجر » [٥] ؛ فكان لهذا الإجراء أثره على الأمراء ، إذ زاد سخطهم وتذمرهم وأخذوا يفكرون في التخلص منه . فاجتمع كل من الجاشنكير سيف الدين آيبه وأمير آخور زين الدين بشاره وأمير المجلس مبارز الدين بهرامشاه والأمير بهاء الدين قتلوغجة وخططوا جميعاً للتخلص من السلطان علاء الدين كيقباذ، وإحلال أخيه كيفريدون سلطاناً للبلاد [٦] ، واختيار كيفريدون بالذات لصغر سنه ،

---

(١) منجم باشي المولوي : جامع الدول ، ورقة ٩٥ ؛
Ibn Bibi, op.cit. s.265 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.328.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٦ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye : op.cit, s.336.

(٣) سنجق : كلمة فارسية ، بمعنى الراية أو العلم ، واستخدم لفظ راية في المراجع التاريخية عادة للإشارة إلى الأعلام والشارات الحربية التي كانت ترفع في مقدمة الجند ، وتعقد على الرماح الطويلة ، وهي أكبر من الأعلام التي تستخدم في شتى المناسبات . وللرايات ألوان ترمز لشعارات الدول الإسلامية ، فاللون الأبيض كان شعار الأمويين والأسود للعباسيين والأصفر للأيوبيين والأحمر للسلاجقة والعثمانيين، محمد التونجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٢؛ أحمد عطية: المرجع السابق، ج٢، ص٤٨٤.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٥ .

(٥) الأوامر العلائية ، ص ٢٥٥ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٩ .

(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٧ ؛
Ali Sevim, Yaşar Yûcal : op.cit. s. 155-156 : Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.340.

وبالتالي استطاعتهم السيطرة عليه ، وتدبير الأمور وفق ما تقتضيه إرادتهم دون تدخل منه ، كما أنهم لم يخرجوا السلطة من بيت السلطان غياث الدين كيخسرو حتى لا تظهر لهم معارضة تدخلهم في دائرة النزاعات الداخلية .

وتتلخص الخطة التي أقرت من الجميع بدعوة السلطان علاء الدين كيقباذ إلى قصر الجاشنكير سيف الدين آيبة حيث ينفردون به ويفتكون به . ولكن هذه الخطة لم يكتب لها النجاح ليقظة السلطان علاء الدين كيقباذ وحرصه الشديد على رصد جميع حركات وسكنات هؤلاء الأمراء عن طريق زرع جواسيسه بين صفوفهم ، فما أن سمع أحد عيونه بهذه الخطة حتى أسرع بتبليغها لأقرب خواص السلطان وهما الأمير سيف الدين ابن حقه باز والأمير كمنيوس واللذين بدورهما نقلاها إلى السلطان . ولما يتمتع به السلطان من حنكة وبعد نظر ، فقد تأنى في إنزال العقوبة بهؤلاء حتى لا تقوم ثورة داخلية لا يستطيع السيطرة عليها لكثرة عدد أتباع هؤلاء الأمراء وحاشيتهم ، لذا بدأ بالإعتذار عن الدعوة التي وجهت إليه من قبل هؤلاء الأمراء (١) ، كما تتضح لنا قوة شخصية السلطان علاء الدين كيقباذ وقدرته العجيبة على معالجة المشكلات بهدوء ، إذ عمل على تقليص قوة خصومه بإصدار أوامره بعدم حمل السلاح مع هؤلاء الأمراء أثناء حضورهم لزيارة السلطان أو الإجتماع معه والإقتصار على أن يرافق كل أمير تابع واحد وهو المكلف بحذاء هذا الأمير (٢) ، ولم يتخذ إجراء مضاد لهؤلاء الأمراء أثناء إقامته في أنطاليه ، حيث عزا ابن بيبي ذلك إلى مشورة الأميرين ابن حقه بازوكمنينوس ، إذ أن صاحب أنطاليه مبارز الدين ارتوقش ، صديق لهؤلاء ، لذا فمن الأفضل معاقبتهم في قيصرية (٣) . وهذا ما حدث فما أن وصل

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٧ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.340; Ali Sevim, Yaşar Yûcel : op.cit. s.156.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٧ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.340.

(٣) لانفراد ابن بيبي بتفصيل أحداث هذه المؤامرة ، فإننا نأخذ برواياته ولكن بتحفظ ، فبالنسبة لعدم معاقبته الأمراء في أنطاليه لأن مبارز الدين أرتقوش صديقهم فيها وجهة نظر إذ ليس من شخصية السلطان قبول هذه المشورة لهذا السبب فلو أنه يشك بانحياز أرتقوش معهم لشمله العقاب . ثم إن أرتقوش محل ثقة السلطان ولن يرضى بأي مؤامرة ضده ولثقة السلطان به عينه فيما بعد أتابك لابنه =

قيصريه حتى دبر خطة لاستدراج هؤلاء الأمراء ومعاقبتهم . فاتفق مع النائب ابن حقه باز أوغلوا وأمير الحراس مبارز الدين عيسى والأمير كمنينوس لدعوة الأمراء إلى القصر وبعد دخولهم يقوم الحجاب بإغلاق الأبواب بسرعة ولا يسمح لأحد بالدخول بعدهم ، فيما يراقب كل من مبارز الدين عيسى وكومنينوس حديقة القصر(١).

وهكذا وقع الأمراء في يد السلطان وقبض على رؤساء المؤامرة سيف الدين آيبه ومبارز الدين بهرامشاه وبهاء الدين قتلوغجه واحداً تلو الآخر وحبسوا في القصر ، كما ألقي بمماليكهم وحراسهم في السجن ، ثم ختم على منازلهم بعد حصر ما تحتويه من أموال وثروات ، وصودرت جميع الأموال المنقولة وأدخلت في خزينة الدولة (٢) .

ولم تجد التوسلات والتضرعات (٣) من قبل سيف الدين آيبه وتذكير السلطان بالوعد الذي نطقه ووثقه أثناء مبايعته للسلطنة ، حيث أمر بإعدام سيف الدين آيبه وحبس زين الدين بشاره في بيت وأغلق الأبواب عليه وتركه يموت ببطء ، وسجن أمير المجلس مبارز الدين بهرامشاه في قلعة زمندو (٤) وبهاء الدين قتلوغجه في

=

غياث الدين كيخسرو سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م بعد ضم ارزنجان وتعيين ابنه عليها وإنما رأى معاقبتهم في قيصرية لأنها المدينة الثانية بعد قونيه للحكم السلجوقي ولوجود قصورهم بها ومعظم أتباعهم ولأن أنطاليا مجرد مشتى ومقر موقت فقد أجل ذلك إلى الرجوع إلى قيصرية ؛ الأوامر العلائية ، ص ٢٦٦ ؛ وانظر : أخبار سلاجقة الروم: ص ١٣٧ .

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٨ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٨ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.340 ;
خليل أدهم : قيصري شهري ، س ٤٧ ؛ منجم باشي المولوي : جامع الدول ، ورقة ٩٥ .

(٣) ذكر ابن بيبي بأن السلطان علاء الدين كيقباذ بعد قبضه على سيف الدين آيبه وبقية الأمراء ، أرسل مجدالدين إسماعيل والي قيصرية إلى سيف الدين آيبه في معتقله يسأله عن سبب جرأته وتحكمه فأجاب قائلاً : « في سنوات الغربة حملتك أنت وأخاك على كتفي ورييتكما وقصصت شعري الطويل وبعته لنسوة الروم من أجلكما لرغيف خبز لسد الرمق ، وأتيت بجسد أبيك الطاهر من الروم إلى دار الإسلام وانتشلتك من الحبس على خلاف رأي الأمراء ... » الأوامر العلائية ، ص ٢٦٩ ، أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٩ ؛ Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.340.

(٤) تقع زمندو في شرق قيسارية على بعد ٤٠ كم
Nejat Kaymaz : op.cit. 2.p.47.

توقات [١] . ولم تقتصر حركة التطهير تلك على هؤلاء الأمـراء ، فقـد ذكـرت بعـض المؤلفات التركية أن عدد الأمراء الذين أعدمهم السلطان علاء الدين كيقباذ بلغ أربعـة وعشرين أميراً [٢] . وأيضاً نال العقاب كـل مـن لـه صلـة بـهؤلاء الأمـراء مـن غلمـان وحاشية ، ونفى الأمير كمال الدين كاميار والترجمان ظهير الدين منصور وشمس الدين ولد قمر الخراساني ، وصادر ممتلكاتهم عندما شاهدهم يتناجون ، فشك أن هناك أمراً يدبرونه وقد توجهوا إلى خرتبرت ثم خلاط ، ولم يعودوا إلاّ بعد عامين وبشفاعة مـن الملك الأشرف موسى الأيوبي . وعندما أظهر كمال الدين كاميار إخلاصـه للسـلطان ولعدم تأكده من شكه ، فقد عفا عنه « ومنحه تشريفاً » [٣] خاصاً وألف دينـار أحمـر وخمسة من البغال المسرجة ... ، وأنعم عليه فأقطعه منطقة زارا [٤] ، ثم فيما بعـد ولاه قيادة قيسارية بمنشور صدر عام ٦٣٢هـ / ١٢٢٦م [٥] .

وقد علل المولوي هذه النكبة بأنها حسد وحقد من الأمراء فقال: « وكان منشـأ ذلك بمجرد الحسد وسعاية الأمراء الصغار بهم عند السـلطان طمعـاً في مراتبـهم » [٦] . وإذا كان هذا أحد الأسباب ، فإن سيطرة الأمراء على سلاطين الدولـة السـلجوقية في هذه الفترة وقوة نفوذهم قد باتت تهدد مركز السلطان نفسه ، وعلاء الدين كيقباذ بما

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٠ ؛ Ibn Bibi, op.cit. p.270 - 271 ؛ منجم باشي المولـوي : صحائف الأخبار ، ورقـة ٥٨٧ب ؛ , Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye . s.341.

(٢) عثمان توران عن سلجوقنامه ، ص ٣٤١ ؛
Osman Turan : Sèlçuklular Zamaninda Türkiye s.341; Ali Sevim, Yaşar Yûcel : op.cit. p.156.

(٣) التشريف الخاص : تقليد عرف من الخلافة العباسية واتخذه سـلاطين السـلاجقة ، ويعـود في الأصـل إلى تشريف الخليفة لمن يكلفه بعمل فيلبسه لباساً مناسباً ويعطـى لمـن كـان قـد غضـب عليه ، دلالـة علـى الرضا وعودته من المنفى . انظر محمد أحمد دهمان : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم : ص ١٤٢ ؛ Ibn Bibi : op.cit, p.273 .
زارا : تقع على الطريق المودي من سيواس إلى بلاد فارس ، وهي مدينة قليلـة الشـأن . كـي لسـترنج : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(5) Osman Turan : Türkiye Selçuklular Hakkinda Resmi Verikalar, 1988, s.89.
انظر ملحق ص ٣٣٨ - ٣٤٠ نص المنشور .

(٦) صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ب .

يتميز به من قوة شخصية ورغبته في إحكام جميع الأمور في يده أراد أن يطمئن على جبهته الداخلية قبل البدء في سياسة الفتح ، أقر ذلك ابن بيبي بقوله : « ولما كان السلطان قد فرغ من جهة قتل الأمراء وامتلأ وعاء الخزائن بالنقود والجواهر شرع في فتح البلاد والقلاع المتاخمة لحدود ممالكه » [١] .

على أية حال ، فقد أعاد السلطان تنظيم إدارته وفق رأيه وعين رجاله المخلصين على مناصب الأمراء الذين تخلص منهم ، فعهد للأمير كومنينوس بمنصب إمارة الأمراء بدل الأمير سيف الدين آيبه الجاشنكير [٢] . ولأن المصادر لم تحدد السنة التي وقعت فيها هذه المؤامرة ، وانفردت بها سلجوقنامه مجهولة المؤلف [٣] بتأريخها في الرابع من جمادى الأولى سنة ٦٢٠هـ / حزيران ١٢٢٣م ، فمن المحتمل أنها وقعت في هذه السنة ، وذلك تبعاً لسياق وقائع الأحداث .

---

(١) الأوامر العلائية ، ص ٢٧٤ . انظر : أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٢ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٠ ؛

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.341.

(3) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.341, 342.

فتوحات السلطان علاء الدين كيقباذ في آسيا الصغرى وشبه جزيرة القرم

بعد أن اطمأن السلطان علاء الدين كيقباذ إلى استقرار الأمور لصالحه داخلياً ، وتراجع القوات المغولية وابتعاد خطرها عن الأناضول وإشرافه بنفسه على بناء التحصينات حول كبريات المدن واكتمال بنائها ، أخذ يفكر في تأمين حدوده الجنوبية ، كما لا نستبعد رغبته في إيجاد مقر خاص له ولخزائن الدولة إذا تجددت الأخطار على الأناضول [1] . ويبدو أنه صرح بذلك لخواصه من الأمراء ، إذ ذكر المؤرخون بأن الأمير مبارز الدين ارتقوش صاحب انطاليا والكندصطبل أسد الدين إياس زينا له فتح قلعة كالونوروس [2] ، التي تشكل أيضاً خطورة على أنطاليه ، إن لم يسارع بالسيطرة عليها . وقد وجد علاء الدين كيقباذ في هذه القلعة ضالته ، فهي حصينة الموقع ، وتقع على ساحل البحر المتوسط . وبسيطرته عليها ، يصبح الساحل الجنوبي خاضعاً تماماً للدولة سلاجقة الروم سيما وأن فرصة استعانة حاكمها بقوى خارجية كمملكة أرمينية الصغرى المجاورة ، شبه مستحيلة [3] . ولإتمام هذا الفتح ،

---

(١) انظر ص ٧٩ من هذا الفصل .

(٢) تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط داخله في حون ، ويطلق عليها الروم اسم كالونوروس ، ويسميها الأوروبيون حاند لوره ، يحدها من الشرق الأرض ، ومن الغرب سلاجقة الروم ، وصاحبها كيرفاريد (كيراوارت) وكون جزء من اسمه يحمل لقب " كير " والتي تعني بالرومية السيد ، يدل على أنه بيزنطي ، وهذا حسب رأي عثمان توران ، ثم يناقض نفسه بقوله : إن الصليبيين عندما احتلوا القسطنطينية سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م ، جعل الإمبراطور البيزنطي عدداً من الحكام المحليين في كل جهة ، وصار كيراوارت حاكماً على القلعة المذكورة ، بينما نرى هنا أن هذا دليل على أنه أحد زعماء الأرمن الذين استوطنوا في قليقية منذ أواخر القرن الخامس الهجري ، حيث قامت بعض الإمارات الأرمنية في قليقية ؛ وهذا أيضاً ينفي قول منجم باشي المولوي بأن كيرفاريد (كيراوارت) ورثها عن آبائه وأجداده منذ زمن الإسكندر . منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨أ؛ ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ص ١٧١ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s. 335.

(٣) بعد وفاة ليون الثاني ، ملك الأرمن سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م ، انشغلت المملكة بأحداثها الداخلية وخاصة أزمة ولاية العرش ، الأمر الذي جعلها غير قادرة على مد يد العون لصاحب كالوتوروس للوقوف على تطورات تلك الأحداث . انظر : ستيفن رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، نقله إلى اللغة العربية : د. السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ج٣ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٨.

أمر على الفور باجتماع القوات من جهات الأوج في قونية ، و لم تمض عشر أيام حتى كانت الجيوش على أتم الاستعداد للانطلاق إلى قلعة كالونوروس ، حيث تحركت القوات السلجوقية البرية والبحرية ، وطوقت القلعة. ونظراً لصعوبة تضاريس موقع القلعة[1]، فقد قسم الجيش إلى ثلاثة أقسام . القسم الأول المشاة ومهمتهم تمهيد الطرق ، أما القسم الثاني القوة الضاربة من الفرسان والمعدات الحربية ، فقد كان مهمته نصب المنجنيقات [2] في أقرب موقع للقلعة ، بينما القسم الثالث مهمته مهاجمة القوات الدفاعية البحرية للقلعة .

قال ابن بيبي : " فأمر السلطان أن ينقسم الجيش أقساماً ثلاثة ، فتهاجم كالنمر على الجوانب قتلاً وحملاً ،وتسير طائفة كالتمساح عن طريق البحر للحرب والاكتساح ، ويركب فوج كأنه موج متلاطم نحو القلعة ، وينصب على ذلك التل منجنيق كالجبل " [3] .

وهكذا استمر هذا الحصار مدة شهرين ، عانى منها حاكم القلعة كيرفاريد (كيراوارت) وأيضاً السلطان علاء الدين كيقباذ ، ولكن نظراً لإحكام الحصار وقوته وعدم قدرة المدافعين على الصمود ، فضل كيرفاريد الاستسلام بشروط يمليها هو على أن تقتحم عليه القلعة ويخسر كل شيء ؛ إذ يبدو أن السلطان علاء الدين كيقباذ قد سمح لكثير من المتطوعين من صوفيه وفقراء بمصاحبة الجيش ليرهب صاحب القلعة

---

(١) وصف Pîrî Reis موقع علائيه بقوله : " عند الاقتراب من علايا من جهة البحر يتبين لنا المعالم التالية: ثلاثة جبال شاهقة لها ثلاث قمم منفصلة وتقع علائية في سفح الجبل الأوسط منها " ؛
Pîrî Reis : Kitab-IBahiriye, Minstry of Culture and Tourism of The Turkish Republic, Ankara, 1988, 4, 1603.

(٢) المنجنيقات : جمع منجنيق ، وهو آلة قاذفة استخدمها الفينيقيون قديماً ، وعنهم أخذها اليونان ، ثم انتشرت إلى بقية المناطق ، فاستخدمها الفرس ، ثم المسلمون . ويستخدم المنجنيق في معارك المدن أو ما يسمى حرب الأسوار والحصار ، وذلك لدك الأسوار بالحجارة وغيرها من المواد بصورة متتالية لإحداث ثغرات في الحصون والأبراج ، لغرض النفاذ داخلها وأيضاً قذفها بالمحروقات . للمزيد عن أنواع المنجنيقات وتركيباتها ، انظر : علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٨٣ ، هامش (٣) . محسن محمد حسين : الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٩ - ٣٠٧ .

(٣) الأوامر العلائية ، ص ٢٣٧ ، انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٤ .

بالكثرة العددية ، وأيضاً ليرفعوا حماس القوات بالدعاء ، إذ عندما استعصت القلعة ، وزع « على المتطوعين والفقراء المشاركين في الغزو عشرة آلاف درهم فضية ومائة رأس من العجول وألف رأس من الغنم » [١] ؛ وبذلك رفع معنويات الجند وشجعهم على القتال .

هنا اضطر كيرفاريد (كيروارت) إلى أن يرسل إلى الأمير مبارز الدين أرتقوش ، صاحب أنطاليا والذي كانت تربطه به صداقة لمجاورته إياه والمرافق للسلطان يطلب منه التوسط لدى السلطان علاء الدين كيقباذ لترتيب أمر الإستسلام على أن يضمن له الأمان على حياته وأولاده وأمواله [٢] وقد وافق السلطان على فتح باب المفاوضات وجرى الاتفاق على أن يتسلم السلطان القلعة وفي المقابل يمنح كيرافاريد إقطاعية آق شهر قونيه . وصدر له منشور بملكيتها وبعض القرى ، كما توثقت العلاقة بينهما بزواج السلطان من ابنة كيرفاريد [٣] .

ولم يذكر ابن بيبي تاريخاً محدداً لهذا الفتح ، ولكن يستشف من واقع سرده للحوادث أنها وقعت سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م ، ونقل عنه المولوي هذا التاريخ ولا يبتعد القاضي أحمد النكدي كثيراً ، إذ أرخ لهذا الفتح سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م . وأمام هذا وذاك ، يحتمل أن هذا الفتح حدث في أواخر سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م ، وقد رجح عثمان توران أن هذا الفتح حدث سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م ، وذلك بناء على حسب قوله « حسب تقويم قديم يذكر أنها سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م » [٤] .

على أية حال ، استطاع السلطان علاء الدين كيقباذ دخول قلعة كالونوروس

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٣ ؛
Ibn Bibi : op.cit. p.237 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.335.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٤ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ ب .
Osman Turan : Selçuklulari Zamanind Tûrkiye, s.336.

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٥ ؛
Ibn Bibi : op.cit. p.247 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.337-338.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ب ؛ القاضي أحمد النكدي : الولد الشفيق ورقة ١٤٨ ب ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.337.

الحصينة والمنيعة في مدة وجيزة قياساً لموقع القلعة التضاريسي والاستراتيجي [١] . ذكر المولوي « ولم يظفر بها أحد من الأعداء لكمال حصانتها حتى لم يقصدها أحد من سلاطين السلجوقية مع حرصهم على توسيع الملك واتصالها بملكهم ظناً منهم أنها ممتنع فتحها » [٢] . وقد سر السلطان علاء الدين كيقباذ سروراً شديداً لتحقيق هذا النصر لاحتواء القلعة « على الوفير من المزارع والعديد من المصانع وما لا حصر له من الذخائر » [٣] .

وعلى الفور ، أمر ببناء سور ضخم حول القلعة في مدة وجيزة تساوي أبراجه أبراج سور قونيه [٤] ، وحولها من نصرانية أرمنية إلى إسلامية سلجوقية تركية قلبا وقالباً ، إذ غير اسمها إلى العلائية نسبة إلى اسمه ، كما هدم الكنائس واستبدلها بمساجد وجوامع تقام فيها شعائر الإسلام ، ورفع الآذان على المنابر بدل أصوات النواقيس ، وأجرى لذلك أوقافاً كثيرة ، ثم نقل إليها العلماء وأصحاب الحرف ، كما أسكن التركمان في سوادها وحصنها بالرجال والسلاح [٥] . وأسس بها المنشآت المدنية التي تليق بمكانته واسمه ، حيث جعلها مكاناً للاستراحة ومشتى له ولخلفائه من بعده ، ونقل خزائنه إليها [٦] ، حيث بنى قصراً ذا اثنا عشر باباً ، كما اتخذ رجال الدولة وأمراؤها قصوراً ومنازل لهم فيها ، وأسست بها المدارس والحمامات [٧] .

ونظراً لموقعها الاستراتيجي التجاري لاستقبالها تجارة مصر والشام ومرور القوافل التجارية البحرية بها ، فقد أنشئت بها أيضاً استراحات القوافل . وقد ذكر

---

(١) علل منجم باشي المولوي بأن تسهيل أمر ذلك الفتح بقوله : « ببركة أحد الأولياء » ويبدو أن تبني سلاطين السلاجقة في تلك الفترة الصوفية ورعايتهم لها جعل كل إنجاز يحدث يعول على بركة هذه الرعاية . صحائف الأخبار : ورقة ٥٧٨أ .

(٢) صحائف الأخبار : ورقة ٥٧٨أ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٥ .

(٤) انظر : Ibn Bibi: op.cit.p.249. Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.337

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٥ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ ب .

(6) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.338.

(7) Osman Turan : Salçulular Zamaninda Türkiye, s.337.

ابن بطوطة أن مدينة علائية يقطنها التركمان [١] ، ويأتي إليها التجار من مصر [٢] والإسكندرية والشام ، وتصدر منها الأخشاب ، كما شاهد القلعة العظيمة التي أنشأها السلطان علاء الدين كيقباذ ، وهي في أعلى المدينة [٣] .

ولكونها قاعدة تصدير الأخشاب ، فقد استغل السلطان ذلك وأنشأ داراً لصناعة السفن مازالت ترى فيها بقايا أخشاب بناء السفن وغير ذلك من المنشآت الخاصة ببحرية السلاجقة العظيمة [٤] . وبذلك أصبحت علائية مساندة لمدينة أنطاليا في تواجد الأساطيل الحربية لخوض غمار الحروب البحرية والدفاع عن دولة سلاجقة الروم من الجنوب ، كما كانت تقوم بهذه المهمة مدينة سينوب في الشمال على البحر الأسود . ونقل عن السلطان علاء الدين كيقباذ قوله : « أنه إذا هجم الأعداء الأقوياء على بلادنا وتعرض عند ذاك أولادنا وأحفادنا للهزيمة ، فإنهم يلجأون إلى هذه القلعة وإلى سينوب» [٥]. كما أمن الطريق بين العلائية وأنطاليا بالاستيلاء على قلعة آلارا [٦]،

---

(١) شعب آسيوي يعيش منذ عهود قديمة حياة متبدية في آسيا الوسطى أو فيما يعرف بما وراء بحر قزوين. ويتميز التركمان من الناحية الجنسية بالجمجمة المستطيلة المرتفعة ، ومن ناحية الحياة الاجتماعية والسياسية معيشتهم القبلية وعدم استقرارهم في المدن . واشتهر التركمان بصناعة بعض أنواع فاخرة من البسط « السجاد » . أحمد عطية الله : المرجع السابق ، ص ٤٥٩ .

(٢) كان من الأسباب التي عرضها المستشارون على السلطان علاء الدين كيقباذ للإسراع في فتح قلعة كالورنوس (علائية) كما ذكر ابن بيبي قولهم : « بينما فرضت من جانب البحر خراجاً ثقيلاً على رقبة مصر » أي أن تجار مصر عانوا من الرسوم الجمركية من قبل كيرفارد ، وهذا يؤثر في الحركة التجارية التي تهم سلاطين سلاجقة الروم وباستيلائهم عليها يؤمنوا طرق التجارة ويشجعوا التجار من خارج الأناضول على التعامل معهم بكل راحة وحرية ، الأوامر العلائية ، ص ٢٣٦ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ج١ ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٤) كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٥) نقلاً عن هامش ٢٥ ؛ Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye ,s.338.

(٦) تقع آلارا على الطريق بين العلائية وانطاليه انشئت على رأس جبل شاهق حيث اعتزل فيها أخوكيرفارد وأعرض عن اللذات الدنيوية وفضل لبس الصوف الخشن ، ونظراً لإصابته بمرض الفالج وتمكنه منه فإنه لم يستطع تحمل خبر صعود القوات السلجوقية لاستنزاله فمات وسهل بذلك أمر الإستيلاء عليها .

أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٧ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨أ ؛ Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.336 ; Enver Behnan şapolyo : selçuklu imparatorlugu Tarihi, Güver matbaari Ankara, 1972, s.166.

وهي تابعة لأخ كيرفارد ، حيث رفعت رايات السلطنة على أسوارها [1].

ولما كان فتح كالورنوس (العلائية) أول أعمال السلطان علاء الدين كيقباذ التوسعية ، فقد حفزه نجاحه على المضي قدماً في استكمال توسعاته شرقاً على حساب الإمارات الأرتقية [2] .

فاتجه إلى الشرق لتوسيع نطاق نفوذه سيما وأن أطماع السلطان جلال الدين منكبرتي [3] (٦١٧ - ٦٢٨هـ / ١٢٢٠ - ١٢٣١م ، شاه خوارزم ، أخذت تتضح وتمتد غرباً نحو ديار بكر [4] . لذا استغل السلطان علاء الدين كيقباذ أول الفرص

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٧ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ أ .

(٢) الأراتقة : يرجع اسم الأراتقة إلى جدهم أرتق بن أكسك ويلقب بظهير الدين ، وينتمون إلى قبيلة الدغر (Doger) وكانت هذه القبيلة من جملة القبائل التركمانية التي انتظمت في صفوف القوات السلجوقية التي عمل سلاطينها على استمالة زعماء هذه القبائل ، بمنحهم الإقطاعات والاستقلال الذاتي داخل نطاقها كما سعوا إلى جذبهم إليهم بمختلف الوسائل كتفويضهم قيادة بعض الحملات العسكرية وتعليم أبنائهم الاضطلاع بالوظائف العسكرية والإدارية ، واستمرت الإمارات الأرتقية في الفترة من (٤٦٥ - ٨١٢هـ / ١٠٧٢ - ١٤٠٩م) .

انظر : عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ٢٥ ، ٥٧ - ٥٨

(٣) جلال الدين محمد ابن السلطان علاء الدين أبي الفتح محمد بن تكش بن آلب أرسلان بن اتسر بن محمد بن أنوشتكين ، ملك بعد وفاة أبيه سنة ٦١٧هـ / ١٢٣٠م ، وكان والده قد خلع ابنه قطب الدين آزلاغ شاه من ولاية العهد وفوضها لجلال الدين بعد أن اشتد به المرض ، وأعلن ذلك أمام ابنيه أزلاغ شاه آق شاه، ويعود ذلك إلى ثقته المطلقة في جلال الدين لاستعادة مجد وقوة الدولة الخوارزمية. وبالفعل استطاع استعادة ملكه واتخاذ مراغه عاصمة له ؛ واتسعت الدولة في عهده حتى شملت معظم بلاد فارس ودخل في حكمها مرو ونيسابور والري وهمذان وأصفهان ، وكان حائط الصد بين المغول وغرب العالم الإسلامي الآسيوي . وبوفاته سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م ، انطلق المغول إلى الغرب الإسلامي . للمزيد انظر : النسوي : نور الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي (عاش قبل ٦٣٩هـ) : سيرة جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حافظ حمدي ، القاهرة ، ١٩٥٣م ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص ٢٥٢ - ٢٩٩ .

(٤) هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديله بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . ومحلها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٩٤ ، انظر : ابن شداد : عزالدين محمد ابن علي بن إبراهيم (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) . الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى عبارة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٨م ، ج٣ ، ق١ ، ص ٢٤٦ .

لتحقيق أهدافه التوسعية الشرقية ، فأسرع بتلبية طلب الملك الأشرف موسى الأيوبي والذي تربطه به صداقة منذ سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م لمهاجمة آمد [(١)] ليشغل الملك مسعود بن محمد قرا أرسلان الأرتقي (٦١٩ - ٦٢٨هـ / ١٢٢٢ - ١٢٣١م) ؛ وهذا ما ذكره ابن الأثير [(٢)] كسبب لتوجه السلطان إلى شرق الأناضول بينما نجد عند ابن بيبي سبباً آخر مع إغفال السبب السابق ، حيث قال : « عرض أصحاب الأخبار على حضرة العاهل أن الملك مسعود ، صاحب آمد ، قد انحرف برأسه عن رقبة الولاء للسلطان واستنصر بالملك « الكامل » وجعل الخطبة والسكة باسمه » [(٣)]، بينما عرض المولوي [(٤)] كلا السببين دون تعليق أو ترجيح لأحدهما . وبالتمعن في الأسباب الآنفة ، نجد أن طبيعة العلاقات السياسية في ديار بكر تتأرجح بين التبعية لسلاجقة الروم تارة وللملوك الأيوبيين تارة أخرى ، وذلك حسب ما تتطلبه مصالحهم السياسية . وبظهور جلال الدين خوارزم شاه كقوة سياسية تهدد المنطقة ربما فضل ملوك الأراتقة الإستجابة لطلبه ، مما أثار الملك الأشرف سيما وأنه كان في هذه الفترة منشغلاً بصراعه مع أخيه المعظم عيسى صاحب دمشق [(٥)] ، لذا فإن الأسباب الآنفة محتمل صحتها كلها .

---

(١) تقع على غربي دجلة ، وهي مشهورة بأغنياء التجار وكثرة الملاهي ، وفي شرقيها بحيرة أرجيش . سميت بآمد بن البلندي بن مالك بن ذعر لأنه أول من اختطها وهي على دجلة ويحيط بها سوران . ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، قسم الجزيرة ، ج٣ ، ق١ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ؛ ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص١٧١ ، ١٧٢ ؛ انظر : أحمد عطية الله : المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٧٨ .

ذكر ابن الأثير : أن جلال الدين خورزم شاه والملك المعظم عيسى صاحب دمشق ومظفر الدين ابن زين الدين صاحب إربل وصاحب آمد وناصر الدين صاحب ماردين اتفقوا على مهاجمة بلاد الأشرف موسى وأخذها ، وكان ذلك في جماد الآخرة سنة ٦٢٣هـ / مايو ١٢٢٦م وتنفيذاً للاتفاق بدأ جلال الدين خوارزم شاه بمهاجمة أخلاط وأثناء ذلك جاء خبر بعصيان نائبه في كرمان فترك خلاط وعاد لبلاده فانفرط بذلك عقد التحالف ضد الأشرف الذي كان قد استنجد بعلاء الدين كيقباذ . لمزيد من التفصيل انظر : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص ٤٥٣ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص١٠٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص ٤٥٩ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص١٠٢.

(٣) الأوامر العلائية ، ص ٢٧٥ .

(٤) صحائف الأخبار : ورقة ٥٧٨ب .

(٥) للإطلاع على أبعاد الصراع بين الملك الأشرف وأخيه المعظم عيسى ، انظر : د. علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ١١٨ - ١٢٤ .

وكيفما كان الأمر ، فقد سار علاء الدين كيقباذ في شعبان سنة ٦٢٣هـ / أغسطس ١٢٢٦م ونزل بملطيه ، ومنها أرسل قواته التي قسمها إلى قسمين : قسم اتجه إلى قلعة كاختا [(١)] بقيادة الأمير مبارز الدين جاولي ، والقسم الثاني اتجه إلى قلعة جمشكزاك [(٢)] بقيادة الأمير أسد الدين كندصطبل[(٣)] . وبدخول العساكر السلجوقية ديار بكر وتطويقها قلاع الملك مسعود ، أدرك مدى حرج موقفه وعدم قدرته على التصدي لهذه الجموع ، فاستنجد بالملك الأشرف موسى بعد أن « عاد إلى موافقته » [(٤)] . وبناء عليه ، أرسل الملك الأشرف إلى السلطان علاء الدين كيقباذ يطلب منه الكف عن بلاد الملك مسعود وإعادة ما أخذه منه ، ولكن ذلك لم يعجب السلطان علاء الدين كيقباذ وغضب من موقف الملك الأشرف ورد جوابه مع رسول الأشرف بقوله : « قل لصاحبك إنني لست بنائبه وعامله حتى أحيء بأمره وأعود بأمره » [(٥)] ، وبذلك تأزمت العلاقة بين السلطان والملك الأشرف ، صديق الأمس ، وذلك بسبب وقوف الأشرف في وجه خطط السلطان التوسعية . وأما م إصرار السلطان بعدم العودة عما بدأه وجد الأشرف نفسه مضطراً إلى إرسال قوات لمساندة الملك مسعود ، فاتجه عشرة آلاف فارس من قبائل الأكراد والعرب بقيادة عزالدين بن بدر [(٦)] لنجدة آمد ، حيث انضمت القوات الأشرفية بمن احتمع لصاحب آمد من عساكره والتي بلغت ستة آلاف فارس [(٧)] . فالتقت هذه القوات بقوات القائد

---

(١) كختا : قلعة عالية البناء ، حصينة ، بينها وبين ملطية مسافة يومين سيراً على الأقدام ، في طرف الحد الشمالي للشام ، وهي تابعة لآمد . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ . ابن شداد ، المصدر السابق ، ج٣ ، ق١، ص٢٤٨.

(٢) جمشكزاك : أحد الحصون التابعة لآمد . انظر ابن شداد : المصدر السابق ، ج٣ ، ق١ ، ص٢٤٧.

(٣) الكندسطبل : كانت تعني أولاً وظيفة أمير أخور ثم عنوا بها أمير الجيوش . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٤٨ . انظر ص ٣٧ من البحث .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ٤٥٩ .

(٥) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩أ ؛ ابن واصل: المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٣.

(٦) عزالدين بن محمد بن بدر الحميدي ؛ ابن نظيف الحموي : أبو الفضائل محمد بن علي (عاش في النصف الأول من القرن السابع الهجري) ، التاريخ المنصوري ، تحقيق د. أبو العيد دودو ، مطبعة الحجاز، دمشق ١٤٠١هـ ، ص ١٣١ ، هامش (٢) .

(٧) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩أ ، أخبار سلاجقة الروم ، ص١٤٣ ، ١٤٤ ؛
=

السلجوقي مبارز الدين جاولي في شوال سنة ٦٢٣هـ / سبتمبر ١٢٢٦م ، حيث نجحت القوات السلجوقية في إنزال هزيمة ساحقة بقوات الملك الأشرف وتابعه صاحب آمد ، وأسر القائد عزالدين بدر والإستيلاء على قلعة كاختا بالأمان ورفع أعلام السلطان علاء الدين كيقباذ عليها والاستيلاء أيضاً على حصن منصور [١] .

وفيما نجح الأمير مبارز الدين جاولي في مهمته هذه ، أيضاً استطاع الأمير أسد الدين كندصطبل الاستيلاء على قلعة جمشكزاك رغم المحاولات المستميتة من جانب المدافعين لدفع القوات السلجوقية ، إذ بلغ بهم الأمر أن دخل رماة السهام في صناديق من حديد بها ثقوب لإطلاق سهامهم مما أحرج موقف الكندصطبل وجعله يبحث عن طريقة لدخول القلعة حيث اهتدى إلى وجود ثغرة في السور ، فأمر النقابون بتوسيعها [٢] ، ومنها استطاع اقتحام القلعة واستنزال مستحفظها ومن ثم رفع راية السلطنة على شرفاتها وإرسال رسالة البشرى إذ ((كتب الكندصطبل رسالة مشتملة على تفاصيل ماوقع من حكايات والتهنئة بالفتح الثاني ... وأرسلها إلى حضرة السلطنة)) [٣] ، وبسيطرة القوات السلجوقية على تلك القلاع أمر السلطان بتعيين محافظين له فيها وتزويدها بالمقاتلين لحمايتها وعمل سجلات للضرائب ، كما أحسن للقادة والأمراء وزاد من اقطاعياتهم [٤] .

=

Ibn Bibi : op.cit. p..276 ;

نلاحظ هنا أن العدد مبالغ فيه وهو ستة عشر ألف فارس (القوات الأشرفية وقوات صاحب آمد) . ونظراً لاقتصار ذكر هذا العدد في المصادر التركية دون العربية فربما جاء ذلك من باب التعصب وإظهار قوة السلاجقة إذ استطاعوا هزيمة هذا العدد الهائل .

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٥٩ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٩٤٤ . ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٠٣ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص ١٠٢ .

حصن منصور : من أعمال ديار مضر غرب الفرات قرب سميساط كان مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب وفي وسطها حصن وقلعة وعليها سوران . انظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ج٢، ص ٢٦٥ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٨ ؛ Ibn Bibi: op.cit. p.284

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٨ ؛ Ibn Bibi: op.cit. p.284

(٤) انظر : Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.349

وأمام تهاوي القلاع الأرتقية أمام قوات السلطان علاء الدين كيقباذ وانشغال الملك الأشرف موسى بمشكلاته مع أخيه المعظم عيسى صاحب دمشق ، اضطر الملك مسعود صاحب آمد إلى إعلان التبعية والخضوع لدولة سلاجقة الروم ، فأرسل رسولاً إلى السلطان علاء الدين كيقباذ محملاً بالهدايا والأموال طالباً الصلح ومعلناً تبعيته لدولته ، وبناء عليه يلتزم الملك مسعود بدفع مبلغ من المال سنوياً لم تحدده المصادر التاريخية والخطبة باسم السلطان علاء الدين كيقباذ ، وضرب السكة باسمه (١) .

وهكذا تحقق للسلطان علاء الدين كيقباذ مد نفوذ دولته شرقاً ووضع قدم له في بلاد الجزيرة على حساب الأراتقة ، وفي نفس الوقت وطد علاقته مع بني أيوب بالمصاهرة فاطمأن من جهة بلاد الشام والجزيرة . (٢)

فأتاح له ذلك الوضع صرف جهوده العسكرية والسياسية لتأمين حدوده الجنوبية المتاخمة للأرمن والتطلع شمالاً لفتح مناطق جديدة ومد النفوذ السلجوقي بعبور البحر الأسود ووضع قدم له في تلك البلاد بدخول جزيرة القرم وذلك لهدفين : الأول استغلال حالة الفوضى والإضطراب السياسي والعسكري هناك بعد هجوم التتار سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م على بلاد الروس (٣) والقفجاق (٤) ودخولهم صوداق (٥) وتشريد

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٤٩ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩أ ؛
The Cambridge History of Islam, Vol. IA. p.247.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٥٠ - ١٥٤ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٨٤ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩أ ز .
Osman Turan : Selçuklulari Zamaninda , op.cit. s.349-351.

(٣) أمة من الأمم بلادهم متاخمة للصقالبة والترك ولهم لغة (خاصة) ودين وشريعة لا يشاركهم فيها أحد وهم في جزيرة وبئة تحيط بها بحيرة ، وهي حصن لهم ممن أرادهم وليس لهم زرع ولا ضرع . مهنتهم التجارة وهم شقر حمر يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه ويخرج إحدى يديه منه ، ومع كل واحد منهم سيف وسكين وفاس لا تفارقه وسيوفهم صفائح مشطبة . للمزيد ، انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٧٩ - ٨٣ ؛ انظر : ابن فضلان : أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد (عاش في القرن الرابع الهجري) : رسالة ابن فضلان ، تحقيق د. سامي الدهان ، مكتبة الثقافة العالمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م ، ص١٤٩-١٦٦.

(٤) القفجاق : الأتراك من قبائل الغز مساكنهم في جبال من وراء دربند شروان مما يلي بحر الروس ولهم عليه مدينة اسمها سرداق وبحر القفجاق هو بحر أزوف انظر ابن فضلان : المصدر السابق ، ص ١٠٦ هامش ٦ .

(٥) صوداق (أو سغداق) : أهلها أخلاط من الأمم والأديان ، والأمر فيها راجع إلى النصرانية وهي على =

أهلها ، حيث لجأ قسم كبير منهم إلى الأناضول احتماءً بالسلطان علاء الدين كيقباذ[١] ، والهدف الثاني تشجيع تجارة العبور المارة ببلاد الأناضول سواء من الشمال أو من الجنوب ، وما يتبع ذلك من تأمين طرق التجارة ورعاية التجار أنفسهم . وقد أقر مؤرخ سلاجقة الروم ابن بيبي [٢] ذلك عند ذكر فتح سوداق وغزو جيش السلطان بلاد الأرمن ، كما لخص المولوي [٣] تلك الأسباب بقوله : « حضرته - أي السلطان - طوائف من التجار .. طائفة تشكو من القفجاق الذين يسكنون صوغداق .. في جزيرة القرم .. وشكت طائفة أخرى من لفون الأرمني تكفور بلادسيس وأخرى من الفرنج الذين على سواحل بحر الروم وبلادهم قريبة من بلاد السلطان فتظلموا إلى السلطان » [٤] ، كما أن كلود كاهن ذكر سبباً آخر لاستنفار القوات لفتح صوداق وهو مضايقات صاحب طرابزون للسفن السلجوقية والتجار المتجهين إلى سينوب [٥] .

وكيفما كان الأمر ، فإن السلطان استجاب لاستغاثة هؤلاء التجار وأعد في وقت واحد ثلاثة جيوش : الأول لفتح سوداق ، وضمها بشكل رسمي إلى دولة سلاجقة الروم [٦] بقيادة الأمير حسام الدين

=

بحر نيطش (البحر الأسود) الذي يسافر فيه التجار منها إلى القسطنطينية وفي سمتها من الجانب الجنوبي سينوب ... ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ : أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٢١٤ ، ٢١٥ .

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٥٦.

(٢) الأوامر العلائية ، ص ٣٠٢ .

(٣) صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩أ ، انظر :

Veryonis, Speros : The Declire of Medieval Hellenism in Asia Minor and Process of Islamization from the Eleventh Through The Fifteenth Century, Berkeley Los Angelos London, 1971, p.166.

(٤) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩أ ؛ لفون : ليون الأرمني . تكفور : لفظة أرمنية بمعنى ملك وكان يطلق على متملك سيس في عصر المماليك . انظر : ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٤٤٨ حاشية رقم (٢) ؛ حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

(5) Claude Cahen : Pre-Ottoman, p.126 .

(٦) ذكر منجم باشي المولوي : بأن القبجاق في صوداق كانوا يرسلون إلى السلطان تحفاً وهدايا كل سنة .

=

حوبان [١] ، والثاني لتأديب الأرمن وإزالة القلاع المهددة لطرق التجارة بقيادة الأمير مبارز الدين حاولي الجاشنكير والأمير كومنينوس والثالث بقيادة الأمير مبارز الدين أرتقوش لتأديب فرنج الساحل[٢] .

توجه الأمير حسام الدين حوبان ماخراً عباب البحر الأسود باتجاه صوداق ، وهنا تظهر لنا قوة دولة سلاجقة الروم البحرية ، إذ ذهل أهل الصغد مما شاهدوه من سفن حيث شبهها ابن بيبي بـ « غابة من السفن والقلاع قد جرت فوق البحر » [٣] ، مما جعل أهل صوداق يبدأون بالاعتذار من الأمير حسام الدين حوبان ويحاولون كسب الوقت لطلب النجدات من القفجاق والروس ضد القوات السلجوقية وحاولوا استرضاء القائد السلجوقي ببعض المال ، إذ عرضوا خمسين ألف دينار مقابل الأمان [٤] ، ولكن نظراً لأن الهدف من هذه الحملة الفتح والإستيلاء فإن هذا المبلغ من المال لا يساوي شيئاً أمام مكانة صوداق التجارية والتي تعد مصدراً « للفراء والعسل والعبيد الذين كانوا يجلبون من هناك » [٥] إضافة إلى مكانتها الإستراتيجية .

=

كما أن صاحب أخبار سلاجقة الروم ذكر تساؤل الصغد عن سبب هذه القوات وإذا كان بسبب الفتور في أداء الجزية ورسم العبور فيمكن سداد ما ترتب على ذلك من غرامة دون تلك القوات . وبما أن تلك الروايات توحي بأن سكان صوداق كانوا يدينون بنوع من التبعية لدولة سلاجقة الروم إلاّ أنه لم تقع أيدينا على ما يثبت ذلك أو ينفيه ، ولكن ربما يعود سبب ذكر تلك الروايات إلى اختلاف على الرسوم الجمركية التي يطلبها أي كيان سياسي تمر به تجارة ما ، وربما أن الصغد قد فرضوا رسوماً كبيرة على تجارة الأناضول ، يوضح ذلك قولهم « ورسم العبور » وقد فهم رواة تلك الحوادث بأن الأمر فيه جزية ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩أ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٥٨ .

(١) حسام الدين حوبان أمير حدود قسطموني ، تميز بذكائه وبطولته وكثرة أتباعه وجنده ، اكتسب محبة السلطان علاء الدين كيقباذ لحمايته العلماء والشعراء كما اكتسب مكانة عالية في الدولة وكان يشتري المماليك القفجاق القادمين من الشمال ويرعاهم ويعلمهم ثم يرسلهم للغزو إضافة إلى جنده التركمان وقد استمر حكم أبناء حسام الدين حوبان في قسطموني وحافظوا على إمارته ؛ زامباور : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٢٢٣ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.358.

(٢) يقصد بالساحل: الساحل الجنوبي للأناضول والمشرف على البحر الأبيض المتوسط ؛
Ibn Bibi, op.cit. p.311

(٣) الأوامر العلائية ، ص ٣١١ ، أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٥٨ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٥٩ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ب ؛
Erdogan Mercil : Na'l-baha ve kullanilişina ... s.225 .

(5) Vryonis : op.cit. p.166 ; Clod Cahen : pre Ottoman Turkiye. p.166.

على أية حال ، فإن الأمير حسام الدين جوبان ما أن نزل إلى اليابسة حتى أخذ في الاستعداد للمواجهة العسكرية واتخاذ التدابير اللازمة لذلك وخاصة طريقة القتال ، فقد أمر مقاتليه باتباع الأسلوب الدفاعي إلى أن يعرفوا طريقة القتال المتبعة في بلاد القفجاق حيث قال : « فإذا ما علمنا طريقة قتالهم حملنا عليهم دفعة واحدة كي نظفر بحسن الذكر » (١) . التقت القوات السلجوقية بقوات الحلفاء - الروس والقفجاق والصغد - ولشدة المعركة وإدراك القفجاق عدم قدرتهم على الثبات فضلوا الفرار والإنحلال من عقد الحلف ، حيث انسحبوا من أرض المعركة مفضلين ذلك على الاستمرار والخسارة ثم تبعهم بعد ذلك قوات الروس ولكن ليس فراراً من القتال وإنما طلباً للصلح ، فأرسل ملك الروس رسولاً يسعى له في هذه المهمة لدى الأمير حسام الدين جوبان وحمل الرسول هدايا قيمة تمثل « الجلود والكتان الروسي وعشرين ألف دينار » (٢) كعربون للصلح وطلب العفو ، وبطبيعة الحال ، فإن هذه فرصة للقائد السلجوقي في التخلص من قوة الأعداء وتقليصها قدر الإمكان ليسهل تحقيق ما يصبو إليه من هدف ، فقبل الصلح مع ملك الروس حيث حيد هذه القوة من مساندة الصغد الذين مازالوا متحصنين في القلعة ، إذ أنه على الرغم من خروج القفجاق والروس من دائرة القتال إلاّ أنه مازال من الصعوبة قتال الصغد خارج أسوار القلعة ، لذا طبق الأمير حسام الدين جوبان خطة الإرتداد الظاهري (٣) والتي ترمي إلى استدراج الصغد إلى القتال في ميدان مكشوف والابتعاد بهم عن المدينة ، حيث أوهمهم بالإنهزام وتراجع قواته ، مما يجعلهم يجدون في أثرهم للنيل منهم ، فما كان

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٥٩ ؛ علي عودة الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص١٩٨ .

(٢) منجم باي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ب ؛ علي عودة الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ص ٢٠١ .

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye s.358.

(٣) كانت بعض فرق الجيش الإسلامي تتظاهر بالهزيمة وتقوم بالارتداد لدفع المهاجمين لملاحقتهم وأحياناً التوجه بهم إلى مكان الكمين فيتم الإطباق عليهم وقد أتاحت خفة الحركة للفرسان المسلمين القيام بذلك . انظر د. إبراهيم خميس إبراهيم : الحيل والخدع العسكرية الإسلامية منذ بداية الغزو الصليبي حتى وفاة نور الدين محمود زنكي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٨٨ ، المجلد ٣٦ ، ص ١٧٣ .

من القائد حسام الدين جوبان إلاّ أن أمر بعودة القوة السلجوقية وأنزلوا هزيمة ساحقة بقوات الصغد المطاردة لهم ، وهكذا منيت الصغد بخسارة خيرة مقاتليها مما جعلهم يلجأون إلى طلب الصلح والخضوع لأي شروط تملى عليهم من قبل السلطان علاء الدين كيقباذ. وقد وافق السلطان على العفو عنهم على أن تستبدل طقوس وشعائر النصرانية بشعائر الإسلام وتطبيق سنة الرسول ﷺ ، وإعادة ما أخذ من التجار ، كما أطلق سراح المساجين [١] ، بينما أخذ بعض أبناء الأعيان كرهائن لضمان تطبيق الاتفاق[٢] .

ولم يكن أمام الصغد إلاّ الموافقة على كل ما طُلب منهم ودخلت أعلام السلطنة السلجوقية حيث رفعت على مدينة صوداق معلنة ضم هذه المدينة المهمة لعرش دولة سلاجقة الروم . وفي أقل من أسبوعين بدئ بإقامة جامع للمدينة تقام فيه الشعائر ، ليعلوا الآذان منابره بعد تردد أصوات النواقيس النصرانية أرجاء المدينة ، ثم نصب مؤذن وخطيب وقاض ، وللحفاظ على أمن المدينة ترك قائد مع فرقة عسكرية حامية هناك [٣] . وهكذا نجحت الدولة السلجوقية ممثلة بقواتها في تأسيس مركز لها في صوداق سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م واستمر الحكم السلجوقي المباشر لصوداق أكثر من خمسة عشر سنة حتى سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م ولم يؤثر غزو المغول لها على هويتها الإسلامية ذكر ذلك أبو الفدا بقوله : « وأهلها مسلمون » كما أكد ذلك ابن بطوطة الذي وصلها في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي فبين أن أهلها مسلمون على المذهب الحنفي والشافعي [٤]. وبهذا الفتح استحق السلطان لقب سلطان البر والبحرين ، حقيقة إن السلطان عزالدين كيكاوس [٥] قد تلقب بذلك

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٦٨ ؛ منجم باشي للمولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩أ ؛
Ibn Bibi : op.cit. p.331 - 333 ;

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٦٩ .

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ب ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.359.

(٤) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٢١٥ ؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ج١ ، ص ٣٢٩ – ٣٣٧ ؛ علي عودة الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص ٢٠٣ ؛
Cloud Cahen : pre ottoman Turkiye, p.167.

(٥) د. حسن الباشا : المرجع السابق ، ص٣٣٤ ؛ خليل أدهم : قيصري شهري ، ص ٤١ . تلقب علاء
=

ولكن بتأسيس العلائية على بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط - جنوباً وصوداق على البحر الأسود شمالاً اكتسب السلطان علاء الدين كيقباذ هذا اللقب عن جدارة [1].

ولنا هنا وقفة في تحديد تأريخ فتح صوداق ؛ فالمصدر الأول لمعلوماتنا هو ابن بيبي لايذكر سنة معينة لهذا الفتح وإنما سطر تلك الحوادث بعد ذكره مصاهرة السلطان علاء الدين كيقباذ البيت العادلي سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م ، وقد فهم المؤرخون [2] فيما بعد أن هذه الأحداث وقعت سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م ؛ ولكن واقع الأحداث ينفي خروج القوات السلجوقية إلى صوداق وأرمينيا وبلاد الساحل في سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م ، فنظراً إلى عدم ذكر تاريخ معين عند ابن بيبي لفتح صوداق ، فإنه من المحتمل أن يكون هذا الفتح وقع في سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م . أدلتنا على ترجيح هذا الاحتمال الآتي :

١ - أقر ابن بيبي خروج الحملات الثلاث في وقت واحد ، وهي حملة صوداق وحملة أرمينيا وحملة بلاد الساحل .
٢ - أرخ ابن الأثير لحملة أرمينيا سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م وهو مصدر معاصر [3] .
٣ - قائد حملة بلاد الساحل هو الأمير مبارز الدين أرتقوش ، وهذا دليل على أن هذه الأحداث وقعت سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م أثناء إدارته لأنطاليا لأنه منذ سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م أصبح أتابكاً للملك غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ [4] في أرزنجان. والثابت في جميع المصادر التاريخية أن ضم أرزنجان كان سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م .

= الدين كيقباذ بسلطان البر والبحرين وذلك في نص إنشاء سنة ٦٢٢هـ في القلعة في انطاليا ويقصد بالبر آسيا والبحرين بحر الروم والبحر الأسود . وأيضاً تلقب بسلطان البرين والبحرين وجد ذلك في نص انشاء سنة ٦٣٤هـ في القلعة في العلايا . ويقصد بالبرين بر آسيا وبر أوربا والبحرين بحر الروم والبحر الأسود

(١) أحمد توحيد : المرجع السابق ، ص ٣٣٤.

(٢) انظر :

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.364-379 ; The Encyclopedia of Islam , Vol. 6, p.649.

(٣) الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص ٤٦٥ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٧٤ - ١٨٥ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٠أ .

٤ - هجوم التتار على بلاد القفجاق والروس سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م [1] ، وما نتج عن هذا الهجوم من تشريد لأهالي تلك المناطق ولجوئهم إلى السلطان علاء الدين كيقباذ ومن الراجح إرسال علاء الدين كيقباذ قواته لفتح صوداق بعد هذه الحوادث في وقت قريب أي سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م وليس ٦٢٤هـ/١٢٢٧م.

وعلى أية حال بينما القوات السلجوقية تؤدي مهمتها شمالاً - لفتح صوداق - اتجه القسم الآخر من القوات السلجوقية إلى جهة بلاد الأرمن حسب توجيهات السلطان إذ شكلت جبهة الأرمن مصدر إقلاق للسلطان علاء الدين كيقباذ حتى بعد وفاة الملك ليون الثاني سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م ، إذ انشغلت حكومة قليقيه بما ترتب عليه زواج الملكة إيزابيلا ، ابنة ليون من تبعات [2] ، ووجد علاءالدين كيقباذ نفسه يدخل دائرة هذا النزاع تلبية لطلب بوهمند الرابع ، صاحب أنطاكية ، الذي امتدت أطماعه إلى السيطرة على مملكة أرمينية الصغرى [3] ، وهذا التدخل في صالح السلطان علاء الدين كيقباذ ، وذلك بهدف حماية طرق القوافل الناشط ما بين الأناضول والشام ، فجرد حملاته التي بدأت بأسباب وغايات تجارية وهذا مظهر جديد للسياسة

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) أصبحت إيزابيلا ، ابنة ليون الثاني ، ملكة للأرمن ، بموافقة نبلائهم . وقد أراد قسطنطين ، الوصي عليها ، أن يكسب ود أنطاكية ويكون تحالفاً مع بوهمند صاحبها لدرء خطر السلاجقة فقبل زواج فيليب ابن بوهمند من الملكة الصغيرة إيزابيلا ، ولكن للاختلاف المذهبي بين الكنيستين الشرقية والغربية لم يدم هذا الزواج كما أنهم كانوا يأملون في فيليب أن يكون أرمينياً صالحاً غير أن ميوله كانت لاتينية خالصة ، وذهب ضحية لذلك إذ قبض عليه سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م وحبس في سيس حيث دس له السم وقضى نحبه. لمزيد من التفاصيل انظر: رنسمان: المرجع السابق، ج٣، ص٣٠٥-٣٠٧ ؛ مروان المدور : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

Claud Cahen : pre-ottoman, 125-124; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.343.

(٣) رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٣٠٧ ؛ علي عودة الغامدي ، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ص ٣٥٧ .

Ali Sevim, yaşar yücel : op.cit. s.156.

الاقتصادية لسلاجقة الروم في تلك الحقبة . والحقيقة أن علاء الدين كيقباذ لم يكن ليقبل مساعدة بوهمند إن لم يكن هدفه أكبر من المساعدة ، فكما سبق وعرفنا فإن السياسة التجارية التي حرص سلاطين السلاجقة على تنظيمها ورعايتها تتطلب من علاء الدين كيقباذ التدخل في الأراضي الأرمينية سواء لمساعدة بوهمند أو لرد تجاوزات الأرمن واعتدائهم على التجار فانطلقت القوات السلجوقية سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م بقيادة الأميرين مبارز الدين حاولي والأمير كومنينوس ومن ورائهم قوات الأمير مبارز الدين أرتقوش ، صاحب أنطاليا للهجوم على ساحل الأناضول الجنوبي للحيلولة دون مساعدة الأرمن من قبل فرسان الاستبارية والداوية وفرنج قبرص .(١)

وهنا استنجد الأرمن بأتابك حلب شهاب الدين طغريل وخوفوه من بوهمند الرابع ، صاحب أنطاكية إذ قوي أمره عليهم « فأمدهم بجند وسلاح » (٢) وقام بمناوشات على حدود أنطاكية من جهته (٣) . ولكن بطبيعة الحال ، لم تكن تلك المساعدة جادة ، إذ أن من مصلحة حلب انشغال كلتا القوتين ببعض وعدم رجحان كفة أي منهما ، لذا نجد أن تحالف الأرمن بالأيوبيين في حلب لم يحقق شيئاً سوى عودة بوهمند إلى أنطاكية للحفاظ عليها . هذا بينما القوات السلجوقية قد استطاعت اقتحام القلاع والحصون لأرمينية من جهتها وفتحت أربعة حصون واستعادت قلعة جنجن التي سبق وأن استولى عليها السلطان عزالدين كيكاوس (٤) . وأمام هذا الاجتياح السلجوقي ، اضطر ملك الأرمن هيثوم بن قسطنطين (١٢٢٦ - ١٢٦٩م / ٦٢٣ - ٦٦٨هـ) إلى طلب الصلح والعودة للتبعية ، وقد ترتب على ذلك ترك الكثير من القلاع للسلاجقة وإرسال قوة من ألف فارس وخمسمائة قواس (٥) عند الحاجة

---

(1) Osman Turan : Salçuklular Zamanind Turkiye, s.343.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٦٥.

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٦٤ - ٤٦٦ ؛ د. علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٥٧ ؛ رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٩ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٧٠ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.337

(٥) قواس : أي المقاتلين بالقوس ، وكان من أبرز أسلحة الرمي وأبسط أشكال القوس عبارة عن أعواد لينة متينة تتخذ من بعض الأشجار تقوس كالهلال ، ويثبت فيها وتر قوي بإحكام ، وكان الوتر يتخذ من جلد البعير أحياناً وترمى به السهام ، وقد شاركت هذه القوات في حروب السلطان علاء الدين =

وزيادة مقدار الجزية كل عام بالضعف وضرب السكة باسم السلطان علاء الدين كيقباذ [(١)] ، حيث وقع على هذا الاتفاق سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م . وقد أمر السلطان باستيفاء أموال التجار بأسرها من ما تيسر من الأموال الموجودة في القلاع المفتوحة ، كما سلم أمر ولاية تلك القلاع المفتوحة للأمير قمر الدين [(٢)] . وبذلك عادت مملكة الأرمن تابعة لدولة السلطان علاء الدين كيقباذ وهذه المرة بشروط ثقيلة [(٣)] ، كما تم تأمين الطرق التجارية بين الأناضول والشام ، وعادت الأمور إلى سابق عهدها. إضافة إلى ذلك ، فقد نجح الأمير مبارز الدين أرتقوش بقواته البحرية من فتح عدة قلاع ساحلية بلغت أربعين قلعة [(٤)] ، وأخلاها من الأرمن والروم المحليين وعين قوات من الترك للحماية [(٥)] . واستوطنت عشائر غفيرة من التركمان في تلك الجهات [(٦)] . وهكذا أثبتت البحرية السلجوقية قدرتها على خوض غمار الحروب البحرية والنجاح فيها .

كما أظهرت الحملات التي شنها علاء الدين كيقباذ على مملكة الأرمن قدرته وسطوته الأمر الذي جعله يلتفت إلى منطقة السلطنة الشرقية وبالتحديد أرزنجان والتي من وجهة نظره لابد من بسط نفوذه المباشر عليها بعد وفاة فخر الدين بهراشاه صاحب أرزنجان ، سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م ، تقلد ابنه علاء الدين داود شاه الحكم بعده ، ولكن يبدو أنه يفتقر إلى الحنكة السياسية ، وعدم تقدير عواقب الأمور ، فرغم

=

كيقباذ في الشرق وخاصة في معركة ياسي جمن . للمزيد انظر : د. محسن محمد حسين : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ - ٢٨٤ ؛

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.376.

(١) إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص ٣٧ ؛ مروان المدور : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ؛
The Cambridge Historyof Islam. vo.IA.p.246.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٧٣ ؛ منجم باشي المولوي : المصدر السابق ، ورقة ٥٧٩ ؛
Claud Cahen : pre ottoman Turkeye, p.125; Ali Sevim, Yaşar Yücel : op.cit. s.157.

(٣) عثمان توران : الأناضول .. ص ٢٤ .

(٤) من أهم القلاع التي ذكرها صاحب أخبار سلاجقة الروم عن ابن بيبي أن أشهر هذه القلاع "مانفغا" و " أندوشنج " و " أنامور " ، ص ١٧٤ .

(٥) انظر : Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.343-344

(6) Ali Sevim, yaşar yücel : op.cit. s.157.

سعة علمه إلاّ أنه انشغل « بارتكاب المناهي ومتابعة الملاهي » (١) . لهذا خالفه بعض الأمراء والمستشارون ، مما جعله يوقع بهم جميع أنواع العقاب من قتل وسجن ومصادرة ، مما اضطر بعضهم إلى الهجرة إلى السلطان علاء الدين كيقباذ الذي رحب بهم وعين لكل منهم إقطاعات (٢) ، واتفق معهم على الحد من تصرفات علاء الدين داود شاه الهوجاء والعمل على إعادة الأمور كما كانت حتى لا تخرج أرزنجان من يده ، سيما وأن جيرانه الخوارزمية يتطلعون لمد نفوذهم لهذه المنطقة ، لهذا اغتنم السلطان فرصة تواجد علاء الدين داود شاه في قيسارية - على إثر محاولة الأخير استرضاءه - واتفق معه على توقيع معاهدة تحدد واجبات وحقوق كل منهما وتؤكد تبعية أرزنجان للسلطان وتمسكه بها وإيقاع العقوبة اللازمة إن خالف علاء الدين داود شاه ذلك ، إذ تعهد السلطان علاء الدين كيقباذ بعدم التعرض لمملكة داود شاه ، بل ومساندته إن احتاج طالما التزم داود بعدم الاتصال أو التعاون مع خصوم دولة سلاجقة الروم (٣) .

ويبدو أن علاء الدين داود شاه أدرك قرب انقطاع العلاقات وأن السلطان لا محالة سيأخذ منه ملكه سيما وأنه - السلطان علاء الدين كيقباذ - طلب منه مساعدته عسكرياً لحصار أرزن الروم (٤) ، لهذا بدأ يبحث عن ملجأ له عند القوى السياسية المحيطة ليقطع الطريق أمام السلطان ويحول دون تمكينه من أرزنجان ، فأرسل إلى الملك الأشرف موسى يعرض عليه قلعة كماخ (٥) مقابل إعطائه إحدى مدنه ليقضي فيها بقية عمره . ولكن الأشرف موسى لم يحبذ الإصطدام بالسلطان

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٧٦ ؛ Ibn Bibi: op.cit. p.346

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص١٧٧ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٠ أ ؛ Ali Sevim, Yaşar yücel : op.cit. p.158.

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٧٩ ؛ Calud Cahen, pre-ottoman, p.126 ؛ Osman Tura : Selçurlular Zamanina Turkiye, s.354.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٤٧٨.

(٥) كماخ : قلعة عظيمة في أسفلها مدينة على ضفة نهر الفرات ، ومن أعمالها الكثير من القرى الخصبة وتبعد عن أرزنجان مسيرة يوم وهي عند الروم كمخلا (Kamcha) كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

علاء الدين كيقباذ ، وذلك لارتباطه معه بعقد تحالف كما أنه بحاجة إلى السلطان لدرء خطر عدوهما المشترك جلال الدين خوارزمشاه ، واكتفى بإرسال « الحاجب إلى بلاط صاحب أرزنجان حيث أقام مدة وعاد خائباً »[١] .

ولانفراد ابن بيبي بهذه الرواية واقتصاره على تلك الصورة ، فإنه لم تتضح لنا طبيعة مهمة الحاجب في أرزنجان إلاّ أنه من الواضح أن الأشرف موسى رفض طلب علاء الدين داو شاه ، لذا جدد العرض للسلطان جلال الدين خوارزمشاه ، وهذا الأخير أيضاً كان يخطب ود السلطان علاء الدين كيقباذ ، لذا رفض المساندة حيث صرح بذلك في الرسالة التي بعث بها إلى السلطان علاء الدين كيقباذ والمؤرخة في ١٠ ذي الحجة سنة ٦٢٥هـ ، بقوله : « وقد كان الخطاب الذي وصل والعتاب الذي ورد من هذا المجلس مع صاحب دار النصر أرزنجان في محله »[٢]. لم يكتف داود شاه بذلك بل أرسل إلى الإسماعيلية[٣] –في إيران– يطلب منهم اغتيال السلطان علاء الدين كيقباذ مقابل تسليمهم قلعة كماخ وإطلاق أيديهم في أرزنجان كافة. كما حذر صاحب أرزن الروم ركن الدين طغرل شاه من أن السلطان علاء الدين سيهاجمه وطلب منه الاعتضاد معه ضده[٤]. ولكن جميع هذه المحاولات فشلت فيما نما إلى علمه خروج السلطان من سيواس ودخوله حدود أرزنجان فأسقط في يده واضطر أمام هذه القوات إلى التنازل عن أرزنجان للسلطان علاء الدين كيقباذ وطلب من مستحفظ قلعة كماخ

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٨٤ ؛ Ibn Bibi: op.cit. p.358 .

(2) Osman Turan : Selçuklular Hakkinda Resmi Vesikalar, s.96-98 .

(٣) الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة الإمامية تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الإمام السادس عند الشيعة الإمامية ، وتزعم الإسماعيلية في عصورها المختلفة كثير من غلاة الشيعة منهم القداح وولده عبدالله زعيم القرامطة ، وعبيد الله بن المهدي مؤسس الدولة العبيدية والحسن بن الصباح زعيم الطائفة التي عرفت بالحشاشين ، واشتهرت بالاغتيال السياسي ، حيث تميزت طائفة الحشيشية بقوة الأبدان وطاعتها العمياء لزعمائها ، فهم لا يتحرجون عن اغتيال خصومهم بالخناجر مهما كانت النتائج حتى اتخذوا من الاغتيال فناً . لمزيد من التفصيل ، انظر د. علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٢٢٧ ، هامش ٢ ، أحمد عطية الله ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٠٨ – ١٠٩.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٨٣ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ورقة ٥٨٠أ .
Ibn Bibi : op.cit. p.350 ; Ali sevim, yaşai yücel : op.cit. s.158.

تسليمها لقوات السلطان ، وفي المقابل أقطعه السلطان أقشهر وأبكرم [(١)] . وهكذا استطاع السلطان علاء الدين كيقباذ سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م مد نفوذه شرقاً حتى مملكة أرزنجان ثم رنا ببصره إلى أرزن الروم ، فما كان من صاحبها ركن الدين جهانشاه بن مغيث الدين طغرل وهو ابن عم السلطان علاء الدين كيقباذ إلاّ إظهار التودد والاستعطاف للسلطان والاعتذار عما بينه وبين داود شاه ، صاحب أرزنجان ، وأنه لا علاقة له بما حدث من داود شاه فيما أرسل إلى « نائب الملك الأشرف في خلاط [(٢)] يستنجده وأظهر طاعة الأشرف » [(٣)] . وبهذه الازدواجية في التبعية التي أظهرها جهانشاه بن طغرل شاه فقد أنقذ مملكته من السلطان علاء الدين كيقباذ مؤقتاً.

والحقيقة أن علاء الدين كيقباذ قد اضطر إلى تأجيل ضم أرزن الروم لسببين : أولاً لأن الملك ركن الدين جهانشاه بن طغرل شاه يتمتع بحماية الملك الأشرف موسى والذي مازال يراعي حرمة الصداقة بينهما وحرصهما على الاتفاق لدرء خطر جلال الدين خوارزمشاه [(٤)] .

والسبب الثاني ثورة صاحب طرابزون ضد السلطان وهجومه على سينوب وعودته – أي السلطان علاء الدين كيقباذ – لإخمادها [(٥)] . ومع ذلك ، فقد

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٨٢ – ١٨٤ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ترجمة الأب إسحاق أرملة ، دار المشرق : بيروت ، ١٩٩١م ، ص ٢٧٤ .

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.354-355; Cloud Cahan : pre Otoman Turkiye p.127.

(٢) مدينة كبيرة مشهورة ذات خيرات واسعة وموارد كبيرة وهي قصبة بلاد أرمينية ، ولها بحيرة يجلب منها السمك المعروف بالطريخ . القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٥٢٤ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٨٠ – ٣٨١.

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج١٢ ، ص ٤٧٩ ؛ ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص١٦١ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص١٠٣.

(٤) ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٧٩ ؛ ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص١٥٦ – ١٧٤ ؛ Claud Cahen : pre-ottoman, p.128.

أمر الأتابك مبارز الدين أرتقوش بالهجوم على قلعة كوغونية والإستيلاء عليها سواء بالصلح أو الحرب . ونظراً لقوتها وحصانتها ، فقد استمر محاصراً لها إلى أن استأمنه صاحبها مظفر الدين محمد بن فخر الدين بهرامشاه بتسليمها مقابل إقطاع يضمنه له السلطان ، فتم ذلك وأقطع مقابلها قير شهر (١) « كإقطاع معاف ومسلم » (٢) وما يتبعها .

والحقيقة أن مملكة أرزنجان لم تشكل خطراً على دولة سلاجقة الروم وما فعله علاء الدين كيقباذ ليس سوى بسط نفوذه المباشر على هذه المنطقة للسيطرة على أرزن الروم وإقامة خطوط دفاعية شرقية ضد السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، اتضح ذلك من خلال مكانة الشخصيات التي تولت إدارتها ، إذ عين ابنه غياث الدين كيخسرو (٦٣٤ - ٦٤٤هـ / ١٢٣٧ - ١٣٤٦م) عليها ، ونظراً لصغر سنه ، فقد جعل أتابكه ومدبر أموره مبارز الدين أرتقوش وزودهم بالكثير من العتاد والجند(٣) .

وهكذا استطاع السلطان علاء الدين كيقباذ إثبات مهارته الفائقة في بسط نفوذه شرقاً والاستيلاء على القلاع والمدن التي ستشكل خطراً عليه إن لم تكن تحت سيطرته المباشرة ، فالجبهة الشرقية للأناضول مهددة من قبل خطرين الأول الخوارزمية ومحاولات السلطان جلال الدين خورزمشاه الدائمة لمد نفوذه غرباً ، والخطر الثاني وهو الأشد الاجتياح المغولي الذي كان يقترب من دول الشرق الإسلامي بخطوات سريعة ومدمرة .

وقد اضطر السلطان علاء الدين كيقباذ للصدام عسكرياً مع السلطان الخوارزمي سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م في معركة ياسي جمن وإضعافه كقوة سياسية - وسنفصل

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٨٧ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ٥٨٠أ ؛ ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ١٥٥ ؛ Claud Cahen : pre-ottoman, p.127 .
قيرشهر : وهي جستنيانوبوليس موكيسوس (Justinianopolis Mokissus) الرومية غرب قيسارية بنحو ٨٠ ميلاً وهي مدينة كبيرة ذات مبان جميلة . كي لسترنج : المرجع السابق، ص١٧٩.
كوغونية : تقع جنوب طرابزوند وكان اسمها كولونيا (Colonia) ؛
Cloud Cahen : Pre-Ottoman. p.189.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٨٧ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٠ أ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٨٥ ؛ منجم باشي المولوي : المصدر السابق : ورقة ٥٨٠أ ؛
Ibn Bibi : op.cit, s.359 ; Claud Cahen : Pre Ottoman Turkeya, p.127; Ali Sevim, Yaşar Yücal : op.cit, s.138,159

ذلك لاحقاً - وسقوط دولته نهائياً على يد المغول بقتله سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م .

وبذلك تخلص السلطان علاء الدين كيقباذ من خطر الخوارزمية ثم أصبحت فلولهم من ضمن عناصر جيشه ذكر القرماني ذلك بقوله : « خدم عنده عسكر جلال الدين خوارزمشاه بعد مهلكه فاثبتهم في ديوانه واستخدمهم » (١) ولم تقتصر تحركاته العسكرية على الجهة الشرقية لبلاده بل دخل في مناوشات عسكرية مع جيرانه الأيوبيين (٢) انتهت بانتصاره عليهم سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥هـ ، ثم أخذ يعد العدة لتأمين حدوده مع الأيوبيين فبدأ بتنظيم إدارته الداخلية حيث فوض أمر سيواس للأمير الخوارزمي قيرخان ، وذلك بعد وفاة الموكل بأمرها فخرالدين أياز ، وأقر أرزنجان لابنه الملك غياث الدين كيخسرو ، وقرر ولاية العهد لابنه الآخر ابن الملكة العادلية - عزالدين قلج أرسلان « وألزم سائر الأمراء بمتابعة ذلك حتى اطمأن الجميع رغبا ورهبا ، فبايعوا واقسموا الأيمان المغلظة الوثيقة على الولاء له والانقياد » (٣) . ثم اتجه إلى صحراء مشهد بقيسارية لتنظيم الجيوش التي أعدها والاحتفال بعيد الفطر سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م. وفي اليوم الثالث من أيام العيد ، وأثناء حضور السلطان للاحتفال الذي دعى إليه جميع السفراء الأجانب الذين جاؤوا إلى قيسارية وأيضاً أركان الدولة وكبار الأمراء « قدم الجاشنكير نصر الدين علي أمام السلطان طائراً مشوياً ، وما أن تناول منه بعض لقيمات حتى ظهر تغير كامل في مزاجه وأصابه قيء شديد » (٤) ، فانتقل إلى قصر كيقباذية حيث أمر باستدعاء كمال الدين كاميار لتزويده ببعض الوصايا إلاّ أن الوهن قد تمكن منه ، ثم توفي ليلة الاثنين ٤ شوال سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م (٥) .

---

(١) القرماني : أبو العباس أحمد بن يوسف ابن أحمد الدمشقي (١٠١٩هـ / ١٦١٠م) : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفصل الرابع ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٥ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨١ب .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٦ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٣٧.

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٦ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨١ب ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ص ٢٨٢ .

ورغم إشارة بعض المؤرخين [١] إلى حدوث تسمم للسلطان وأنه بفعل فاعل حيث أشارت أصابع الاتهام إلى ابنه غياث الدين كيخسرو إلاّ أن ابن بيبي لم يشر لا من قريب ولا من بعيد بحدوث ذلك ، ولكن لا يعني ذلك نفي هذه التهمة ، فمبجرد إغفال ذلك عند ابن بيبي يقوي الشك بتسميم السلطان وربما من ابنه غياث الدين كيخسرو لأنه جعل ولاية العهد لأخيه الأصغر ، إذ لم يعبأ بمنشور ولاية العهد الذي أصدره والده وتربع على عرش الدولة وأرغم الأمراء الذين معهم ولاية العهد لمبايعته « فلما رأوا أن لا جدوى من المماطلة دخل الأمراء الثلاثة المدينة وهنأوا السلطان بالسلطنة » [٢] .

وربما يرجع إغفال ابن بيبي ذلك إلى عدم وجود دليل واضح لذلك ، وأيضاً لئلا يلحق بهؤلاء السلاطين تلك التهمة ، حقيقة أنه يذكر تطاول الأخوة على بعضهم ووصول الأمر إلى القتل وخاصة الأمر بقتل الأميرين ابني علاء الدين كيقباذ من الملكة العادلية من قبل السلطان غياث الدين كيخسرو [٣] ، إلاّ أن قتل الوالد تعد جريمة كبرى . ثم إننا نستغرب إغفال عمل الجاشنكير ناصر الدين علي والذي مهمته تذوق الطعام قبل تقديمه ، فهذه قرينة أخرى لوجود مؤامرة خفية لم يستطع المؤرخون الإفصاح عنها ، أيضاً ذكر عثمان توران احتمال آخر لا نستبعده ، وهو قلق كبار الأمراء ، بسبب توسع السلطان في منح الإقطاعيات لأمراء الخوارزمية ، إذ سيؤدي ذلك إلى منافسة أمراء الخوارزمية لهؤلاء الأمراء على مراكزهم ، وخص بهذا الاتهام الأمير سعد الدين كوبك ، وذلك ليلعب دوراً باسم السلطان غياث الدين كيخسرو[٤].

ومما يؤيد هذا الاتهام أن سعد الدين كوبك كان على إمرة الصيد [٥]

---

(١) انظر :
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.390 ; The Encyclopaedia of Islam : Vol. 6, p.657. Ali Sevim, Yaşar Yüeal : op.cit. s.164.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٩ ، هؤلاء الأمراء : حسام الدين قيمري ، كمال الدين كاميار ، وقيرخان ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٢أ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٥٣ .

(٤) انظر : Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s.390 .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٨٠ .

وفي عهد السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ أصبح ملك الأمراء وعمل على إقصاء كبار الأمراء بتدبير المكائد لهم وقتلهم .(١)

على أية حال ، فإن وفاة السلطان علاء الدين كيقباذ تعد خسارة كبيرة لمقدرات دولة سلاجقة الروم ، إذ بنى دولة قوية في جميع المجالات السياسية والعسكرية والإقتصادية واتسعت الدولة في عهده لتشمل الأناضول كله عدا منطقة نيقية وما يجاورها من الشريط الساحلي الغربي . ودخل في طاعته ملوك الأرمن والكرج وطرابزون .

والحقيقة فإن هذه الإنجازات التي تحققت لدولة سلاجقة الروم في عهده إنما تعود إلى شخصية هذا السلطان الفذة فقد اتصف بصفات التقى والإيمان ، روى ابن بيبي عن جلال الدين قراطاي قوله : « كنت ملازماً للحضرة العليا ثمانية عشر عاماً في السفر والحضر ليلاً ونهاراً فلم يتناه إلى علمي أن السلطان استراح على فراش النوم ... إلاّ قليلاً ... إذ كان قد وضع نصب عينيه أمر « قم الليل إلاّ قليلاً » وكان ... يعد إتباع مذهب الإمام أبي حنيفة في الأصول والفروع فرضاً واجباً » .(٢)

وكان يقضي لياليه في أيام الحرب بالدعاء والتوسل إلى الله ﷻ بالنصر (٣) وشخصية بهذا الإيمان لم يكن يسمح بأن يتخلل مجلسه الهزل والانغماس في الملذات ، بل كان يتداول في مجلسه محاسن سير الملوك والحكماء وذلك للعظة والعبرة . وكان ذا ثقافة رفيعة ومتذوقاً مميزاً للشعر قرضاً وسماعاً (٤) وقد ضمن ابن بيبي مؤلفه بعض من الأبيات الشعرية الرائعة للسلطان علاء الدين كيقباذ . (٥)

إضافة إلى ذلك فقد كانت له معرفة باللغات الفارسية ، والرومية ، والعربية ،

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٥٠ - ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ .

(٢) الأوامر العلائية ، ص ٢٢٨ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ١١٤ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢١ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye. s.394.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٤ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye. s.391.

(٥) الأوامر العلائية ، ص ٢٢٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ١١٤ .

إلى جانب التركية ، كما كان يناقش في مجلسه مع العلماء المسائل العلمية .(١)

كما كان مدبراً حاذقاً في الأمور المالية ، إذ كان يفحص ويدقق إيرادات ومصروفات أموال الدولة .(٢)

وحرص أشد الحرص على استتباب الأمن في شتى بقاع الدولة ، فقد كان ينزل أشد العقوبة لكل من يتهاون في إحلال الحلال ورفع الظلم وكان يأخذ الحق للمظلوم ويحرص على حماية الدولة للميراث والتركات . (٣)

إلى جانب هذا وذاك فقد كان السلطان علاء الدين كيقباذ سياسي بارع رفع من مكانة دولة سلاجقة الروم في عهده وصفه ابن العبري بقوله : « كان عاقلاً عفيفاً ذا بأس شديد على حاشيته وأمرائه ... جدد ناموس دولته وألقى الله هيبته في قلوب الخلق فأطاعوه واتسع ملكه » .(٤)

وقد لا يجافي الحقيقة القول « بأنه أول سلطان تركي سعى لإنقاذ كل بلدان العالم الإسلامي من الخطر المغولي وذلك بسبب سياسته الأمنية الخارجية الإيجابية » (٥) ، ولكن للأسف فقد جاءت وفاته سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م لتقوض خططه الدبلوماسية في درء خطر المغول عن دولته بصفة خاصة والدول الإسلامية في كل من العراق والشام بصفة عامة .

كما كان لديه مهارات رياضية وفنية فكان يجيد لعب الشطرنج، والكرة ، والرمح . وكان حاذقاً في الصناعات كافة من عمارة وصناعة ونحت ونجارة، ورسم وله مهارة في معرفة قيمة الجواهر(٦) وهذه جميعها دلالة على شخصية فريدة فظهرت لمساته تلك في إشرافه المباشر على المنشآت المعمارية ، إذ أشرف على إنشاء وزخرفة

---

(1) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye s.391.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٣ .

(3) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye s.394. 395.

(٤) تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٣٧ .

(5) Herbert Jansky : Selçuklu Sultanlarinden Birinci Alâeddin Keykubad'n Emniyet Politikari 60. Dogum uili münasebetiyle zeki velidi Togan'a Armagan. 1950-1955, s.126.

(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٥ ؛ Ibid Bibi: op.cit, p.229 .
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye. s.394-395.

أسوار قونية كما أشرف على إنشاء وزخرفة قصر قوباد آباد والـذي حـازت زخرفتـه ونقوشه علـى الإعجـاب [١] . وقـد بلغـت العمـارة في عصـره شـأواً عظيمـاً إذ يرجـع الفضل لـه في تقويـة المـدن وحمايتـها بالأسـوار العظيمـة وبنـاء القـلاع وبنـاء المسـاجد والمـدارس والخانـات والجسـور والمستشـفيات والـتي بعضـها مـازالت آثـاره باقيــة إلى الآن .[٢]

وكان حاكمـاً اسـطورياً بـين الأتـراك الأنـاضوليين ووصـف بكيقبـاذ العظيـم[٣] فاستحق عن جدارة بأن يطلق عليه « سلطان العالم » .[٤]

---

(1) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye. s.395.

(٢) عثمان توران : الأناضول ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٣٧ .

الفصل الرابع

العلاقات بين سلاجقة الروم والقوى الإسلامية
خلال الثلث الأول من القرن السابع الهجري

- العلاقات مع الخلافة العباسية .
- العلاقات مع الأراتقة .
- العلاقات مع الأيوبيين .
- العلاقات مع الخوارزمية .

العلاقات مع الخلافة

لم تتضح طبيعة العلاقة بين دولة سلاجقة الروم والخلافة العباسية في بغداد ، وذلك للضعف السياسي الذي اتسمت به الأخيرة في فترة موضوع البحث . ويعود هذا الضعف إلى سلبية الخلفاء وانعزالهم عن الناس ، وإقامة سد من الحجاب والخدم بينهم وبين الشعب ، واعتمادهم في تنظيم شؤون البلاد على بعض هؤلاء الخدم المقربين [(١)] ، وليس أدل على ذلك من أن الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ / ١١٨٠-١٢٢٥م) قضى السنوات الثلاث الأخيرة من حياته في عزلة تامة ، حيث تحكم فيه خادم وخادمة يكتبان باسمه ما يشاءان بسبب ضعف بصره ، ثم فقده ، ولم يعرف حقيقة وضعه ذلك إلاّ عن طريق الطبيب الذي كان يتردد عليه [(٢)] . وانعكس ذلك على السياسة الخارجية ، حيث اعتمد الخلفاء على استغلال الشعور الديني والتركيز على قدسية الخلافة واعتبار طاعتها فرضاً على المسلمين [(٣)] .

لهذا فإن دولة سلاجقة الروم ، شأنها في ذلك شأن القوى الإسلامية ، تنتمي إلى الخلافة العباسية ، وتحرص على إضفاء الصبغة الشرعية على حكمها [(٤)] . ولكن ليست كعداء الخوارزمية أو الارتباط الشديد مثل الدولة الأيوبية [(٥)] . وبالرغم من قلة تطرق المصادر التاريخية الإسلامية لأخبار سلاطين السلاجقة مع الخلافة العباسية ، فإن ابن بيبي قد ضمن كتابه الأوامر العلائية نص المنشور الذي بعث به الخليفة العباسي

---

(١) محمد صالح قزاز : الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ، مطبعة القضاء ، النجف ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ص ٣٠٤ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٤٠ ؛ أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٤٥ ؛ سبط ابن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي الشهير بسبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، القسم الثاني من الجزء الثامن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م ، ج٨ ، ص ٦٨٥ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٢١.

(٣) محمد صالح قزاز : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

(٤) انظر : محمد صالح قزاز : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

(٥) علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٣٠٣ - ٣٠٧ .

الناصر لدين اللّه بالاعتراف بالسلطان عزالدين كيكاوس سلطاناً على بلاد الروم والإنعام عليه بلقب المظفر ومنحه شرف الانتساب لنظام الفتوة « التي لا يمنح بها إلاّ من رسخت في الولاء أعراقه وفاء عليه ظل الاختصاص » (١) . كان ذلك في شهر رمضان من سنة ٦٠٨هـ / فبراير ١٢١٢م(٢) . وهذا يوضح لنا مدى ارتباط السلاطين السلاجقة بالخليفة العباسي في بغداد ، إذ كان ذلك بناء على الرسالة التي حملها مجد الدين إسحاق مبعوث السلطان عزالدين كيكاوس إلى الخليفة بعد اعتلائه السلطة مباشرة ، وذلك لضمان شرعية حكمه حيث تحقق له ذلك وأرسل الخليفة أيضاً العمامة السوداء والمقرعة ؛ فزادت مسرة السلطان بتلك التشريفات ، وما كان من حسن الالتفات وتفاخر بها وتباهى على الفلك » (٣) . أيضاً أشار ابن بيبي إلى حرص السلطان عزالدين كيكاوس على التقرب من الخلافة ، وذلك بمحاكاة أسلوب خطبة النكاح التي كان الخليفة المأمون – حسب قوله – قد قرأها في زواج أحد أقاربه وعلل ذلك « على سبيل الإيجاز والتبرك » (٤) ، وعندما فتح السلطان عزالدين كيكاوس سينوب سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م ، أرسل مجد الدين إسحاق إلى الخليفة الناصر لدين الله يبشره بهذا الفتح العظيم ، كما صاحب هذه البشرى عينات من الغنائم ترمز إلى الموقع الذي وصلت إليه السلطة السلجوقية ومنها « الحرير الأطلسي المعدني والصلبان الذهبية المرصعة وأواني الفضة » (٥) . وقد كان رد الخليفة الإنعام عليه بلقب السلطان الغالب (٦) ، حيث اتخذه السلطان عزالدين كيكاوس لقب له ظهر

---

(١) الأوامر العلائية ، ص ١٥٧ .

(٢) أخطأ ابن بيبي في قوله : إن هذا المنشور أرسل بعد فتح سينوب ، والحقيقة أنه تقليد من الخلافة بالإعتراف بسلطة السلطان عزالدين كيكاوس إذ لم يتضمن المنشور إلى ما يشير إلى حادثة فتح سينوب كما أن التاريخ المذيل به يوضح خلاف ما ذكره ابن بيبي . انظر سلاجقة الروم ، ص ٨١ ؛
Osman Turan : Sleçuklalar Zamaninda Türkiye , S.298.
انظر نص المنشور ملحق ص ٣٤١ – ٣٤٣ .

(٣) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٢ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.138 .

(٤) الأوامر العلائية ، ص ١٧٧ ، هذه الخطبة قرئت أثناء طلب مندوب السلطان القاضي صدر الدين الهاوري ، ابنة الملك فخرالدين بهرامشاه ، ملك أرزنجان ، للزواج من السلطان عزالدين كيكاوس . انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨١ – ٨٢ .

(٥) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧١ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.155 .

(٦) منجم باشي للمولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٥ب .

على السكة التي ضربها في سيواس سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م[1]. ثم ازدادت العلاقات قوة ورسوخاً بين دولة سلاجقة الروم والخلافة العباسية في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ عندما أرسل للخليفة الناصر لدين الله يخبره بسلطنته « فأرسل الخليفة منشور السلطنة ونيابة حكومة ممالك الروم مرفق معها الخلعة [2]، حملها الشيخ عمر بن محمد السهروردي [3] (٥٣٩-٦٣٢هـ / ١١٤٤-١٢٣٤م) الذي استقبل بحفاوة وإكرام ، حيث أمر علاء الدين كيقباذ أمراءه وكبار أعيان دولته بالخروج لاستقبال الشيخ السهروردي في أقسرا ، وذلك تقديراً لمقام الخليفة ومكانة الشيخ في نفس علاء الدين كيقباذ ، والتي ترجع إلى الرؤيا التي رآها السلطان قبل وصول سيف الدين آيبه لمبايعته بالسلطنة ، وتتضمن هذه الرؤيا ظهور « رجل نوراني ... فك قيد قدمه - أي علاء الدين كيقباذ - وأمر بإحضار بغلة ذات هيكل ضخم ، ثم وضع يده تحت إبط السلطان وأجلسه فوق البغلة وقال : « إن همة محبة عمر بن محمد السهروردي مع السلطان علاء الدين كيقباذ على الدوام » [4] . كما خرج السلطان لاستقبال مندوب الخليفة العباسي ، حيث أخذ في معانقته ومصافحته، ثم في اليوم التالي ، أجريت بدار السلطنة مراسيم لبس الخلعة والمكونة من عمامة مكورة في بغداد وضعت على رأس السلطان علاء الدين كيقباذ ، ثم ضُرب بمقرعة الحدود ، - وهي تقليد من تقاليد الخلافة - أربعين ضربة وكرر عليه أن يحرص على العدالة والشرع القويم [5] . وقدمت له جنيبة دار الخلافة ذات النعل الذهبي ، وركب السلطان والشيخ

---

(١) إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم : ص ١١٦ ؛ منجم أباشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦ب ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda , s. 330.

(٣) انظر الفصل السادس . ص ٨٥ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠٣ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦ب ؛
Ibn Bibi : op.cit. p.230.

(٥) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠٣ ؛ منجم باشي المولوي: صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦ب ؛
Ibn Bibi : op.cit, p.230 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda , s.330.

السهروردي حيث « شاهد الناس جميعاً السلطان على تلك الهيئة » (١).

وهكذا نجد أن السلطان علاء الدين كيقباذ ، حظي برضا الخلافة وتأييدها ، تمثل ذلك بإيفاد المندوب عمر بن محمد السهروردي ، وهذا التأييد لم نلحظه في سلطنة عزالدين كيكاوس ، وربما يدل ذلك على ميل الخلافة لعلاء الدين كيقباذ دون أخيه ، إذ ذكر ابن بيبي أن الشيخ السهروردي قال عند مقابلة علاء الدين كيقباذ : « ظل بال عمر بن محمد السهروردي قلقاً من ناحية سلطان الإسلام منذ ليلة السجن » (٢) . وهذا الميل ربما يعود إلى حاجة الخليفة لقوة علاء الدين كيقباذ ، إذ هدد علاء الدين محمد بن تكش الخوارزمي (٥٩٦ - ٦١٧هـ / ١١٩٩ - ١٢٢٠م) مركز الخلافة في ذلك الوقت (٣) .

على أية حال ، بعد أن أنهى مندوب الخلافة العباسية مهمته وحان موعد انصرافه ، حمله السلطان علاء الدين كيقباذ هدايا للخليفة مكونة من مائة ألف من أموال الخراج المقبوضة من الأرمن والبيزنطيين ، وخمسة آلاف دينار ذهبي من مسكوكات السلطنة (٤) . وعندما هدد المغول حدود الخلافة العباسية سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م ، استنجد الخليفة الناصر لدين الله بالسلطان علاء الدين كيقباذ طالباً منه

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٨ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.230 .

(٢) الأوامر العلائية ، ص ٢٣١ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٧ .

(٣) امتد سلطان السلطان علاء الدين محمد بن تكش إلى خراسان وبلاد الجبل كأصبهان والري وملك أيضاً بلاد ماوراء النهر كبخارى وسمرقند . وعظم جيشه حتى بلغ أربعمائة ألف مقاتل . طمع في قصد العراق وتملكه والسيطرة على الخليفة ، فقصد بغداد بعساكره . فأرسل الخليفة الناصر لدين الله الشيخ السهروردي ليرده عن قصده ، إلاّ أن تلك المفاوضات لم تثن السلطان علاء الدين خوارزمشاه عن قصده وأصر على التوجه إلى بغداد ، ولكن لنزول الثلج وسوء أحوال الطقس آنذاك ، رجع إلى بلاده عازماً على العودة ثانية ، ثم اتفق خروج التتار عليه . انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣١٦ - ٣١٨ ، ٣٧٣ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٢٢ ؛ ابن واصل : المصدر السابق، ص٣٤ - ٣٦ ؛ حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربي ، القاهرة (لا يوجد تاريخ) ، ص ٣٨ - ٥٨ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٩ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.233 ؛ Osman Turan : Selçuklular Zamaninda , s. 330.

إمداده بقوة عسكرية قوامها ألفي فارس [١]، وذلك بإيفاد رسوله محيي الدين محمد بن الجوزي حاملاً معه « الخلع والجنائب والأدوات المهذبة والآلات المذهبة [٢] ؛ فاستقبل السلطان رسول الخليفة استقبالاً يليق بمكانة الخلافة في نفسه » [٣] حيث نزل من فوق العرش وتسلم ركاب جنيبه حضرة الخليفة تعظيماً وتوقيراً ، وارتدى خلعة الخلافة وأخذ محيي الدين بيد السلطان وأجلسه على العرش ثانية » [٤] .

وهنا يتضح لنا تمسك السلطان علاء الدين كيقباذ بالعلاقات الطيبة مع الخليفة العباسي ، وذلك في موقفه بعدم رفض طلب الخليفة رغم أنه يرى غير ذلك [٥] . وقوله لأمرائه : « إننا لو أبلغنا هذه المقدمات للمسامع الشريفة لأمير المومنين قبل إرسال النجدة فسوف يحملها على العجز والضعف ويظن أننا ظننا بالأجناد فإن كانوا قد طلبوا ألفي فارس فلنرسل خمسة آلاف » [٦] .

وبالفعل جهز قوة عسكرية مكونة من خمسة آلاف من عسكر السباهية [٧] يرأسهم مستحفظ ملطية الأمير بهاء الدين قتلوغجة تصاحبهم راية السلطنة في أبهى صورها برفقة المبارزين والجنائب والحراس [٨] .

إلاّ أن تلك القوة السلجوقية بعد أن وصلت مشارف أربل[٩] ، انتفت الحاجة إليها لابتعاد المغول عن تلك الجهة ، فما كان من الخليفة إلاّ أن أرسل أحد كبار

---

(١) انظر نص الرسالة في أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣١ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.258 .

(٢) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٠ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.157 .

(٣) انظر وصف ذلك في أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٠ – ١٣١ .

(٤) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣١ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.258. .

(٥) انظر وجهة نظر السلطان في الفصل الخامس ص ٢١٢ – ٢١٣ .

(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٢ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.260 .

(٧) السباهية : كلمة اصطلاحية دخلت اللغة العربية عن لفظ « سباهي » الفارسي بمعنى جيش ، ويقصد بها قوات عسكرية خاصة ومثالها بعض فرق الفرسان عند الأتراك العثمانيين . انظر أحمد عطية الله : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٢٦ ، محمد التونجي : المرجع السابق ، ص ٣٣١ – ٣٣٢ .

(8) Ibn Bibi : op.cit. p.261.

(٩) أربل : قلعة حصينة ، ومدينة كبيرة ، ولقلعتها خندق عميق ، وهي في طرف المدينة . انظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٣٧ – ١٤٠ .

الأمراء لتقديم الشكر للسلطان على ذلك ، وقال : « كانت الأنباء قد تواردت من قبل بأن جيش المغول ... انطلق إلى هذه الناحية ، وكنا قد استنجدنا بالسلطان احتياطاً . أما الآن فنحن نسمع أن رأيهم قد تحول عن تلك الفكرة ... فيتعين على الأمير بهاء الدين العودة بجيشه بسلام » [١] وصاحب تلك الرسالة الخلع والأحمال الخليفية [٢] .

وهكذا نجد أن السمة الواضحة في نوعية العلاقة بين دولة سلاجقة الروم والخلافة العباسية الحرص من جانب السلاطين على إضفاء الصبغة الشرعية على سلطتهم ، ومن جانب الخلافة الاستنجاد أحياناً بقوة السلاجقة لدرء خطر المغول ، حيث تجدد ذلك سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م عندما قامت فرق المغول بالإغارة على الموصل وأربل وتخوف الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠هـ / ١٢٢٦ - ١٢٤٢م) من توجههم إلى بغداد ، فأرسل محيي الدين بن الجوزي [٣] ، ولكن لوفاة السلطان علاء الدين كيقباذ في شوال من تلك السنة لم تظهر نتيجة لسفارة الخلافة إلى دولة سلاجقة الروم . وعلى الرغم من قلة الأخبار في المصادر عن العلاقات بين الخلافة وسلاطين دولة سلاجقة الروم ، فإن إسماعيل غالب[٤] قد جلى لنا ذلك الارتباط في رصد أشكال مسكوكات السلاطين والمتضمنة على أحد وجهيها اسم الخليفة العباسي المعاصر لكل سلطان ابتداء من السلطان قلج أرسلان الثاني (٥٥١ - ٥٨٩هـ / ١١٥٦ - ١١٥٨م) وأبنائه حيث عاصر تلك الحقبة ثلاثة من الخلفاء العباسيين الناصر لدين الله ، وابنه الإمام الظاهر بأمر الله (٦٢٢ - ٦٢٣هـ / ١٢٢٥ - ١٢٢٦م) ، ثم المستنصر بالله ، حيث سك على إحدى العملات الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين وعلى الوجه الآخر السلطان الأعظم كيقباذ بن كيخسرو [٥] . هذا إلى جانب مخاطبته من قبل الخليفة - علاء الدين كيقباذ - بالسلطان الأعظم والقسيم المعظم وظل الله في العالم [٦] .

---

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٤ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.262, 263 .
(٢) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٤ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.262, 263 .
(٣) المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ .
(٤) تقويم مسكوكات سلجوقية ، ص٣-٤.
(٥) إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص ٣٥ .
(٦) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٥ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.458 ؛ حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

العلاقات مع الأراتقة

بحكم الموقع الجغرافي للكيانات السياسية الأرتقية ودولة سلاجقة الروم في الأناضول وتجاورهما معاً من الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية ، فإن الأمر لا يخلو من التقارب أحياناً [(١)] والعداء والقطيعة أحياناً أخرى ؛ ذلك أن الأراتقة بصفة عامة دأبوا على مراعاة مصلحتهم الذاتية والطاعة لمن يجدون أمنهم معه حتى وإن أدى الأمر إلى الاتحاد مع بعض القوى ضد بعضهم البعض [(٢)] . ففي سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٥م ، طمع أمير كيفا وآمد ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان في الاستيلاء على

---

(١) ارتبط بعض أمراء الأراتقة بعلاقة مصاهرة مع سلاطين دولة سلاجقة الروم ، إذ تزوج شمس الدولة سليمان بن إيلغازي ٥١٦ - ٥١٨هـ / ١١٢٢ - ١١٢٤م بابنة قلج أرسلان الأول ، وذلك ليقوي مركزه السياسي ، كما صاهر قلج أرسلان الثاني نورالدين محمد بن قرا أرسلان ، صاحب كيفا ، وأدى سوء التفاهم بينهما إلى تدخل السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م . انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٦٤ ؛ عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ١٤٠ ، ١٤١.

وقد ورد في كتاب أخبار سلاجقة الروم خبر عن نزول الملك غياث الدين كيخسرو على صاحب آمد أثناء مغادرته دولته على إثر نزاعه مع أخيه ركن الدين سليمان شاه على السلطة سنة ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م إلاّ أن بعض المعلومات التي وردت في الخبر فيها مغالطات ، إذ اكتفى بذكر اسم الملك الصالح وأن ابنة قلج أرسلان الثاني زوجته حيث حل غياث الدين كيخسرو ضيفاً على أخته ، وبالرجوع إلى المصادر الأخرى ، نجد أن صاحب آمد في ذلك الوقت الأمير قطب الدين سقمان بن محمد قرا أرسلان بن داود صهر الأيوبيين حيث تزوج ابنة العادل سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م ، وتوفي سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م ، ولم يقع تحت أيدينا ما يثبت مصاهرته للسلطان السلجوقي ، وقد خلف قطب الدين سقمان ناصر الدين محمود ، الملك العادل الأيوبي ، والذي يجعلنا أيضاً نشك في صحة هذه المعلومات قوله : « بنزول غياث الدين كيخسرو بعد خروجه من آمد على صاحب أخلاط بلبان ، وأخلاط في ذلك التاريخ ، تحت حكم المنصور محمد بن بكتمر ، بينما بلبان حكم سنة واحدة ٦٠٣ - ٦٠٤هـ / ١٢٠٧ - ١٢٠٨م ؛ ولكننا نخرج من ذلك بحسن العلاقة بين آمد ودولة سلاجقة الروم في ذلك الوقت لحسن استقبال صاحبها للملك المخلوع . أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣ ، ١٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٥٣ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٢ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ ؛ عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٥٩.

خرتبرت[١] من صاحبها نظام الدين أبو بكر بن عماد الأرتقي (٦٠٠ - ٦٢٠ / ١٢٠٣ - ١٢٢٣م)[٢] مستغلاً فترة وفاة السلطان ركن الدين سليمان شاه واستعان لتحقيق ذلك بقوات أيوبية بقيادة الملك الأشرف وقوات سنجار وجزيرة بن عمر والموصل[٣]، إلاّ أن السلطان غياث الدين كيخسرو لم يتخل عن صاحب خرتبرت بالرغم من كونه حديث عهد بتسلم السلطة ، وأرسل قوات لنجدته قوامها ستة آلاف مقاتل وبصحبتهم الملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط ، ولما وصلت هذه القوات إلى ملطية ، انسحب أمير آمد وحلفاؤه من حصار خرتبرت .

وهكذا تأكدت تبعية خرتبرت لدولة سلاجقة الروم وضمن نظام الدين أبي بكر عدم خروجها من يده ، ولكن مع ذلك لم يستطع استرجاع الحصن التابع له الواقع على بحيرة سمنين [٤] ، والذي استولى عليه صاحب آمد وطالت المفاوضات وترددت الرسل بين قوات دولة سلاجقة الروم وصاحب آمد لإعادة هذا الحصن إلى صاحب خرتبرت ، إلاّ أن الأمر لم يسفر عن شيء " وانفصل العسكران وعاد كل فريق إلى بلاده » [٥] .

وفي سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م ، انضم صاحب ماردين ناصرالدين أرتق بن أليغازي إلى حلف مكون من أمير الموصل وأربل والملك الظاهر صاحب حلب والسلطان غياث الدين كيخسرو ، وذلك للحفاظ على ممتلكاتهم من أطماع الملك

---

(١) خرتبرت : وهي خربوط وخربوت وهو الاسم الأرمني للمدينة ، وهو الحصن المعروف بحصن زياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٥٥ . انظر ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج٣ ، ق٢ ، ص٧٩٠ .

(٢) انظر : ستانلي لين بول : المرجع السابق ، القسم الأول ، ص ٣٥٤ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢٠٢ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٥٦ .
سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهي في لحف جبل عال . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٦٢ .

(٤) سمنين بلد من ثغور الروم . انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٥٥ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٠٣ ؛ عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٦٧ ، ١٦٨.

العادل الأيوبي وحليفه صاحب آمد ناصر الدين محمود [١] ، إذ استولى الملك العادل على نصيبين والخابور[٢] وضرب حصاراً على سنجار [٣] ، مما أدى إلى تدخل الخليفة الناصر لدين الله ، وترددت رسله لعقد الصلح بين الأطراف المتنازعة ، حيث تم ذلك [٤] . ولكن لتنامي قوة السلطان غياث الدين كيخسرو وقدرته على حماية أتباعه وتجدد تهديد الملك العادل الأيوبي لحلب نقض حلفاء السلطان غياث الدين كيخسرو الصلح السابق مع الملك العادل وتحولوا ضده بالدخول في طاعة السلطان السلجوقي بالخطبة له في بلادهم سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م [٥] .

واستمرت هذه التبعية إلى سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨هـ ، إذ لجأ أمراء الجزيرة إلى تجديد تبعيتهم للسلطان عزالدين كيكاوس وانضم إليهم أيضاً صاحب كيفا وآمد ناصر الدين محمود ، وذلك لحمايتهم من مهاجمة الملك الأشرف وحليفه أتابك الموصل بدرالدين لؤلؤ [٦] ، كما شارك الملك ناصر الدين محمود ، صاحب آمد السلطان

---

(١) للاطلاع على المزيد : انظر عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل من الموصل إلى الشام . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٨٨ ؛ الخابور : من أعمال الموصل في شرقي دجلة ، انظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٨٤ ، ١٨٦ .

(٤) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ج٢ ، ق١ ، ص ١٩٠ - ١٩١ ؛ ابن ايبك : المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٦٩ .

(٥) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٠١ ؛ أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، تحقيق عزة العطار الحسيني ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤م ، ص٧٥ ؛ انظر عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(٦) بعد وفاة الملك القاهر عزالدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود ، صاحب الموصل ، سنة ٦١٥هـ / ١٢١٠م ، وتولى بدرالدين لؤلؤ مقاليد الحكم باعتباره أتابك للابن الأكبر للملك القاهر نورالدين أرسلان شاه ، ظهر منافس وهو عمه عماد الدين زنكي بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ، مطالباً بالحكم في الموصل وما يتبعها بعد أخيه ، وتكونت لذلك تكتلات عسكرية وحليفين متنافسين ، الأول مكون من بدرالدين لؤلؤ أتابك الموصل والملك الأيوبي الأشرف ، والثاني مظفر الدين كوكبري ، صاحب أربل وأمراء الجزيرة ومنهم صاحبي آمد وماردين والسلطان عزالدين كيكاوس . للاطلاع على المزيد عن ذلك . انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣٢٣ - =

عزالدين كيكاوس والملك الأفضل أثناء حملة السلطان عزالدين كيكاوس على شمال الشام ، « واغتنموا شغل قلب الملك العادل بالفرنج ووافقهما الملك الصالح – صاحب آمد (١) – » ، وذلك طمعاً في تحقيق مكتسبات جديدة . وهذا يوضح لنا حرص أمراء الأراتقة على الإنضمام إلى القوى المجاورة للحفاظ على مواقعهم ومكتسباتهم ، إذ بعد أن أعلنوا تبعيتهم للسلطان عزالدين كيكاوس وخطبوا له في بلادهم ، وضربوا السكة باسمه ، نجد أن صاحب آمد ينسلخ من هذه التبعية بعد وفاة السلطان عزالدين كيكاوس سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م ، ويفارق حلفاءه ليرجع إلى « موافقة الأشرف » وأعلان تبعيته للملك الأيوبي ، حيث استقر الصلح بينهما وسلم إليه الأشرف مدينة حاني وحبل الجور » (٢) .

ومن خلال تتبعنا للسياسة الخارجية لأمراء الأراتقة ، ومدى ارتباطها بدولة سلاجقة الروم في فترة موضوع البحث ٦٠١ – ٦٣٤هـ / ١٢٠٥ – ١٢٣٦م ، نجد أن ميلهم دائماً للملوك الأيوبيين ، وذلك طبقاً لسياسة الأراتقة التقليدية باللجوء إلى القوى السياسية المجاورة للحفاظ على مكتسباتهم وكياناتهم السياسية ، بينما تكون متقطعة مع دولة سلاجقة الروم . ولكن لا تصل إلى حد إعلان العصيان ، ففي سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م ، وعندما عبرت القوات السلجوقية المتجهة إلى بغداد لنجدة الخليفة العباسي ضد التتار الطريق المار بإمارات الأراتقة (٣) « أخذوا في تقديم أنواع

=

٣٤٦ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٠ – ٢٨ ؛ العيني : المصدر السابق ، ج١٣ ، ورقة ٣٨١ .

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ١٨١ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٤٢ . انظر عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٧٤.
حاني : اسم مدينة معروفة بديار بكر تشتهر بمعدن الحديد . انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٠٨ .
حبل الجور : اسم لكورة متصلة بديار بكر أهلها نصارى . انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٠٢ .

(٣) أثناء مسيرة القوة السلجوقية المنجدة للخليفة العباسي تعمد القائد – وربما بأمر من السلطان علاء الدين كيقباذ – المرور على خرتبرت وآمد وماردين والموصل حيث بالغ أصحاب تلك البلاد في إكرام القائد وتقديم أنواع الهدايا والضيافات ، وبدوره أقام بهاء الدين قتلوغجة احتفالاً في الموصل أظهر فيه عظمة
=

الهدايا والضيافات » (١) . وبالرغم من أن المصادر التاريخية لم توضح علـى وجـه الدقـة تبعيتهم في ذلك الوقت إلى أي القوى السياسية الأيوبية أو السـلجوقية ، إلاّ أن تقديـم تشريفات السلطان وإنعاماته ربما تشير إلى التبعية لدولة سـلاجقة الـروم « وكـان بـهاء الدين يـبالغ بـدوره في احـترام الملـوك وإكرامـهم ، كمـا يوصـل إليـهم مـن تشـاريف السلطان وإنعاماته ورسائله النصيب الأوفى » (٢) .

وبالرغم من حرص الأراتقـة على عـدم اسـتثارة دولـة سـلاجقة الـروم ، إلاّ أن السياسة التقليدية التي انتهجها معظمهم هي عدم الاستقرار في تبعيتهم لدولة سلاجقة الروم والإذعان للقوة التي يرون عن طريقها تحقيق مكاسـب جديـدة جعلـت صـاحب آمد يصطدم سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م بالسـلطان عـلاء الديـن كيقبـاذ ، إذ انفـرد ابـن بيبي بذكر سبب قيام السلطان علاء الدين كيقباذ بالهجوم على ممتلكات صاحب آمد سنة ٦٢٣هـ بقوله : « إن الملك مسعود صاحب آمد قد انحرف برأسه عن ربقة الولاء للسلطان واستنصر بالملك الكامل وجعل الخطبة والسكة باسمه » (٣) . بينما يذكـر ابـن الأثير المعاصر للحوادث أن السبب في ذلك هو تحالف صاحب آمد مـع الملـك المعظـم عيسى صاحب دمشق ، ومظفر الدين كوكبري ، صاحب أربـل ، وصـاحب مـاردين والقـوة الجديـدة في المنطقـة جـلال الديـن منكـبرتي السـلطان الخوارزمـي ، واتفاقــهم الاسـتيلاء علـى أمـلاك الملـك الأشـرف الأيوبـي واقتسـامها بينـهم » (٤) ، ممـا جعـل

= السلطنة السلجوقية حيث علق بدرالدين لولو أتابك الموصل بقوله : « قد يستدل على ما للسلطان مـن كمال الخلال وارتفاع ذروة الشمائل والخصال بمثل هؤلاء المماليك النجبـاء » أخبـار سـلاجقة الـروم ص ١٣٣ ؛

Ibn Bibi : op.cit. p.260.

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٣ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم، ص١٣٢؛ بهاء الدين قتلوغجة، قائد السلطان علاء الدين كيقباذ وصاحب ملطية؛
Ibn Bibi : op.cit. p.260.

(٣) الأوامر العلائية : ص٢٧٤ - ٢٧٥ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٣ .

(٤) ابـن الأثـير : الكـامل ، ج١٢ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٨ ؛ وانظـر ابـن واصـل : مفـرج الكـروب ، ج٤ ، ص١٧٥ .

الأشرف يحرض السلطان علاء الدين كيقباذ للهجوم على أملاك صاحب آمد لإشغاله. وبمقارنة الروايتين ، نجد تطابقهما في جميع الحوادث فيما عدا السبب المباشر. ولمعرفتنا بطبيعة السياسة الخارجية لصاحب آمد وهي ولاءه دائماً لملوك الدولة الأيوبية والطاعة لمن يضمن له توسيع نطاق حكمه ، فإنا نرجح رواية ابن الأثير ، أولاً لمعاصرته للحوادث ، وثانياً أن ثمن طاعة صاحب آمد للمعظم عيسى وموافقته بقية الخلفاء أن « يقصدوا البلاد التي بيد الأشرف ويتغلبوا عليها ويكون لكل منهم نصيب » [١] .

وكيفما كان الأمر ، فإن هذه الإشارة من قبل الملك الأشرف للسلطان علاء الدين كيقباذ بالهجوم على أملاك الآمدي كانت الفرصة التي ينتظرها لتحقيق رغبة كامنة في نفس السلطان ، وهي التوسع شرقاً على حساب الأراتقة ، إذ أسرع بإرسال القوات من ملطية [٢] ، مما اضطر الملك مسعود بن ناصر الدين محمود إلى العودة لتبعية الملك الأشرف والاستغاثة به لرد توغل القوات السلجوقية واستيلائها على كل من كاختا وجمشكزاك وحصن منصور [٣] ، ولم يستجب السلطان علاء الدين كيقباذ لطلب الأشرف بترك آمد ، مما أرغم الأشرف على إرسال قوة شامية مكونة من عشرة آلاف فارس[٤] لمساندة صاحب آمد ، ولكن على إثر

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٥٣ ؛ انظر عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية ، ص ١٧٨.

(٢) انظر الفصل الثالث ص ٨٠ - ٨٤ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٥٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٣ - ١٤٧ ؛ الأوامر العلائية : ص ٢٧٥ - ٢٨٣ ؛

Ibn Bibi : op.cit. p.p. 275-283.

(٤) حدد ابن بيبي ومنجم باشي المولوي عدد القوة المرسلة من قبل الأشرف بعشرة آلاف فارس ، بينما ابن الأثير المعاصر للحوادث ذكر بقوله : « جمع عسكره ومن ببلاده ممن يصلح للحرب » أي لم يعطنا عدد لتلك القوات كما أن معظم تلك القوة غير معدة للقتال ، ويبدو أن عشرة آلاف فارس عدد مبالغ فيه ولكن بما أن هذا العدد ذكرته مصادر سلجوقية فيبدو أن ذكرهم لذلك إنما للتفخيم من قوة دولة سلاجقة الروم ، إذ استطاعت القوة السلجوقية إلحاق الهزيمة بهذه الأعداد من القوات الشامية . انظر الأوامر العلائية : ص ٢٧٦ ؛ صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ أ ؛ الكامل في التاريخ ج١٢ ، ص ٤٥٩ .

هزيمتهم [١] ، اضطر الملك مسعود إلى طرق باب الصلح ، وطلب الأمان ، وذلك على لسان رسول خاص بعثه مع « خدمة تليق بالسلطان من اللآلئ والجواهر والخيول والغلمان والملابس الملونة »[٢]. وعاد إلى التبعية للسلطان علاء الدين كيقباذ والتزم بأن يرسل « كل سنة أموالاً وأحمالاً مجهزة إلى الخزانة » [٣] .

ويبدو أن الملك مسعود وجد نفسه وحيداً أمام السلطان علاء الدين كيقباذ لانشغال الملك الأشرف بصراعه مع أخيه المعظم عيسى [٤] ، وأيضاً انشغال السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي بغزو تفليس وإخماد الثورات في بلاده [٥] . لذا وجد أنه من الخطأ أن ينفذ ما وعد به السلطان الخوارزمي بالخطبة له في بلاده [٦] ، كما تبعه في ذلك صاحب ماردين ، واضطر إلى الدخول في طاعة السلطان علاء الدين كيقباذ والخطبة له وسك العملة باسمه سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م [٧] . ولكن هذه التبعية - من جانب صاحب ماردين - لم تدم طويلاً ، إذ اضطر في رمضان سنة ٦٢٦هـ / أواخر يوليه ١٢٢٩م ، إلى الخطبة للسلطان الكامل محمد الأيوبي ، وضرب السكة باسمه [٨] ، وذلك لدخول البلاد الشرقية تحت سيطرته [٩] . أما صاحب خرتبرت ، فإنه لم يخرج من الطاعة لدولة سلاجقة الروم ،

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٤٥٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٣ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩أ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٨٧ - ٢٠٣ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٩ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.291 .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٩ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٥٩ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٧٩ - ١٨٠ ؛ انظر د. علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ١٢١ - ١٢٣ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٥٤ - ٤٥٥ ، ٤٥٩ - ٤٦٠ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٨٧ ؛ ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ١٢٩ ؛ انظر د. علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص١٢١ ؛ حافظ حمدي : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٦) النسوي : المصدر السابق ، ص ٣١٠ ؛ انظر عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية ، ص ١٧٨.

(٧) إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٨) المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٣٦ ؛ عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ١٨١.

(٩) استلم الملك الكامل البلاد الشرقية الرها ، حران الرقة ، سروج ، رأس العين ، وجملين ، الموزر والتي كانت لأخيه الملك الأشرف عوضاً عن دمشق التي أعطاها للملك الأشرف بعد أخذها من أخيهما =

كما في ماردين وآمد ؛ وبسبب هذه التبعية ، تعرض لهجوم جلال الدين خوارزم شاه سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م أثناء حصار الأخير لخلاط وتوتر الخلافات بينه وبين السلطان علاء الدين كيقباذ [١] .

وهكذا نجد أن الإمارات الأرتقية متذبذبة في الولاء بين القوتين الإسلاميتين المتجاورتين الأيوبيين والسلاجقة ، وذلك حرصاً على استقرارهم واستقلالهم الذاتي ، إلاّ أن هذه السياسة التي استنها مسعود صاحب آمد لم تنفعه سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م، وذلك عندما خرج إليه الملك الكامل محمد واستولى على آمد بالقوة [٢] « ورتب الملك الكامل بالشرق ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب وجعله ولي عهده في ممالك الشرق خاصة » [٣] . وبسقوط آمد واندماجها تحت لواء الدولة الأيوبية ، تحت قيادة السلطان الكامل محمد أدرك السلطان علاء الدين كيقباذ مدى خطورة هذه المجاورة . حقيقة إن الملك مسعود يقطع الخطبة له أحياناً لصالح الأيوبيين ، إلاّ أن تمكنهم - الأيوبيين - من هذه الإمارة ينذر بسقوط بقية الإمارات الأرتقية وخسران كيانات سياسية مؤيدة لدولة سلاجقة الروم في منطقة الجزيرة سواء بسقوطها أو دخولها في طاعة الملك الكامل ، واستخدامها شوكة تؤرق الاستقرار السلجوقي ، وهذا ما حدث بالفعل ، إذ عندما تجددت الصدامات بين الدولتين الأيوبية والسلجوقية سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٤م ، خرج صاحب خرتبرت [٤] عن الطاعة السلجوقية ، وطلب الحماية من الملك الكامل محمد « وأشار عليه بالدخول إلى بلاد الروم من جهة

=

المعظم عيسى . انظر : ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٨٤ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٥٧ - ٢٧٦ ؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج٣ ، ق١ ، ص ٥٨ ، ٨١ .

(١) النسوي : المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

(٢) للاطلاع على كيفية هذا الاستيلاء ، انظر عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية ، ص١٨٤ - ١٨٦.

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٧ - ٣٤ .

(٤) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٧٨ ؛ ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) : تقديم محمد مهدي السيد حسن الخرسان ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ج٥ ، ص ٢٢٩ .

خرتبرت » (١) . وهكذا فتح السلطان عـلاء الديـن كيقبـاذ ثغرة مـن جهـة الشـرق ، ولكن ذلك لم يفت في عضد السلطان ، إذ أرسل اثنا عشر ألـف مقـاتل بقيـادة خيرة قادته مبارز الدين حاولي وبهرامشاه الجاندار(٢) ، وكذلـك تـاج الديـن بروانـة وسـعد الدين كوبك (٣) ، حيث التقوا بالقوات الشامية وألحقوا بـها هـزيمة سـاحقة ، والتجـأ الملك المظفر صاحب حمـاه وشمـس الديـن صـواب وبقيـة العسـاكر إلى قلعـة خرتـبرت للتحصن بها ، فتبعتهم القوات السلجوقية وطوقت القلعة بتسعة عشر منجنيقاً أمطرت المحاصرين بسيل من القاذفات اضطرهم إلى جانب نفاذ الأقوات لطلب الأمان وتسـليم القلعة ، فوافق السلطان علاء الديـن كيقبـاذ على منحـهم الأمـان ، ورفعـت الأعـلام السلطانية على قلعة خرتبرت في ذي القعدة سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٤م ، ثم مـا لبـث أن استولى على عدة قلاع أخرى كانت تابعة للأراتقة (٤) ، أما صاحب خرتـبرت ، فقـد عفا عنه السلطان ، وذلك بناء على الأمان الذي منح للملك المظفر ومن معـه وأقطعه إقطاعاً داخل الأناضول لم تحدده المصادر التاريخية « فأقام به عنده إلى أن مات » (٥).

وهكذا سقطت هذه الإمارة الأرتقية التي لم تشكل خطراً على دولـة سـلاجقة الروم منذ قيامها سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م . وقد نتسـاءل عـن سـبب موقـف صـاحب

---

(١) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص ٦٨٤ ؛ ابـن واصـل : المصـدر السـابق ، ج٥ ، ص ٧٨ ؛ ابن الوردي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٢٩ .

(٢) الجاندار : لفظ فارسي الأصل ، وتعني فئة من المماليك تتبع السـلطان ومثلها الخاصكيـة ويتـألف لفـظ الجاندريه من جان ومعناه السلاح بالفارسية ودار بمعنى ممسك السلاح ، محمد أحمـد دهمـان : المرجـع السابق ، ص٥١ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.440 .

(٤) ابـن العديـم : زبـدة الحلـب ، ج٣ ، ص ٢١٨ ؛ أخبـار سـلاجقة الـروم : ص٢٣٢ - ٢٣٦ ؛ منجـم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ١٨٥١أ ؛ عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ١٨٨ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.440 .

(٥) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٨١ ؛ وذكر ابن واصل أيضاً بأن السلطان علاء الدين كيقبـاذ التزم أن يسلم صاحب خرتبرت « عوضاً عنها من بلاد الروم أقشهر وغيرها ، فلم يف لـه عـلاء الديـن بما التزم به » . نستشف من هذه العبـارة أن صـاحب خرتـبرت ربمـا اعتقـل لهـذا لم يعـرف لـه إقطـاع خاص ؛ ابن الوردي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٢٩ ؛ المقريـزي : المصـدر السـابق ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٤٩ .

خرتبرت الخضر بن إبراهيم [١] . فهذه الإمارة الصغيرة الواقعة في أقصى شمال ديار بكر وعمق شرق الأناضول لم تخرج عن الطاعة السلجوقية ، بل تمتعت بحماية السلاطين السلاجقة حتى من بقية الإمارات الأرتقية ؛ ولكن ربما أن صاحبها انخدع بضخامة القوات الأيوبية فاضطره خوفه من فقدان إمارته ، كما حدث لآمد ، إلى تقديم المساعدة لهم ، ليضمن استقراره بعد هزيمة هذه الجحافل للقوات السلجوقية ، وربما أيضاً أنه لم يكن راضياً عن تبعية آبائه لسلاطين السلاجقة ، فوجد في أول قوة تسيطر على معظم بلاد الجزيرة - القوة الأيوبية - المخلّص له من الولاء لسلاجقة الروم .

وكيفما كان الأمر ، فلم يتبق من الإمارات الأرتقية إلاّ ماردين التي قرر صاحبها - أمام سقوط خرتبرت في يد السلطان علاء الدين كيقباذ - الدخول في طاعته ، وذلك لتحقيق أمرين :

١ - ضمان عدم تعرض السلطان لبلاده .

٢ - الحصول على مزيد من المكاسب نظير هذه التبعية .

وبالفعل ، ففي السنة التالية ، أي سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م بعد هجوم السلطان علاء الدين كيقباذ على أملاك السلطان الملك الكامل الأيوبي والاستيلاء على الرها وحران والرقة ، استطاع صاحب ماردين كنتيجة للاشتراك معه في بعض العمليات أن يحصل على أموال لا تحصى [٢] . ولكنه لم يهنأ بهذه المكاسب ، إذ عاد السلطان علاء الدين كيقباذ إلى بلاده تاركاً نوابه في الرها وحران وأيضاً صاحب ماردين ، مما جعلهم فريسة سهلة للسلطان الكامل محمد الذي استعاد ما أخذه منه السلاجقة في بلاد الجزيرة سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م . ونزلت القوات الأيوبية على دُنَيْسِرُ [٣]

---

(١) انظر ستانلي لين بول : المرجع السابق ، ق١ ، ص ٣٥٧ .

(٢) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٩٤ ؛ عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٩٠.

(٣) دُنَيْسِرُ : بلدة عظيمة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان ولها اسم آخر يقال لها قوج حصار . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٧٨ .

وهدمتها ماعدا الجامع [١] . « وعدة بلاد كثيرة من بلاد صاحب ماردين » [٢] ، إلاّ أن ذلك لم يؤثر في موقف صاحب ماردين تجاه الأيوبيين ، ولم يخضع مثل الإمارات الأرتقية السابقة ، بل بقي على ولائه لدولة سلاجقة الروم واشترك مع القوات الخوارزمية التي أرسلها السلطان علاء الدين كيقباذ ضمن قواته للاستيلاء على آمد في الخامس من ذي الحجة سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م ، حيث حاصروا آمد وأحرقوا نصيبين ، وذلك رداً على ما فُعل بدنيسر [٣] .

والحقيقة أن العلاقة الأرتقية بدولة سلاجقة الروم في فترة حكم السلطان غياث الدين كيخسرو وأبنائه تراوحت ما بين التبعية أحياناً والعداء أحياناً كثيرة ، وذلك تبعاً لما تمليه عليهم مصالحهم السياسية ؛ فإذا أحسوا بقوة السلطة الأيوبية ووصولها إليهم أعلنوا التبعية لهم ، وخاصة صاحب آمد . أما صاحب ماردين ، فإن موقفه الحيادي أكثر من اتباع أسلوب حكومة آمد ، فهدفه الدائم عدم السماح للقوة الأيوبية بالتوسع في بلاد الجزيرة . لذا يلجأ دائماً إلى الجهة المناوئة لهم سواء الإمارات المحلية أو دولة سلاجقة الروم . وقد استقرت العلاقة الحسنة الناتجة عن تبعية ماردين لدولة سلاجقة الروم من عام ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م إلى وفاة السلطان علاء الدين كيقباذ سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م .

---

(١) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٦٩٥ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص٢٥٣ ؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٦٠.

(٢) المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص٢٥٢ .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٠٩ ؛ سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٦٩٥؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص٢٥٢ ؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق ،ج٦ ، ص٢٦٠.

العلاقات مع الأيوبيين

أثر تجاور كل من دولة سلاجقة الروم والدولة الأيوبية على طبيعة العلاقة بينهما بالإيجاب أحياناً والسلبية أحياناً كثيرة ، فامتداد الدولة الأيوبية شمالاً وتمكنها من مناطق مهمة في بلاد ديار بكر ، ورغبة دولة سلاجقة الروم في مد النفوذ جنوباً للوصول إلى عمق بلاد الشام قدح نار الحرب بينهما في فترات متباعدة . ومع ذلك ، فإن الأمر لا يخلو من فترات الود والصفاء والمصاهرة ، وظهرت أول علاقة مصاهرة بين أفراد الأسرة الحاكمة السلجوقية وسلاطين دولة بني أيوب في سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م عندما لجأ معزالدين قيصر شاه بن قلج أرسلان إلى صلاح الدين الأيوبي « مستنصراً بالسلطان على أبيه وإخوته » (١). وذلك على إثر محاولة السلطان قطب الدين ملك شاه توحيد البلاد تحت سيطرته (٢) . فكانت هذه المصاهرة ذات وجهين لتحقيق الأمان لمعزالدين قيصر شاه وحماية إقطاعه . والتهديد والوعيد لأخيه قطب الدين ملكشاه إذا اعتدى عليه . فقد ذكر ابن واصل ذلك بقوله : « وقد أمن من إخوته وغيرهم ، لأنه راح معه كتب بتهديد ووعيد وعسكر كثير » (٣) .

وقد تمتع معز الدين قيصر شاه بهذه الحماية الأيوبية بضع سنوات ، ولكن لا ندري على وجه الدقة ، هل كانت هذه الحماية نتيجة تبعية أم لا ، لأن المصادر التاريخية لم تلمح إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد . وعلى أية حال ، فإن الملك معز الدين قيصر شاه لم يستطع الصمود أمام اجتياح أخيه الثاني ركن الدين سليمان شاه سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م ، وهرب ملتجئاً إلى حمية الملك العادل (٤) الذي لم يستطع نجدته ، وذلك لقوة نفوذ السلطان السلجوقي الجديد ركن الدين سليمان شاه ، ورغبة الملك العادل في عدم استثارته ، لاسيما وأنه منهمك في إعادة توحيد الدولة الأيوبية

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٧٦ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٧١.

(٢) انظر الفصل الأول ص ٦ - ١٢ .

(٣) مفرج الكروب : ج٢ ، ص ٣٧١ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ١٦٩ ؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣١٧.

تحت سيطرته ، وكان الصراع محتدماً بيه وبين ابـني أخيه - صـلاح الديـن - الظـاهر غازي صاحب حلب والملك الأفضل صاحب دمشق [١] . فآثر تهدئة معز الدين قيصر شاه ، وتسهيل إقامته على أن ينصره ويفتـح علـى نفسـه جبهـة معاديـة شماليـة تعرقـل خططه الرامية إلى بسط نفوذه على الشام ومصر وبـلاد الجزيـرة وديـار بكـر . وبـهذا الموقف نجح الملك العادل في نزع فتيل انفجار متوقع الحدوث مع دولة سلاجقة الروم، ثم تطورت الحوادث على صعيد الدولة الأيوبيـة ، أصبـح بعدهـا الأفضـل بـن صـلاح الدين الأيوبي مجرداً من ممتلكاته في الشام وبلاد الجزيرة ، ولم يبق في يده غير سميساط، وذلك على إثر صراعه مع عمه الملـك العـادل [٢] . ونظـراً لقـرب سميسـاط مـن دولـة سلاجقة الروم ، فقد راسل الملـك الأفضـل السـلطان ركـن الديـن سـليمان شـاه سـنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٣م معلناً لجوءه إليه ، وباذلاً له الطاعة والموالاة ؛ وخطب له في بـلاده إضافة إلى نقش اسمه على السكة نكاية في عمه العادل[٣] .

والحقيقة أن هذه التبعية من قبل أحد أفراد البيت الأيوبي لسلطان دولة سـلاجقة الروم لم يؤد إلى صدام مسلح بين الدولتين في حينها ، بل استمر الوضـع كمـا هـو إلى أن تقلد السلطان غياث الدين كيخسرو السلطة واستعان صاحب آمد سنة ٦٠١هــ / ١٢٠٤م بالملك العادل للاستيلاء على خرتبرت من صاحبها نظام الدين أبو بكر التابع لدولة سلاجقة الروم ، فأدى ذلك إلى تقديم واجبات التبعيـة مـن قبـل الملـك الأفضـل للسلطان غياث الدين كيخسرو بانضمامه وقواته إلى القوات السلجوقية الـتي خرجـت

---

(١) للاطلاع على أسباب ذلك الصراع وتطوره ونتائجه ، انظر : علي الغامدي : بـلاد الشـام قبيـل الغـزو المغولي ، ص٦١ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السـابق ، ج١٢ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ ؛ العيـني : المصـدر السـابق ، ج١٣ ، لوحـة ٢٧٨؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٦١ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السـابق ، ج١٢ ، ص ١٨٢ -١٨٣ ؛ ابـن واصـل : المصـدر السـابق ، ج٣ ، ص ١٥٠ - ١٥٢ ؛ أبو الفدا : المختصر ، ج٣ ، ص ١٠٤ ؛ المقريـزي : المصـدر السـابق ، ج١ ، ق١ ، ص١٦٢ ؛ العيني : المصدر السابق ، ج١٣ ، لوحـة ٢٧٨ ؛ علـي الغـامدي : بـلاد الشـام قبيـل الغـزو المغولي ، ص ٥٦ ، ٥٩ ، ٦١ ؛ إبراهيم محمد الخضر : العلاقات السياسية الخارجية بين سلاجقة الـروم والقوى الإسلامية المجاورة في آسيا الصغرى . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمـام محمـد بـن سعود الإسلامية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ١٩٠ .

لمواجهة قوات الملك العادل ، إلاّ أن الأمر لم يصل إلى وقوع القتال الفعلي بين الطرفين ، وترددت الرسل بينهما ، وعاد جيش كل منهما إلى بلاده [1] .

وهكذا تم للمرة الثانية تحاشي الاصطدام بين الملك العادل وبين دولة سلاجقة الروم . ولعل ذلك يعود إلى رغبة الملك العادل في تهدئة جبهته الشمالية كيما يتفرغ لتثبيت أركان دولته داخلياً من ناحية ، وتوفير جهده لمواجهة الصليبيين المجاورين له في الشام من ناحية أخرى .

وعلى كل حال ، فإن الاتصال المباشر بين دولة سلاجقة الروم والدولة الأيوبية تتضح أكثر مع مملكة حلب ، وذلك لمجاورتها الأناضول وتداخل الثغور الشامية والجزرية بين الدولتين ، حيث كان بعضها يتبع مملكة حلب وبعضها الآخر يتبع دولة سلاجقة الروم . لذا اتسمت العلاقات بينهما بالتفاهم ومراعاة حسن الجوار [2] . وقد اتخذ الملك الظاهر غازي سنة ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م موقف الحياد أثناء صراع أبناء قلج أرسلان الثاني ، فاستقبل الملك غياث الدين كيخسرو عندما خرج ليطلب المساعدة من القوى المجاورة ضد أخيه ركن الدين سليمان شاه ، ولكنه لم يعده بشيء لخوفه من ركن الدين سليمان من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه لن يقبل على نفسه تسليمه إذا ما طالب ركن الدين سليمان به « فأعرض عنه » [3] ، مما جعل غياث الدين كيخسرو يضطر إلى مغادرة حلب . ولكن هذا الموقف لم يؤثر على حسن العلاقة والاستعداد لتقديم المساندة . ففي سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م ، قصد السلطان غياث الدين كيخسرو بلاد الملك الأرمني ليون ، وطلب نجدة من الملك الظاهر غازي . وبطبيعة الحال ، لم يتوان الملك الظاهر في الاستجابة لطلبه ، وذلك تعبيراً صادقاً لحسن العلاقة بينهما . كما أنه يخدم الملك الظاهر نفسه الذي يعاني من تجاوزات الملك ليون

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٠٢ ؛ انظر عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ١٦٧ – ١٦٨ .

(٢) علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٣١٧ – ٣١٨ .

(٣) ابن العديم : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٦٠ .

المستمرة على حدوده (١) . وقد استفاد السلطان غياث الدين كيخسرو من تلك المساعدات ، إذ أسهم قادة القوات الحلبية سيف الدين بن جندر والأمير عزالدين آيبك (٢) في نجاح السلطان غياث الدين كيخسرو في هذه الغزوة والاستيلاء على عدة قلاع وتخريب البعض الآخر (٣) . ولم يجد من ضغطهم على الملك ليون إلاّ دخول فصل الشتاء وتراكم الثلوج في تلك البلاد (٤) . وتدخل الملك العادل الذي استنجد به الملك ليون طالباً منه وقف هجوم القوات المتحالفة السلجوقية والأيوبية - الحلبية - وقد استجاب السلطان غياث الدين كيخسرو لطلب العادل وصالح الملك ليون الثاني الأرمني على أن يرد حصن بغراس للداوية وأن لا يهاجم أنطاكية كما يرد إليه الأموال التي سبق وأن تركها عنده عندما لجأ إليه هارباً من أخيه ركن الدين سليمان شاه (٥) .

وهكذا استغل السلطان غياث الدين كيخسرو تدخل الملك العادل الأيوبي « فابتدر كيخسرو وصالح ابن لاون » (٦) ، ليملي الشروط التي يريد هو وفي الوقت نفسه يدرأ عنه تحرك السلطان الملك العادل إليه .

ويبدو أن كلا من السلطانين يحاول قدر الإمكان عدم الاصطدام بالآخر ، إذ

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ١٥٦ - ١٥٨ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٣٥٢ - ٣٥٤ .

(٢) عزالدين ايبك فطيس أحد مماليك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ، ويعرف بصاحب صرخد ، وذلك لتوليه تلك البلدة من قبل الملك المعظم ، ولم يزل بها إلى أن أخذها منه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م ، ونقله إلى القاهرة ، حيث بقي معتقلاً بها إلى أن توفي في جمادى الأولى سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م . ابن خلكان : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٤٩٤ - ٤٩٦ ؛ إبراهيم محمد الخضر : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ١٥٩ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٨٧ ؛ العيني : المصدر السابق ، ج١٣ ، ورقة ٣١٤ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ١٥٩ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٨٧ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص١١١.

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب : ج٣ ، ص١٦٠ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٥٤.

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ١٦٠ ؛ انظر علي الغامدي : حصن بغراس ودوره الحربي في عصر الحروب الصليبية ، ص٢٩٠ - ٢٩١ .

عندما حاصر الملك العادل سنجار في السنة التالية ٦٠٦هـ / ١٢٠٧م وطلب صاحب أربل مظفر الدين كوكبري وصاحب الموصل نورالدين أرسلان شاه من السلطان غياث الدين كيخسرو التحالف معهم ضد الملك العادل ، أظهر موافقته ، ولكن لم تبين المصادر التاريخية تحركه « وبقي كل واحد من الملوك في بلده » (١) . وربما تدخل في الصلح ليحد من تصاعد الأحداث في منطقة ديار بكر ؛ فقد أشار ابن العديم في سياق هذه الحادثة بقوله : « وكذلك تدخل في الصلح ملك الروم » (٢) ، ولم تتعد العلاقات بين الدولتين إلى أكثر مما حدث ، وذلك لانشغال السلطان غياث الدين كيخسرو في توسيع حدوده الغربية ، ثم استشهاده في معركته مع البيزنطيين في نيقية سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م ، واستمر الحال على ذلك أثناء حكم السلطان عزالدين كيكاوس ، الذي اقتصرت علاقته على التلويح بالاستعانة بهم ضد منافسيه ؛ فقد أشار ابن واصل إلى أن عزالدين كيكاوس هدد عمه الملك مغيث الدين طغرل شاه ، صاحب أرزن الروم بالملك الأشرف أثناء اشتراكه في حصاره سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م (٣) ، كما أرسل الملك علاء الدين كيقباذ إلى الملك الظاهر يطلب منه التدخل في الصلح بينه وبين أخيه السلطان عزالدين كيكاوس ، عندما حاصره الأخير في أنقرة أثناء مطالبته بالعرش ، ولكن الظاهر اكتفى بإرسال الشيخ تقي الدين علي بن أبي بكر الهروي (٤) في الصلح بين الأخوين دون الضغط على السلطان عزالدين كيكاوس ، وانتهت هذه الأزمة بالقبض على علاء الدين كيقباذ وسجنه بمنشار ، كما مر بنا سابقاً ، ولم يكن للظاهر دور مؤثر في تلك القضية (٥).

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٨٧ .

(٢) زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ١٦٣ .

(٣) رغم عدم دقة ابن واصل في تحديد المدينة التي حوصر فيها عزالدين كيكاوس ، إلاّ أن روايته هذه تبين لنا اتصاله بالملك الأشرف عند الحاجة . مفرج الكروب : ج٣ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٤) أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي الأصل ، نسبة إلى مدينة هراة ، الموصلي المولد ، السائح المشهور نزيل حلب . له مكانة عند الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين صاحب حلب وأقام عنده، وكان كثير الرعاية له ، وبنى له مدرسة بظاهر حلب . وفي ناحية منها قبة . توفي في رمضان سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م في مدرسته المذكورة ودفن في القبة . انظر ابن خلكان : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٥) انظر ص ٤٢ - ٤٤ من البحث.

وعلى أية حال ، فإن السلطان عزالدين كيكاوس أدرك مدى حاجته لمساندة الملك الظاهر غازي الأيوبي ، ملك حلب ، ضد الأرمن مستغلاً حالة التوتر بين الظاهر وعمه الملك العادل ، وبذلك يحقق أحد أمرين ، إما امتداد نفوذه شمال الشام بدخول الظاهر تحت ظله ، كما فعل الملك الأفضل صاحب سميساط ، أو إيجاد حليف قوي يأمن معه على حدوده الجنوبية ويعملا معاً على تقليص نفوذ الأرمن في المنطقة ، وبدأ السلطان عزالدين كيكاوس بتنفيذ مخططه هذا بأن أرسل سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م إلى الملك الظاهر البشارة باستعادة أنطاليا ومعها هدية [١] . وفي المحرم من السنة التالية، سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م ، أرسل إلى الملك الظاهر يطلب منه الاجتماع به عند مرعش للهجوم على ملك الأرمن وانتزاع أنطاكية منه [٢] ، وذلك وفق خطة اقترحها السلطان عزالدين كيكاوس تتمثل في تطويق الملك ليو الأرمني بالقوات الإسلامية - السلجوقية الحلبية - وحليفها بوهمند الرابع ، صاحب طرابلس ، بحيث تخرج القوات السلجوقية من جهة مرعش والأيوبية من جهة دربساك [٣] ، وبوهمند من جهة أنطاكية . وقد استجاب الملك الظاهر في بداية الأمر « وأخذ في جمع الرحال وبذل الأموال »[٤]، وذلك بسبب ضيقه من مجاورة الملك ليو الثاني الأرمني من جهة ، ومن جهة أخرى حالة التوتر التي بينه وبينه عمه ، حيث وضح لنا ابن العديم [٥] ذلك بقوله : « ووقعت المراسلة بين السلطان الملك الظاهر وبين السلطان كيكاوس بن كيخسرو ، واتفقا على أن يمضي السلطان إلى خدمته ويتفق معه خوفاً من عمه » ، ولكن الرسالة التي حضر بها عبدالرحمن المنبجي من السلطان عزالدين كيكاوس فيما

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٣ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٤ ؛
Ibn Bibi : op.cit. p.146.

(٢) للاطلاع على سبب ضم أنطاكية لمملكة الأرمن في قليقية ، انظر ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٣ ؛ رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٨ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ؛ حصن بغراس ، ص ٢٩٢ ؛ حسين عطية : إمارة أنطاكية ، ص ٢٥٤ - ٢٩٧ .

(٣) دربساك : قلعة مرتفعة لها بساتين وشرقها مروج يجري فيها النهر الأسود وهي قرية أهلها نصارى وحرفتهم صيد الأسماك ، أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٢٦١ .

(٤) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٤ .

(٥) زبدة الحلب : ج٣ ،ص ١٦٨ .

بعد أدخلت الشك في نفس الظاهر ، إذ تضمنت « شروطاً تضر بالملك الظاهر وتوافق عزالدين »[1]. وقد علل ابن واصل [2] ذلك إلى « عدم كفايته » - أي الرسول - فما كان من الظاهر إلاّ أن أرسل إلى عمه الملك العادل يعرض عليه الموقف ويستشيره حياله، فأتاه الجواب من الملك العادل باستهجان الوضع ، وأشار عليه بعدم الاجتماع مع ملك الروم أصلاً وشرح له ما يترتب على ذلك من مفاسد » [3] ، ولم يوضح ابن واصل سبب رفض العادل لرأي ابن أخيه الظاهر في الاجتماع بسلطان سلاجقة الروم لمحاربة الملك ليو الأرمني وما هي المفاسد التي سوف تترتب على ذلك . ولكن يبدو أن العادل رأى أن استيلاء سلطان سلاجقة الروم على مملكة أرمينية الصغرى وأنطاكية سوف يؤدي إلى ازدياد نفوذه [4] . لذا فمن المصلحة إبقاء القوة الأرمنية لتعادل كفة القوى في المنطقة رغم التجاوزات التي تصدر منهم على مملكة حلب .

وكيفما كان الأمر ، فقد أوقع في يد الملك الظاهر ، فهو قد استجاب لطلب السلطان عزالدين كيكاوس ضد الملك ليو الأرمني ، بينما عمه الملك العادل نصحه بخلاف ذلك ؛ وفيما الرسل تترى من السلطان عزالدين كيكاوس لحث الظاهر على الخروج ، إذ بليو يظهر في سماء هذا التحالف برسالة [5] مطولة يستعطف فيها الملك الظاهر ويفصل له خدماته التي سبق وأن قدمها ، إذ لم يتعرض لبلاده رغم إتاحة الفرصة لذلك ، كما أنه أكثر خدمة من بوهمند الذي يريد الظاهر مساعدته لاسترجاع أنطاكية . وقد بالغ الملك ليو في التذلل والخضوع للملك الظاهر حتى قال: « إني مملوك السلطان وغرس دولته » [6] ، ورافق تلك الرسالة هدية قيمة [7] وما فعل

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٤ .

(٢) مفرج الكروب : ج٣ ، ص ٢٣٤ .

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye , s. 312.

(٤) علي الغامدي : بلاد الشام ، ص ٣٥٥ .

(٥) انظر ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٣ ، ص ٢٣٥ .

(٦) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٧) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

ليو ذلك إلاّ لينقذ دولته ونفسه من خطر هذا التحالف الذي ليس له قدرة على مواجهته والمتمثل في قوة سلاجقة الروم والقوات الحلبية ، وأيضاً الصليبية بقيادة بوهمند الرابع ، صاحب طرابلس . وقد نجح نسبياً برسالته هذه في تحييد الجبهة الأيوبية ، ولم يتأكد هذا الحياد إلاّ بعد وصول أنباء إغارة قوات السلاجقة من مرعش على مدينة البلاط [١] التابعة لحلب ، وقتل جماعة من سكانها الأرمن وأسر جماعة أخرى . فعظم ذلك على الملك الظاهر ووجدها فرصة سانحة للتخلص من الاتفاق مع السلطان عزالدين كيكاوس والعمل بما نصحه به عمه ، فقال لقاضي [٢] السلطان السلجوقي : « العجب أنكم تطلبون منا المعاونة وتخربون بلادنا » [٣] . ولم تفلح اعتذارات القاضي وتبريره ذلك بأن هؤلاء الأرمن قد سبق وأن ساعدوا الملك الأرمني في هجومه على الأراضي السلجوقية ؛ والدليل على ذلك « أنه وجد بالبلاط قسي [٤] مما غنمه ابن لاون من بلاد الروم لما أغار عليها » [٥] . وما فعله من الهجوم - السلطان عزالدين كيكاوس - إلا مجازاة لهم على مافعلوه ببلاده ، ولكن لم تجد اعتذارات وحجج القاضي السلجوقي في إقناع الظاهر عن ما عزم عليه « فأعرض الظاهر عن الحركة لنصرة عزالدين كيكاوس ورجع عن عزمه الأول » [٦] .

وبهذا لم يستطع السلطان عزالدين كيكاوس استخدام قوة الملك الظاهر في مد

---

(١) البلاط : مدينة عتيقة بين مرعش وأنطاكية ، يشقها النهر الأسود ، وهي من أعمال حلب . انظر ياقوت الحموي ، ج١ ، ص ٤٧٧ .

(٢) أرسل عزالدين كيكاوس قاضي أقصرا وقاضي العسكر أوحد الدين حسين بن عبدالكريم لحث الملك الظاهر على الخروج لتنفيذ الحلف الذي طلبه عزالدين كيكاوس ، وقد وافق حدوث الهجوم من قبل جنود السلاجقة على البلاط تواجد القاضي في حضرة الملك الظاهر . انظر ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٥ .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٦ .

(٤) القسي : فسر ابن منظور القسي الشديد ، ودرهم قسي : رديء ، ودرهم قسي ضرب من الزيوف ، أي فضته صلبة رديئة ليست بلينة . ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منصور (ت٧١١هـ/١٣١١م) : لسان العرب ، علق عليه علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج١١ ، ص ١٦٨ .

(٥) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٦ .

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ١٦٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٦ ؛ ابن أيبك : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٨٤ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام ، ص٣٥٦ - ٣٥٧ ؛ إبراهيم الخضر : المرجع السابق ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

نفوذه جنوباً ، وذلك لتكاتف أعضاء البيت الأيوبي [(١)] . ولكن ذلك لم يثبط همته ، بل تجددت بعد وفاة الملك الظاهر في منتصف جمادى الثانية سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م ، حيث استغل هذه الظروف للتدخل في شؤون حلب ، تمهيداً لضمها لسلطته . ورأى في الملك الأفضل ابن صلاح الدين صاحب سميساط الأداة التي يستخدمها لتحقيق أهدافه [(٢)] . فأرسل إلى زعماء حلب معزياً بوفاة الظاهر ، ومقترحاً في الوقت نفسه ، تعيين الأفضل بن صلاح الدين ، صاحب سميساط أتابكاً للعسكر ؛ فهو أكبر أبناء صلاح الدين الأيوبي وعم الملك الصغير « وهو أولى بتربيته وحفظ ملكه » [(٣)] ، إلاّ أن هذا الاقتراح رفض من قبل أغلب الحلبيين ؛ فما كان من السلطان عزالدين كيكاوس إلاّ تنفيذ خطته التالية ، وأيضاً باستخدام الملك الأفضل بن صلاح الدين ، إذ يرجع سبب إصراره على مرافقة الملك الأفضل لعلمه أن طائفة كبيرة من عسكر حلب يميلون إليه ، فضلاً عن تعاطف السكان معه ؛ وهذا يسهل عليه تحقيق هدفه في بسط نفوذه على تلك المملكة الأيوبية . لذا فقد بالغ في إكرامه واستقباله بحفاوة بالغة عند قدومه من سميساط عليه وقدم له هدايا كثيرة من الخيل والسلاح [(٤)] . وتم الاتفاق

---

(١) ذكر ابن واصل : أن من صفات الملك الظاهر حرصه على ضم شمل البيت الصلاحي ، لما استولى عمه على الممالك ، إذ أحسن إليهم ، ولولاه كان تفرق الشمل ، وفي هذا الموقف نجد أن الملك الظاهر وجد أن من مصلحته ولاستمرارية الحكم لأبنائه من بعده الانضمام إلى جبهة عمه الملك العادل ، إذ أرسل القاضي بهاء الدين إلى الملك العادل نظير تخليه عن نصرة السلطان السلجوقي بأن يقر بولاية العهد لابنه الملك العزيز « وقائماً بملك حلب وبلادها بعده » . وقد أجابه الملك العادل في ذلك ، انظر مفرج الكروب ، ج٣ ، ص ٢٣٧ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٣٧ .

(٣) ابن العديم : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ؛ ابن واصل : المصدر السابق ج٣ ، ص ٢٥٠ .

(٤) ابن العديم : زبدة حلب ، ج٣ ، ص ١٨١ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ ؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام ، ص ٣١٨ – ٣١٩ .

على أن جميع ما يستولون عليه من مملكة حلب تسلم للملك الأفضل على أن يقيم الخطبة والسكة للسلطان عزالدين كيكاوس ، يسيرون بعد ذلك إلى الشرق للاستيلاء على أملاك الأشرف مثل الرها وحران من البلاد الجزرية [(١)] . كما قام كيكاوس بمراسلة بعض أمراء الأطراف التابعين لحلب وأطمعهم بإقطاعات في الأناضول ، حيث كاتب علم الدين قيصر، صاحب دربساك . و« كتب له توقيعاً بابلستان »[(٢)]، وتبعه في ذلك الطنبغا ، صاحب بهسني [(٣)] . ثم توجه عزالدين كيكاوس وبصحبته الأفضل في ربيع الأول سنة ٦١٥هـ/يونيه ١٢١٨م نحو مملكة حلب ، فاستولى على رعبان [(٤)] وسلمها للأفضل ، فكان لهذا أثره في اطمئنان مؤيدي الأفضل الحلبيين لحملة كيكاوس و « مالوا إليه » [(٥)] ، ثم واصلت القوات السلجوقية وحليفها الأفضل السير إلى تل باشر[(٦)]. بعد حصار شديد ، سقطت في قبضتهم ، إلاّ أن كيكاوس أخذها لنفسه ونصب فيها أحد أمرائه [(٧)]، فكان لهذا أثره في إحساس الملك الأفضل بسوء نوايا السلطان السلجوقي ، واعتبر ذلك أول الغدر من جانبه ؛ لذا نجده يراجع نفسه ويدرك مدى خطورة تعاونه مع السلطان السلجوقي ضد ابن أخيه. فعمل على تغيير تعامله مع السلطان عزالدين كيكاوس ، فأشار عليه بضرورة الإستيلاء على القلاع التابعة لحلب ، بعد أن كان فيما سبق يستحثه للاتجاه إليها ، وذلك ليعطي

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٤٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٦٤ ؛ العيني : عقد الجمان ، ج١٣ ، لوحة ٣٨٥ .

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٦٦ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص١٨١ .

(٣) بهسني قلعة حصينة بقرب مرعش وسميساط من أعمال حلب . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥١٦ .

(٤) رعبان : مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات ، وهي قلعة تحت جبل . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٥١ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٤٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٦٤ ؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام ، ص ٣١٩ .

(٦) تل باشر : قلعة حصينة في شمال حلب ، ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص ٤٠ .

(٧) ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٧٤ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٥٥ .

أمراء حلب الفرصة لاتخاذ التدابير للدفاع عن مدينتهم ؛ وفي المقابل ، فإن الحلبيين لم يكونوا بتلك القوة لمواجهة قوات السلاجقة الزاحفة إليهم ، لذا أرسلوا يستنجدون بالملك الأشرف بن العادل ، صاحب البلاد الجزرية ، والمتواجد في الشام لمواجهة الصليبيين (١) . فما كان من الأشرف إلاّ الإسراع بما معه من قوات ومن انضاف إليه من قبائل العرب الشامية من طيء وغيرهم ونزل خارج حلب.(٢)

وأثناء تواجد السلطان عزالدين كيكاوس في منبج بعد الإستيلاء عليها ، انطلقت طلائع قواته المكونة من ألف فارس من خيار عساكره ، حيث التقت بالمقاتلة العرب وبعض عسكر الأشرف في وادي بزاعا (٣) . وفي ربيع الاخر سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م، منيت القوات السلجوقية بهزيمة ساحقة « وقتل منهم جماعة وأسرت جماعة » (٤) ، كما استبيحت أموالهم ، وغنمت أسلحتهم وخيولهم . فلما بلغ هذا النبأ عزالدين كيكاوس ، وهو بمنبج على رأس جيشه الرئيسي « ولى منهزماً وقد ملأ الرعب قلبه » (٥) . فكانت هذه فرصة الأشرف بن العادل وقواته لاستعادة الحصون التي سبق وأن سيطر عليها من قبل السلاجقة ، حيث بدأ بتل باشر ثم رعبان وغيرها ، وأنزل منها عساكر السلاجقة وتركهم يعودون إلى بلادهم . ولكن عزالدين كيكاوس كان بانتظار كبار هؤلاء القادة ، حيث جمعهم في دار وأحرقهم لاتهامه لهم بأنهم قصروا في اتخاذ أهبة الحرب . وهذا ما أجمعت عليه المصادر التاريخية العربية (٦) .

---

(١) تزامنت هذه الحوادث مع هجوم الحملة الصليبية الخامسة على مدينة دمياط سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م ، حيث طلب العادل من ابنه الملك الأشرف مهاجمة الحصون الصليبية في الشام لإشغالهم عن مصر . للمزيد ، انظر ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٦٥ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٢٢٩ - ٢٥٤ .

(٢) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦ب ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣٤٨ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ص ٣٢٠ .

(٣) بزاعا : من أعمال حلب بين منبج وحلب . ياقوت الحموي ، ج١ ، ص ٤٠٣ .

(٤) انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣٤٩؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٦٧.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٤٩ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٦٨ ؛ علم الدين سنجر المسروري : مخطوط ملحق بالبستان الجامع ، مكتبة سراي أحمد الثالث ، تركيا ، رقم ٢٩٥٩ ، ورقة ٣٤٦ .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٤٩ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٦٨ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٨٣ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص ١١٩ ؛ العيني : المصدر السابق ، ج١٣ ، ورقة ٣٨٦ .

وقد اتضح سبب هذا الاتهام وهذه العقوبة عند ابن بيبي الذي فصل وقائع هذه الحوادث في كتابه " الأوامر العلائية " فقال : بأن الملك الأشرف اجتمع بأخته والدة الملك العزيز صاحب حلب - ضيفه خاتون - وتشاور معها في كيفية التصدي لخطر السلاجقة ، فأخبرته بأن الجواسيس أفادوا بأن مع السلطان عزالدين كيكاوس عساكر كثيرة ، ومن الصعب مواجهته عسكرياً في ميدان مكشوف ، ولابد من استخدام الخدعة والحيلة لاختلال ثقة السلطان في جنده . وقد وجدت رجلاً من سكان بلاد الروم له معرفة تامة بأسماء أمراء الدولة جميعاً وما يحملون من ألقاب ، وكانت له صلة بمعظمهم ، فأغرته بالمال وحلفت له بأن هذا الأمر لو تحقق ورجع بجيش الروم لسلمته أضعاف ذلك ، وذلك مقابل إعداد رسائل جوابية مزورة بأسماء بعض قادة السلطان تتضمن الاتفاق مع الملك الأشرف الأيوبي وأخته والدة صاحب حلب للغدر بالسلطان عند وقوع المعركة ، ووضع هذه الرسائل وبصحبتها الأموال والهدايا المتفق عليها في مكان معين خارج حلب ، ثم يذهب هذا الرجل ويدخل على أحد خواص السلطان ويفشي هذا السر ، وبالفعل انطلت هذه الحيلة على السلطان ، إذ تحقق من صحة ما وصل إليه عندما وجد الأمناء الذين أرسلهم - السلطان عزالدين كيكاوس- الأموال والهدايا المذكورة جاهزة فعلاً ، فدخل الشك نفسه وأوجس الخيانة من أمرائه [١] . لذا بعث بمقدمة قواته التي هزمت على يد القوات الأيوبية ، ثم تتفق رواية ابن بيبي مع روايات المصادر العربية في استعادة الأشرف للحصون وإطلاق سراح الأمراء الذي عاقبهم عزالدين كيكاوس فيما بعد بحرقهم في دار أعدت لذلك ؛ وهنا نستغرب إغفال ابن الأثير ومن بعده ابن واصل لتلك التفاصيل رغم أنها وقعت في بلاد الشام ، وأحد أطراف هذه الوقائع الملك الأشرف الأيوبي وأخته ضيفة خاتون رغم حرص كل من هاذين المؤرخين على تسجيل أدق تفاصيل التاريخ الأيوبي ، كما أن ابن بيبي لم يشر أثناء عرضه لتلك الوقائع إلى اتفاق السلطان عزالدين كيكاوس والملك الأفضل ، ولكن من خلال التوافق بين روايات المصادر العربية ورواية ابن بيبي

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص٩٢ - ٩٥ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦ب ؛
Ibin bibi : op.cit. p.198.

نستخلص بعض أسباب فشل حملة السلطان عزالدين كيكاوس على حلب وهي :

أولاً : ارتكب السلطان عزالدين كيكاوس خطأً فادحاً بمهاجمة بلاد الشام في وقت هجوم الحملة الصليبية الخامسة سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م ، إذ ألب المشاعر الإسلامية ضده ، بل واتهم بمساعدة الصليبيين ، إذ قال ابن تغري بردي : « وهو الذي أطمع الفرنج في دمياط » [(١)] ، وذلك لسوء توقيته للقيام بهذه الحملة وإشغال جزء كبير من القوات الأيوبية في التصدي لهجومه . بينما نجد أن هذا التوقيت من وجهة نظر السلطان السلجوقي فرصة لتحقيق مراده ، وذلك لانشغال الملك العادل بالصليبيين آنذاك.[(٢)]

ثانياً : افتقاد قادة السلاجقة لروح التعاون بينهم والإخلاص لدولتهم ووقوع التحاسد بينهم . فقد ذكر ابن بيبي [(٣)] أنه « من فرط الحسد والحقد الذي يشعر به أمراء الروم تجاه بعضهم لم يتقدم حاشنكير خطوة واحدة ، بل تراجع إلى الوراء » [(٤)] .

ثالثاً : أرجع ابن الأثير [(٥)] انهزام عزالدين كيكاوس إلى صغر سنه وقلة خبرته في الحروب « وإنما فعل هذا لأنه صبي غر لا معرفة له بالحرب وإلاّ فالعساكر ما برحت تقع مقدماتها بعضها على بعض » أيضاً علل ذلك « بجودة خيل

---

(١) النجوم الزاهرة : ج ٦ ، ص ١٩٧ ؛ انظر العيني : المصدر السابق ، ج١٣ ، ورقة ٣٨٧ ؛ انظر :
Ali Sevim yaşar yücel : op.cit, s.152 .

(٢) انظر علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ص ٣٢٢ .

(٣) الأوامر العلائية ، ص ١٩٣ .

(٤) كانت خطة كيكاوس تقدم أمير المجلس كطليعة بأربعة آلاف رجل ثم يتبعه سيف الدين آيبه حاشنكير، بينما هو يسير بالقلب في إثرهما مع أربعة عشر ألفاً ، وحينما التقى أمير المجلس بالقوات الحلبية المكونة من القوات العربية من بني طي وقوات الأشرف وانهزم ، أرسل إلى حاشنكير يحثه على الإسراع لنجدته ، فقال الجاشنكير : « أيظل يكذب حتى الآن ، أنذهب نحن الآن ونهزم الجيش وتعلو شهرته هو ؟ » ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٩٥ ؛

Ibin Bibi P lp.cit. p.193.

(٥) الكامل في التاريخ : ج١٢ ، ص ٣٤٩ .

الأيوبيين ودَبّر خيل الروم ». كما علق منجم باشي المولوي بقوله: « وغفل عن مكر الأعداء لشبابه وعدم تجربته » .(١)

رابعاً : إضافة إلى الأسباب السابقة - يبرز عنصر الشك وعدم الثقة الذي وقع في نفس السلطان عزالدين كيكاوس تجاه قادته وارتيابه منهم (٢) ، إذ استطاع الأشرف وأخته استغلال هذه الثغرة في الإدارة السلجوقية ونجحوا في هدفهم وهو إبعاد القوات السلجوقية دون تحقيق أغراضها .

على أية حال ، أدرك السلطان عزالدين كيكاوس حجم الخطأ الذي وقع فيه ، وهو إعدام قادته بهذه الصورة وأثر ذلك في نفسيته ، مما جعله يقع فريسة المرض ، ويبدو أنه اكتشف أبعاد الخديعة التي شارك في صياغتها الملك الأشرف صاحب البلاد الجزرية ، فأصر على الانتقام منه ، وغسل عار الهزيمة التي لحقت به ، فأخذ يعد العدة للهجوم على أملاك الأشرف والاتفاق مع الأمراء الأراتقة لتعزيز موقفه (٣) ، ولكن المرض اشتد عليه وتوفي سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م ، الأمر الذي أدى إلى تغير مجرى الحوادث ، وتحول علاقة العداء والصدام المسلح بين القوى الأيوبية ودولة سلاجقة الروم إلى علاقة صداقة وحسن جوار ، وذلك في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ الذي حرص على تحسين علاقاته مع القوى المجاورة لدولته للتفرغ لتقوية سلطته الداخلية « فراسل الأشرف واتفق معه » (٤) ، وذلك لعلاقته المباشرة آنذاك دون بقية

---

(١) جامع الدول : ورقة ٨٦ .

(٢) ذكر ابن بيبي أن السلطان عزالدين عزالدين كيكاوس استشار كبار أمرائه في أمر غزو مملكة حلب ، فقال : « لو أننا قصدنا ولاية الشام بحشد كبير قبل أن يكونوا حيشاً ويدبروا أمراً فإن بيرقنا سوف يرفرف بعون الحق على شرفات تلك الديار وتظهر الفسحة في رقعة البلاد » ولكن الأمراء لم يحبذوا ذلك لأن آباء وأجداد الملك الصغير طالما أعربوا عن محبتهم لهذه الأسرة (السلجوقية) وأرسلوا الأحمال والتحف مثلما أرسلوا العساكر وقت طلب المدد . ويبدو أن هذه المعارضة مازالت في نفس السلطان عزالدين كيكاوس ، وعندما وقعت الهزيمة أيقن أن لأمرائه يداً في ذلك . الأوامر العلائية ، ص١٨٤ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨٨ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٥٤ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda , s.318.

(٤) ابن العديم : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٨٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٠ .

الملوك الأيوبيين لتركيز السلطان السلجوقي في تلك الفترة أنظاره على شرق الأناضول بما فيها ديار بكر والجزيرة التي يدين معظمها للملك الأشرف موسى ، ويشكل بعضها الحزام الأمني لدولة سلاجقة الروم من الجهة الشرقية . وقد استمرت حسن العلاقة تلك قرابة الست سنوات ، أي في الفترة ٦١٦ - ٦٢٢هـ / ١٢١٩ - ١٢٢٥م ، تخللها تبادل الهدايا [١] . ولم يعكر صفاء تلك العلاقة إلاّ حوادث سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م ، وتنافس كل من السلطان علاء الدين كيقباذ والملك الأشرف على بعض مدن ديار بكر ومنطقة الجزيرة [٢] ، واصطدام القوات السلجوقية بالقوات الأيوبية الشامية وانهزام الأخيرة . ولكن يبدو أن السلطان علاء الدين كيقباذ لم يرد تأزم الموقف وسوء العلاقات مع بني أيوب نتيجة هذا التنافس وما نتج عنه من صدامات عسكرية ، فأسرع بإطلاق سراح عزالدين بدر [٣] ومن معه ، ثم خلع عليه خلعة ملكية وأذن له بالتوجه إلى الشام [٤] ، كما حرص على تقوية صلاته بالأسرة الأيوبية ، حيث بعث رسله محملين بالهدايا [٥] لخطبة ابنة الملك العادل شقيقة المعظم عيسى صاحب دمشق (٦١٥ - ٦٢٤هـ / ١٢١٨ - ١٢٢٧م) . وقد استقبل أبناء العادل هؤلاء الرسل ، وتم هذا الزواج في احتفال عظيم [٦] . فقوت هذه المصاهرة العلاقة السلجوقية الأيوبية وعادت كما كانت من حسن جوار وتحالف تام ، حيث تجلى ذلك سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م عندما جمعهما التصدي للخطر المشترك لكليهما

---

(١) انظر ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ١١٢ ، ١٢١ ، ١٣٤ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٢١ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام ، ص ٣٢٢ .

(٢) ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص١٦٥ - ١٦٦ ، ١٨٠ - ١٨١ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda , s.348-350.

(٣) وقع عزالدين بدر ، قائد القوات الأيوبية ، أسيراً بعد هزيمته أمام القوات السلجوقية أثناء حصار حصن كاختة سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م . انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٥٠ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ب .

(٥) ذكر ابن بيبي أن السلطان علاء الدين كيقباذ قال للنائب سيف الدين بن حقه باز : " يبدو لي أن مصاهرة أبناء العادل من شأنها أن تعمل على استحكام دعائم التوفيق " ، الأوامر العلائية ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٥١ - ١٥٤ .

والمتمثل في حصار السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي لخلاط عاصمة ممتلكات الملك الأشرف موسى الأيوبي في الجزيرة [(١)] ، ثم استيلاؤه عليها وتهديده المباشر لدولة سلاجقة الروم ، حيث أرسل السلطان علاء الدين كيقباذ الرسل تباعاً للملوك الأيوبية [(٢)]، فاستجاب له الملك الأشرف ورافقه كل من الملك الجواد والملك الغازي والملك العزيز » [(٣)] . وأثمر التنسيق الشامل بين القوتين السلجوقية والأيوبية عن إنزال الهزيمة بالقوات الخوارزمية في معركة ياسي جمن[(٤)] ، وهروب السلطان جلال الدين منكبرتي عائداً إلى بلاده [(٥)] ، تاركاً وراءه امواله وخزائنه التي غدت غنيمة سائغة لسلاجقة الروم وعساكر الشام [(٦)] .

وهكذا استطاع علاء الدين كيقباذ درء الخطر الخوارزمي بفضل مساندة القوات الأيوبية [(٧)] ، ولم يقف الأمر على ذلك ، بل كان لتدخل الملك الأشرف موسى

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٨٧ ؛ أرسل أيضاً علاء الدين كيقباذ إلى السلطان جلال الدين الخوارزمي مؤكداً له ارتباطه بالأيوبيين وتحالفه معهم ، وذلك بقوله : « لا تظنن أني عدوهم لكني صديقهم ومحارب لأجلهم لأن بيننا مصاهرة » ، انظر ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٧٦.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda , s.370.

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١١٣ ؛ سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٦٠ ؛ ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ؛ علي الغامدي ، ص١٢٩ .

(٤) انظر تفصيل ذلك في الفصل الرابع ص١٤٠ ، ياسي جمن : موضع بين خلاط وارزن الروم به عين يفور منها الماء فوراناً شديداً . انظر : القزويني : المصدر السابق ، ص ٥٦٨ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٩٠ ؛ سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٦٠ ؛ ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص٢٠٥ - ٢٠٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٣ ؛ انظر : علي الغامدي ، بلاد الشام ، ص ٣٢٦ .

(٦) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٦٦١ ؛ ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٢١٠ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام ، ص ٣٢٦ .

(٧) ذُكر في أخبار سلاجقة الروم ، أن السلطان علاء الدين كيقباذ منح الملك الأشرف عدة قلاع في أرمينية الكبرى بالإضافة إلى مدينة أخلاط بموجب منشور يؤكد ذلك . وقد نستغرب ذلك سيما وأن خلاط عاصمة أملاك الملك الأشرف في منطقة الجزيرة ولم نجد في المصادر المعاصرة للحادثة ما يشير إلى صحة الرواية الآنفة ، وربما أن المنشور الذي ذكره ما هو إلاّ الأمر للجاشنكير شمس الدين التون آبه بمرافقة الملك الأشرف وبصحبتهم خمسة آلاف جندي لاستعادة أخلاط من أتباع السلطان الخوارزمي.
=

وسعيه عند السلطان الخوارزمي الأثر في الحصول على الحلف منه بعدم التعرض لممتلكات السلطان علاء الدين كيقباذ ، إذ لم يبرح شمس الدين التكريتي رسول الملك الأشرف بلاد السلطان جلال الدين منكبرتي حتى تحقق ذلك [1] . ولكن هذا الود والصفاء لم يلبث طويلاً ، إذ انفكت عرى الحلف السلجوقي الأيوبي ، وتدهورت العلاقات بين هاتين الكتلتين المتجاورتين سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م بسبب تصادم المصالح وتعدي السلطان الأيوبي الكامل محمد (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٨م) بمد نفوذه شمالاً عندما استولى على آمد وخضع له أمراء الجزيرة ودانوا بالطاعة له حينها « استشعر منه علاء الدين كيقباذ بن كيخسر بن قلج أرسلان » [2] ، ورد على ذلك با لاستيلاء على خلاط التابعة للملك الأشرف وبعض القلاع المحيطة بها وشرع في عمارتها ونقل إليها الفلاحين والغلال وزرعها حيث كانت مرتعاً لقطاع الطرق ، وهدفاً لغارات الجيوش المغولية [3] . ولم يكتف بذلك بل تطلع إلى بسط نفوذه على بقية بلدان الجزيرة [4] ، فأدى ذلك إلى وقوع اشتباكات مسلحة بين القوات الأيوبية بقيادة الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد وبين العساكر السلجوقية [5] .

وفي سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م ، قرر السلطان الكامل محمد بالاتفاق مع أخيه الأشرف على بسط نفوذ الدولة الأيوبية شمالا على حساب أملاك السلطان علاء الدين كيقباذ « فلا يقع للسلطان علم بالأمر إلاّ بعد أن يغزو الكامل بلاد الروم ويجلس على العرش » [6] ، وذلك رداً على استيلاء السلطان على أملاك الأشرف في

=

انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٩١ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٧ ؛ Ibin Bibi : op.cit.p.425-426 .

(١) النسوي : المصدر السابق ، ص ٣٣٥ . تفاصيل ذلك في ص ١٤٥ .

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٤ ؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ص٣٢٧ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.p. 427-428 .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٣١٦ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٧٤ ؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام ، ص ٣٢٧ .

(٥) ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٦) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢٩ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.436 .

بلاد أرمينية الكبرى ، وأيضاً لتأمين أتباع الأيوبيين في الجزيرة . وعندما علم السلطان علاء الدين كيقباذ بتجمع ملوك بني أيوب [١] ، وتوجههم إلى بلاده ، أرسل على الفور إلى كمال الدين كاميار وبقية القادة للحضور بقواتهم لصد هذا الغزو الأيوبي وشرعت القوات الدفاعية السلجوقية بسد المسالك المودية إلى بلادهم « بالشجر والحجارة وشحنها بالمقاتلين »[٢] ، ساعدهم في ذلك صعوبة هذه الطرق المتعرجة عبر مرتفعات وعرة وهي طبيعة جغرافية جنوب الأناضول . فلما وصلت القوات الشامية وجدت أنه من الصعوبة احتياز تلك المسالك الصعبة ، إضافة إلى أن القوات السلجوقية تقاتل من أماكن مرتفعة ، فهي بذلك صاحبة الكفة الراجحة في هذه المعارك [٣] .

على أية حال ، فقد فشل السلطان الكامل محمد في تحقيق أهدافه أواخر سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٣م ، واكتفى بتخريب عدة حصون [٤] والعودة إلى مصر فيما نجح السلطان علاء الدين كيقباذ في الاستيلاء على قلعة خرتبرت [٥] بعد استنزال القوات الأيوبية المتحصنة بها [٦] .

وهنا تظهر لنا حنكته في محاولته عدم توسيع أطراف الخلاف مع بني أيوب ، إذ

---

(١) انضم إلى السلطان الكامل محمد بناء على طلبه كل من الملك الناصر داود بن المعظم عيسى صاحب الكرك والملك المجاهد صاحب حمص والملك المظفر صاحب حماه ، فضلاً عن عساكر حلب . حيث ذكر المورخون بأنه احتمع تحت قيادة السلطان الكامل محمد ستة عشر ملكاً من بني أيوب . انظر ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٧٤ ، ٧٥ ؛ سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٨٤ .

(٢) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢٩ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.436 .

(٣) ابن العديم : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢١٧ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٧٧. للاطلاع على سير المعارك بين القوات السلجوقية والجيش الأيوبي ، انظر علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٣٢٦ - ٣٣٣ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٣١ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٧٨ .

(٥) انظر ص ١١٦ - ١١٨ من البحث .

(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٣٢ - ٢٣٦ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب : ج٣ ، ص ٢١٨ ؛ سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٨٤ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨١أ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٤٩ ؛ Ibin bibi : op.cit. p.441 .

عندما شدد الحصار على خرتبرت وطلب المظفر صاحب حماه الأمان أجابه السلطان إلى طلبه ، وقد سجل ابن بيبي [(١)] الهيئة التي استقبل بها السلطان أمراء الشام وملوكهم بقوله : « خرج أمراء الشام وملوكهم من القلعة ونزلوا بموضع كان ضيوف الشرف قد حددوه من قبل ، فأرسل السلطان لكل خلعه على قدر مرتبته وأمر بأن يحضروا إلى الحفل » وقد قصد السلطان علاء الدين من ذلك استمالة جانب هؤلاء الأمراء وتحسين علاقته معهم لتقليص مؤيدي السلطان الأيوبي الكامل محمد وإضعاف جبهته، وهذا ما حصل إذ ما أن عاد المظفر إلى الكامل حتى بدأت تتدهور العلاقات بين ملوك الشام والكامل محمد [(٢)] .

وقد ذكر بعض المؤرخين أسباب فشل حملة الكامل محمد هذه منها :

أولاً : صعوبة جغرافية جنوب الأناضول ، الأمر الذي أعاق تحرك القوات الشامية ، وبالتالي تراجعت أمام ضربات الرماة السلاجقة من أعالي المرتفعات .[(٣)]

ثانياً : نقص المؤن والغلال لدى جيش السلطان الكامل محمد[(٤)] ، فمن الصعب تموين قوة ضخمة كالجيش الأيوبي ، ذكر ابن العبري أن « بنو العادل حشدو حشداً كبيراً من مصر وحلب » ومن تبعهم من ملوك الجزيرة [(٥)] ، في الوقت الذي فرض فيه السلطان علاء الدين كيقباذ حصاراً اقتصادياً ضد السلطان الكامل محمد . أشار إلى ذلك ابن نظيف الحموي بقوله : « ثم إن السلطان

---

(١) الأوامر العلائية ، ص ٤٤٥ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٣٦ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٢١٨ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٤٩ ؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢٨٣ ؛ سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص ٦٨٤ ؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام ، ص ٣٣٠ .

(٣) علي الغامدي : بلاد الشام قبل الغزو المغولي ص ٣٢٨ .

(٤) المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٤٨ .

(٥) تاريخ الزمان ص٢٨٠؛ Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye,s.380.

لم يحدد ابن العبري القوات الأيوبية بينما ذكر أن عدد جيش السلطان علاء الدين كيقباذ بلغ ١٠٠,٠٠٠ محارب من الفرنج واليونان والأرمن والكرج وخوارزم ، وإذا سلمنا بقوة الجيش السلجوقي وكثرة عدده فإنه لم يصل إلى ١٠٠,٠٠٠ وإنما هذه طريقة بعض المورخين في إعطاء أرقام كبيرة للقوات العسكرية ذات الكثرة العددية .

الكامل حنق على الرومي لأشياء منها منعه التركمان من الوصول بغنم أو غله »[١] ، وأيضاً تحذير كل من « يبيع دواب للشاميين وأن جزاء من يفعل ذلك القتل والصلب »[٢] .

ثالثاً : انتشار الإشاعات واستغلال انعدام الثقة بين ملوك الأيوبية والسلطان الكامل محمد لترويج عزم السلطان محمد على الاستيلاء على ممتلكات السلاجقة وتوزيعها على ملوك الشام والجزيرة من بني أيوب ، بعد استخلاص ملك مصر والشام[٣] لنفسه ومن المحتمل أن السلطان علاء الدين كيقباذ وراء ذلك فكما هو معروف أن « الحرب خدعة »[٤] فقد وردت إشارة من ابن نظيف الحموي بأنه « ورد على الملك المجاهد صاحب حمص رسول كيقباذ صاحب الروم »[٥] ولم يفسر لنا سبب هذه الزيارة أو ماذا دار خلالها ؛ إلاّ أن اجتماع الملك المجاهد مع الملك الأشرف وتداولهم عزم السلطان الآنف الذكر[٦] ربما يفسر لنا سبب هذه الزيارة ونجاح خطط السلطان علاء الدين كيقباذ في تفريق الجموع الأيوبية .

وعلى إثر تلك الظروف التي أحاطت بالسلطان الكامل ، عاد بخفي حنين إلى بلاده وزاد الأمر سوءاً سوء أحوال الطقس . فقد « دخل فصل الشتاء وحال بين الفريقين وعاد كل إلى بلاده »[٧] . وقد استغل السلطان علاء الدين كيقباذ تواجد قواته في المنطقة ، وأمر بعد انقضاء شتاء سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م الاستيلاء على حران

---

(١) التاريخ المنصوري : ص ٢٤٢ .

(٢) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٣٧ ؛ ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.446.

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٧٧ ؛ سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٦٦٤؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٤٨ .

(٤) السيوطي : الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ/١٥٠٥م) : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ .

(٥) التاريخ المنصوري : ص ٢٥٦ .

(٦) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٧٧ .

(٧) ابن العديم : زبدة الحلب : ج٣ ، ص ٢٢٠ ؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام ، ص ٣٣٠ .

والرها والرقة ثم سروج [١] والرقة [٢] والسويداء [٣] وغيرها من البلدان التابعة لحران[٤] ، ثم عين الولاة والمستحفظين من قبله ؛ ويبدو أن استيلاء السلطان كيقباذ على تلك المدن هدفه الانتقام من خروج السلطان الكامل محمد إليه وتهديده إياه ، إذ نستشف من تفريغه قلعة حران من محتوياتها العسكرية والمالية وترك فيها « ما لا بد من وجوده » [٥] إدراكه خروجها من يده وعودتها إلى السلطان الكامل محمد ، وهذا ما حدث بالفعل سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م ؛ فما أن وصل ملك الأمراء كمال الدين كاميار وقواته إلى ملطية حتى وصلت الرسل بخبر استرجاع السلطان الكامل محمد الرها وحران والقبض على ولاة السلاجقة ونوابهم وإرسالهم إلى مصر [٦] .

وبالرغم من أن السلطان علاء الدين كيقباذ غضب بعض الشيء لما لهاتين المدينتين من أهمية عسكرية واستراتيجية ، إذ أنهما ملتقى طرق المواصلات التي تربط

---

(١) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر ، ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٥٠.

(٢) مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٥٩ .

(٣) بلدة قرب حران ، بينها وبين بلاد الروم . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٨٦ .

(٤) علم الدين سنجر المسروري : المصدر السابق ، ورقة ٣٩٣ب ، ٣٩٤ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٩٨ - ٩٩ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب : ج٣ ، ص ٢٢٠ ؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج٣ ، ق١ ، ٨١ - ٨٢ ، ١٠٨ ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص٢٤٩ ؛ سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ق١ ، ص ٦٩٤ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٣٨ . اشتد حصار القوات السلجوقية لحران ، وبعد انقضاء شهرين استطاعوا دخولها حيث رفعت الراية السلطانية على شرفاتها وحصر مافيها من أموال وخزائن وإثباتها في السجلات وشحنها في الصناديق وختمها حيث أرسلت إلى ملطية ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٣٨ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص٢٥٠ ؛
Ibin Bibi : op.cit. p.448.

(٦) علم الدين سنجر المسروري : المصدر السابق ، ورقة ٣٩٤ب ؛ سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٩٥ - ٦٩٦ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٥١ ؛ أمر السلطان الكامل محمد بتقييد هؤلاء المستحفظين ووضعهم في محاير على الجمال ، وقد استقبح الناس هذه الفعلة من جانبه وعلق ابن واصل على ذلك بقوله : « أنه كان ممتلئاً غيظاً على علاء الدين . انظر مفرج الكروب ، ج٥ ، ص١١٠. المحاير جمع محارة وهي شبه الهودج . انظر ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٥ ، ص ١١٠.

الشام والجزيرة والعراق وآسيا الصغرى ، إلاّ أنه رد على ذلك بقوله : « استرجاع حران ليس بالأمر المهم » [١] . ورداً على خسارة تلك المدينتين وما يتبعهما من قلاع[٢] ، قرر السلطان علاء الدين كيقباذ الانتقام من السلطان الكامل محمد والاستيلاء على آمد أقطاع السلطان الكامل الخاص رغم حصانة تلك المدينة وصعوبة منالها ، حيث وضح له كمال الدين كاميار بأن آمد تحتاج إلى ثلاث سنوات للسيطرة عليها : حيث يتم في السنة الأولى ضربها اقتصادياً بحرق مزروعاتها ونهب مواشيها وتعطيل أعمال الفلاحين ، وفي السنة الثانية تطويقها بحصار شديد يمنع أي إمداد خارجي يصل إليها . وذلك لضمان نفاذ المخزون الاحتياطي ، فيؤدي في السنة الثالثة إلى استسلامها ودخولها في الطاعة [٣].

وبالرغم من تلك المثبطات التي طرحها كمال الدين كاميار ، إلاّ أن السلطان علاء الدين كيقباذ أرسل سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م جيشاً بقيادة تاج الدين بروانة ، بالإضافة إلى القوات الخوارزمية [٤] ، ولكن هذه المحاولة فشلت فلم يرض ذلك السلطان علاء الدين كيقباذ ، وقال : « لابد لي من مزاولة الأمر ومباشرته بذات نفسي في العام المقبل » [٥] . إلاّ أن هذا الأمر لم يتحقق لوفاة السلطان علاء الدين كيقباذ في شوال سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م .

والحقيقة فإنه أثناء انشغال السلطان علاء الدين كيقباذ بمحاولاته للاستيلاء على آمد سنتي ٦٣٢ - ٦٣٣هـ / ١٢٣٥ - ١٢٣٦م ، واتفاق الملوك الأيوبية في الشام

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٣٩ ؛ Ibi Bibi : op.cit. p.450 .

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٠٩ - ١١٠ ؛ سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٩٥ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٥١ ؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢٦٠ .

(٣) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ؛
Ibin Bibi : op.cit. p.450 : Vryonis : op.cit. p.173.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٠ ؛
Ibin Bibi : op.cit. p.450-451 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.383 - 384.

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٠ .

ضد السلطان الكامل ومكاتباتهم السلطان علاء الدين كيقباذ ليساندهم في ذلك [١] ، تجددت غارات المغول على الموصل وأربيل [٢] ، وتخوف الخليفة المستنصر بالله من توجههم إلى بغداد وأخذ في مراسلة كل من السلطانين علاء الدين كيقباذ والكامل محمد . ولم توضح لنا المصادر هل من ضمن رسائل الخليفة طلبه الصلح بينهم والإتحاد معه ضد المغول أم لا . فقد ذكر المقريزي بأن محيي الدين بن الجوزي قدم رسولاً من الخليفة إلى السلطان الكامل محمد ثم « سافر إلى السلطان علاء الدين صاحب الروم ومعه الحافظ زكي الدين عبدالعظيم المنذري رسولاً من جهة الملك الكامل » [٣] ، إلاّ أن السلطان علاء الدين كيقباذ توفي في الرابع من شوال سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م قبل مقابلة رسول السلطان الكامل محمد [٤] . ومن المؤكد أن السلطان علاء الدين كيقباذ قد عزم على تحقيق مراده بالغزو . فقد ذكر ابن بيبي أنه « قد أمر بجمع الجند في قيسارية لغزو ولاية الشام» [٥] ولكن نظراً لوفاته ، لم تتضح حقيقة هذا الأمر ، إلاّ أنه من المحتمل أنه أراد غزو بلاد الجزيرة وديار بكر واستخلاصها من سيطرة السلطان الكامل محمد ، وذلك لهدفين : أولاً : إكمال الوحدة القومية في الأناضول ، وثانياً : حماية مدن الجزيرة وتقويتها ضد المغول [٦] ؛ وليبين حسن نيته لملوك الدولة الأيوبية في الشام جعل ابنه عزالدين قلج أرسلان من ابنة العادل ولياً للعهد ، رغم أنه أصغر من غياث الدين كيخسرو [٧] .

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٢٤ .

(٢) المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٥١ – ٢٥٥ .

(٣) السلوك : ج١ ، ق١ ، ص ٢٥٣ .

(٤) المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٥٤ ؛ ابن ايبك : المصدر السابق ، ص٣١٧ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٢٢٧ .

(٥) الأوامر العلائية : ص ٤٥٨ .

(٦) انظر : Osman Turan : Selçuklular Zamarinda, s.388 .

(٧) ورد في أخبار سلاجقة الروم : « كما قرر ولاية عهد سلطنة الروم للملك عزالدين قلج أرسلان ، وألزم سائر الأمراء بمتابعة ذلك حتى اطمأن الجميع رغباً ورهباً ، فبايعوا ... » ص٢٤٥. ولكن بعد وفاته ، غلب أمر مويدي غياث الدين كيخسرو الابن الأكبر لعلاء الدين كيقباذ « أن الأمراء قد أجلسوا غياث الدين على العرش خلافاً لقرارهم مع السلطان وعهدهم له » ، ص ٢٤٨ .

هذا بالإضافة إلى أنه رغم تأزم الوضع بينه وبين الكامل محمد ، إلاّ أن معاملة السلطان السلجوقي لمملكة حلب الأيوبية تختلف كلياً عن معاملته للكامل محمد ، إذ طلب من الملك العزيز عدم تأييد الكامل محمد في حملته على الأناضول سنة ٦٣١هـ م ١٢٣٤م، و لم يعارض إمداد الأخير بالمال والأجناد على شرط « ألاّ ينزل إليه أبداً » [١] ، كما ساهم السلطان علاء الدين كيقباذ في كف غارات التركمان على أعمال حلب سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م [٢] . وأرسل إلى زعماء حلب يتعهد بحماية الملك الصغير الناصر يوسف ويعرض عليه مساعدته . فرد الحلبيون بإرسال الهدايا للسلطان علاء الدين كيقباذ حيث أكرم الأخير رسولهم وحلف الأيمان للملك الناصر يوسف بن العزيز بمساعدته [٣] .قال ابن العديم : « وبذل ملك الروم من نفسه الموافقة والنصرة للملك الناصر وكف من يقصد بلاده بأذى » [٤] .

وهكذا كانت العلاقة بين السلطان علاء الدين كيقباذ وبني أيوب ، إذ كان دائم الحرص على المحافظة على حسن العلاقة وعدم تكدير صفوها مع الرد بشدة على محاولة أي منهم النيل من ممتلكاته أو تهديد سيطرته ، فأثمرت هذه السياسة على حرص الحلبيين المجاورين لدولة سلاجقة الروم على إتمام هذه العلاقة الحسنة حتى بعد وفاته ، إذ أرسلوا المؤرخ ابن العديم لتجديد الأيمان مع خليفته السلطان غياث الدين كيخسرو « على القاعدة التي كانت مع أبيه » [٥] في ذي القعدة من سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م.

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٢١٧ .

(٢) بعد وفاة الملك العزيز ، وفي ربيع الأول من هذه السنة ، أغار أمير تركماني اسمه قنغر على أطراف حلب ، وقد ظن أمراء حلب أن ذلك بإيعاز من السلطان علاء الدين كيقباذ ، لذا سيروا رسولاً إليه في هذا الأمر ، فأنكر ذلك وأمر برد ما أخذه هذا الأمير التركماني . انظر ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص٢٢٩ - ٢٣٠ ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) علم الدين سنجر المسروري : المصدر السابق ، ورقة ٢٠٤ ب ؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام ، ص٣٣٣ .

(٤) زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٢٣٠ .

(٥) زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٢٣٢ .

العلاقات مع الخوارزمية

اتخذت العلاقات بين الدولة الخوارزمية ودولة سلاجقة الروم في بداية الأمر الطابع الودي وإبراز ندية كل منهما للآخر ، وتبادل الجانبان الرسائل في الفترة من سنة ٦٢٢هـ إلى ٦٢٥هـ / ١٢٢٥ - ١٢٢٨م ، حيث سجلت إحدى الرسائل بالعاشر من ذي الحجة سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م .

وقد صرح السلطان جلال الدين منكبرتي في إحدى رسائله بقوله : « بذل ما في الوسع لرفع حجاب المغايرة والغربة وفتح باب المودة والإتحاد » [١] . ثم قوله : « فمن جهة سلاطين المغرب ، فإن ذلك المجلس السامي دام ساميا واسطة سد الثغور وقمع أهل الكفر والفجور ، ومن جهة ديار الشرق فنحن نعمل بدورنا لإطفاء نار فتن الكفار بالسيف البتار » [٢] .

وبدأت أول الرسائل من جهة السلطان جلال الدين منكبرتي ، حيث أرسل القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي سنة٦٢٢هـ / ١٢٢٥م [٣] إلى السلطان علاء الدين كيقباذ وهو مقيم بقيسارية أثناء فتوحه في بلاد الأرمن ومحاربته الصليبيين. وكان مضمون رسالة الخوارزمي الإخبار بتملكه بلاد أذربيجان [٤] . وقد سر السلطان علاء الدين كيقباذ بهذه العلاقة الحسنة وخاصة مع سلطان مسلم عظيم له مكانته السياسية والعسكرية ويجاوره من جهة الشرق ، وبذلك يكون له درعاً واقياً

---

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٩٠ ، انظر :
Ibin Bibi, op.cit. p.368 ; Osman Turan : Türkiye Selçuklular Hakkinda Resmi, ... s.62.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٩٠ ؛
Ibin Bibi, op.cit p.369 ; Osman Turan : Türkiye Selçuklular Hakkinda Resmi, sa.99.

(٣) ذكر ابن بيبي ص ٣٧٣ أن السلطان علاء الدين كيقباذ أعاد مجير الدين الخوارزمي وبصحبته رسول من عنده اسمه صلاح الدين ومعه رداً على رسالة السلطان جلال الدين منكبرتي وهدايا من قبل السلطان علاء الدين ، إلاّ أن مجير الدين عمر عرض له مرض وتوفي بسيواس . ولكن النسوي مسجل سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي يخبر بعدم صحة ذلك ، إذ عاد مجير الدين عمر إلى بلاده ووصل بعد فتح تفليس ، أي سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م . النسوي: المصدر السابق، ص١٩٤.

(٤) النسوي : المصدر السابق ، ص ١٩٤ :
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s. 364.

لدرء الخطر التتري على الأناضول ، حيث رد على رسالة السلطان جلال الدين منكبرتي مبدياً سعادته بتصديه للتتار ، فقال : « ويعلم الله أنه بمجرد أن عرفنا بتحرك الرايات المنصورة للانتقام من كفار التتار الملاعين وتشفي قلوب أهل الدين ، وسيما الآن ظهرت بشائر علو الهمة وإمداد تحية التوفيق بسبب مضاء عزيمة المجلس السلطاني العالي ، ازدادت الرغبة في الاتصال بكم » (١) ، ثم أرفق هذه الرسالة بجملة من التحف والهدايا احتوت على عشرة عبيد قبجاق وروم وروس وعشر جوار ، وخمسة أفراس وخمسة بغال وعشرة آلاف سلطاني ذهب وثلاثين ألف درهم نقود فضية » (٢). ويبدو أن هذا الاتصال بين تلك الدولتين لا يقتصر على التحالف والتعاضد لدرء الخطر المغولي ، بل هناك رغبة من جهة السلطان جلال الدين منكبرتي في تحسين العلاقات الاقتصادية ، وذلك بقوله : « وسوف يتوالى تردد الرسل والسفراء والتجار من الآن فصاعداً » (٣) ، وإن كان الهدف الأول من تلك المراسلات من قبل السلطان الخوارزمي الإطلاع على أحوال الأناضول عسكرياً ، وذلك لمد النفوذ غرباً وإيجاد قوى إسلامية تسانده في صراعه مع الخليفة العباسي في بغداد (٤) . ونظراً لتطور الأحداث وضغط السلطان جلال الدين الخوارزمي على منطقة الحدود الخوارزمية السلجوقية بمحاصرته خلاط سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م ، ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م ، ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م وهجومه على بعض البلاد الجزرية (٥) ، فقد تغيرت لغة رسائل السلطان علاء الدين كيقباذ من الترحيب بالود والصداقة والتحالف إلى النصح المبطن بالتهديد،

---

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم : ص ١٩٣ - ١٩٤ ؛
Ibin Bibi, op.cit.p.p.369-370; Osman Turan : Türkiye Selçuklular Hakkinda Resmi, s...17.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٩٥ ؛
Osman Turan : Selçuklulari, Zamarinda, Türkiye s.364.

(٣) انظر : Osman Turan : Türkiye Selçuklulari Hakkinda Resmi, sa. 99 .

(٤) للاطلاع على أبعاد الصراع بين الخوارزمية والخلافة العباسية ، انظر د. سعد الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، موسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٨١ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص٢١٥ - ٢١٦ ، ٢٢٨ ؛ الهمذاني : رشيد بن فضل الله (ت٧١٨هـ/١٣١٨م) : جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن) ، نقله إلى العربية : فؤاد عبدالمعطي الصياد ، راجعة د. يحيى الخشاب ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ٤٢ .

إذ نصحه - أي السلطان علاء الدين كيقباذ - بترك خلاط وعدم التضييق على البلاد الأرمينية « الكبرى » عموماً وتوجيه هذه القوة لمحاربة أعداء الإسلام والمسلمين وأيضاً مهادنة التتار وعدم استثارتهم بقدر الإمكان حيث قال : « أما الآن وقد تحقق أنه صرف همته لمحاصرة قبة الإسلام خلاط ... فإن هذا الأمر يبدو بعيداً عن الرأي السديد ونحن وفقاً لحكم الحق تعالى : ﴿ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ﴾ [(١)] ، نجهر بالقول بأنه أولى به أن يثني عنانه عن تلك المدينة ويقصد ملكاً من ممالك المشركين ، وهناك مصلحة أخرى من باب النصيحة التي هي الركن الأهم ، وهي أن يسلك مع جيش التتار طريق المداراة والمهادنة » [(٢)] . ثم وضح السلطان علاء الدين كيقباذ بأن السلطان الخوارزمي إن لم يستمع إلى هذا النصح ، فإنه في حِلّ مما تعهد به من الصداقة ، ويكون بذلك على قوله : « قد خرجنا من عهدة أمانة الباري وبذلنا العهود في ذلك . أما إن أطل النصر بطالعه من حجب الغيب فهو المراد والبادي أظلم » [(٣)] ، ثم نستشف طريقة أخرى اتبعها السلطان علاء الدين كيقباذ ضد السلطان جلال الدين منكبرتي وهي التلويح باستخدام الإسماعيلية ، وذلك في طريقة بعثه إحدى رسائله ، إذ ذكر النسوي ، وهو شاهد عيان لتلك الأحداث ، بقوله : « وكان قد طوى كتابه ، أي السلطان علاء الدين كيقباذ ، على كتاب ورد عليه من سراج الدين المظفر بن الحسين ، نائب علاء الدين صاحب الموت بناحية الشامية » [(٤)] . وقد انزعج

---

(١) سورة لقمان ، الآية ١٧ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٩٧ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ص ١٩٧ .

(٤) سيرة جلال الدين منكبرتي ، ص ٢٧٨ ؛ كان مضمون رسالة السلطان علاء الدين كيقباذ ، كما ذكر النسوي ، التحريض بمعاداة بني أيوب ويعده بالمساعدة عليهم . وربما يقصد بذلك الاقتصاص من الحاجب حسام الدين علي بن حماد ، نائب الملك الأشرف ، في أخلاط الذي يساند ابن عمه ركن الدين جهانشاه بن مغيث الدين طغرل شاه ، صاحب أرزن الروم . النسوي : المصدر السابق ، ص٣٠١. ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٧٩ . أما رسالة الإسماعيلي ، فهي تحتوي على خبر مكذوب مفاده أن جلال قتل في معركة أصفهان مع التتار سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م وأن الأمر أصبح بيد علاء الدين صاحب الموت وأن ملك العراق قد صفا لعلاء الدين عن كل مزاحم . النسوي: المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ انظر سعد الغامدي : المرجع السابق ، ص ٣٥٦ .

السلطان جلال الدين منكبرتي من هذا الأسلوب واتجه من طوغطاب إلى خرتبرت ، حيث عاث فيها نهباً وتخريباً ؛ وهو بذلك يوجه رسالة إلى السلطان علاء الدين كيقباذ بتخريب بلاده ، إذ تفصل بين خرتبرت وملطيه مسافة يومين (١) . كما أوفد النسوي رسولاً منه إلى صاحب الموت يؤنبه في عدة أمور ، وربما ناقش أمر تلك الرسالة من ضمنها ، إذ قال النسوي : « وقد جرى في هذا المجلس فصول أخرى فيها زيادة محاققة ومخاشنة » (٢) .

على أية حال ، فقد أخذ التوتر يسود العلاقات بين السلطانين منذ حصار أخلاط للمرة الثالثة سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م ، اتضح ذلك في لهجة كل منهما في الرسائل ، إذ رفض السلطان جلال الدين منكبرتي شفاعة السلطان علاء الدين كيقباذ في ترك أخلاط ، وكان رده : « أن مدينة أخلاط قد ضاق عليها الحصار ، ولا يضيع ما تكبدناه لمدة طويلة من تعب ومشقة ، فإن كان قد علق بحاشية الخاطر الكريم للسلطان غبار بسبب رد هذه الشفاعة ، فلا بد أن يزال بماء تمهيد الأعذار » (٣) ، إضافة إلى ذلك فقد حاول السلطان علاء الدين كيقباذ تخفيف هذا التوتر والتقرب إلى السلطان جلال الدين منكبرتي بطلب ابنته للزواج من ابنه غياث الدين كيخسرو ، صاحب أرزنجان ، إلاّ أنه لم يجب طلبه هذا (٤) . إضافة إلى هذا وذاك ، فقد كان لمعاملة الوزير شرف الملك الخشنة لرسل السلطان علاء الدين كيقباذ الأثر في تبرم السلطان من الدولة الخوارزمية ، التي ظن أنها درع حماية له وليست مصدر تهديد لدولته . فقد ذكر النسوي بقوله : « دخلت على شرف الملك يوماً فوجدت رسل الروم عنده جلسوا وهو يخاشنهم في الكلام ويقول : لو أذن لي السلطان لدخلت بلادكم وحدي وفتحتها بجندي » (٥) .

ثم فجر الموقف بين السلطانين لجوء الملك ركن الدين جهانشاه ، صاحب أرزن

(١) النسوي : المصدر السابق ، ص٢٧٨ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٤١٥ .

(٢) النسوي : المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٩٢ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.370 .

(٤) النسوي : المصدر السابق ، ص ٣١٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٩٢ .

(٥) سيرة جلال الدين منكبرتي ، ص ٣١٨ .

الروم إلى السلطان جلال الدين منكبرتي وتقديم المساعدات العسكرية والتموينية للقوات الخوارزمية المحاصرة لخلاط ، في أواخر جماد الأولى سنة ٦٢٧هـ / أوائل إبريل ١٢٣٠م [١] ، وفي المقابل عندما طلب منه السلطان علاء الدين كيقباذ التخلي عن حماية الملك ركن الدين جهانشاه وتسليم أرزن الروم له ، غضب جلال الدين منكبرتي وقال : هذا المذكور المطلوب وإن هتك معي ستر الأدب [٢] . فقد دخل عليّ دخول العرب . وقبيح مثلي احتقار حق مقدمه وتسليمه إلى من يعطش إلى دمه »[٣]. هنا شعر السلطان علاء الدين كيقباذ بخطر السلطان جلال الدين منكبرتي وخاصة بعد سقوط أخلاط في جمادى الأولى سنة ٦٢٧هـ / أبريل ١٢٣٠م ، ثم تعسفه وجنده في المدينة وتخريبها وسلب ونهب الأهالي ، حيث تحولت المدينة من مركز حضاري ، وكما أطلق عليها السلطان علاء الدين كيقباذ « قبة الإسلام » [٤] إلى خرائب خالية من سكان احتاجتهم المجاعة أثناء الحصار ، ثم سيوف الجند بعد دخولها [٥] ، الأمر الذي جعل السلطان علاء الدين كيقباذ يبحث عن حلفاء لتكوين جبهة قوية تصد القوى الخوارزمية لإدراكه أن المرحلة التالية لتقدم هذه القوى هي بلاده ، وبطبيعة الحال ، فإن هذا الحلف يتكون من الأيوبيين الذين لهم علاقة مباشرة بالتحركات الخوارزمية وأمراء الجزيرة [٦] . فأرسل على الفور إلى الملوك الأيوبية

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٨٧ - ٤٨٨ ؛ النسوي : المصدر السابق ، ص ٣١٨ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٠ أ ؛ الذهبي : شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، الطبقة ٦٣ ، ص ٣٠ ؛ الهمذاني : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٢) ذكر النسوي أن ركن الدين جهانشاه قد ساند حاجب علي نائب الملك الأشرف في خلاط أثناء هجوم الأخير على أملاك الخوارزمية وأيضاً حال دون وصول التجار إلى المعسكر السلطاني ، ثم قتله لرسول السلطان جلال الدين منكبرتي القادم من بلاد الروم ، سيرة جلال الدين ، ص ٣٠١ .

(٣) النسوي : المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٩٧ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s. 370.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٨٨ ؛ النسوي : المصدر السابق ، ص ٣٢٠ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٥٩ ؛ د. سعد الغامدي : المرجع السابق ، ص٣٥٢ .

(٦) انظر لتفسير ذلك : سعد الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية ، ص ٣٥٣ .

لاستنفارهم ضد جلال الدين خوارزمشاه وقد صادف ذلك تواجد الامبراطور فردريك الثاني امبراطور المانيا في بلاد الشام وتفاوضه مع السلطان الكامل وانشغال الكامل سلطان مصر بهذا الحدث .[١]

لذا فقد استجاب الملك الأشرف موسى صاحب دمشق وأسرع على رأس قوة من بلاد الجزيرة والشام بلغت خمسة آلاف مقاتل « إلاّ أنهم كانوا من الشجعان الذين لا تقوم الحرب إلاّ بحربهم » [٢] واتجه إلى سيواس لمقابلة السلطان علاء الدين كيقباذ وقواته . وقد بسط ابن بيبي في كتابه الأوامر العلائية وصف مطول لمقر إقامة الملك الأشرف وما يحتوي من أدوات تنم عن البذخ والتقدير لشخص الملك الأشرف [٣] كما أحضر السلطان علاء الدين كيقباذ زوجته ابنة الملك العادل الأيوبي من قيسارية إلى سيواس لرؤية أخوتها [٤] وتبادلوا الهدايا حيث قدموا لها وقدمت لهم أشياء [٥] وهذا يكشف لنا مدى حاجة السلطان علاء الدين كيقباذ للقوة الأيوبية لصد الخطر الخوارزمي بعد سقوط خلاط عاصمة الأشرف وتهديد دولة سلاجقة الروم .[٦]

على أية حال احتمعت القوات السلجوقية المكونة من ٢٠,٠٠٠ مقاتل والقوات الأيوبية بالقرب من باسي جمن ، ولكن القوات الخوارزمية كانت قد سبقت إلى موقع استراتيجي فيها حيث سيطروا على المياه ومناطق الكلأ قبل قوات الحلفاء وقد كان اختيار هذا الموقع بناء على استشارة الملك ركن الدين جهانشاه صاحب

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠٢ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، الطبقة ٦٣ ، ص ٣٢ .
للإطلاع على أسباب ونتائج حملة فردريك الثاني ، انظر : د. علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٢٥٩ - ٢٧٢ ؛ رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٣٢٤ - ٣٤١ .

(٢) النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص ١٠٤ .

(٣) انظر : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ ؛
Ibin Bibi : op.cit. p.391-386 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, op.cit. s.370.

(٤) صحب الملك الأشرف كل من العزيز عثمان بن العادل وشهاب الدين غازي وابن أخيه الجواد يونس بن مودود ابن العادل . سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٦٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠٣ .

(٥) ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٦) انظر : د. علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٣٢٢ - ٣٢٦ .

ارزن الروم [١] ثم بدأت المناوشات بينهم بعد وقوع طلائع قوات أرزنجان المكونة من ١٢ ألف [٢] مقاتل والتي كانت في طريقها للإجتماع بقوات الحلفاء [٣] حيث أصبحت تلك القوة ما بين قتيل وجريح و لم ينج منهم إلاّ قلة نقلوا للسلطان ما حل بهم .[٤]

ورغم أن هذه الضربة قد أثرت في معنويات السلطان علاء الدين كيقباذ وقواته ، إلاّ أن الملك الأشرف طمأنه وقال : « إن الجيش الذي ينكسر أولاً يكون النصر حليفه في النهاية » [٥] ، واستمرت المناوشات من ٢٥ رمضان إلى ٢٨ منه سنة ٦٢٧هـ حيث كانت المعركة الحاسمة وجرى تقسيم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب فالميمنة والميسرة فيها قوات السلطان علاء الدين كيقباذ بينما الأشرف وقواته في القلب وفي المقدمة قوات العرب [٦] . ورغم أن ابن بيبي قد قدر عدد قوات جلال الدين خوارزمشاه بـ مئة ألف فارس إلاّ أن موقف جلال الدين المتخاذل حيث قال ابن الأثير : « بهت جلال الدين لما رأى من كثرة العساكر ولاسيما لما رأى عسكر الشام

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٨٩، ٤٩٠ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام الطبقة ٦٣، ص٣٢.

(٢) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٦٠ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ط ٦٢ ، ص ٣٣ .

(٣) ذكر صاحب أخبار سلاجقة الروم أن عدد القوات المتجهة إلى ارزنجان عشرة آلاف فارس بينما ذكر سبط بن الجوزي عن شاهد عيان أن قوات ارزنجان ١٢ ألف وأن القوات الخوارزمية أوقعت بسبعة آلاف من القوات التي خرجت من ارزنجان قبل وصولها إلى هدفها . ويبدو أنه انضاف من ارزنجان نفسها ألفين حتى تصبح ١٢ ألف ثم يذكر صاحب أخبار سلاجقة الروم أن القوات التي انهزمت أمام القوات الخوارزمية ألف فارس وهم طلائع ارزنجان ، وبالمقارنة بين الروايتين فمن المحتمل أن رواية سبط بن الجوزي هي الأقرب إلى الصحة وذلك لروايته عن شاهد عيان « حكى لي الأمير عماد الدين ابن موسك صورة الحال ... » أيضاً تأثر السلطان علاء الدين كيقباذ الشديد لما وقع للقوات المساندة له . هذا التأثر لن يحدث إلاّ إذا كانت الخسارة كبيرة وليست ألف مقاتل .

مؤلف مجهول : ص ٢٠٢ ، ٢٠٦ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص ٦٦٠ .

(٤) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٦٦٠ ؛ النسوي : المصدر السابق ، ص٣٣٠ ، ٣٣١ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص٢٠٦ ؛

The Combridge History of Islam, Vo.IA. p.247.

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠٧ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام الطبقة ٦٣ ، ص ٣٣ .

(٦) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٦١ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠٧ – ٢١٢ ؛ ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ؛ ابن ايبك : المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .

فإنه شاهد من تجملهم وسلاحهم ما ملأ صدره رعباً » [١] تجعلنا ندرك مدى مبالغة ابن بيبي وإنما أراد ذلك ليبين أن هذا العدو الضخم قد هُزم أمام قوات السلاجقة وحلفائهم إذ كشف لنا النسوي طاقة القوات الخوارزمية بقوله : « وقد كان بعض العساكر الآرانيه والأذربيجانيه ، والعراقية والمازندارنيه أذن لهم في العود إلى أوطانهم فلم يستحضرهم قلة احتفال وعدم مبالاة » [٢] ، وقد روى بعض الأسرى بقوله : « إن صاحبنا - جلال الدين خوارزمشاه - دهش وتحير لما شارف عسكر الشام فلما رأيناه كذلك انقطعت قلوبنا » [٣].

على أية حال فقد شهدت منطقة ياسي جمن في يوم السبت ٢٨ رمضان سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م [٤] مصافا عظيماً بين القوات الخوارزمية وقوات الحلفاء ، رجحت فيه كفة السلاجقة والأيوبيين - الحلفاء - حيث أجبروا الخوارزمية إلى اللجوء إلى وادي ضيق « لا هو بموضع للفرار ولا بمكان للحرب » [٥] ووقعت العساكر ما بين قتيل وجريح و لم يصبر السلطان جلال الدين منكبرتي خوارزمشاه على اللقاء حيث أسرع نحو الأعلام وفصل عنها العصابة والبيرق وربطها بمؤخرة السرج وانطلق هارباً » [٦]

وقد كان من عوامل هزيمة السلطان جلال الدين خوارزمشاه إضافة إلى عدم ثباته أن الله أرسل ضباباً فلم ير أحد كفه [٧] ثم انطلاق رياح شديدة في وجوه

---

(١) الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص ٤٩٠ ؛ انظر : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠٦ ؛
Ibin Bibi : op.cit. p.391.

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٣٠ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، الطبقة ٦٣ ، ص ٣٣ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ ؛ سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٦١ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٠ أ ؛ ابن ايبك : المصدر السابق ، ص٢٠٨ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١٥٩ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٣ ؛ انظر : الذهبي : تاريخ الإسلام ، الطبقة ٦٣ ، ص ٣٥ .

(٦) أخبار سلاجقة الروم ص ٢١٣ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، الطبقة ٦٣ ، ٣٥ .

(٧) سبط ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٦١ .

عساكر الخوارزمية [١] ويبدو أن ذلك كان نتيجة التجاء السلطان علاء الدين كيقباذ إلى الله سبحانه وتعالى ودعائه بالنصر سجل ابن بيبي قوله : « دخل في صلاة يناجي ذا الجلال » [٢].

كما كان لتضاريس المنطقة دور في ذلك إذ أن جهل الخوارزمية بمواقع الخطر في الأراضي الصخرية جعلهم يتساقطون من رؤوس الجبال وذلك أثناء فرارهم أمام شدة هجمات قوات الحلفاء فتردى أكثرهم من رؤوس الجبال ، كما صادفوا في طريقهم منخفضاً سحيقاً هوى فيه أكثرهم [٣]. وتفرقت عساكرهم في الجبال والوديان المحيطة تاركين خلفهم الأسلاب والأثقال وواصل بعضهم هروبه إلى بلاد طرابزون [٤] ، وقد ذكر الذهبي نقلاً عن عبداللطيف البغدادي الذي أورد بعض روايات المقاتلين أنه من كثرة ما حصلوا على الغنائم والأموال انخفضت الأسعار عند البيع حتى وصل ثمن الفرس خمسة دراهم [٥].

وهكذا نجح الحلف الشامي والرومي في إنزال هزيمة ساحقة بالسلطان جلال الدين منكبرتي في معركة ياسي جمن ، وعزل السلطان جلال الدين منكبرتي عن أي عون إسلامي ضد المغول .

وعلى أية حال ، فإن تدهور العلاقات بين السلطان علاء الدين كيقباذ والسلطان جلال الدين منكبرتي وتناميها إلى وقوع الصدام المسلح يرجع إلى تنافس كليهما على منطقة أرمينية الكبرى ، ورغبة كل منهما في اتساع نطاق سلطنته في اتجاه معاكس للآخر ، كما أن لشخصية جلال الدين الخوارزمي العسكرية والتركيبة الخشنة الأثر في تأزم العلاقة بينه وبين السلطان علاء الدين كيقباذ ، الذي لم يأل

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٣٠٩ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٥٩ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٠٠ .

(٢) الأوامر العلائية ، ص٤٠٣ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١١ .

(٣) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٦٦١ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٥ ؛ النسوي : المصدر السابق ، ص٢٣١ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٢٠٩ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٢٥ - ٣٢٦ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.407 .

(٤) الذهبي : المصدر السابق ، الطبقة ٦٣ ، ص ٣٤ ؛ ابن ايبك : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٥) تاريخ الإسلام : الطبقة ٦٣ ، ص ٣٣ .

جهداً في ترك باب الدبلوماسية مفتوحاً حتى أثناء حصار خلاط سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م . فأرسل كل من الجاشنكير شمس الدين التون آبه وكمال الدين كاميار محملين بالهدايا النفيسة (١) . ومع ذلك ، فإن هذه الطرق السلمية لم تشفع للسلطان علاء الدين كيقباذ عند السلطان جلال الدين منكبرتي الذي أصر على المجاهرة بمعاداته بالرغم من حاجته إليه خارجياً وداخلياً (٢) ، وعندما دخل في مراسلات لتسوية الخلافات مع بني أيوب بعد معركة ياسي جمن ، سويت هذه الخلافات تماماً معهم وعادت العلاقة حسنة (٣) . أما مع السلطان علاء الدين كيقباذ ، فقد أصبحت أشد تعقيداً وأكثر صلابة من جانب السلطان جلال الدين منكبرتي ، حيث قال : « قد حلفت لكم بجميع ما أردتم فخلوا السبيل بيني وبين صاحب الروم » (٤) .

وقد أبدى الملك الأشرف استعداده للتدخل لتسوية هذا الخلاف والتوصل إلى حل يرضي الجميع ، وبقي شمس الدين التكريتي رسول الأشرف لمدة شهر في بلاط السلطان جلال الدين منكبرتي إلى أن تكللت هذه الجهود بالنجاح ، ووافق السلطان الخوارزمي على الحلف بعدم التعرض لأراضي سلطان الروم (٥) .

والحقيقة إنه اضطر إلى ذلك عندما تنامى إلى علمه تحرك التتار إلى بلاده (٦) .

---

(١) كانت هدايا السلطان علاء الدين كيقباذ مكوّنة من ثلاثين بغلاً محملة بالملابس والنفائس وثلاثين مملوكاً بخيلهم وعدتهم ومائة فرس . انظر : النسوي : المصدر السابق ، ص ٣١٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٩٩ ، ٢٠١ ؛ حافظ حموي : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٢) تتمثل حاجته له خارجياً بالمساعدة ضد المغول العدو المشترك . أما داخلياً ، فإن جبهة السلطان جلال الدين منكبرتي المفككة تحتم عليه عدم التمادي في استعداء جيرانه ، إذ ذكر النسوي أن الوزير شرف الملك والذي يمثل أعلى سلطة في حكومة جلال الدين منكبرتي قد راسل في سرية كلا من السلطان علاء الدين كيقباذ والملك الأشرف موسى ، وذلك للتآمر ضد سيده وتأليبهم ضده . سيرة جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٩٦ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٩١ ؛ النسوي : المصدر السابق ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ؛ حافظ حمدي : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٤) النسوي : المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .

(٥) النسوي : المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق، ج١٢، ص ٤٩٥-٤٩٦ ؛ النسوي : المصدر السابق ، ص٣٥٠-٣٥١.

وهكذا نجد أن السلطان جلال الدين منكبرتي قد حكم على نفسه وعلى دولته بالفناء والتشرد نتيجة استعدائه القوى الإسلامية المجاورة والتي من أهمها وأقربها دولة سلاجقة الروم في الأناضول ، كما فقد مصداقية العهود التي يقطعها على نفسه ، فبالرغم من أنه حلف بعدم التعرض لأراضي السلطان علاء الدين كيقباذ إلاّ أنه جرد ستة آلاف فارس أغاروا على خرتبرت وأرزنجان وملطية ونشروا الرعب بين السكان وساقوا الغنائم [1] . وعندما ضغط عليه التتار سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م ، وأرسل إلى الملوك الأيوبية يطلب منهم المساعدة تقاعس عنه الملك الأشرف ، بينما رد المظفر شهاب الدين غازي ابن العادل على النسوي بقوله : « إن اليمين التي حلفت بها للسلطان حلفت بمثلها لعلاء الدين كيقباذ وقد بلغني ما ساقوا من غارات بلادهم إلى المخيم السلطاني ، فما الذي يؤمنا عن مثله واليمينان واحدة ؟ » [2] . وقد علق النسوي بقوله : « ومن العجائب انتصاره بقلب جرحَهُ بصوارمه ، واستظهاره بجناح بت بيده مصفوف قوادمه » .[3]

وكيفما كان الأمر ، فإن جبهة الأناضول المجاورة للخوارزمية أصبحت ميداناً للغارات ومطمعاً لكل طامع ، فقد نزل رسول صاحب آمد علم الدين سنجر على السلطان جلال الدين الخوارزمي في حاني أثناء مطاردة المغول للأخير وأبلغه دخول صاحب آمد في طاعته واستعداده لمساعدته في دخول أراضي السلطان علاء الدين كيقباذ « وزين له قصد الروم وطمعه في الاستيلاء عليها ، وقال : « إنها عرضة للسلطان مهما قصدها ملكها من غير منازع وضبطها من غير مدافع » [4] وأنه سيزوده بأربعة آلاف فارس [5] لتحقيق ذلك ، فكان هذا ما زاد في تنامي القطيعة بين السلطان علاء الدين كيقباذ والسلطان الخوارزمي ، وتركه لقمة سائغة لمقتفي أثره من

---

(١) النسوي : المصدر السابق ، ص ٣٧٣ .

(٢) النسوي : سيرة جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٧٣ .

(٣) سيرة جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٥٥ ؛ الهمذاني : المصدر السابق ص ٤٤ .

(٤) النسوي : المصدر السابق ، ص٣٧٧ .

(٥) النسوي : المصدر السابق ، ص ٣٧٧ .

فرسان المغول[١] ، إذ تساوى لدى السلطان علاء الدين كيقباذ بجاورة المغول والخوارزمية سيما وأن السلطان جلال الدين منكبرتي كان لا يزال مصمماً على دخول الأناضول ، مع أنه مطارد من قبل المغول وقد تخلت عنه بقية القوى الإسلامية المجاورة ، وبعد مقتل السلطان جلال الدين منكبرتي على أيدي أحد الأكراد سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م سقطت الدولة الخوارزمية كدولة ، ولكنه خلف جموعاً من الجند أخذت في شن الغارات على بلاد الشام والجزيرة وشرق الأناضول ، لذا أدرك السلطان علاء الدين كيقباذ بأن هذه الجموع إن لم يستدرجها إلى جانبه ستصبح مصدر خطر وقلق يهدد حدوده الشرقية ، وربما أداة للخان المغولي . لهذا أوعز لقائد القوات السلجوقية في أخلاط سنان الدين قايماز باستمالة تلك الجموع ودعوتهم ، وعندما قابل سنان الدين حسام الدين بركة خان ، أحد مقدمي الخوارزمية ، صرح له بأن السلطان وأمراءه لا يحملون في قلوبهم أي ضغن لبركة خان وسائر الأمراء الخوارزمية ، ويطلب منهم الدخول في طاعته وترك حياة التشرد والتشرذم ، وفي المقابل ، فإن السلطان علاء الدين سينعم عليهم بالإقطاعات الجزيلة . وقبل أمراء الخوارزمية كشلوخان ، وبردي خان ، وساروخان العرض ، ودخلوا في خدمة السطان علاء الدين كيقباذ ، وكان تحت إمرتهم أكثر من اثني عشر ألف فارس[٢].

وهكذا انضوت بعض القوى الخوارزمية تحت سيادة السلطان علاء الدين كيقباذ، وأصبحت أداة فاعلة في صراع السلطان علاء الدين على جبهته الجنوبية مع

---

(١) لم يستطع الصمود أمام التتار ففر هارباً ومن ورائه التتار وأثناء دخوله إحدى قرى ميا فارقين وقع في يد أحد السكان وهو كردي الأصل فقتله في شوال سنة ٦٢٨هـ / أغسطس ١٢٣١م . ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٩٥ - ٥٠٤ ؛ النسوي : المصدر السابق ، ص ٢٧٧ - ٣٨٥ ؛ ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص ٣٧٠ ؛ عصام الدين عبدالرؤوف : بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٥ ، ص ١٩٨ ؛ الهمذاني : المصدر السابق ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٤ - ٢٥٥ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٧٨ ؛
Ibin Bibi, po.cit, p.427.

بني أيوب [١] . وأيضاً محاولته الاستيلاء على آمد سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م ، إذ عندما استعصت آمد قام « قيرخان وسائر أمراء خوارزم بالإغارة على تلك البلاد وأشاعوا بها الخراب حتى أبواب سنجار ، حيث أعملوا فيها القتل والسبي والحرق والنهب ، وتم إبلاغ الأمر لحضرة السلطان ، ولكنه كان مصراً على فتح آمد » [٢] .

من هذا نستشف بأن السلطان علاء الدين كيقباذ لم يعترض على أعمال الخوارزمية تلك ، وذلك ربما لأمرين : إشباع الرغبة التي جُبل عليها الجند الخوارزمية من النهب والسلب ، وثانياً : بعث الرعب في قلوب منافسيه من جيرانه ، بحيث زادت قواته وأصبحت صارمة بعد انضمام هؤلاء الخوارزمية المعروفين بشدة مراسهم .

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٣٠ : Ibin Bibi, op.cit, p.437 .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٠ ؛ Ibin Bibi, op.cit, p. 451 .

الفصل الخامس

العلاقات الخارجية

بين سلاجقة الروم والقوى غير الإسلامية

- مع إمبراطورية طرابزون .
- مع إمبراطورية نيقية .
- مع الصليبيين .
- مع مملكة أرمينيا الصغرى .
- مع مملكة الكرج والأبـخاز .
- مع القبجاق والروس
- مع المغول .

مع إمبراطورية طرابزون

ظهرت طرابزون البيزنطية كإحدى نتائج استيلاء اللاتين على القسطنطينية سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م ومؤسس هذه الإمارة الأميران الكسيوس الأول وداود ابني مانويل كومنينوس (١) بمساعدة عمتهم تمارا ، ملكة الكرج (٥٨٠ - ٦٠٩هـ / ١١٨٤ - ١٢١٢م) سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م التي رغبت في تأمين تجارة بلادها عبر البحر الأسود والاستفادة منهما في حماية سواحلها الغربية كحليفين لها (٢) . كما يبدو أن لها هدفاً آخر من هذه المساعدة وهو التضييق على دولة سلاجقة الروم وعدم السماح لهم بالخروج إلى ساحل البحر الأسود .

ونظراً لضيق الشريط الساحلي التابع لطرابزون ، فقد شن داود حملة توسع باتجاه الغرب ، فاستولى على سينوب في أواخر سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م وواصل توسعه إلى منطقة بافلاجونيا بما فيها هرقلة البنطية (٣) ، وقد تزامن توسع إمبراطورية طرابزون في شمال الأناضول مع انشغال دولة سلاجقة الروم بعد وفاة السلطان ركن الدين سليمان شاه سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م ، ثم قدوم السلطان غياث الدين كيخسرو وتثبيت نفسه سلطان للدولة ؛ لهذا لم يستطع استعادة سامسون التي دانت للحكم السلجوقي لمدة عشرة سنوات (٤) . وقد شكل هذا الزحف الطرابزوني ضغطاً على

---

(١) مانويل كومنينوس بن الإمبراطور اندرينكوس كومنين الذي اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية في القسطنطينية سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ، ولقى مصرعه على يد إسحاق إنجليوس سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م، وعلى إثر ذلك ، انتقل حفيداه إلى جورجيا عند الملكة تمارا . انظر : توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص٢٠٣ ؛ Savvides : op.cit. p67 .

(٢) رنسمان : المرجع السابق، ج٣ ، ص٢٢٧ ؛ توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص٢٠٣ ؛ ف هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمه عن الفرنسية : أحمد محمد رضا ، مراجعة عزالدين فوده ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ج٢ ، ص ٣٢١. المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢١ .

(٣) علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص ١٧٧ ؛ Savvides : op.cit. pp.60, 66-68 .

(٤) انظر : Osman Turan : Selçuklular Zamarind , s. 280, Savvides : op.cit. p.60.

دخلت سامسون تحت سيطرة دولة سلاجقة الروم أثناء حكم ركن الدين سليمان شاه في توقات وشيدت مدينة تركية حديثة بالقرب من سامسون التي تعد ميناء استيراد وتصدير الأناضول ، انظر : علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .
Claude Cahen : Pre-Ottoman, p.117; Encyclopedia of Islam, Vol.6, p.617.

دولة سلاجقة الروم وخاصة طرق التجارة التي حرص سلاطين السلاجقة في هذه الفترة على رعايتها وتأمينها ؛ فقد تسببت القلاقل السياسية في منطقة جنوب البحر الأسود على إثر تصارع القوتين الطرابزونية والنيقية للسيطرة عليها في إغلاق الطرق التجارية وبالتالي عدم استطاعة التجار من بلاد القبجاق والروس دخول أراضي دولة سلاجقة الروم ، كما تجمع التجار القادمون من الشام والعراق والموصل والجزيرة في سيواس ، وقد بيّن لنا ذلك ابن الأثير بقوله : « تجهز غياث الدين كيخسرو شاه صاحب مدينة الروم إلى مدينة طرابزون وحصر صاحبها ، لأنه كان قد خرج عن طاعته ، فضيق عليه فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم والروس وقفجاق وغيرها براً وبحراً ، ولم يخرج منهم أحد إلى بلاد غياث الدين ، فدخل ضرر عظيم على الناس لأنهم كانوا يتجرون معهم ويقصدهم التجار من الشام والعراق والموصل والجزيرة وغيرها . فاجتمع بمدينة سيواس خلق كثير » [(١)] . ورغم توضيح ابن الأثير لسوء الحالة السياسية وانعكاس ذلك على الاقتصاد السلجوقي بصفة عامة والتجارة بصفة خاصة ، إلاّ أن في الرواية نقطتين لم نجد ما يؤيد صحتهما في كتابات المؤرخين لهذه الفترة : أولها : تجهز غياث الدين كيخسرو وحصاره طرابزون . والثانية : خروج صاحب طرابزون عن طاعة السلطان .

ولتوضيح النقطة الأولى : فالحقيقة أن السلطان غياث الدين كيخسرو ساند سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م والي سامسون البيزنطي [(٢)] لدرء خطر توسع إمبراطورية طرابزون ، ولكن لم يقع صدام مسلح مباشر بين السلطان غياث الدين كيخسرو وإمبراطور طرابزون [(٣)] ، وبناء على ذلك ، سمح بمرور التجارة السلجوقية واستطاع السلطان غياث الدين كيخسرو حل مشكلة عبور التجارة من وإلى مناطق الروس

(١) الكامل : ج١٢ ، ص ٢٤٢ .

(٢) استطاع ثيودور جابراس الاستيلاء على سامسون سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م ، وكانت قبل ذلك تابعة لدولة سلاجقة الروم . ووقف جبراس موقفاً محايداً أثناء صراع داود كومنينوس وثيودورو لاسكارس على منطقة جنوب البحر الأسود ، ثم أصبح حليفاً لإمبراطورية نيقية بعد انتصاره الأخير على قوات داود كومنينوس ؛ انظر : Savvides : op.cit. p.60 .

(3) Savvides : op.cit. p.155 ; Ansiklopedisi of Islam, s.616.

والقفجاق في البحر الأسود والحصول على منفذ للتجارة دون السيطرة على سامسون. وقد أشار كاهن إلى زيارة وفد من البنادقة مدينة سامسون سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م للاتصال بالسلطة السلجوقية (١). ولم يذكر المؤرخون فتح أو ضم سامسون على يد غياث الدين كيخسرو (٢) . ومما يؤيد ذلك اتجاهه جنوباً وإصراره على فتح أنطاليا على ساحل البحر المتوسط والتي لا تقل أهمية عن موانئ ساحل البحر الأسود ، حيث تحقق له ذلك في أواخر سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٧م .

أما النقطة الثانية ، فلم نعثر في المصادر التي تحت أيدينا على ما يشير إلى دخول إمبراطورية طرابزون في طاعة السلطان غياث الدين كيخسرو ، كما أن سير الحوادث التاريخية في تلك الفترة لا تهيء حصول ذلك ، لانشغال السلطان السلجوقي في تثبيت سلطته داخلياً وبالتالي تفضيله عدم الدخول في نزاعات خارجية ليجبرهم على الدخول في طاعته ، وخير مثال على ذلك توقيعه اتفاقية حسن الجوار مع إمبراطورية نيقية سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م (٣).

على أية حالة ، فإن توتر العلاقة بين دولة سلاجقة الروم وامبراطورية طرابزون والمضايقات المستمرة من قبل الأخيرة اضطرت السلطان عزالدين كيكاوس ، خليفة والده غياث الدين كيخسرو ، لتدبير الخطط المناسبة لضم سينوب لعرش الدولة السلجوقية (٤) ، حيث نجح في جمادى الآخرة ٦١١هـ / ٢ نوفمبر ١٢١٤م في دخول سينوب ورفع راية السلطنة السلجوقية على أبراجها وإعلانها مدينة إسلامية قلباً وقالباً ، كما أذعن الكسيوس إمبراطور طرابزون بالتبعية لقونية والتزم بجزية سنوية قدرها عشر آلاف دينار وخمسمائة حصان وألفي بقرة وعشر آلاف رأس من

---

(1) Claude Cohen : Pre-Ottoman, p.166; Le Commerce Anatolion Au Début DU XIII siecle, Turcobyzantina et Oriens christianus, London, 1974. p.97.

(2) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye. s.280; Savvides : op.cit. p.69 ; The Encyclopedia of Islam, Vo.6. p.917 ; The Combridge History of Islam. Vol. p.245.

(3) Claud Cahen : Pre-Ottoman Turky p.118 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye. s.278-279.

(٤) انظر الفصل الثاني ، ص ٤٧ .

الغنم [١] ، والتعهد بإرسال قوة عسكرية عند الحاجة [٢] .

وهكذا استطاع السلطان عزالدين كيكاوس فرض سيطرته على أهم ميناء على ساحل البحر الأسود واقتطاع أجزاء مهمة من الأراضي الطرابزونية التي تقلصت غرباً وتضاءل أمل أباطرتها في العودة إلى القسطنطينية [٣] وصور صاحب اخبار سلاجقة الروم حالة الإمبراطور الكسيس الذي عومل كتابع وليس كندّ ، إذ أمره السلطان بعد توقيع الوثيقة بأن يحمل الغاشية [٤] بين يديه . فلما سار مدة أمره بأن يعطيها الركابي [٥] ، وذلك تأكيداً لخضوع الإمبراطور للسلطان السلجوقي وعدم قدرته على المقاومة وخاصة بعد فقده أخيه داود [٦] الذي كان له الفضل في توسع الإمبراطورية

---

(١) ورد في أخبار سلاجقة الروم ص ٦٩ عشرة آلاف حصان بينما ابن بيبي الأوامر العلائية ، ص ١٥٢ ، وجميع المراجع تذكر عشرة آلاف رأس من الغنم سيما وأن نفس الكتاب قام بترجمته مترجم آخر . انظر : تاريخ سلاجقة الروم : دراسة وترجمة محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ١٣٣ . لذا لزم التنبيه إلى ذلك فربما أنه خطأ مطبعي .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٩؛ Savvides: op.cit. p.128 ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.152 .

(٣) انظر توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٤) الغاشية : سرج من أديم مخرزة بالذهب كأنها جميعها مصنوعة من الذهب تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب والاحتفالات والأعياد ويحملها الركاب دراية رافعاً لها على يديه يلفتها يميناً وشمالاً . انظر : القلقشندي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٧ ؛ محمد أحمد دهمان : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٩ ، منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٥ب ؛ Savvides: op.cit. p.128 ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.153-154 .

الركابي : الركاب دراية هم الموكلون بحمل الغاشية بين يدي السلطان : انظر : القلقشندي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٧ ، ١٢.

(٦) تضاربت الأقوال في سنة وفاة داود ، فرنسمان ذكر أنه قتل سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٦م وهو يقاتل لبسط نفوذه نحو البسفور ، بينما ذكر Savvides أنه توفي في ١٣ ديسمبر سنة ١٢١٢م بعد أن ترهب . ويسجل عن دراسات حديثه وفاته سنة ١٢١٤م بينما كان يحارب أثناء حصار السلطان عزالدين كيكاوس سينوب . وأمام هذا وذاك فإن داود ربما توفي في أواخر سنة ١٢١٢م وبداية سنة ١٢١٣م ، أي قبل سنة ١٢١٤م لأن ابن بيبي عند حصار سينوب وأسر الإمبراطور الكسيوس وأثناء مطالبته لأهل القلعة بتسليمها مقابل إطلاق سراح الإمبراطور ذكروا بأن لديه أبناء أكفاء ولم يتطرقوا إلى ذكر أخيه . انظر: الأوامر العلائية ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٦٧ ؛ Savvides : op.cit, p.70.

الطرابزونية غرباً [١] .

ويبدو أن العلاقة بين طرابزون ودولة سلاجقة الروم استمرت على ما هي عليه من حسن الجوار والإعتراف بالتبعية طيلة حياة الإمبراطور الكسيس كومنين . وبعد وفاته سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م ، جدد الإمبراطور اندرونيكس الأول Andronicus I gillus (٦١٩-٦٣٤هـ / ١٢٢٢ - ١٢٣٥م) الاتفاقية مع السلطان علاء الدين كيقباذ وتبادلا القسم على حفظ السلام بينهما [٢] ، إلاّ أن حالة التوتر وفقدان الأمان الذي تعرضت له مناطق البحر الأسود الشمالية على إثر هجوم المغول على بلاد القفجاق والروس قد ألقت بظلالها على موانئ البحر الأسود الجنوبية سواء الإسلامية المتمثلة في سينوب وسامسون أو الطرابزونية ، مما أدى إلى خرق اتفاقية السلام بينهما بسبب جنوح إحدى السفن القادمة من جزيرة القرم والمحملة بالبضائع والأمتعة أثناء تعرضها لأعاصير شديدة وتحطمها بالقرب من ميناء سينوب ، وحسب التقاليد المتبعة فإن من حق السلطان الاستيلاء على كل ما تحمله السفن المحطمة في المياه التابعة له ؛ وفي ذلك يقول ابن الأثير : « وكانت العادة جارية أن السلطان له كل مركب ينكسر فأخذ من ذلك شيئاً كثيراً » [٣] .

ويبدو من خلال رواية ابن الأثير أن إحدى هذه السفن كانت تابعة لإمبراطور طرابزون حيث وضح Savvides بقوله : « في سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م ، فرقت الاتفاقية بين طرابزون وسلاجقة الروم بسبب استيلاء الرئيس هيثوم [٤] على سفينة في طريقها إلى طرابزون تحمل الجزية السنوية من إحدى ولايات البحر الأسود

---

(١) انظر : Savvides : op.cit. p.68 ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninde ; Turkiye. s.278 ;
اسمت غنيم : امبراطورية في المنفى ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) انظر : Savvides: op.cit. p.155 - 156 .

(٣) الكامل ، ج١٢ ، ص ٣٨٨ .

(٤) هيثوم أمير من أصل أرمني ، اعتنق الإسلام ، عينه السلطان عزالدين كيكاوس على سينوب سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م حيث رأى أنه موهل بشكل أفضل من أي تركي للتعامل مع التجار النصارى الذين كانوا يترددون على هذا الثغر البحري . انظر :
Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.123 ; Savvides : op.cit. p.156 ; Cloud Cahen : Le commerce Anatolien, op.cit. p.95.

اضطرتها العاصفة البحرية إلى اللجوء إلى ميناء سينوب ؛ وعندما سمع أندورينكس جيلس عن الكارثة التي حلت بتلك السفينة ، انتقم على الفور بمهاجمة هيثوم في سينوب حيث وجد عدداً كبيراً من السفن التركية الراسية فهاجمها وقتل عدداً كثيراً من بحارتها وأسر الآخرين ، مما أدى إلى ضغط الأهالي على هيثوم ليطلق أسرى السفينة الطرابزونية مقابل أسراهم ، فتم ذلك (١) . وقد علق على هوية هذه السفن Osman Turan (٢) التي استولى عليها هيثوم " بأن سوداق عندما تعرضت للهجوم المغولي، وانتشرت الفوضى فيها بادر روم طرابزون بالإبحار إليها بهدف الاستحواذ على ما فيها من تجارة وعادوا منها بغنائم كثيرة . وأمام رأي توران هذا وتقديم المصادر البيزنطية على أن تلك الأموال ما هي إلاّ جزية لطرابزون ربما أن تلك الأموال والأمتعة لتجار مرتبطين مع طرابزون بعلاقات تجارية يتبادلون عن طريقها تجارة العبيد والفرو مقابل الأقمشة القطنية والحريرية والتوابل الشرقية أسوة بدولة سلاجقة الروم ، أي لا يعني التقارب بين طرابزون والمستعمرات البيزنطية على ساحل البحر الأسود الشمالي التبعية السياسية .

وكيفما كان الأمر ، فقد أدت هذه الحادثة إلى غضب السلطان السلجوقي ، ولكن انشغاله وقتذاك بقضية تآمر الأمراء (٣) جعله يترك أمر تسوية هذا الخلاف إلى الرئيس هيثوم حاكم سينوب ، ويبدو أن هذه الحادثة أيضاً كانت سبباً أضيف إلى أسباب ضم مدينة سوداق في جزيرة القرم للعرش السلجوقي سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م(٤) ، وذلك لتأمين السواحل السلجوقية على البحر الأسود والحد من نفوذ الإمبراطورية الطرابزونية السياسي والتجاري في تلك المنطقة . ولقد شعرت طرابزون

---

(١) أظهرت المصادر البيزنطية هذه الحادثة على أنها اعتداء على حقوق طرابزون و لم تتطرق إلى أحداث تلك الفترة وهي احتياج للمغول لجزيرة القرم وتشريد أهاليها ، مما اضطر التجار بها إلى ركوب البحر للهروب بممتلكاتهم إلى سينوب . سجل ذلك : Savvides : op.cit. p.156 .

(2) Selcuklular Zamaninda , s. 360. Claud Cahen : le Commerce Anatolien, p. 94 - 95 ; Savvides : op.cit. p.156.

(٣) انظر الفصل الثالث ، ص٦٩ – ٧٤ .

(٤) انظر فتح سوداق ، ص٨٦ .

بتضييق الخناق عليها من قبل دولة سلاجقة الروم ، فأخذت تبحث عن قوى سياسية أخرى لاتخاذها حليفاً ضد السلاجقة ، سيما وأن حليفتهم الملكة الكرجية تمارا قد توفيت سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م ، وانشغل الكرج منذ سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠ بمدافعة المغول [١] . لذا وجدت إمبراطورية طرابزون في السلطان جلال الدين خوارزمشاه الملاذ للتخلص من السيطرة السلجوقية والتي بدأت في مد نفوذها شرقاً حيث استعاد علاء الدين كيقباذ أرزنجان من آل منكوجك ، وأصبحت تحت سيطرته المباشرة بتعيين ابنه غياث الدين كيخسرو تحت إشراف مبارز الدين أرتقوش . وقد ذكر المؤرخون[٢] بأن إمبراطور طرابزون قد اغتر بمساعدة السلطان جلال الدين منكبرتي نتيجة الحلف الذي تم بينهما وتمرد على السلطان السلجوقي وهاجم مينائي سامسون وسينوب سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م .

وهنا نتساءل هل حقيقة تم حلف بين السلطان جلال الدين منكبرتي وإمبراطورية طرابزون ؟ الحقيقة أن المصادر الإسلامية المعاصرة لم تشر إلى ذلك ، بل إنها تسجل تقارب السلطانين الخوارزمي والسلجوقي في ذلك الوقت [٣] . كما أن السلطان جلال الدين منكبرتي في هذه الفترة منشغل بالأحداث الداخلية في بلاده ومقارعة القوات المغولية [٤] ، ولكن يبدو أن إمبراطور طرابزون مع إحساسه بتضييق السلطان علاء الدين كيقباذ عليه من الجهات الغربية والشمالية والجنوبية ثم التفافه من الجهة الشرقية جعله يستغل انشغال السلطان بحروبه الشرقية في الهجوم على موانئ البحر الأسود علّه يستعيد بعضاً من مجده السابق .

وكيفما كان الأمر ، فإن السلطان علاء الدين كيقباذ ما أن علم بهذه الثورة ضده والتطاول على مدن الساحل حتى أرسل أوامره إلى قواته البحرية بالتوجه إلى

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ، ٣٨٣ - ٣٨٤ ، ص ٤١٤ - ٤١٥ ؛ النويري : المصدر السابق ج٢٧، ص٣١٣ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١، ص٢٠٥، ٢١٣؛ يوسف عزت: تاريخ القوقاز، ترجمة عبدالحميد غالب، طبع بمطبعة عيسى البابي ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م، ص ٣٩

(٢) عثمان توران : الأناضول ، المصدر السابق ، ص ٢٤ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye, s.361 - 362 ; Savvides : op.cit. p.177;

(٣) النسوي : المصدر السابق ، ص ١٩٤ ؛ ابن بيبي : المصدر السابق ، ص ٣٦٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص ١٨٩ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٧٥ ، ٤٧٧ ؛ النسوي : المصدر السابق ، ص ٢٦٧ ، ٢٧٦ - ٢٧٧ ؛ ابن ايبك : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢٨٩ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ٢٢٨ .

طرابزون ومحاصرتها بحراً بعد الاستيلاء على ما يقع على الساحل الجنوبي للبحر الأسود من الأراضي التابعة لطرابزون ، كما أمر قواته البرية بالسير من أرزنجان لتطوق طرابزون من الجهة البرية . قال ابن الأثير : « كان قد أتاه – علاء الدين كيقباذ – الخبر أن الروم الكفار المجاورين لبلاده وقد ملكوا منه حصناً يسمى صنوب وهو من أحصن القلاع مطل على البحر السياه بحر الخزر ؛ فلما وصل إلى بلاده سير العسكر إليه وحاصره براً وبحراً فاستعاده من الروم » [١] .

ولكنا هنا نجد صعوبة لتكوين تصور كامل عن هذه الحادثة لاقتصار تفاصيل أحداثها على المصادر البيزنطية [٢] . فلم يتحدث عنها ابن البيبي لا من قريب ولا من بعيد .

وعلى أية حال ، فإنه رغم ضغط القوات السلجوقية على طرابزون والتشديد في محاولة لدخولها إلاّ أن سوء الأحوال الجوية [٣] وصمود المدافعين ومتانة الأسوار وضيق ساحة الحرب [٤] قد فتت في عضد القائد السلجوقي [٥] وقواته ، حيث لجأوا

---

(١) الكامل : ج١٢ ، ص ٤٧٩ ، وربما التبس على ابن الأثير حقيقة هذه الحادثة ، فامبراطورية طرابزون ليس لديها القدرة العسكرية على الاستيلاء على سينوب ، وذلك لحصانة الموقع وقوة الأسطول السلجوقي المتواجد هناك ، وإنما شنوا غارة على ضواحي سينوب .
Savvides : op.cit. p.157 ; Ali Sevim, yaşar Yücel P op.cit. s.160.

(٢) استعرض Savvides هذه المصادر في مؤلفه op.cit. وسجل آراء تلك المصادر ، انظر: pp.156-170.

(3) Ali Sevim, yaşar yücel : op.cit. s160 ; Savvides: op.cit. pp.160-161.

(٤) عثمان توران : الأناضول ، ص ٢٤ ، ٢٥ ؛
Savvidas: op.cit. p.166 - The Cambridge History, Vol. IA. p.247 -The Encyclopedia of Islam Vol. 8, p.247.

(٥) لم تحدد المصادر التاريخية المؤرخة لهذه الحوادث شخصية هذا القائد وهناك وجهات نظر حديثة منها قول : Osman Turan بأن القائد الملك غياث الدين بن علاء الدين كيقباذ صاحب أرزنجان وأتابكة مبارز الدين أرتقوش أو حلال الدين كيفردون شقيق السلطان علاء الدين كيقباذ ملك قوبلوحصار ولأن Turan لم يحدد شخصاً واحداً من هؤلاء ولم يؤيد قوله بدليل ثابت ، فإننا نشك في ذلك سيما وأن غياث الدين كيخسرو مازال صغير السن وليس لديه القدرة على قيادة قوات ضخمة كالقوات السلجوقية في ذلك الوقت ، وربما أن القائد مبارز الدين أرتقوش وذلك لأن القوات انطلقت من أرزنجان ، ولا نستبعد أن يكون أيضاً كيفردون لأن هناك إشارة وهي إطلاق لفظ « ملك » من قبل المصادر البيزنطية ؛ Seçuklular Zaminandas, op.cit. s.362; Savvides : op.cit. pp.163-168.

إلى الجبال المحيطة للنجاة بأنفسهم من شدة العواصف وتدفق مياه الأمطار المصاحبة[١]، ووقع الكثير منهم ما بين قتيل وجريح ، وقبض على القائد في إحدى الغابات المجاورة حيث حمل إلى الإمبراطور الطرابزوني . قال ابن نظيف : إن « الأشكري كسر الرومي وأخذ جماعة من عسكره وقهره » [٢] . وحسب ماذكره Savvieds نقلاً عن لازاربلوس فإن الإمبراطور أكرم القائد السلجوقي المأسور وسمح له بالعودة وزوده بفرقة لمصاحبته حتى سينوب، ومنها إلى قونية بعد أن « وقع معه اتفاقية جديدة بموجبها لم يعد الطرابزونيين ملزمين بأداء خدمة عسكرية او إرسال جزية سنوية إلى السلطنة [٣] » .

ويبدو أن انشغال السلطان علاء الدين كيقباذ بتحركات السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي وحصاره خلاط وتهديده للأراضي الشرقية لدولة سلاجقة الروم جعله يقبل ولو مؤقتاً بما تم بين قائده والإمبراطور أندرونيكس الأول ، إلاّ أن الأخير لم يهنأ بهذه الحرية ، إذ عانى من الهجوم المتكرر على حدوده من قبل القبائل التركمانية التي سمح لها بالإقامة في تلك المناطق من قبل سلاطين السلاجقة منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي [٤] ، ثم ما لبثت طرابزون أن عادت مرة أخرى للتبعية السلجوقية ، وذلك بعد هزيمة السلطان جلال الدين منكبرتي سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م في ياسي جمن ، واضطر الامبراطور أندرونيكس الذي رغب في مخالفة الخوارزمية إلى الالتزام بما طلب منه من قبل السلطان علاء الدين كيقباذ والتي منها إمداد الدولة السلجوقية بمائتي مزراق [٥] ، حيث يصل العدد إلى ٦٠٠ جندي ، وهذا ما أكده

---

(١) عزا لازاربولس المؤرخ الوحيد لهذه الحوادث وبأسلوب مبالغ فيه إلى أن هذه العواصف والأمطار الشديدة من معجزات القديس يوحنس الذي – على حد قوله – دنس الجنود الأتراك ديره وأخرجوا الآثار المقدسة وجعلوه مربطاً لخيولهم . انظر نقلاً عن : Savvides : op.cit. p.164 .

(٢) التاريخ المنصوري : ص ١٥٦ ؛ انظر :
Osman Turan : Selçuklular Zamanind, s.362; Savvides : op.cit. p.167.

(3) Savvides : op.cit. p.170 ; Osman Turan : Selçuklular Zamanind, s.362-363 .

(٤) انظر : Savvides : op.cit. p.171 .

(٥) المزراق حاملي الرماح ، ويتبع هذا المزراق فارسين وجنديين . انظر :
The Encyclopedia of Islam, Vol. 6.p.650.

Vincent de Beavois عنـد زيارتـه طرابـزون في القـرن السـابع الهجـري ، الثـالث عشـر الميـلادي ، وذلـك بقـول : « إن الإمـبراطور ملـزم بإرسـال ٦٠٠ جنـدي سـنوياً إلى السلطان كيخسرو الثاني » [١] . واستمرت هذه التبعية حتى سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م عندما هزم المغول السلاجقة في معركة كوسه داغ حيث دخلت طرابزون تحت الحكم المغولي [٢] .

وهكذا اتسمت العلاقة بين دولـة سـلاجقة الـروم والإمبراطوريـة البيزنطيـة في طرابزون بالعداء الدائم بينهما بعكس الإمبراطورية البيزنطية في نيقية ، وفشـلت جميع محاولات الطرابزونيـين في التحـرر مـن التبعيـة السـلجوقية ؛ ويعـود ذلـك إلى موقعـها الجغرافي المنافس وعدم وجود قوى سياسة خارجية لمساندتها في تحقيق هدفها ، ولكـن تلك التبعية لم تضرها اقتصادياً فموقعها الاستراتيجي والجغرافي جعلها واحدة من أعظم المراكـز التجاريـة في الشـرق[٣] وارتبطـت تجـارة الشـام والأقـاليم الشـرقية بالسـواحل الشمالية لإقليم بنطس[٤].

---

(١) انظر : Savvides : op.cit. p.184 نقلاً عن :
Vineent de Beauvois : Miroire Historiale (Frans. trc. J. Vigny) Paris, 1945.

(٢) انظر :
Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.135; Osman Turan : Selçuklular Zamanind, s.362-363, Savvides: op.cit, p.183.

(٣) حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

(٤) للمزيد انظر هايد : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٩ - ٣٣١ . بنطـس : كلمـة يونانيـة وهـو خـاص بالبحر الذي منه خليـج قسـطنطينية أولـه في أطـراف بـلاد الـترك في الشـمال ويمتـد إلى ناحيـة المغـرب والجنوب حتى يتصل ببحر الشام وقبل اتصاله ببحـر الشـام يسـمى بنطـس . انظـر يـاقوت الحمـوي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٠٠ .

مع امبراطورية نيقية

عندما قامت إمارة نيقيـة البيزنطيـة في الجـزء الشـمالي الغربـي للأنـاضول سـنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م ، وقع على عاتق مؤسسـها تيـودور لاسـكاريس (١) مهمـة تـأمين دولته من الجهة الشرقية والتي يتقاسم حدودها مـع دولـة سـلاجقة الـروم (٢) ، وذلـك للتفرغ لتقوية دولته وتحقيق هدفه الأول وهو اسـتعادة القسـطنطينية مـن اللاتـين (٣) . فاستغل مرور السلطان غياث الديـن كيخسـرو عـبر بـلاده متجـهاً إلى قونيـة لاسـتلام عرش دولته وحال دون ذلك العبـور إلاّ بعـد إرجـاع مـا قـد سـبق وأن اسـتولى عليـه السلاجقة (٤)، وليجبر السلطان على الرضوخ لمطالبه ، لوح بتمسكه بالمعاهدة التي بينه وبين ابن السلطان ركن الدين سليمان شـاه - عزالديـن قلـج أرسـلان الثـالث - بـألاّ يدع السلطان يتجه نحو ملكه (٥) . وبما أن المصادر الإسلامية التي بين أيدينا لم توضـح لنا حقيقة العلاقات بين السلاجقة وإمارة نيقية في ذلك الوقت سوى إشارات في ثنايـا الأوامر العلائية وأخبار سلاجقة الروم والـتي لا تـدل علـى طلـب كيخسـرو مسـاعدة

---

(١) ثيودور لاسكاريس أحـد الضبـاط النبـلاء ، هـرب مـن القسـطنطينية عقـب سـقوطها سـنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م في يد اللاتين ، وهو زوج الأمـيرة أنـّه ابنـة الكسـيوس الثـالث ، قـام بتنظيـم أول دفـاع إزاء اللاتين ، ساعده على ذلك من هرب من القسطنطينية من كبار أهل المدينة وأعيانها ، ولم يلبث ثيودور أن بسط سلطانه على معظم ما تبقى من الأراضي في آسيا واستطاع خلفاؤه أن يحكمـوا مـن حديـد في القسطنطينية بعد نيف وخمسين سنة . انظر : رنسـمان : المرجـع السـابق ، ج٣ ، ص ٢١٧ - ٢٢٩ . حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ ، توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) ذكر Savvides نقلاً عن خونياتس « أن الفرس - دولة سلاجقة الروم - كانوا يشنون غارات مدمـرة داخل الأراضي النصرانية وتدميرها بالنهب والسلب حيث إنهم كانوا بالعادة المتنصرين وكانوا يتباهون ويمتدحوا الواحد الآخر » .

Svvides : op.cit, p.109..

(3) Savvides : op.cit. p.58.

(٤) ذكر ابن بيبي أنه في عهد السلطان الصغير عزالدين قلج أرسلان الثالث ابن ركن الديـن سـليمان شـاه فتحت ولاية اسبرطه وقد كانت من أضخم القلاع . الأوامر العلائية ، ص ٧٦ ؛ أخبار سلاجقة الـروم ص ٢٨ ؛ Savvides : op.cit. p.p. 58-66 .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣١ ؛ Osman Turan : Selçuklular Zamanind, s.265 .

ثيودور لاسكاريس لاستعادة عرشه من ابن أخيه فيبدو أن الأمر قد التبس على عثمان توران عندما قال : « وبينما كان كيخسرو يعبر أراضي مملكة لا سكاريس أخبره أنه لن يستطيع مساعدته في استرداد ملكه بسبب توقيعه معاهدة مع قلج أرسلان الثالث »[١] إلاّ إذا كان قد قصد توران بأن مجرد السماح بالمرور يعتبر نوعاً من المساعدة ، فهذا أيضاً غير محتمل ، إذ لم يتم العبور إلاّ بعد مفاوضات بين الطرفين انتهت باحتجاز ابني السلطان غياث الدين كيخسرو عزالدين كيكاوس وعلاء الدين كيقباذ كرهينة ، وذلك حسبما ذكره ابن بيبي « ولبثوا بضعة أيام في هذا القيل والقال وفي النهاية استقر الأمر على أن يسلم - غياث الدين كيخسرو - لنواب الفاسليوس ما كان السلاجقة قد فتحوه من ولاية الروم حتى حدود قونية مثل خوناس ولاديق[٢] وغيرهما من البقاع...وأن يترك السلطان ابنيه مع زكريا كرهينة هناك»[٣].

وهكذا فإننا نستشف من قراءتنا للنص السابق بأن لاسكاريس أراد ثمناً للعبور يتمثل في استعادة ما فتح من أراضيه لحساب السلاجقة بعد استقرار كيخسرو كسلطان للدولة، و لم يتبين استعانة كيخسرو به أو مساعدة لاسكاريس له، بل احتجز ابني السلطان إلى أن ينفذ ماطُلب منه فقط. لذا لم يهدأ السلطان كيخسرو وينطلق لإقتحام قونية وتسلم مقاليد الحكم إلاّ بعد أن نجح الحاجب زكريا - الذي كان مرافقاً لابني السلطان في نيقية - في تهريب ابني السلطان واحتياز الحدود النيقية إلى

---

(1) Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Türkiye, s.273 .

(٢) رغم أن ابن بيبي ذكر خوناس ولاديق من ضمن المناطق التي طالب بها ثيودور لاسكاريس ، إلاّ أن المورخين المعاصرين ذكروا خلاف ذلك ؛ فقد ذكر ابن الأثير أن لاذيق « تغلب عليها بطريق كبير من بطارقة الروم » ويقصد بذلك صهر السلطان غياث الدين كيخسرو مورزموس . ويذكر ابن العبري بأن السلطان غياث الدين كيخسرو احتل كوتاس « خوناس » . وهذا يفسر لنا أن لاذيق وخوناس كانت تحت سيطرة لاسكاريس قبل سلطنة السلطان غياث الدين كيخسرو الثانية ٦٠١ - ٦٠٧هـ / ١٢٠٤ - ١٢١٠م ، ولكنها عادت للسيطرة السلجوقية على يد صهره مورزموس ا لذي شن غارات متكررة على الأراضي المروية من نهر الميندر والواقعة على الحدود السلجوقية النيقية . لذا فإننا نستبعد تلك المدينتين من رواية ابن بيبي استناداً على روايات المعاصرين للحادثة . الأوامر العلائية ، ص٨١ ، الكامل : ج١٢ ، ص ١٩٢ ، تاريخ الزمان ، ص ٢٤٥ ، انظر :
Osman Turan : Selçuklular Zamanind, s.266, Savvides , op.cit. p.61.

(3) Ibin Bibi : op.cit, p.81 .

دولة سلاجقة الروم [1] . وبذلك أصبح للسلطان غياث الدين كيخسرو مطلق الحرية في تقرير مايراه حول المناطق المتنازع عليها دون ضغط من لاسكاريس عليه ، فأقطع والد زوجته مورزموس تلك المناطق وتشكلت هناك إمارة تابعة للسلاجقة ؛ ألحقت فيما بعد بالبلاد السلجوقية مباشرة [2] .

والحقيقة ، فإن الأوضاع الخارجية [3] للإمبراطور ثيودور لاسكاريس [4] اضطرته إلى فتح باب المفاوضات مع دولة سلاجقة الروم ، وذلك ليأمن جانبهم ويطمئن على جبهته الشرقية فتوصل إلى توقيع اتفاقية صداقة مع السلطان غياث الدين كيخسرو سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٦م تم بموجبها عدم تعدي كل منهما على الآخر [5] .

كما يبدو أن السلطان غياث الدين كيخسرو قد قبل لفترة مؤقتة بمجاورة الدولة

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣١ - ٣٢ ; Ibin Bibi : op.cit, p.82 ؛
Claude Cahen : Pre-Ottoman, p.116 p. Ali Seavime, Yaşar yücel op.cit, s. 146 ; The Encyclopedia of Islam, Vol. 6, p.616, Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.273.

(2) The Encyclopedia of Islam, Vol. 6, p.615, Savvides: op.cit. p.61; Osman Turan : Selçuklular Zamarind, s.273, 281-282 ; Nejat Kaymas: op.cit. s.131 ;
تامارا تالبوت رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفي الخوري وإبراهيم الداقوقي ، مراجعة عبدالحميد العلوجي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨ .

(٣) كان على ثيودور لاسكاريس لتثبيت قدمه في نيقية مواجهة اللاتين في الغرب والكومنيين (داود كومنيوس وأخيه الكسيس صاحب طرابزون) في الشمال والشمال الشرقي وأيضاً القضاء على تحركات بعض الثوار ، انظر : Savvides : op.cit. p.54-59, 60-67 .

(٤) بحلول سنة ٦٠٣ - ٦٠٤هـ / ١٢٠٧ - ١٢٠٨م ، حصل ثيودور لاسكاريس على تأييد حشود كبيرة من اللاجئين الإغريق الذين أتوا إليه - في نيقيه - من اليونان وحزر بحر أيجه . وفي مارس ١٢٠٨م / رمضان ٦٠٤هـ ، توجه - لاسكاريس - البطريك ميخائيل أوتوريانوس ؛ امبراطوراً وأصبحت نيقيه مقراً للإمبراطورية والكنيسة معاً . انظر : حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ٢٧١. اسمت غنيم : إمبراطورية في المنفى ص ٢١٠ ؛ رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٢٨ ؛ . Savvides: op.cit. p.61

(٥) لم تشر المصادر المورخة لهذه الاتفاقية إلى التزام لاسكاريس بدفع أي مبلغ من المال للسلطان كيخسرو ولكن يبدو أن هذه الاتفاقية كانت تجديداً لاتفاقية سابقة وقعت بين ثيودور لاسكاريس والسلطان الطفل عزالدين قلج أرسلان الثالث ابن ركن الدين سليمان شاه ، حيث ذكر ابن بيبي بقوله : " في أيام حكم ذلك الطفل المعصوم ، بايع ملوك الإسلام وقياصرة الروم وتكافرة الكرج على الولاء له وظلت الإتاوات والأحمال ترد إلى الخزانة " . انظر الأوامر العلائية : ص٧٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٨ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Türkiye, s. 288, Savvides: op.cit. p.86 .

النيقية «كأمر واقع لتكون حاجزاً بين الإفرنج في القسطنطينية وبين أراضيه في وسط وشرق الأناضول»[١].

وفي ظل هذه الاتفاقية ، أصبح لكل من الزعيمين المتجاورين النيقي والسلجوقي حرية تأمين دولة كل منهما ، إذ انطلقت يد ثيودور لاسكاريس في قمع المطالبين بعرشه والتصدي للتحديات اللاتينية في شمال وغرب بلاده ، وأيضاً تحركات الكومينيين في شمال شرق نيقية [٢] . أما السلطان غياث الدين كيخسرو والذي سبق وأن تقلد زمام مناطق سهل الميندر ، وأدرك قيمتها الاقتصادية والاستراتيجية ، وأيضاً رغبته في المد لدولته غرباً للوصول إلى بحر إيجه ، فقد استغل ارتباطه باتفاقية حسن الجوار هذه مع امبراطورية نيقية وعمل على تأسيس قاعدة اقتصادية تكفل له تحقيق حلمه في الوصول إلى بحر إيجه ، فوجه نظره صوب أنطاليا ، وأحكم الخطط حول ذلك الثغر الجنوبي للأناضول على البحر المتوسط ، ونجح في شعبان سنة ٦٠٣هـ / مارس ١٢٠٧م في فتحها وضمها لدولة سلاجقة الروم [٣]، فأتيحت له بذلك فرصة الاتصال البحري المباشر مع سائر القوى البحرية والتجارية المطلة على ذلك البحر[٤]. ولم يثر ذلك النشاط الإمبراطور لاسكاريس [٥] ، الأمر الذي جعل السلطان غياث الدين كيخسرو يعمل على توطيد حكمه في شرق البلاد مع الأراتقة ، وفي الجنوب الشرقي مع الأرمن وفي الجنوب مع مملكة حلب [٦] .

وعلى أية حال ، فإن علاقة الهدوء النسبي بين إمبراطورية نيقية ودولة سلاجقة الروم لم تلبث أن تحولت إلى منافسة على غرب الأناضول وخاصة بعد الانتصارات السياسية والعسكرية التي حققها السلطان كيخسرو وظهرت تحالفات ثنائية تنبع

---

(1) Savvides : op.cit. p.55-56.

(2) Savvides : op.cit. p.9-60 .

(٣) انظر الفصل الأول من البحث ص ٢٤ .

(٤) علي الغامدي : أنطاليا في عصر الحروب الصليبية ، ص ٢٧ .

(٥) انظر : Savvides : op.cit. p.89 .

(٦) انظر الفصل الرابع ص ١١٧ ، الفصل الخامس ص ١٨٠ .
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda , s. 286, Ali Serime, yaşar yücel : op.cit. s.147; The Encyclopedia of Islam, Vol. 6, p.617-618.

باستعداد كل طرف للآخر ، فحصل السلطان كيخسرو على دعم من الإمبراطور اللاتيني في القسطنطينية هنري (٦٠٢-٦١٣هـ / ١٢٠٦-١٢١٦م) سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م توسط في ذلك المندوب التجاري للبندقية في القسطنطينية – الدوج البندقي[١] – كما تحالف الإمبراطور لاسكاريس مع الملك ليون الأرمني ، حيث عانى الأخير من نشاطات السلطان غياث الدين كيخسرو العسكرية على مناطق سلطته ، مما جعله يرحب بهذا الاتفاق « ويتباهى بأنه عقد محالفة مع الإمبراطور اليوناني النيقي »[٢].

على أية حال ، فقد أصبح الوضع بين الجارين السلجوقي والنيقي على وشك التصادم ، حيث فجر الموقف قدوم الإمبراطور الكسيوس الثالث ملتجئاً للسلطان غياث الدين كيخسرو ، وقد أراد السلطان استغلال ذلك في بسط نفوذه على غرب الأناضول بإحلاله مبدئياً إمبراطوراً للدولة النيقية ، وذلك استناداً على أنه كان

---

(١) الدوق Doge يرأس التنظيم السياسي لجمهورية البندقية وهو رمز للسلطة أكثر منه مصدراً لها ، وكان إلى جانبه هيئات سياسية أخرى . وفي القسطنطينية كان يمثل الدوق نائب « بودستات » وهو في ذات الوقت رئيس المستوطنة البندقية بالعاصمة ، وحاكم كل الممتلكات في رومانيا . انظر : اسمت غنيم : الحملة الصليبية ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية ، دار الشعب ، القاهرة ، ص ٥٦ ، ثمهايد ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٩٥ ، رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٢٢ .

اسمت غنيم : إمبراطورية في المنفى ... ص ٢١٣ ؛ Savvides: op.cit. p.94 ؛ عثمان توران : الأناضول ، ص٢٢ ، يبدو أن الهدف الأساسي من هذه الإتفاقية خدمة تجارة الأناضول ، إذ إن القوى اللاتينية تتساوى في خطورتها لدولة سلاجقة الروم مع الإمبراطورية النيقية والذي يثير الغرابة سرية هذه الاتفاقية ، كما يذكر المورخون فهل الهدف من سريتها عدم إثارة الإمبراطور لاسكاريس قبل الاستعداد التام سيما وأن هناك هدنة بين الطرفين النيقي واللاتيني وقعت سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٧م ، مدتها سنتان ؟ أم أنه ليست هناك اتفاقية عسكرية أو سياسية ، وإنما مجرد تردد المفاوضين لعقد الاتفاقيات التجارية استُغلت للتلويح بوجود تحالف ، وذلك جزء من الحرب النفسية ضد امبراطور نيقية بين القسطنطينية وقونية ، كما أن Savvides يؤكد عدم وجود دليل يثبت أن لا تينيي القسطنطينية ارتبطوا بحلف عسكري ثنائي وذلك بقوله : « ولكن الحاكم اللاتيني فشل في رؤية الفوائد التي سيجنيها من تحالف عسكري قوي مع السلطان التركي وراء النيقيين » . Op.cit. p.94 .

(٢) رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٤٧ ؛ Savvides : op.cit. p.94-95 .

الإمبراطور السابق للإمبراطورية البيزنطية (١) ، ثم إعلان المنطقة تابعة للدولة السلاجقة .

ومما جعله يرحب بالكسيوس الثالث ويعجل بمد العون له إعلان تتويج ثيودور لاسكاريس إمبراطوراً لنيقية . فرغم أنه تقبل هذه الدويلة سابقاً ، إلاّ أن الوضع الحالي لدولة نيقية البيزنطية وما وصلت إليه من قوة ، أنذر بتقويض الحلم السلجوقي بالامتداد غرباً إلى بحر إيجه فأرسل صهره مفروزموس إلى ثيودور لاسكاريس حاملاً خطاباً منه « يدعوه إلى ترك العرش إلى حميه . وفي حالة رفضه فلا سبيل غير القوة » (٢) . وقد أغفل ابن بيبي هذا وذكر أسباباً أخرى خلاف ذلك ، أهم سبب لتبرير مهاجمة السلطان غياث الدين كيخسرو لإمبراطورية نيقية المجاورة هو امتناع الأخير عن دفع الخراج السنوي ، وفي ذلك يقول « أخذ يتلكأ – ثيودور لاسكاريس – ويتمهل ويتباطأ في إرسال الإتاوات وارتسام الأوامر والخدمات (٣) . السبب الثاني تخوف السلطان من تنامي قوة الإمبراطور النيقي « وذات يوم اختلى السلطان بأركان الدولة ، واستطرد في الحديث عن تدارك أمر الشكري وقال : إن لم نبادر بالهجوم لدرء فضوله وغروره ، فقد يؤول الأمر إلى خلل عظيم » (٤) . ويبدو أن مرد ذلك القلق ما قامت به إحدى الفرق اليونانية التابعة لإمبراطورية نيقية من انتهاك حرمة

---

(١) علق Savvides مستغرباً كيف يطالب السلطان غياث الدين كيخسرو بعرش الإمبراطورية لالكسيوس الثالث الذي كان الباسيليوس الشرعي قبل الغزو اللاتيني ، وذلك بقوله : « مع ذلك لابد أن كيخسرو الأول كان يعلم الحقيقة أن الكسيس الثالث كان مغتصباً للعرش في ٥٩١هـ / ١١٩٥م . وتعليقنا هنا أن غياث الدين كيخسرو لم ينظر للأمر من منظور الشرعية ، بل ما يحقق له مصالحه ، إضافة إلى ذلك فألكسيس الثالث كان قد رحب بغياث الدين كيخسرو عندما لجأ إلى القسطنطينية سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م ، وبهذا الموقف يكون حقق هدفين معاً رد الجميل ومد نفوذ السلطنة غرباً. Op.cit. p.101.

(٢) حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ ؛ اسمت غنيم : إمبراطورية في المنفى ، ص ٢١٢-٢١٣ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.288 ; Savvides : op.cit. p.95-96, Mihin Eren Theodor I. Laskaris, s.594.

(٣) الأوامر العلائية : ص١٠٣ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٣. وأكدت ذلك المصادر البيزنطية . وفي ذلك يذكر كاتب الوقائع البيزنطي باتشميرس « أن أجدادنا عاشوا بين عدوين وتعرضوا لظلم الأتراك في الشرق واللاتين في الغرب لهذا عقدوا صلحاً مع الترك واضطروا أن يدفعوا كل عام مبلغ من المال »
نقلاً عن : Osman Turan : Selçuklulare Zamaninde Türkiye. s.288.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٣ ؛ Ibin Bibi : op.cit, p.103 .

الحدود الغربية لدولة سلاجقة الروم على إثر فتح أنطالية (١) . كما لم ينس السلطان غياث الدين كيخسرو منع ثيودور لاسكاريس له من « دخول بلاده أو الخروج منها لديار الإسلام » (٢) .

على أية حال ، فمهما تعددت الأسباب ، فإن هدف السلطان غياث الدين كيخسرو شن هجوم كاسح على بلاد الإمبراطور النيقي لفتحها إذ « أرسل الأوامر إلى أطراف البلاد وحرض أمراء الجند كبيرهم وصغيرهم على نية الغزاة والجهاد » (٣). وبعد تجمع القوات التي قدرت بـ ٢٠,٠٠٠ مقاتل (٤) ، اتجه السلطان إلى أعالي نهر الميندر حيث أثارت تحركاته تلك إمبراطور نيقية ثيودورس لاسكاريس الذي حسب رواية ابن بيبي « كان الجواسيس قد أبلغوه بتحرك الرايات السلطانية ، فأرسل برسائل الاستغاثة إلى القبائل والعشائر وحكام البلاد والجزائر وجمع جيشاً بعدد الرمل والنمل ... وتوجه لقتال جيش الإسلام بتعبئة كاملة » (٥) .

والحقيقة فإنه يستشف من رواية ابن بيبي هذه أن لاسكاريس قد فوجئ بسرعة تحرك السلطان السلجوقي ، الأمر الذي يؤكد لنا الآتي :

١ - تصميم السلطان غياث الدين كيخسرو على غزو غرب الأناضول .

٢ - عودة رسل السلطان غياث الدين كيخسرو من ثيودور لاسكاريس بدون إجابة مؤكدة لرفضه مطالبه ، وهذا خلاف ماذكره Savvidas عن مصادر يونانية « بأن لاسكاريس تحرك من عاصمته مع جنود ومعه المبعوثين السلاجقة » (٦) .

ومع ذلك ، يبدو أن ابن بيبي يبالغ في ذلك ، إذ إن المؤرخين (٧) اتفقوا على

---

(١) علي الغامدي : أنطاليه ، ص ٢٨ ؛ Claude Cahen : Pre-Ottoman p.120 .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٣ ؛ انظر ابن بيبي : المصدر السابق ، ص١٠٣ ، ويعني ابن بيبي بذلك أثناء مرور السلطان ببلاده متجهاً إلى العاصمة السلجوقية ، انظر ص ١٦٠ - ١٦١ من البحث .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٤ .

(4) Savvidase : op.cit. pp.100 - 101.

(٥) الأوامر العلائية ، ص ١٠٥ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٤ .

(٦) انظر : op.cit. p.101 .

(٧) انظر : اسمت غنيم : إمبراطورية في المنفى ، ص٢١٣ ؛ Savvides: op.cit. p.102-103 ؛ Mihin Eren: op.cit. s.696. Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.289.

أن القوات النيقية بلغت ٢,٠٠٠ مقاتل ٨٠٠ منهم مرتزقة [١] . واتضح صحة ذلك أثناء اشتباك القوتين . فقد زحف السلطان غياث الدين كيخسرو بقواته ماراً بأنطاكية [٢] ، ومتجهاً إلى الأشهري « فلادلفيا » ، حيث شهدت أواخر سنة ٦٠٧هـ / منتصف سنة ١٢١١م ، في تلك المنطقة التقاء القوتين السلجوقية والنيقية ، فرجحت كفة القوات السلجوقية لتفوق عددها ، حيث أحاطوا بقوات المرتزقة اللاتين وأثخنوا فيهم القتل حتى قاربوا على إبادتهم بينما تراجع الباقون ، مما أدى إلى كشف أرض المعركة والتقاء القائدين وجهاً لوجه . فقد ذكر ابن بيبي أن السلطان غياث الدين كيخسرو « وصل وسط المعركة إلى قلب العدو فرأى الشكري واقفاً ، فأمسك بسنان مستقيم وأطاح به من فوق ظهر الحصان إلى الأرض وقال مخاطباً له : « أي كندوس» وعندما أراد رجاله قتله ، منعهم السلطان وأمر ان يوضع فوق حصانه ويطلق » [٣] .

فلما علم الجند النيقيين بما وقع لامبراطورهم انهزموا من أرض المعركة « فانفصل كل الحراس المفاردة عن السلطان ؛ وشغلوا بسلب الأسلاب » [٤] وبقي السلطان بدون حراسة « وفجأة قابل فرنجي مغمور السلطان فلم يلتفت إليه باعتباره منصوراً بالحشم فلم يستخدم السلاح لزجره ودفعه » [٥] مما أدى إلى تمكن ذلك الجندي من السلطان وقتله .

---

(١) هؤلاء المرتزقة لاتين وقع عليهم البابا إينوسنت الثالث قرار الحرمان لتعاونهم مع البيزنطيين المنشقين . انظر : اسمت غنيم : إمبراطور إمبراطورية في المنفى ، ص ٢١٣ ؛ Savvidase : op.cit. p.102 .

(٢) أنطاكية من مدن إمارة حميد العثمانية ، وكثيراً ما ذكرتها التواريخ الإسلامية القديمة . وقد أضحى اسمها في العهد التركي بلاواج ، وهي بين بحيرتي أكريدور وأقشهر . انظر : كي لسترنج ، ص ١٨٤.
لم يذكر ابن بيبي حصار أنطاكية ولم يشر إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد ، بينما ذكر المورخون بأن السلطان بدأ بحصار أنطاكية ، وعندما فشل في اقتحامها وعلم بقدوم ثيودور لاسكاريس ، تركها وسار إلى الأشهري ، كما ذكر بعض المورخين أن الأتراك أضرموا فيها النار . وبما أن ابن بيبي لم يسجل هذه الحادثة ، فيبدو أن من قام بحصار أنطاكيه إحدى الفرق التركمانية التي لم تسلم تلك المنطقة من هجماتها المتكررة سيما وأن Savvides أشار نقلاً عن أحد المورخين البيزنطيين أن هذا الحصار نفذ بواسطة البربر . انظر اسمت غنيم : إمبراطورية في المنفى ، ص٢١٣ ؛
Savvides: op.cit. pp.102, 106, 72, 73 ;Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.289.

(٣) الأوامر العلائية : ص ١٠٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٥ .

(٤) الأوامر العلائية ، ص ١١٠ .

(٥) الأوامر العلائية ، ص ١١٠ ؛ انظر : Salim Koca : op.cit. s.936 .

أما المؤرخون الإغريق [١] فقد خالفوا ابن بيبي في نهاية المبارزة بين القائدين ، إذ ذكروا ان الامبراطور استرد وعيه بعد الضربة التي وجهها له السلطان ثم قبض على سيفه واستغل انشغال السلطان في إصدار أوامره لرجاله بقتله وهوى على قدمي حصان السلطان مما أدى إلى سقوطه ثم اندفع أحد المقاتلين النيقيين وقطع رأسه فتحول النصر الذي حققه السلاجقة في بداية المعركة إلى هزيمة بسبب سقوط السلطان قتيلاً في أرض المعركة .

وأمام ما أورده Savvides من روايات المؤرخين وما رواه ابن بيبي عن طريقة استشهاد السلطان ، فنرى أن رواية ابن بيبي الأقرب لما وقع إذ لن يستطع أحد الاقتراب من السلطان وجند الخاصة من حوله إلاّ في حالة انطلاق هؤلاء الجند لمطاردة فلول العدو الهاربة طمعاً في الغنائم كما ذكر ابن بيبي . كما أن هناك إشارة ذكرها Savvides عن أحد المؤرخين بقوله : « واستغل - لاسكاريس - انشغال السلطان في إصدار أوامره لرجاله ... » [٢] فلو تخيلنا الموقف فكيف ينشغل السلطان بإصدار الأوامر لقواته التي من المفترض أنها محيطة به ، إضافة إلى ذلك أين هؤلاء الرجال الذين لم يمنعوا لاسكاريس عندما أفاق حسب رواية المؤرخين من الإطاحة بالسلطان بضربة منه على قدمي حصانه - أي السلطان - كما لم يمنعوا عنه الجندي النيقي . وكيفما كان الأمر فقد تحول انتصار السلطان إلى هزيمة بعد مقتله كما قال Cahen « في ظروف غامضة » [٣]. وخسر السلاجقة أكبر فرصة سنحت لهم لمد النفوذ غرباً ، وذلك لتفوق العدد وتحييد القوى الخارجية اللاتينية ، إذ إن إمبراطورية نيقية تعتبر منافساً مشتركاً لدولة سلاجقة الروم في الأناضول واللاتين في القسطنطينية والساحل الغربي للأناضول ، إذ اتضح تشفي الإمبراطور هنري في رسائله بقوله : "إن الجيش البيزنطي كان مرتبكاً وإن الإمبراطور لم ينتصر بل خرج من الحرب مهزوماً" [٤] . وترتب

---

(١) نقلاً عن : Savvides : op.cit. p.103-104 .

(2) op.cit, p.p.103-104.

(3) Cloud Cahen : pre-Ottoman Turkey. p.119.

(4) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.290. Mihin Eren: op.cit. s.597.

على مقتل السلطان غياث الدين كيخسرو تغير نتائج للمعركة لصالح القوات النيقية التي انقضت على فلول الجيش السلجوقي قتلاً وأسراً ، حيث تم أسر الإمبراطور السابق ألكسيوس أنجيلوس الثالث (١) ، وأيضاً كبار القادة السلاجقة وأهمهم سيف الدين آيبه الذي ما أن وقعت عيناه « على جثة السلطان حتى صرخ وصاح» (٢) وتملكه الحزن الشديد.

وهكذا انتهت معركة الأشهيري دون تحقيق الهدف المرجو منها على الصعيد السلجوقي . أما الجانب النيقي ، فقد تحقق للإمبراطور ثيودور لاسكاريس مكاسب لم يخطط لها ، حقيقة إنه لم تطرأ تغييرات إقليمية إلاّ أنه كونه دحر السلاجقة بقواته المتواضعة ، فقد أحيا التقليد البيزنطي الخاص بالقتال ضد المسلمين وأحرز أولى انتصاراته ، وبذلك أجبر بقية المطالبين بالعرش الإمبراطوري على الرضى به (٣) ، إلاّ أننا نجد أن أكبر مكسب تحقق له هو تحييد الجانب السلجوقي والتفرغ التام لاستكمال نضاله لاسترجاع القسطنطينية من اللاتين (٤) ؛ لهذا طلب الصلح من الفريق المنهزم . فقد استغل انشغال أبناء السلطان غياث الدين كيخسرو في الصراع على العرش وبادر بتحسين العلاقة مع السلطان الجديد عزالدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو ، حيث أمر بإطلاق سراح الأسرى السلاجقة وعلى رأسهم الجاشنكير سيف الدين آيبه، وأصلح شأنه ورافق الرسول الإمبراطوري محملاً بالهدايا « المنتقاة والتحف المدهشة » (٥) ؛ ورسالة تضمنت اعتذار الإمبراطور عما حدث للسلطان غياث الدين

---

(١) ربما لعلاقة المصاهرة بين الإمبراطور ثيودور لاسكاريوس وألكسيوس الثالث أبقى عليه حياً واحتجزه في دير Hyakintls في نيقية ، وقد ذكر Savvides نقلاً عن سكوتاريوس بأن جنود لاسكاريس فقئوا عيني الإمبراطور ألكسس الثالث ، ولأن Savvides لم يعلق على ذلك إلاّ أننا نتحفظ على ذلك ، إذ ليس من مصلحة الإمبراطور لاسكاريس الموافقة على ذلك ؛ لأنه بحاجة إلى تكاتف البيزنطيين واكتفائه باعتقاله دون أذيته يحقق هدفه بمعاقبته والاطمئنان على عدم خروجه عليه مرة أخرى . انظر : اسمت غنيم : إمبراطور في المنفى ، ص ٢١٣ ؛ Savvides: op.cit. p.105 .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٥ .

(٣) اسمت غنيم : إمبراطورية في المنفى ، ص ٢١٣ – ٢١٤ ؛ Savvides: op.cit. p.106 .

(٤) أذاع ثيودور لاسكاريس نبأ انتصاره على السلاجقة في الرسائل التي وجهها إلى كل الأقاليم اليونانية وطلب منهم مساعدته ووعدهم بتحرير أراضيهم من اللاتين « الكلاب » . انظر : اسمت غنيم : إمبراطورية في المنفى ، ص ٢١٤ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٦ .

كيخسرو « وعزا ذلك إلى القضاء والقدر » (١) ، كما أنـه اقتـص مـن قـاتل السـلطان بقتله (٢) ، وطلب الصلـح وفتـح صفحـة جديـدة لعلاقـة حسـن الجـوار بـين الدولتـين السلجوقية والنيقية ، واحترام كـلا الطرفـين الوضـع الراهـن لحدودهمـا (٣) . وكخـط رجعة وخوفا من عدم استجابة السلطان السـلجوقي لطلبه ، فقـد عمـل علـى « جمـع الرجـال وتهيئـة أسـباب القتـال إذ نصحـه بذلـك مستشـاروه » (٤) ، إلاّ أن السـلطان عزالدين كيكاوس وجد في الصلح مع إمبراطوريـة نيقيـة فرصـة للاطمئنـان إلى جبهتـه الغربية والتوجه إلى أنقره لإنهاء أمر أخيه علاء الدين كيقباذ المتحصن هناك (٥) . لهـذا أكرم وفادة رسل الإمبراطورية النيقية وجهزهم من الخزانة على حد قـول ابـن بيبـي : « أضعاف ما كان قد أرسله فاسليوس » (٦) ، كمـا كلـف الأمـير سيف الديـن آيبـه برسالة للإمبراطور ثيودور لاسـكاريس للموافقـة علـى عقـد صلـح ملائـم للطرفـين . ورغم أن المؤرخين لهذا الحدث لم يوضحوا لنا بنود هذا الصلح إلاّ أنـهم متفقـين علـى أنه في صالح السلاجقة (٧) ، في الوقت الذي امتدح العلماء ورجال الدولـة البـيزنطيون ثيودور لاسكاريس لشجاعته ومهاراته الدبلوماسية الـتي أمنـت إمبراطوريـة نيقيـة مـن الجنوب والشرق (٨) ؛ وبذلك ضمن ثيودور لاسكاريس جـانب الأتـراك السـلاجقة ، وبدأ يوجه جهوده من جديد لاستئناف النضال ضد اللاتين (٩) .

وتحقق للدولة السلجوقية الأمان من جهة الغرب لمواصلـة الفتوحـات والتوسـع

---

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٦ ؛ Ibin Bibi. op.cit. p.131 .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٦ ؛ Ibin Bibi. op.cit. p.110 .

(٣) انظر :

Savvides: op.cit. s.105, Mihin Eren: op.cit. s.596 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda s.290.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٦ . انظر منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٤ب .

(٥) انظر الفصل الثاني ص ٤٢ - ٤٤ .

(٦) الأوامر العلائية ، ص ١٣٢ .

(٧) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٥ ؛

The Encyclopedia of Islam, Vol. 6, p.633 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.290; Mihin Eren: op.cit. p.596.

(٨) انظر : Savvides : op.cit. p.106 .

(٩) اسمت غنيم : إمبراطورية في المنفى ، ص ٢١٤ .

شرقاً وجنوباً ، وفتح الموانئ على البحر الأسود شمالاً ، و لم ترصد المصادر التاريخية أي صدام بين الدولتين بعد سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م [1] ، بل نجد استمرار احترام عهد الصداقة بين الدولتين .

واتضح ذلك في عدم التدخل بين مملكة أرمينية الصغرى ودولة سلاجقة الروم سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م ، وترك الملك ليون يواجه السلطان عزالدين كيكاوس دون مساعدة رغم رابطة المصاهرة بينهما [2] ، كما حافظت إمبراطورية نيقية على الالتزام بإمداد دولة سلاجقة الروم بما تحتاجه من قوات في أي وقت يريده السلطان ، حيث بلغت هذه القوات ٤٠٠ مقاتل مجهزين بالمزراق ومن يعمل في معاونتهم ، أي مايقارب من ٢,٠٠٠ مقاتل[3]، حيث ظهر ذلك في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ بالاستعانة بفرقة من القوات التابعة للإمبراطورية النيقية سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م أثناء فتح السلطان لقلاع الأراتقة كاخته وجمشكزاك . فقد ذكر ابن بيبي « أن الأمير مبارز الدين جاولي انطلق بنفسه مع خمسة من الإخوة - وهم ممن عرفوا بأولاد فردخلا وكانوا قد وصلوا لتوهم من ولاية لشكري لمواجهة الشاميين [4] .

---

(١) انفرد ابن نظيف الحموي برواية مفادها أن السلطان علاء الدين كيقباذ هزم في سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م « سلطان الروم الأشكري ، وأخذ من قلاعه » ولأن ذلك لم يذكر في المؤلفات البيزنطية أو الإسلامية المؤرخة لتلك الفترة ، فإنا نشك في صحة ذلك سيما وأن العلاقات بين الدولتين مازالت مستمرة على ما كانت عليه من حسن الجوار والتزام الإمبراطورية النيقية بما عليها ، اتضح ذلك في السنة التالية سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م . انظر المتن . كما أننا نتفق مع كاهن بأنها ربما تكون صدامات حدودية بين القبائل التركمانية وحرس حدود نيقية . انظر : التاريخ المنصوري ، ص ١١٣ ؛
Claud Cahen: Questions d'Histoire de la province de Kastamonu, XIIIe siecle, p.148-149, pre-Ottoman Turkay, p.135.

(٢) انظر : Savvides: op.cit. p.130.

(٣) انظر : Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.302 .

(٤) الأوامر العلائية ، ص ٢٧٨ ، أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٤ .

مع الصليبيين

عندما نتناول نوعية العلاقة بين دولة سلاجقة الروم والصليبيين في فترة موضوع البحث ، فإننا نجد أن هذه العلاقة تتخذ السمة الاقتصادية وخاصة التجارة ، حيث كان دأب الدولة السلجوقية العمل على ضم الموانئ المطلة على البحرين الأسود والمتوسط لضمان عبور تجارة الأناضول وازدهارها ، حيث نجح السلطان غياث الدين كيخسرو سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٧م في الاستيلاء على أنطاليا [(١)] ، الأمر الذي جعل الفرنج في قبرص يعملون على كسب ود هذه القوة الإسلامية ، وعقدت أول اتفاقية تجارية بين السلاجقة والبنادقة ، وكذلك القبارصة في زمن السلطان غياث الدين كيخسرو [(٢)] ، ثم جددت هذه الاتفاقيات في عهد السلطان عزالدين كيكاوس [(٣)] ، وذلك لحاجة فرنج قبرص لتوفير حاجاتهم الغذائية من سواحل الأناضول [(٤)] .

ولكن ما مدى صحة تلك الاتفاقيات والتزام ملك قبرص هيو لوزجنان بها أمام روايات المؤرخين المسلمين لحوادث ثورة أنطاليا سنة ٦١٢هـ من قبل سكانها الروم ، إذ قال ابن بيبي : « إن روم أنطاليا استنجدوا بالفرنج فأمدوهم ببضع سفن مشحونة بالمحاربين » [(٥)] . وذكر الجنابي « إنه سنة اثنتي عشرة وستمائة ، ملك الإفرنج أنطاليه وقتلوا من فيها من المسلمين ، فثار عليهم عزالدين كيكاوس فاستعادها

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ . انظر الفصل الثاني .

(٢) علي الغامدي : أنطاليا ، ص ٤٥ ؛ Cloud Cahen : Le Commerce Anatol, op.cit.p.92,93 .
Savvides: op.cit. p.132. The Encyclopedia of Islam, Vol. 6, s.617.

(٣) انظر :
Osman Turan : Turkiye Selçuklular Hakkinda Rasmi, p.109-146; Savvides: op.cit. pp139-140.
أشار الملك هيو لوزجنان في رسالته المؤرخة بـ ٦١٠هـ / ١٢١٤م للسلطان عزالدين كيكاوس بأن بينه وبينهم - أي السلاجقة - صداقة موثقة بالإيمان منذ ست سنوات . انظر :
Osman Turan : Turkye Selçuklular Hakkinda rasmi, p.139.

(٤) انظر :
Osman Turan : Turkiye Selçuklular Hakkinda rasmi, p.110; The Encyclopedia of Islam, Vol. 6, p.634.

(٥) الأوامر العلائية ، ص ٤٣ .

منهم قهراً » (١) . وذكر أبو شامه بقوله : « كسر كيكاوس ملك الروم الفرنج المتغلبين على أنطاليه وأخذها منهم » (٢) .

بما أن هؤلاء المؤرخين لم يحددوا هوية هؤلاء الفرنج وأيضاً « تعهد ملك قبرص على نفسه بأن يكون على علاقة سلمية مع السلطان وكل رعاياه » (٣) وخلوا الرسائل التي بعثها إلى السلطان عزالدين كيكاوس سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م من أي إشارة إلى ثورة أنطاليه ، فيبدو أن هؤلاء الفرنج فرسان الاسبتارية المقيمين في قليقيه الجنوبية (٤)، ومما يرجح استنتاجنا هذا مهاجمة ومحاصرة كيكاوس مدينة سلوقية « سليفكه » في الفترة من ٦١٣ - ٦١٥هـ / ١٢١٦ - ١٢١٨م (٥) ، أي بعد سيطرته التامة على أنطاليه ، وذلك للانتقام مما فعلوه فيها ، بينما نجد أن ملك قبرص أكد عدم تسببه في مضايقة السلاجقة حيث اتضح ذلك في إشارات في رسالته سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م بأنه يعلن محافظته على أراضي السلطان من أية مضايقات ولن يفكر أبداً بأي عمل علني أو سري يهدف إلى تدميرها أو سلبها » (٦) . وفي الوقت نفسه ، صرح بأنه لن يحجم عن مساعدة نصرى الشرق سواء ملك أرمينيا الصغرى أو أمير أنطاكية إذا ما طلبوا ذلك عندما تتم مهاجمتهم من قبل السلطان (٧) .

وكيفما كان الحال ، فإن ملك قبرص قد حدد مدة اتفاقية السلام تلك بثلاث

---

(١) العليم الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ، ورقة ٤٥١ أ .

(٢) ذيل الروضتين ، ص ٩٠ .

صحفت أنطاليه إلى أنطاكيه التي كانت إمارة صليبية ومازالت تحت الحكم الصليبي وقتذاك .

(٣) انظر :

Osman Turan : Turkiye Selçuklular hakkinda rasmi, p.140-141, Savvides: op.cit. p.142.

(٤) منح ليو الأرمني الاسبتارية المناطق الجنوبية من قليقيه نظير مساعدته في صراعه ضد أنطاكية . انظر جوناثان رايلي سميث : المرجع السابق ، ص١٤٠-١٦١؛ حسين عطية ، أنطاكية ، ص ٢٨٣ ؛ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص ٧٥٢ .

(٥) رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٤٨ ؛ جوناثان سميث : المرجع السابق ، ص ١٦٣.

(6) Savvides: op.cit. p.142, Osman Turan : Turkiye Selçuklular Hakkinda rasmi, p.141.

(٧) رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٤٧ ؛ Savvides: op.cit. p.142 .

سنوات (١) ، والتزم أيضاً بمعاقبة قراصنة البحار بالقبض عليهم ومصادرة ما استولوا عليه من أحمال من أراضي السلطان السلجوقي وإعادته مع من أسر من رعايا السلطان (٢) . ويبدو أنه لم يخالف ذلك طوال سني حكمه ، إذ توفي سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م ، ثم انشغلت مملكة قبرص بأحداثها الداخلية وارتبطت بالصليبيين في الشام (٣) . ولكن مازالت المعسكرات الصليبية على الساحل الجنوبي للأناضول تهدد أمن التجارة السلجوقية ، لذا فقد جهز السلطان علاء الدين كيقباذ نائبه في أنطالية مبارز الدين أرتقوش سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م وأرسله على رأس جيش إلى السواحل الواقعة شرق وغرب أنطالية لدفع فساد الفرنج عن تلك السواحل وانتزاع قلاعهم التي أقاموها ، فنجح مبارز الدين أرتقوش في مهمته وفتح أربعين قلعة أشهرها أنامور ومافغا واندوشنج (٤) . ويبدو أن هناك قلاع التزمت بأداء جزية سنوية لم يصرح بها المؤرخون لهذه الحوادث ، إلاّ أن ابن بيبي قد أشار إلى ذلك عند محاولة حاكم العلائية الثورة ضد السلطان علاء الدين كيقباذ سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م (٥) .

وهكذا تحقق للسواحل الجنوبية لدولة سلاجقة الروم الأمن من غارات الفرنج والتي غالباً ما يقوم بها القراصنة . ولم تقف نوعية العلاقة بين سلاطين دولة سلاجقة الروم على النواحي الاقتصادية ، بل جذبت مكانة هؤلاء السلاطين السياسية

---

(1) Savvides: op.cit. p.142 ; Cloud Cahen : Le Commerce Anatolier, op.cit.p93.

(2) Savvides: op.cit. p.144.

رغم أن تصرف هيولوزحنان هذا يخالف مبدأ العداء السياسي والديني بين ملوك آل لوزنجنان والسلطة الإسلامية الحاكمة في آسيا الصغرى ، إلاّ أن الهدف التجاري ألقى بظلاله على هذه العلاقة فقد استفادت قبرص من تلك الحركة التجارية إذ قصدها التجار الأوربيون للحصول على الحاصلات الآسيوية التي تعذر الحصول عليها من بيروت والإسكندرية بسبب الحروب الصليبية والأوامر البابوية . انظر : سعيد عبدالفتاح عاشور: قبرص والحروب الصليبية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧، ص١٢٩-١٣٠ . ف. هايد : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٩-١٢ .

(٣) رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٦٥ .

(٤) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ب ، أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٧٤ - ١٧٥ ؛ علي الغامدي : أنطالية ، ص ٤٩ ؛ Ibin Bibi : op.cit. pp.342-344 .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٨ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.418 .

والعسكرية بعض الأمراء الصليبيين لطلب حمايتهم أو التحالف معهم ضد منافسيهم . ففي سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م ، اجتاز ملك المجر الأناضول قادماً من الشام ومتجهاً إلى القسطنطينية ، ومنها إلى بلاده ، بعد أن حصل على الأمان من السلطان السلجوقي[1]. كما استنجد بوهمند الرابع صاحب طرابلس [2] بالسلطان غياث الدين كيخسرو لكف انتهاكات الملك ليون الثاني الأرمني أراضي أنطاكية سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م ، حيث تضمنت بنود الصلح التي عقدت بين الملك الأرمني والسلطان غياث الدين كيخسرو « عدم التعرض لأنطاكية » [3] . والحقيقة فإن هذه المؤازرة من جانب السلطان السلجوقي لهذا الأمير الصليبي كانت تخدم المصلحة السلجوقية ، وذلك في الحد من قوة الملك ليون الأرمني وتقليص رقعة نفوذه .

ثم عاد الاتصال للمرة الثانية سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م بين السلطان عزالدين كيكاوس وبوهمند الرابع للسبب نفسه ، أي الاتحاد معاً ضد الملك ليون الثاني ، ملك الأرمن . وهكذا أصبح الصراع بين سلاطين دولة سلاجقة الروم وملك أرمينية الصغرى ليو الثاني حلقة الوصل بين السلاجقة وبوهمند الرابع المطالب بحقه في أنطاكية ، إلاّ أن هذا الارتباط التحالفي بين بوهمند الرابع والسلاطين السلاجقة لا يدوم على حال واحدة تقويه أو تدمره المصلحة السياسية لكليهما . فرغم مساندة السلاطين السلاجقة لبوهمند الرابع طوال سني صراعه مع ليو ملك أرمينية الصغرى ،

(١) كان الملك أندرو الثاني ملك المجر أحد المشاركين في حملة صليبية دعا إليها البابا هونوريوس الثالث سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م ، وشارك في شن غارات مع الصليبيين في الشام ، إلاّ أنه لم يستمر وعاد إلى بلاده أوائل سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م . انظر رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٥٩ - ٢٦٦ ؛ حسين عطية : إمارة أنطاكية ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، أنتوني بردج : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : أحمد غسان سبانون نبيل الجيرودي ، مراجعة سهيل ذكار ، دار قتيبة ، ١٩٨٥م ، ص٢٤٥.

(٢) للاطلاع على أبعاد تلك المشكلة ، انظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٦م ، ج٢ ، ص ٧٨٠ - ٧٨٤ . رنسمان: المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٤٢-٢٤٣ ؛ علي الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص٣٥٠ ؛
Stevenson, W. By The Crusaders in the East. Cambridge , 1907, p.299.

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ؛ العيني : عقد الجمان ، ج١٣ ، لوحة ٣١٤. ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٣ ، ص ١٨٧ ؛ تاريخ ابن الفرات ، ج٥ ، ص ٨٢ ؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام قبل الغزو المغولي ، ص ٣٥٤ .

إلاّ أنه لم يراع تلك المساندة ، وخرج مع ابنه فيليب لصد هجوم سلجوقي على قليقية ، حيث تمكن من الاستيلاء على أحد الحصون جنوب قرمان [١] . ورغم أن هذه الحادثة لم يسجلها المؤرخون المسلمون إلاّ أن ابن الأثير المعاصر لتلك الحوادث أشار إلى عودة العلاقات الصليبية السلجوقية إلى ما كانت عليه من التحالف ، وذلك بقوله : « أرسل بوهمند الرابع إلى علاء الدين كيقباذ وصالحه ووافقه على قصد بلاد ابن ليون » [٢] . وهذا تأييد على سابقة وقعت من بوهمند الرابع ضد السلطان ، ولكن سرعان ما لبى السلطان كيقباذ طلب بوهمند الرابع لتوافق طلبه هذا مع الشكوى التي تقدم بها التجار للسلطان من مضايقات الأرمن في قليقية والفرنج على الساحل الجنوبي للأناضول ، فخرجت سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م القوات السلجوقية حيث حققت أهدافها على الجبهتين الأرمنية وحلفائها فرسان الاسبتارية والداوية على ساحل البحر المتوسط [٣] ، فيما فشل بوهمند الرابع في استخلاص ابنه فيليب من أسر الأرمن في سيس لوفاته [٤] .

ويبدو أن حرص السلطان علاء الدين كيقباذ على الفتوحات الشرقية وتأمين بلاده من خطري الخوارزمية ثم المغول قد أثر على علاقته مع الصليبيين بعدم المجازفة بالدخول معهم في حروب غير مأمونة النتائج ، إذ لم يسمح للأمير مبارز الدين أرتقوش بنقل التوسع السلجوقي على حساب الفرنج من الساحل الجنوبي للأناضول إلى جزر البحر المتوسط ، وفي ذلك يقول ابن بيبي : « وقد عرض الأمير مبارز الدين أرتقوش أخبار الفتوح وقال إن أمور السواحل قد ضبطت فإن أذن لنا السلطان انطلقنا

---

(١) انظر حسين عطية : إمارة أنطاكية ، ص ٣١٧ ؛ قرامان : تسمى قرامان ، وقرمان وهي ليقونية القديمة (Lycoonia) على ساحل بحر الروم وسميت بقرمان نسبة إلى قبيلة تركمانية سكنت تلك الأرجاء ، كي ليسترنج : المرجع السابق ، ص ١٧٦ ، ١٨٠ .

(٢) روى ابن الأثير تلك الحوادث عن شاهد عيان ، وذلك بقوله : « حدثني بهذا رجل من عقلاء النصارى ممن دخل تلك البلاد وعرف حالها » . الكامل : ج١٢ ، ص٤٦٥ - ٤٦٦ .

(٣) انظر الفصل الثالث ص ٩٠ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٦٤ - ٤٦٦ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٥٧ ؛ رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٩ ؛ حسين عطية : إمارة أنطاكية ، ص٣٢١.

صوب جزر الفرنج ، فأمر السلطان بأن تؤدى أمـوال التجـار [١] وأن يسـمح للجيـش بالعودة إلى قاعدته » [٢] .

وكيفما كان الأمر ، فإن ظهور دولة سـلاجقة الـروم كقـوة سياسـية فرضـت سيطرتها على معظم الأناضول وحددت سياستها مـع القـوى السياسـية النصرانيـة في آسيا الصغرى إما بمعاهدات حسن الجوار والصداقة مثل الإمبراطورية البيزنطية في نيقية أو بفرض التبعية التامة لها مثل أمبراطوريـة طرابـزون ومملكـة الأرمـن . وأيضـاً إيقـاف الزحف الخوارزمي على الأناضول مـن جهـة الشـرق وإلحـاق الهزيمـة الفادحـة بقـوات السلطان جلال الدين منكبرتي سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م في معركة ياسي جمن أدى إلى إدراك القوى الصليبية الأوربية إلى حاجتها لكسب صداقة السلطان علاء الدين كيقباذ سيما وأن النصارى في دولته تمتعوا بالحرية الدينية ضمن إطـار التعـاليم الإسـلامية الـتي تحرص على حماية أهل الذمة طالما يؤدون مـا عليـهم مـن واجبـات [٣] ، فـأدى حسـن المعاملة تلك إلى مشاركة هؤلاء النصارى لأفراح السلطان إذ استقبله نصارى قيسـارية على بعد مسافة يوم من المدينة ورحبوا به وهنأوه على تحقيق انتصاره في معركة ياسـي جمن [٤] .

وقد تمثل الاتصال بين نصارى أوروبا والسلطان علاء الدين كيقباذ في استقباله لوفد من الرهبان الفرانسيسكان في صفر ٦٣٠هـ / ١٥ نوفمبر ١٢٣٣م [٥] ، وفيمـا

---

(١) كان أحد التجار قد أراد العبور من بلاد الشام إلى دولـة سـلاجقة الـروم عـبر مملكـة أرمينيـة الصغـرى فهوجم وأخذت أمواله في تلك المناطق ، فشكى إلى السلطان علاء الدين كيقباذ ثم قال : « إن لم يكن لدى النصارى خوف من هذا البلاط فمن أين لنا بعـدل سـلطان يعـالج لواعـج هـذا الظلـم » لـذا أمـر السلطان بإعادة أموال هذا التـاجر ومرافقيـه بعـد فتـح القـلاع علـى يـد مبـارز الديـن جـاولي والأمـير كومنينوس ومبارز الدين أرتقوش سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م . أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٧٤ ؛
Ibin Bibi : op.cit. p.155-156.

(٢) الأوامر العلائية : ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٣) انظر نوره باذباب : المرجع السابق ، ص ١٩٣ ؛ Claud Cahen: Pre-Ottoman, p.214 .

(٤) انظر : The Encyclopedia of Islam, Vol. 6. p.657-658 .

(٥) انظر :
Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.214 ; Savvides, op.cit. p.184, The Encyclopedia of Islam, Vol. 6 , p. 658.

اقتصر كاهن على تفسير هدف هذا الوفد إلى محاولة توحيد كنائس الشرق من أجل تشكيل جبهة مشتركة ضد الإسلام [(١)] ، نجد Savvides يكشف هدفاً آخر لهذا الوفد ، إذ أراد البابا جريجوري التاسع (٦٢٤-٦٣٨هـ / ١٢٢٧-١٢٤١م) استغلال الخلاف بين دولة سلاجقة الروم والسلطان الأيوبي الكامل محمد سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م وعرض إقامة تحالف سلجوقي صليبي ضد الأيوبيين [(٢)] .

ورغم تأزم العلاقة بين السلطان السلجوقي والسلطان الأيوبي إلاّ أن السلطان علاء الدين كيقباذ تريث في الإجابة على عرض البابا وأحسن استقبال الوفد الصليبي . وانتهت المفاوضات اللاتينية السلجوقية سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م بدون تطور فعال [(٣)]. ويبدو أن السلطان علاء الدين كيقباذ أظهر لين الجانب للبابوية الرومانية لتعزيز موقفه أمام السلطان الأيوبي [(٤)] . وفي الوقت نفسه ، لم يرد الظهور أمام العالم الإسلامي بتحالفه مع أعداء الإسلام والمسلمين ضد دولة إسلامية .

=

الرهبان الفرنسيسكان : نشأت منظمة الرهبان الفرنسيسكان في أوائل القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وهي جماعة رهبانية اعتمدت على الزهد والفقر والتسول ، ومؤسسها فرنسيس الأسيسي Francis of Assisi ويدعون في انجلترا بالاخوان الرماديين إشارة إلى لون أقبيتهم التي يرتدونها ، وفي فرنسا يسمون بالإخوان الفقراء ، وفي ألمانيا يدعون بالاخوان الحفاة . لمزيد من التفصيل انظر علي الغامدي : الراهب الفرنسيسكاني ريموند لول ومحاولاته نشر النصرانية في شمال أفريقية ، مجلة المؤرخ العربي ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة، العدد ٦ ، المجلد الأول، مارس ١٩٩٨م، ص١٣٥-١٣٧.

(١) الشرق والغرب ، ص٢٤٠ ؛ Pre-Ottoman: p.214 .

(2) Savvides : op.cit. p.185 ;

انظر : نبيلة إبراهيم مقامي : فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ١٢٧ .

(3) Savvides: op.cit. p.184 ; Setton : op.cit. Vol.II. p.685.

(٤) اتسمت الفترة التي أعقبت اتفاقية يافا سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م بحسن العلاقة بين الإمبراطور فردريك الثاني والسلطان الكامل محمد الأيوبي . ومن جهة ثانية ، اندلعت الحرب بين البابوية والإمبراطور الألماني ، لذا لم يمانع السلطان علاء الدين كيقباذ في التقرب من البابوية للوقوف في وجه الأيوبيين . انظر : علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٦٠ - ٣٦٧ ؛ Claud Cahen : le Commerce, p.99.

وعلى أية حال ، فإن المعلومات الآنفة مستقاة من المؤلفات النصرانيـة [١] . ولم نجد ما يؤيدها أو ينفيها في المؤلفات الإسلامية لمقارنتها لإعطاء فكرة كاملة عن طبيعـة هذه العلاقات الدبلوماسية بين السلاجقة والصليبيين في تلك الفترة ، ولكن الثابت أنـه لم تكن هناك علاقات سيئة مع القوى الصليبية ، بل على العكـس نجـد أن مـن ضمـن تشـكيلات الجيـش السـلجوقي فرقـاً مرتزقـة فرنجيـــة لعبــت دوراً كبــيراً في المعــارك السلجوقية لا سيما في الأراضي المهددة في الشرق [٢] أو في حالات قمع الاضطرابـات الداخلية وخاصة في عهد السـلطان غيـاث الديـن كيخسـرو بـن عـلاء الديـن كيقبـاذ (٦٣٢ - ٦٤٤هـ / ١٢٣٥ - ١٢٤٦م) [٣] .

(١) انظر :

Savvides: op.cit. p.184, Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.214 ; Stevenson, op.cit. Vol. II, p.683.

(2) Savvides : op.cit. p.185.

(3) Claud Cahen : le Commerce, p.99, Pre-Ottoman, p.232.

مع مملكة أرمينية الصغرى في قيليقية

فرض الموقع الجغرافي لمملكة أرمينية الصغرى في قيليقية ضرورة التواصل مع دولة سلاحقة الروم سواء بالارتباط بمعاهدة الصداقة حيناً أو العداء السافر بينهما أحياناً كثيرة ، وتعود جذور هذا العداء بين الدولتين إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي بعد حركة التوسع السلجوقي في الأناضول والفتوحات التي شملت هضبة أرمينية والتي ترتب عليها نزوح أعداد كبيرة من الأرمن عن مواطنهم الأصلية إلى الأقاليم الواقعة غرب الفرات وشماله ، ثم اشتداد هجرة الأرمن عقب انتصار السلاحقة في معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م والاستقرار في منطقة جبال طوروس [١] الواقعة جنوب آسيا الصغرى ، وذلك لحصانتها الطبيعية وبعدها عن الطرق الرئيسة التي سلكها السلاحقة في غزواتهم في الأناضول [٢] . وتبلورت دولة الأرمن وأصبحت قوة سياسية فاعلة بعد الجهود التي قام بها ليون الثاني ، حاكم أرمينية الصغرى (٥٨٣-٦١٦هـ / ١١٨٧ - ١٢١٩م) أثناء تعرض بلاد الشام للحملة الصليبية الثالثة وتقرب إلى الغرب الأوروبي إلى أن حصل على التاج من قبل هنري السادس ، إمبراطور ألمانيا ، حيث بعث له بالتاج وتُوِّج ملكاً على أرمينية الصغرى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م [٣] ، فترتب على ذلك ظهور مملكة أرمينية الصغرى على مسرح الحوادث . فكيف تعاملت هذه المملكة مع دولة سلاحقة الروم في ذلك الوقت ؟ .

لقد استغل ليو الثاني انشغال أبناء السلطان عزالدين قلج أرسلان الثاني في

---

(١) عرفت هذه المنطقة عند المورخين والجغرافيين العرب باسم حبال اللكام والتي هي امتداد لسلسلة جبال لبنان. انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٢. وأيضاً انظر علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٣٤٨ ؛ انظر : مروان المدور : المرجع السابق ، ص ٢١٨ - ٢٢١ .

(٢) انظر : علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٤٨ ؛ هايد : المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٢ - ١٣ .

(٣) علي الغامدي : المرجع السابق ، ص٣٤٩ ؛ رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٦٧ . مروان مدور : الأرمن عبر التاريخ ، ص ٢٣١ ؛ Savvides: op.cit. p.117 .

الصـراع بينـهم في الفـترة مـن ٥٨٩ إلى ٥٩٧هــ / ١١٩٣ - ١٢٠١م ، وتقـدم في توسعه إلى حدود قيسارية التابعة لنور الدين محمود ، سلطان شاه [١] . وعندمـا خـرج غياث الدين كيخسرو سنة ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م من قونية ، بعد خسارته في النزاع مـع أخيه ركن الدين سليمان شاه على عرش دولة سـلاجقة الـروم التجأ إلى الملك ليـون الأرمني حيث مكث لديه شهراً ، وهذا حسب ما رواه ابن بيبـي [٢] .

ونظراً لغموض هذه الحوادث ، وعدم توضيح بقية المصادر الإسلامية لحقيقتها، فيبدو أن العداء مازال قائماً بين الدولتين ، لذا لا نسـتبعد أن غيـاث الديـن كيخسـرو حاول الاستعانة بمملكة الأرمن ضد أخيه ركـن الديـن سـليمان شـاه ، ولكـن خـوف الملك ليون الثاني من مغبة تلك المساعدة سيما وأنـه أغـار علـى الأراضـي السـلجوقية كما مر بنا سابقاً ، اكتفى بالترحيب به كضيف فقط ، إلاّ أن ذلك لم يشفع لـه عنـد السلطان ركن الدين سليمان شاه الذي ما أن تربع علـى عـرش دولـة سـلاجقة الـروم حتى شن سنة ٥٩٦هـ / ١١٩٩م هجوماً ضد المواقع الأرمنية التي كانت أصـلاً تابعـة لدولته واستطاع التقدم إلى جنوب جبال طوروس حتى وصل إلى أضنة وأخضع الملـك ليون الأرمني [٣] الذي يبدو أنه اضطر إلى عقد صلح مع السلطان ركن الدين سـليمان شاه والقبول بالتبعية [٤] لانشغاله آنذاك بمحاولاته المستميتة للسيطرة على أنطاكية [٥]،

---

(١) ابن العبري : تـاريخ الزمان ، ص ٢٢٨ ؛

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye, s.249.
Savvides: op.cit. p.117. The Encyclopedia of Islam, Vol. 6.

(٢) الأوامر العلائية ، ص ٤٠ .

(٣) انظر :

Savvides: op.cit. p.119, Osman Turan : Selçuklular Zamanind, s.249-250.
Ali Sevim Yaşar Yucel : op.cit. , s. 144.

(٤) لم تعطنا المصادر التاريخية أية معلومات واضحة عن العلاقة بين الدولتـين في ذلـك الوقـت ، إلاّ أن ابـن بيبـي لمح إلى أن مبايعة " ملوك الإسلام وقياصرة الروم وتكافرة الكرج - إشـارة إلى ملـوك الأرمـن - جاء في الأصل (ملوك وسلاطين إسلام ومكاكرة أرمن وقياصرة روم ...) ، علـى الـولاء لابـن ركـن الدين سليمان شاه ، الطفل الصغير وإرسال الأتـاوات للخزانـة السـلطانية . انظـر : الأوامـر العلائيـة ، ص٧٦ .

(٥) انظر ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ؛ ابن العديم : زبـدة الحلـب ، ج٣ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ ؛ تاريخ ابن الفرات : ج٥ ، ص ٢-٣ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص٣٥١.

بينما اكتفى السلطان ركن الدين سليمان شاه بذلك لتركيزه على الحدود الشرقية والشمالية لدولته لما لها من خصوصية في ضمان استقرار سلطته داخلياً [١] وتعزيز دولته خارجياً بمحاولة فتح بلاد الكرج [٢] .

وكيفما كان الأمر ، فإن سلسلة الصراع بين الملك ليون الثاني وسلاطين دولة سلاجقة الروم ما لبثت أن تجددت في عهد السلطان غياث الدين كيخسرو ، إذ خلع الملك الأرمني تبعيته للسلاجقة وتجاوز الحدود ، حيث هدد طريق القوافل التجارية بين الأناضول والشام ، وهجم سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٦م على التركمان النازلين على النهر الأسود [٣] ، فأخذ منهم « عالما لا يحصى واستاق مواشيهم وسار إلى دربساك ، فحرق ربضها وعاد إلى بلاده » [٤] .

ورغم أن المصادر التاريخية لم توضح لنا موقف السلطان غياث الدين كيخسرو آنذاك من تلك التجاوزات حيث وقعت مهمة أمر معالجتها على عاتق الملك الظاهر غازي ، صاحب حلب لقربها من مناطق نفوذه ، إلاّ أننا لا نستبعد رغبة السلطان السلجوقي في مشاركة الظاهر في قمع نشاط الملك الأرمني ، ولكن يبدو أن انشغاله بأمور إدارته الداخلية [٥] والعمل على وضع قدم لتجارته على الساحل الجنوبي للأناضول [٦] جعله يرجئ امر تلك المشاركة إلى سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م إذ تحرك بقواته لتأديب الملك الأرمني ووصل إلى مرعش حيث بعث منها إلى الملك الظاهر ،

---

(١) عندما دعا السلطان ركن الدين سليمان شاه أمراء الأطراف الشرقية الملك مغيث الدين طغر شاه ، صاحب أبلستان وعلاء الدين بهرام شاه السلتقي لمشاركته في الهجوم على الكرج تباطأ الأخير ، مما جعل السلطان يأخذ منه أرضروم ويعطيها مغيث الدين طغراشاه بدل أبلستان ؛

Ibin Bibi : op.cit. p.72.
Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.115-118.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٥ - ٢٦ ؛ Claud Cahen : op.cit. p.117 .

(٣) النهر الأسود : نهر بالثغور في أطراف بلاد المصيصة وطرسوس . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣١٧ .

(٤) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٧٠ ؛ انظر : ابن الفرات : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٤١ - ٤٢ ؛ Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.286. .

(٥) انظر : The Encyclopedia of Islam, Vol. 6. pp.617-618. .

(٦) انظر الفصل الأول ص ٢٥ .

صاحب حلب ، لإرسال نجدة إليه للاشتراك في مهاجمة بلاد ملك الأرمن ليو الثاني .

ولم يتوان صاحب حلب عن ذلك ، وأرسل إلى السلطان غياث الدين كيخسرو عسكراً بقيادة سيف الدين بن علم الدين جندر وأيبك فطيس ، فأثمرت تلك المشاركة عن تشديد الضغط على الملك الأرمني [١] وفتح عدة حصون ، مما جعله يراسل الملك العادل لإنقاذه من سطوة الاتحاد السلجوقي الحلبي ، فأرسل العادل إلى السلطان غياث الدين كيخسرو وإلى الظاهر طالباً وقف هجومهم على أرمينية الصغرى ، وفي الوقت نفسه ، بدأ موسم البرد وتساقط الثلوج ، فبادر السلطان كيخسرو وصالح ملك الأرمن على شروط [٢] اضطر الأخير لقبولها لحاجته آنذاك إلى تهدئه الوضع على الجبهة السلجوقية لتحقيق أهدافه في أنطاكية [٣] .

إلاّ أن الوضع لم يستمر طويلاً ، إذ ما لبث أن دخل الملك ليون الثاني طرفاً ثالثاً مع الملك علاء الدين كيقباذ بن السلطان غياث الدين كيخسرو والملك طغرل شاه بن قلج أرسلان الثاني سنة ٦٠٧هـ / ١٢١١م في حلف ثلاثي ضد السلطان الجديد لدولة سلاجقة الروم عزالدين كيكاوس وحاصروه في قيصرية [٤].

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٨٧ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ١٥٩ ؛ أبو الفدا : المختصر ، ج٣ ، ص ١١١ ؛ العيني : المصدر السابق ، ج١٣ ، لوحة ٣١٤ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.287 ; Ali sevim. yaşar yUcel : op.cit. p.148.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، ج٥، ص٨٢ ؛ انظر علي الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص٣٥٤؛
Ali sevim yaşar yücel P op.cit. p.148.
Savvides: op.cit. pp. 119-120, Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.292.

(٣) انظر رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٤٢ – ٢٤٦ .

(٤) ذكر سمباد في حوادث سنة ٦٠٧هـ / ١٢١١م " سار طغرل شاه بن قلج أرسلان بجيش كبير لاحتلال قيصرية بتحريض من ليون الذي شاركه في حصارها وقاد هذا التحالف كيكوس أخو طغرل، وبعد مرور عدة أيام لم يستطيعوا احتلالها ، عاد كل زعيم إلى بلاده " . رغم أهمية هذه الرواية في تأريخ حصار قيصرية سنة ٦٠٧هـ / ١٢١١م وتثبيت محاولات ليون في مد نفوذه على حساب الممتلكات السلجوقية بالتحالف مع بعضهم ضد البعض الآخر ، إلاّ أننا أمام خطأ واضح في اسم قائد التحالف ونسبه إلى طغرل . فهل هذا تصحيف في الأصل الذي لم نستطع الوصول إليه أم جهل من سمباد ؟ انظر: عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي : العلاقات بين زعماء المسلمين والصليبيين من خلال المورخة المنسوبة إلى القائد الأرمني سمباد ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٨ .

ولم يفك عرى هذا التحالف إلاّ الإغراءات المادية التي قدمها شحنة قيصرية جلال الدين قيصر للملك ليون نيابة عن السلطان عزالدين كيكاوس [١] .

فهل حقيقة أن انسحاب الملك ليون من الحلف ضد السلطان عزالدين كيكاوس جاء نتيجة حصوله على تلك المساعدات العينية ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يرسل « هدايا أضعاف ما أخذه في الهدنة » [٢] بصحبة رسوله لتهنئة السلطان بعد دخوله قونية وجلوسه على عرش السلطنة أوائل سنة ٦٠٨هـ / ١٢٠٩م.

الحقيقة أنه نظراً لاقتصار ذكر هذه الرواية على منجم باشي المولوي دون بقية المؤرخين لهذه الحقبة [٣] فيبدو أن هناك احتمالين لقبول هذه الرواية : الأول منهما لم يكن - ليون الأرمني - يرغب منذ البداية في التحالف ضد السلطان عزالدين كيكاوس وما خرج لحصار قيصرية إلاّ استجابة لطلب الملك طغرل شاه الذي كما قال سمباد : « تربطه بالملك ليون علاقة محبة وصداقة » [٤] وحينما عرض عليه شحنة قيصرية الانسحاب مقابل القطعة الذهبية ، رضي بذلك وزاد بطلب إمدادات تموينية لتعويض ما صرف على هذا الجيش .

الاحتمال الثاني أن الهدايا التي ذكر منجم باشي المولوي أن الملك ليون بعثها مع رسوله لتهنئة السلطان وأنها أضعاف ما أخذه في الهدنة ما هي إلاّ المبلغ المقرر عليه سابقاً من قبل السلطان غياث الدين كيخسرو حيث سنرى أن الملك أجبر على أن يؤدي ما بقي عليه من خراج العام الماضي على إثر هزيمته أمام القوات السلجوقية سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م [٥] والتي سنتناول أحداثها فيما بعد .

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٢ ؛ منجم باشي للمولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٤أ ب ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.290.
انظر الفصل الثاني ص ٣٨ .

(٢) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٤ب .

(٣) ذكر ابن بيبي أن زين الدين بشارة أمير أخور الذي ولاه السلطان عزالدين كيكاوس على نيكدة أرسل إلى الملك ليون من نيكدة باستقرار أمر السلطنة للسلطان عزالدين « فأرسل ليفون الرد مشفوعاً بالهدايا » ، الأوامر العلائية ، ص ١١٩ - ١٢٠ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٤ .

(٤) عبدالله الربيعي : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٩ .

وكيفما كان الأمر ، فيبدو أن الملك ليون بما تميز به من دهاء وبعد نظر ، وجد أن من مصلحته في ذلك الوقت إرضاء السلطان عزالدين كيكاوس . ثم بعد ذلك استغل انشغال السلطان بمحاصرة أخيه في أنقرة سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م وأغار على قلاع جبال طوروس واستولى على لؤلؤة ولارندة وهرقلة (١) . ورغم أن هذا يعد خرقاً للاتفاقية التي أبرمها مع السلطان عزالدين كيكاوس التي بموجبها - كما سجلها ابن بيبي - « تعهد السلطان ألاّ يلحق بملك تكفور أذى بأي وجه من الوجوه طيلة مدة سلطنته طالما ظل تكفور وفياً لعهوده » (٢) ، فإن السلطان السلجوقي أرجأ مهمة تأديب الملك الأرمني إلى أن انتهى من مشكلة أخيه باعتقاله في قلعة منشار سنة ٦١٠هـ / ١٢١٣م ثم فتح سينوب سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م وبعد أن قمع ثورة انطاليا سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م وأعادها لعرش الدولة السلجوقية ، سار إلى القلاع السابقة واستعادها (٣) سيما وأن الملك ليون منشغل آنذاك بأمر إدارة أنطاكية بعد دخولها سنة ٦١٢هـ / ١٢١٦م (٤) . ولم يقتصر ذلك على استعادة تلك القلاع ، بل قرر الحد من قوة الملك ليون الذي أصبح خطراً يهدد جنوب الأناضول وشمال الشام ، وهذه الأخيرة تهم في المقام الأول الملك الظاهر غازي ، صاحب حلب ، لذا أراد السلطان عزالدين كيكاوس اقتناص هذه الفرصة وتكوين حلف إسلامي ضد مملكة أرمينية الصغرى ، فأرسل سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م إلى الملك الظاهر يطلب منه الاجتماع عند مرعش للهجوم على ملك الأرمن ، وانتزاع أنطاكية منه ، وكانت خطة عزالدين كيكاوس تطويق ليون الأرمني بالقوات الإسلامية السلجوقية وحليفهما بوهمند الرابع صاحب طرابلس ، فالقوات السلجوقية تخرج من جهة مرعش والأيوبيون من جهة

---

(1) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.307 ; Savvides: op.cit. p.130 ; Ali sevim, yaşar yücel : op.cit. p.150.

(٢) الأوامر العلائية : ص١١٧ ؛ انظر منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٤ب.

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٢ ؛ ابن أيبك : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٨٢ ؛ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص٩٤٨ ؛ رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٤٨ .

(٤) ابن واصل: المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٣ ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٦٩ ؛ رنسمان: المرجع السابق، ج٣، ص٢٤٨؛ انظر علي الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص٣٥٤-٣٥٥.

دربساك [١] ، وبوهمند من جهة أنطاكية . ولكن هذه الخطة لم تطبق كما أراد السلطان واضطر لمواجهة الملك الأرمني وحيداً بعد انسحاب الظاهر [٢] . فقد سبق وأن جمع قواته في وادي يابانلو . فما كان منه إلاّ أن هاجم القلاع القريبة من مرعش، حيث بدأ بقلعة حنجن ، فضيّق عليها الخناق وطوقها بالمجانيق ، مما جعل أمر إنجادها من قبل الملك ليو مستحيلاً ؛ لذا اضطر مدافعيها إلى الإستسلام بعد ثلاثة أيام ودخلتها قوات عزالدين كيكاوس ، حيث كانت الأوامر مصادرة ما في القلعة من أسلحة وذخائر . وبعد أن تم ذلك ونُصب قائد للقلعة ، اتجهت القوات إلى قلعة كانجن و لم تكن بأحسن حال من سابقتها حيث حاول المدافعون الصمود ، ولكن القوات السلجوقية كانت من القوة بحيث اقتحمت هذه القلعة وقُتِلَ المدافعون وصودر جميع مافيها من أسلحة وسجلت في الديوان ، ثم عين قائد للقلعة [٣] ، وزحفت القوات السلجوقية للقاء الملك ليون الأرمني ، وقبل اللقاء خرج أمير المجلس مع اثنين من الفرسان لاستطلاع حجم وتقسيم القوات الأرمنية ، ويبدو أن طلائع القوات الأرمنية كانت على يقظة إذ أحاطت بأمير المجلس ومرافقيه ، وكاد يقع في أيديهم لولا إنقاذ فرسانه له فيما بعد [٤] .

وعلى أية حال ، فقد توصل أمير المجلس إلى مدى قدرة القوات الأرمنية وأخبر السلطان أن بإمكان القوات المعدة مسبقاً وعددها ثلاثة آلاف فارس لقاء القوات

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٣٤ ؛ انظر علي الغامدي : المرجع السابق ، ص٣٥٥ ، ٣٥٧.

(٢) انظر تفاصيل الحلف السلجوقي الأيوبي في الفصل الرابع ص١٢٥-١٢٧. فيما أغفل ابن بيبي تفاصيل المراسلات بين السلطان عزالدين كيكاوس والملك الظاهر ، فإنه ينفرد بأن سبب قتال السلطان السلجوقي للملك الأرمني ليو لتقاعس الأخير عن دفع ما عليه من خراج . الأوامر العلائية : ص١٦٢ - ١٦٣ ؛ أخبار سلاجقة الروم، ص٧٣ ؛ مكرمين خليل : مرعش اميرلرى ، تورك تأريخ انجمني مجموعة س ، استانبول ، ١٩٢٤م ، ص ٣٤٨ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص٧٥-٧٦؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦ب ؛ المقريزي: المصدر السابق ، ج١ ، ق١، ص١٨١ ؛
Ali sevim yaşar yücel : op.cit. s. 150.

(٤) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٦ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.165 .

الأرمنية التي يبدو أنها أقل منها عدة وعتاداً ، حيث قال : « لقد وقف المملوك وقوفاً كاملاً على قوة الجيش الأرمني وشوكته ، فليأمر سلطان العالم بأن تتجه القوات – التي ركبت بالفعل – للقتال على هذه الهيئة » (١) .

دارت المعركة بين الطرفين ، حيث منيت القوات الأرمنية بهزيمة ساحقة ووقع في الأسر عدد من الفرسان ومنهم قسطنطين بن هيثوم (٢) ، ثم حاولت القوات السلجوقية تعقب الملك ليون للقبض عليه ، وأخذت تبحث عنه في الجبال والغابات والأودية لمدة أسبوع ، إلاّ أنها لم تظفر به لحلول الشتاء وسقوط الأمطار . « تحرك الجيش كله في الجبل والصحراء لطلب ليون ، واستمرت الغارة في ولاية الأرمن على هذا النحو أسبوعاً » (٣) حازت على إثره القوات السلجوقية على الكثير من الغنائم والسبايا ، فأثر ذلك على الحركة التجارية في قيسارية ، حيث انخفضت الأسعار فبلغ كما قال ابن بيبي « ثمن رأس الماشية في قيصرية درهمين وثمن خمسة أو ستة من الأغنام درهماً واحداً » (٤) .

وهكذا أدرك ليون الثاني مدى قوة دولة سلاجقة الروم بقيادة السلطان عزالدين كيكاوس وأراد ألاّ تتطور الأمور إلى أكثر من ذلك سيما وأنه أصبح عاجزاً عن الحركة لتقدم السن به (٥) ، لذا لجأ إلى أسلوبه في التملق والتذلل ، فجهز هدايا

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٧ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.165 .

(٢) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦أ ؛
Claùd Cahen : Pre Ottoman Turkye. p.123; Osman Turan: Selçuklular Zamaninda, s.314.
أشار Savvides إلى أن شجاراً وقع بين القائدين الأرمنيين قسطنطين هيثوم ابن عم الملك ليون و Bailli آدم، مما سهل وقوعهم فريسة سهلة للقوات السلجوقية ، وربما هذا يفسر لجوء الملك ليون للتبعية لعدم تماسك جبهته الداخلية وانشغالها بصراعاتها الداخلية . انظر : op.cit. p.130 ؛ انظر : مروان المدور : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٨ ؛ Osman Turan: op.cit. s.315 .

(٤) الأوامر العلائية ، ص ١٦٧ – ١٦٨ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٦ ؛ المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦أ .

(5) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.314.

من كل نوع وأرسلها بصحبة رسالة [١] احتوت على الكثير من عبارات الاعتذار والخضوع للسلطان عزالدين كيكاوس ، وإعلان التبعية التي بموجبها مضاعفة الخراج المقرر سابقاً وإرسال ٢٠,٠٠٠ دينار للخزينة برسم الخراج مع التحف والأحمال وأن يؤدي ما بقي عليه من خراج العام الماضي ، كما يلتزم بوضع خمسمائة جندي بكامل عدتهم في خدمة السلطان وتوجيههم حيث أراد ، رمزاً للتبعية [٢] . وقد أصدر منشوراً أقسم عليه الملك ليو ووقع على الموافقة لما يحتويه وفي المقابل ، تم إطلاق سراح الأسرى من كبار قادة الأرمن [٣] .

وهكذا نجح السلطان عزالدين كيكاوس في تأمين حدوده الجنوبية وتأمين طرق التجارة السالكة للمنافذ بين الأرمن ودولة سلاجقة الروم ، فعادت التجارة إلى حركتها بين الشام والأناضول ، وتأكيداً لذلك بعث السلطان عزالدين كيكاوس إلى أصحاب الثغور بقوله : « فافتحوا الطرق أمام التجار والمترددين ولا تلحقوا أذى بأي مخلوق » [٤] .

وبعد وفاة الملك ليون الثاني الأرمني سنة ٦١٦هـ / ١٢٢٠م ، وما صاحبه من انشغال الأرمن بصراعهم على السلطة [٥] ، هدأت الجبهة السلجوقية ، من جهتهم ولكن ذلك الهدوء لم يستمر طويلاً ، إذ تجددت الأحداث سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ ، وكان سبب ذلك تجاوزات الأرمن واعتداءهم على التجار العابرين بلادهم من الشام إلى الأناضول. ذكر ابن بيبي ذلك بقوله : « بدأ شخص في الجهر بشكواه قائلاً : كنت عقدت العزم على القدوم إلى هذه النواحي، من جهة حلب ، فلما وصلت ولاية ليفون أخذوا المال مني » [٦] . ثم استنفر همم السلطان بقوله : « فإن لم يكن لدى النصارى خوف من هذا البلاط ، فمن أين لنا

(١) انظر نص الرسالة . أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٩ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٩ .

(3) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.315, Savvides: op.cit. p.130.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨٠ ؛ Ibin Bibi : op.cit. 172 .

(٥) رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٩٢ ؛ مروان المدور : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(٦) الأوامر العلائية ، ص٣-٣ – ٣٠٤ ؛ انظر منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩أ .

بعدل سلطان يعالج لواعج هذا الظلم [١] ، أيضاً ذكر ابن الأثير [٢] سبباً آخر له علاقة مباشرة بقضية النزاع الأرمني الصليبي على أنطاكية [٣] . إذ دخل السلطان علاء الدين كيقباذ هذه الدائرة تلبية لطلب برهمند الرابع ، صاحب طرابلس والمطالب بأنطاكية . « أرسل – أي بوهمند الرابع – إلى علاء الدين كيقباذ ، ملك قونية وملطية وما بينهما من بلاد المسلمين وصالحه ووافقه على قصد بلاد ابن ليون والاتفاق على قصدها » [٤] .

والحقيقة أن علاء الدين كيقباذ لم يكن ليقبل بمساعدة بوهمند الرابع إن لم يكن هدفه أكبر من المساعدة كما أسلفنا ، فإن السياسة التجارية التي حرص سلاطين السلاجقة على تنظيمها ورعايتها تتطلب من علاء الدين كيقباذ التدخل في الأراضي الأرمنية .

وكيفما كان الأمر ، فقد جرد السلطان علاء الدين كيقباذ سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م جيشاً بقيادة مبارز الدين جاولي والأمير كومنينوس للهجوم على بلاد الأرمن من الشمال ، كما كلف الأمير مبارز الدين أرتقوش صاحب أنطاليا للهجوم على ساحل الأناضول الجنوبي للحيلولة دون مساعدة الأرمن من قبل فرسان الاسبتارية والداوية وفرنج قبرص ؛ وهذا يدل على بعد نظر السلطان وحرصه على تحقيق أهدافه في بلاد الأرمن ، إذ حينما سمع هيثوم بن قسطنطين ٦٢٣ – ٦٦٨ / ١٢٢٦ – ١٢٦٩م ، بتحرك القوات السلجوقية ودخولها بلاده « استعان بالفرنجة وكتب رسائل استغاثة ، فتجمعت منهم جماعة حمية وعصبية ولحقوا بليفون » [٥] .

ولكن في هذا الوقت ، كانت القوات السلجوقية بقيادة الأمير مبارز الدين

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(٢) الكامل : ج١٢ ، ص ٤٦٤ – ٤٦٥ .

(٣) رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٣٠٧ ؛
Ali sevim yaşar yücel : op.cit. s.156 ;
Osman Turan : Salçuklular Zamaninde Türkiye. s.343.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٦٥ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٧٠ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ب ؛ انظر :
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.344.

حاولي والأمير كومنينوس قد تقدمت من جهة لارندة ، وسلكوا وادي (كوك صو) النهر الأزرق ، ثم حقوراه ، متخذين طريق مرعش ووادي جيحان [١] حتى وصلوا إلى قلعة جنجن والتي سبق وأن استولى عليها السلطان عزالدين كيكاوس واستعادوها مرة ثانية [٢] . كما اقتحموا عدة قلاع وفتحوا ثلاثين قلعة . ففي رسالة بعث بها مبارز الدين حاولي إلى السلطان علاء الدين كيقباذ يبشره بما أنجز ، قال : «وقد بلغ ما فتحه من القلاع بتلك الولاية ثلاثين قلعة نصب على كل منها محافظاً» [٣].

وأمام هذا الاحتياج السلجوقي ، اضطر ملك الأرمن إلى طلب الصلح والعودة إلى التبعية والتي بموجبها الالتزام بالآتي :

١ - مضاعفة الخراج السنوي .

٢ - تزويد السلطنة السلجوقية بألف فارس وخمسمائة قواس عند الحاجة .

٣ - ضرب السكة باسم السلطان علاء الدين كيقباذ [٤] .

---

(1) Osman Turan : Selçuklular Zamanind Turkiye, p.344.

لارندة : قرية من قونية على مسافة يوم في الجهة الشمالية الشرقية لقونية ، أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص٣٧٨ .

النهر الأزرق : (كوك صو) بالتركية ، يقع بين بهسنا وحصن منصور في طرف بلاد الروم من جهة حلب ، ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣١٧ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٧٠ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p337 .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٦٥ ؛ اقتصرت رواية ابن الأثير على فتح أربعة حصون فقط ، كما أغفل ذكر حملة مبارز الدين أرتقوش وفتح عدة قلاع على الساحل الجنوبي للأناضول . انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص١٧٣ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ب ؛ Ibin Bibi : op.cit. 342.

(٤) ذكر عثمان توران في مؤلفاته تركيا زمن السلاجقة ٣١٦ - ٣٤٤ ومقالته في كمبرج ٢٤٦ أن الملك الأرمني ليون الثاني قبل بسك اسم السلطان عزالدين كيكاوس على العملة الأرمنية ويقرأ اسم السلطان في الخطب في العاصمة سيس رمزاً للتبعية ، إلاّ أن لنا تعليقاً على ذلك ، إذ ربما التبس على توران ذلك، فالسلطان الذي نقش اسمه على أحد وجهي العملة الأرمنية بحروف عربية وخطب باسمه في العاصمة هو السلطان علاء الدين كيقباذ ، ونستبعد تطبيق ذلك منذ زمن السلطان عزالدين كيكاوس ، ومردنا إلى ذلك الآتي :

١ - أنه لم تصلنا عملة نقدية سك عليها اسم السلطان عزالدين كيكاوس ، بينما وجدت عملة سك على أحد وجهيها اسم السلطان علاء الدين كيقباذ باللغة العربية والوجه الآخر اسم =

وأقر هذا الاتفاق بالتوقيع عليه سنة ٦٢٢هـ / ١١٢٥م .

ومما يؤكد لنا أن السبب الرئيسي لقيام هذه الحملة هو حماية التجارة وتلبية لاستغاثة التجار ، الأمر الذي أصدره السلطان بتعويض التجار الذين سلب الأرمن أموالهم من الأموال المكتسبة من القلاع المفتوحة (١) ، ثم رسخ الوجود السلجوقي في تلك المناطق الأرمنية بإسناد إدارة هذه النواحي إلى الأمير قمر الدين (٢) .

ووفقاً لسياسة الدولة الرامية إلى تتريك البلاد ، فقد حررت أراضي الولاية وقلاعها وأموالها وخصصت هذه الأماكن للقبائل التركمانية المتواجدة بشكل مكثف

=

حاطوم (هيثوم) باللغة الأرمنية ، كما أن المؤرخ السلجوقي ابن بيبي لم يشر إلى قبول الملك الأرمني ليون الثاني بسك عملة أرمنية تحمل اسم السلطان السلجوقي ، بينما ذكر من ضمن بنود الصلح التزام الملك الأرمني بسك عملة تحمل اسم السلطان علاء الدين كيقباذ .

٢ - يرجح بأن الخطبة التي قرأ فيها اسم السلطان كانت في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ ، وذلك لوقوع مناطق واسعة من بلاد الأرمن تحت السيطرة السلجوقية وبالتالي قراءة الخطبة في تلك المناطق باسم السلطان في أراض أرمنية سلجوقية السيادة والإدارة .

٣ - من نتائج السياسة التتريكية احتكاك المسلمين الأتراك بالأرمن وانتشار الإسلام ونظراً لكون قسطنطين سيد لاميرون في ذلك الوقت هو المفاوض باسم مملكة الأرمن ؛ فقد قبل بالخطبة باسم السلطان لضعف موقفه آنذاك ، إذ بعد ذلك زوج إيزابيلا ابنة ليون الثاني من ابنه هيثوم ليثبت شرعية حكم أسرته حيث بدأ حكم هيثوم الذي نقش اسمه مع اسم السلطان علاء الدين كيقباذ سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م . انظر إسماعيل غالب : المرجع السابق، ص٣٧؛

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.316, 344, 345, 347, The Cambridge, History of Islam Vo.IA. p.246 ;

مروان مدور : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٧٣ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص١٧٣ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ؛

Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.125, Ali Sevim, Yaşar Yücal : op.cit. s.157 .

الأمير قمر الدين من أكابر الأمراء السلجوقيين ويبدو أنه يتمتع بحنكة سياسية وحسن إدارة ، مما جعل السلطان يثق به ويوليه إدارة أخطر المناطق الحدودية لدولة سلاجقة الروم ، دام حكمه أكثر من اثني عشرة سنة حتى عرف هذا الإقليم باسم إقليم قمر الدين . أرسله السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني بن السلطان علاء الدين كيقباذ سنة ٦٣٥هـ / ١٢٢٧م سفيراً إلى حلب حيث كان يلقب بملك الأرمن . انظر : ابن العديم ؛ زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٢٤١ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٨٥ ؛

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.345.

على الحدود [١] .

وهكذا عادت مملكة أرمينية الصغرى تابعة لدولة سلاجقة الروم ، واستمرت ملتزمة بموجبات هذه التبعية طيلة عهد السلطان علاء الدين كيقباذ ، مما مكنه من الاطمئنان إلى هذه الجهة والتوجه بفتوحات إلى شرق الأناضول وشمالها الشرقي .

---

(١) خليل أدهم : قيصري شهري ، ص ٤٥ ، ٥١ ؛

Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.345; The Cambridge of History of Islam , Vol. I, a.p.247.

مع الكرج (١)

تقع مملكة الكرج في الجهة الشمالية الشرقية لدولة سلاجقة الروم ، ولم تكن بينهم حدود مشتركة ، إلاّ أن الكرج أخذوا في شن الغارات المتكررة على المدن في أرمينية الكبرى وتقدموا حتى أخلاط وأرزن الروم (٢) فكان هذا إنذار للسلطان السلجوقي ركن الدين سليمان شاه بخطورة الجورجيين على شرق الأناضول ، لهذا فبعد بسط نفوذه المباشر على ملطيه سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م وذلك ضمن خطته في توحيد المدن السلجوقية تحت سلطته (٣) رنا ببصره إلى أرزن الروم والتي كانت تحت حكم آل صلدق (٤) لبسط نفوذه عليها وذلك لموقعها الاستراتيجي فقد كانت إحدى بوابات الأناضول وكانت حلقة الوصل بين تجارة الأناضول ومناطق أذربيجان وتركستان ، هذا إلى جانب تحصنها بالقلاع والأسوار التي انعكست على رخائها الاقتصادي لتفضيل قوافل التجارة الشرقية المرور بها (٥) إضافة إلى هذا وذاك فقد أراد أن يجعل من أرزن الروم قاعدة عسكرية له في صد تهديدات الكرج والانطلاق لحركة التوسع السلجوقي شرق الأناضول ، فاتجه سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠٢م بقواته من سيواس إلى أرزن الروم (٦) وطلب من « ملوك الأطراف وإخوته كي يستعدوا للقتال

---

(١) ابخاز : اسم ناحية من جبل القبق المتصل بباب الأبواب وهي جبال صعبة المسالك وعرة يسكنها أمة من النصارى يقال لهم الكرج . إذاً فالكرج هم سكان الأبخاز لذا فقد اكتفيت في كتابة العنوان بالعلاقة مع الكرج . انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٦٤ ، ج٤ ص ٤٤٦ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ١٨٣ ؛ يوسف عزت باشا ، المرجع السابق ، ص٣٧-٣٨؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ج٢٧ ، ص ٨٥١٦ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Türkiye, s.252.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ١١٩ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٣٣ ؛ أبو الفدا : المختصر ، ج٣ ، ص ١٠٠ ؛ ابن الوردي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٨-١٦٩ ؛ ابن الساعي : المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٥٣ .

(٤) زامباور : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(5) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye, s.252.

(٦) كانت أرزن الروم تحت حكم آل صلدق وكان الحاكم في ذلك الوقت علاء الدين بن ملكشاه محمد ابن صلدق . انظرزامباور : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٢١٩ .

والنزال » [١] فانضم إليه فخر الدين بهرامشاه صاحب أرزنجان وأخيه - أي ركن الدين سليمان شاه - مغيث الدين طغرل شاه صاحب أبلستان ، أما صاحب أرزن الروم فيبدو أنه أحس برغبة السلطان ركن الدين سليمان الاستيلاء على مدينته وليس لديه القدرة العسكرية على الوقوف ضد رغبة السلطان « فخرج إليه ... ليقرر معه الصلح على قاعدة يؤثرها ركن الدين سليمان فقبض عليه واعتقله عنده وملك أرزن الروم وسلمها إلى أخيه مغيث الدين طغرل شاه بن قلج أرسلان عوضاً عن ملكه البستان » [٢] .

وهكذا أصبحت دولة سلاجقة الروم في مواجهة الكرج مباشرة وهذا ما كان يخطط ركن الدين سليمان شاه لتحقيقه وهو قتال الكرجيين والتوسع على حساب أملاكهم ، وقد ذكر ابن بيبي سبب آخر لرغبة ركن الدين سليمان شاه في قتال الكرج إضافة إلى تعديهم الدائم على المدن الإسلامية ، وهو أن الملكة تمارا (٥٨١ - ٦٠٩هـ / ١١٨٥ - ١٢١٢م) أرادت الزواج بأحد أبناء السلطان قلج أرسلان الثاني فبعثت رساماً إلى بلاد الروم فرسم صورة كل أمير من الأمراء فوقع اختيارها على ركن الدين سليمان شاه وأرسلت مبعوثاً تطلب الزواج به فعرض السلطان قلج أرسلان القضية على ابنه ركن الدين سليمان شاه لأخذ رأيه فغضب ركن الدين لهذا الأمر وعاتب والده كيف يسمح بإرساله إلى مملكة الأبخاز وهي مصطبة الكفر والضلال لتحصيل مقصد دنيوي ودعا اللّه بأن يمكنه من فتح بلاد الأبخاز ويأتي بهذه الملكة أسيرة ذليلة ، ففرح والده بموقف ابنه هذا [٣] . ورغم انفراد ابن بيبي بهذه الرواية فلا يستبعد ما حدث سيما وأن الملكة تمارا عندما تولت عرش المملكة بعد والدها زُوجت بأحد الأمراء الروس الذي ما لبث أن أجبر على تطليقها لانغماسه في الملذات ثم زوجت من بعده بالأمير داود سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م وربما ان هذه

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٥ .

(٢) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٢ أ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ١٦٩ ؛ انظر :
Ali Sevim , Yuşar Yucl : op.cit. s.141 ; Osman Turan : Selçuklular Zamanind Turkiye. s.253, 257.

(٣) الأوامر العلائية ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

الحادثة وقعت قبل زواجها من داود حيث كان رجال مملكتها يبحثون عن زوج مناسب لها من الأسر الحاكمة في ذلك الوقت [١] ، كما لم تكن هذه الحادثة الحادثة الوحيدة في علاقة الكرج بالسلاجقة ، فقد تكررت علاقة مصاهرة بين ابن مغيث الدين طغرل شاه صاحب أرزن الروم والملكة رسودان ملكة الكرج - على ما سنذكره فيما بعد .

على أية حال فقد اجتمعت القوات السلجوقية تحت قيادة السلطان ركن الدين سليمان شاه والتي بلغت ٢٠,٠٠٠ مقاتل [٢] وسار نحو بلاد الكرج حيث التقت القوتان الكرجية والسلجوقية « وحدثت بين الجيشين مصادمات عديدة » [٣] وعلى حد قول ابن بيبي فقد كانت المعركة في صالح القوات السلجوقية إلى أن كبى حصان حامل المظلة [٤] فسقطت المظلة على الأرض « فلما وقعت أبصار الحشم والمقاتلين في المعركة عليها ظنوا أن العدو ربما اقتحم القلب وحلت بالسلطان نكبة فألقوا باليزنيات [٥] والمشرفيات جانباً وتبدل الكر بالفر وأصبح الضارب مضروباً والقاتل مقتولاً فصار الأسير أميراً والأمير أسيراً » [٦] ، بينما ذكر الأقسرائي بأن « الكرجيون قد أقاموا كميناً ولم يتوخ الحذر والحيطة - ركن الدين سليمان شاه - فهزموه » [٧] ، وبالمقارنة بين الروايتين نجد أن كلتيهما تقران بأن سبب الهزيمة حدوث أمر مفاجئ للقوات السلجوقية ولكن السبب عند ابن بيبي يكاد يكون غير معقول ، إذ قد يكون بالإمكان رفع المظلة بعد سقوطها أثناء سقوط قدم الحصان في "جحر يربوع" [٨] قبل

---

(١) يوسف عزت : المرجع السابق ، ص ٣٨ ؛ Islâm Ansiklopedisi, Vol. II. s.227 .

(2) Aksarayli : op.cit. s.31.

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٦ ؛ انظر يوسف عزت : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٤) المظلة (الشادر) : من علامات السلطنة وهي التي تظلل رأس السلطان عند خروجه للحرب ويحمل هذه المظلة أحد الخاصة يسير خلف السلطان وتكون من القطيفة الموشاة بالذهب أو الفضة ، انظر : Ali Sevim Erdogan merçil : op.cit. s.502.

(٥) اليزنيات : الرماح اليزنيه تنسب إلى ملك حمير سيف بن ذي يزن لأن أول من عملت له هذه الرماح سيف ذو يزن انظر : ابن منظور : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

(٦) الأوامر العلائية ، ص ٧٤ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص٢٧ .

(٧) مسامرة الأخبار ، ص ٣١ .

(٨) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٦ .

أن ينتبه إلى ذلك بقية القوات السلجوقية ، بينما نجد أن السبب الذي ذكره الأقسرائي قد يكون أقرب إلى حقيقة ما وقع فيه الجيش السلجوقي ، والأرجح أن الروايتين مكملتان لبعضهما وذلك أن الكرج عندما وجدوا أن المعركة بدأت لصالح السلاجقة وأخذ السلاجقة في التقدم تداركوا الأمر بإعداد كمين نجحوا في تطبيقه فكانت نتيجته تراجع القوات السلجوقية مما حدا بالحصان الذي يحمل فارسه مظلة السلطان بالوقوع وبالتالي وقوع المظلة فظن بقية القوات السلجوقية أن السلطان حدث له مكروه ولاذوا بالفرار تاركين أسلحتهم خلفهم ثم مما زاد الأمر غموضاً أن الأقسرائي لم يوضح نوع هذا الكمين .

وكيفما كان الأمر فلم تفلح صيحات السلطان بعودة كبار القادة إذ عمت الفوضى الجيش السلجوقي ولم يعد بالإمكان إعادة تنظيمه [١] بينما أخذت القوات الكرجية في مطاردة الفلول السلجوقية الهاربة ووقع في الأسر عدد كبير من كبار شخصيات القوات السلجوقية ومنهم الملك فخرالدين بهرامشاه ملك أرزنجان .

وهكذا عاد السلطان ركن الدين سليمان شاه إلى أرزن الروم مهزوماً ومعه بعض من قادته ومن ضمن من عادوا معه أخيه الملك مغيث الدين طغرل شاه ، ثم اتجه إلى العاصمة قونيه وقد صمم على الانتقام والعودة مرة أخرى لمقاتلة الكرج ولكن لم يمهله الأجل إذ توفي سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٥م [٢] . وبفشل حملة السلطان ركن الدين سليمان شاه إلى الكرج لم تعد هناك علاقة مباشرة بين سلاطين دولة سلاجقة الروم في قونيه والكرج ، إذ أصبحت المواجهات الفعلية بين الكرج وملك أرزن الروم مغيث الدين طغرل شاه ، إذ هاجمت الكرج سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٥م منطقة أخلاط وواصلوا هجماتهم إلى قرب أرزن الروم واستطاع الملك مغيث الدين طغرل شاه وصاحب أخلاط من صد تقدم الكرجيين وإلحاق الهزيمة بهم [٣] . ويبدو أن العلاقة تحسنت

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٧ ؛ Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turki, s.259.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٧ ؛ انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٥٢ ؛
Aksarayli : op.cit. s.31 ; Ali Sevim Erdogan Merçil , op.cit. s.142 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninde, s.259.
اقتصرت رواية ابن الأثير على ذكر هزيمة ركن الدين سليمان شاه فقط .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٠٤ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان، ص٢٤٤؛ ابن الساعي : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٥١ .

بعض الشيء بين الكرج وملك أرزن الروم وذلك عند زواج ملكة الكرج رسودان (٦٢٠ - ٦٤٥هـ / ١٢٢٣ - ١٢٤٧م) من ابن مغيث الدين طغرل شاه تناول ذلك ابن الأثير بأنها « حادثة غريبة لم يوجد مثلها » [1] وذلك بسبب اعتناق ابن مغيث الدين طغرل شاه النصرانية « فأمر ابنه فتنصر ودان بالنصرانية وتزوج الملكة وانتقل إليها وأقام عند الكرج حاكماً في بلادهم ، واستمر على النصرانية نعوذ بالله من الخذلان » [2] ، وقد انفرد ابن الأثير بهذه الرواية المفصلة بينما وردت عند ابن بيبي بإشارة وذلك عندما ذكر عرض الملكة رسودان ابنتها للزواج من ابن السلطان علاء الدين كيقباذ . سنذكر ذلك لاحقاً بقوله على لسانها : « أن تصبح ابنتي المطهرة وهي من صلب سلجوق ونسل داود قرينة لملك الإسلام غياث الدين كيخسرو » [3] .

وكيفما كان الأمر فإن الكرج في عهد رسودان قد تعرضوا للغارات المغولية منذ سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ، ثم لضربات السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي [4] الذي نجح سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م في الهجوم على بلاد الكرج ودخول عاصمتهم تفليس وإثخان القتل في الكرجيين إلاّ من أعلن إسلامه [5] ، وقد ترتب على ذلك تقليص نفوذ الكرج وإضعاف قوتهم فأصبحت منطقة شرق وشمال شرق الأناضول ميدان مفتوح لغارات المغول الهجومية والاستطلاعية [6] ، فنبه ذلك السلطان علاء الدين كيقباذ إلى ضعف خطوطه الدفاعية في تلك المناطق وقد علل قادة السلطان في أرزن الروم ومناطق أرمينية الكبرى بأن سبب وصول تلك الفرق المغولية إلى حدود سيواس إنما كان بإيعاز من مملكة الكرج ذكر ذلك ابن بيبي بقوله :

---

(١) الكامل في التاريخ ج١٢ ، ص ٤١٦ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤١٧ .

(٣) الأوامر العلائية ، ص ٤٢٢ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢١ ؛ تاريخ سلاجقة الروم ، ص ٢٣٣ .

(٤) انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٧ ، ص ٤٣٤ - ٤٣٦ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٥٢ - ١٥٥ .

(٥) النسوي : المصدر السابق ، ص٢١١ - ٢١٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٤٥٠ - ٤٥٢ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٨١ - ١٨٥ .

(٦) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٧٩ .

« وكان السبب في دخول المغول ممالك السلطان هو إغـراء ملكـة الكـرج فوجـدوا في هذا تعلة لغزوهـا » [١] ويبـدو أن السـلطان عـلاء الديـن كيقبـاذ كـان يتحـين الفـرص للإنقضاض على مملكة الكرج سيما بعد ضعف قوتها بعد ضربات المغول والخوارزميـة فسمح سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م للأمير كمال الدين كاميار والأمير مبارز الدين جـاولي المكلف بحماية الحدود الشرقية ومركزها أرزن الروم بالتوجه لمنطقة الكـرج علـى رأس قـوة عسـكرية قوامـها خمسـة آلاف مـن الفرسـان والمشـاة ومجـهزة بـآلات الحصـار والمنجنيقات [٢] استطاعت هذه القوة دخـول منطقـة الكـرج والاسـتيلاء علـى ثلاثـين قلعة [٣] و لم تستطع القوات الكرجية المقاومة بسبب حالة الضعف التي منيت بـها علـى اثر سحق جلال الدين خوارزمشاه لها لذا فضلت الملكة رسودان فتح باب المفاوضـات وطلب الصلح من السلطان علاء الدين كيقباذ عن طريق الأمير كمـال الديـن كاميـار وإعـلان التبعيـة لدولـة سـلاجقة الـروم ، فأرسـلت الأحمـال وقـالت : « إنـي خادمـة السلطان أطيع كل مايأمر به وأذعن له وأغلب الظن أن الرضا بالعفو لا يكون مقرونـاً بتخريـب بـلادي وأن لا يجيز ملـك الأمـراء أعمـال الظلـم ... وأن يطلـع الأعتـاب السلطانية على رغبتنا في الصلح » [٤]. كما أن من ضمن بنود عرض الصلـح مصـاهرة السلطان بتزويج حفيدة الملك مغيث الديـن طغـرل شـاه صـاحب أرزن الـروم للملـك غياث الدين كيخسرو بـن عـلاء الديـن كيقبـاذ صـاحب أرزنجـان وقـد عللـت ملكـة الكرج ذلك « بحكم ما حصـل مـن جـوار بـين ديارنـا » [٥] إذ أنـها أدركـت أن مـن مصلحتها توثيق علاقتها بالسلطان علاء الدين كيقباذ وخاصة بعد ضمه أرزن الـروم .

---

(١) الأوامر العلائية ، ص٤٢٠ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٩ .

(2) Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiye. s.375-376 ;
Islâm Ansiklopedisi, Vol. VI. s.655.

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٩ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٠ب ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiye, s.376 ; Ali Sevim : Yaşar Yucel : op.cit. s..162

(٤) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٢١ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.422 .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٢١ .

وقد وافق السلطان علاء الدين كيقباذ على ذلك الصلح ، وقبل عرض الملكة كما أمر « بألاّ يسمح للجيش منذ الآن بإلحاق ضرر بولاية الأبخاز » [١] .

وهكذا أصبحت مملكة الكرج من الممالك التي قبلت التبعية لدولة سلاجقة الروم والتزمت بواجبات تلك التبعية إذ انضم إلى القوات السلجوقية للاستيلاء على حران والرها سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٤م قوات من الكرج [٢] وكذلك أشار ابن العبري إلى وجود قوات من الكرج في صفوف الجيش السلجوقي ، ففي منتصف سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م « حشد السلطان علاء الدين حشداً غفيراً من الخوارزميين .. ويونان وفرنج وأرمن وكرج وأعدهم ليزحفوا إلى آمد » [٣] .

وخلاصة القول فقد نجح السلطان علاء الدين كيقباذ في بسط نفوذ دولة سلاجقة الروم إلى أجزاء من أراضي مملكة الكرج ودانوا بالتبعية والتزموا بواجبات تلك التبعية والتي منها إمداد الجيش السلجوقي بالجند عند الحاجة .

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢٢ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ورقة ٥٨٠ب .

(٢) الأوامر العلائية ص ٤٤٧ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ٢٣٧ .

(٣) تاريخ الزمان ، ص ٢٨٢ .

مع القفجاق والروس

اصطبغت العلاقات بين دولة سلاجقة الروم والقفجاق بالصبغة التجارية إذ كان التجار السلاجقة يستوردون البضائع الروسية من فراء السمور والجلود [١] والسمك المجفف إضافة إلى أن بلاد شمال البحر الأسود من أهم مراكز تصدير الرقيق الذي له أسواقاً رائجة في بلاد سلاجقة الروم والممالك المجاورة وخاصة الدولة الأيوبية [٢] هذا بينما تصدر دولة سلاجقة الروم كل ما يحتاجه الروس من منتجات وسلع لا تنتجها بلادهم ومنها بعض المنسوجات والملابس ففي إشارة من ابن فضلان عند عرضه لعادات الروس وكيفية التخلص من موتاهم قال : « ثم جاءوا بسرير فجعلوه على السفينة وغشوه بالمضرّبات الديباج الرومي ومساند الديباج الرومي » [٣] وعندما تعرضت بلاد الروس والقفجاق للهجمات المغولية سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م واتخذن فيهم القتل « فلم يسلم منهم إلاّ القليل ونهب جميع ما معهم » [٤] « اجتمع كثير من أعيان تجار الروس وأغنيائهم وحملوا ما يعز عليهم وساروا يقطعون البحر إلى بلاد الإسلام في عدة مراكب ... وبعضهم ركب البحر وسار إلى بلاد الروم التي بيد المسلمين من أولاد قلج أرسلان » [٥] وهذه دلالة واضحة على عمق العلاقات بين دولة سلاجقة الروم والروس والقفجاق فلم يتجه هؤلاء اللاجئين إلى ميناء طرابزون أو إلى الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية بل اختاروا بلاد سلاجقة الروم اعتماداً على الصلات القائمة بين الجانبين [٦] . ولكن هذه العلاقة الحسنة ما لبثت أن تدهورت

---

(١) ابن فضلان : المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

(٢) انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٨٦ ؛ علي عودة الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص ١٨٠ .

(٣) رسالة ابن فضلان ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٤) ابن الأثير ، ج١٢ ، ص ٣٨٧ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٨٦ - ٣٨٨ ؛ انظر علي عودة الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص ١٩٣ .

(٦) علي عودة الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ص ١٩٤ .

سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م على اثر فتوحات السلطان علاء الدين كيقباذ في شبه جزيرة القرم عندما تحالف الروس والقفجاق مع أهل مدينة سوداق ضد القوات السلجوقية المهاجمة للمدينة (١) « وجمعوا من قبائل الروس والقفجاق وعساكرها عشرة آلاف فارس » (٢) وتنفيذاً لهذا التحالف اضطر الروس إلى قتال القوات السلجوقية مع قوات الحلفاء – أهل سوداق والروس والقفجاق – ولسوء حظهم رجحت كفة القتال لصالح القوات السلجوقية وتكبد جيش الحلفاء خسائر كبيرة فامتلأت أرض المعركة بأشلاء أجساد الروس ودماء أوداجهم (٣) مما جعل ملك الروس يرى أن من مصلحته وحقناً لدماء من تبقى طرق باب الصلح وإرسال الرسل للمفاوضات فاختار رسولاً ذا هيبة وفهم ، صحيح العقل وكتب رسالة ضمنها الدعاء للسلطان علاء الدين كيقباذ وأظهر تذلله واعتذاره لتحالفه مع القفجاق وأعلن تبعيته للسلطان وطلب من ملك الأمراء – كمال الدين كاميار قائد القوات السلجوقية – أن يتشفع له عند السلطان بقبول هذه التبعية (٤) « ثم انه أرسل بتحف كثيرة من الجلود والكتان الروسي وعشرين ألف دينار لملك الأمراء – كمال الدين كاميار – » (٥) ، وعندما سمع كمال الدين كاميار بوصول رسول الروس حرص على إظهار هيبة دولة سلاجقة الروم بعرض الجند والقوات بصورة تبث الرعب في قلب الرسول لينقلها فيما بعد إلى سيده ملك الروس (٦) ثم أحسن استقبال الرسول وقبل هداياه بعد الاستماع إلى رسالته وتباحث مع كبار القادة أمر قبول التبعية قائلاً : « طالما أن الروسي سلك طريق المداهنة فعلينا نحن إذن الإبقاء على أحكام السلطنة وشرعتها ثم نعرض أمره على حضرة السلطان فبما ترونه صواباً في هذا الشأن ؟ قالوا جميعاً : ما من فكر ولا رأي

---

(١) انظر ما سبق في الفصل الثالث ص ٨٦ – ٨٧ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ص ١٥٨ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ص ١٦٠ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٦٢ ؛ علي عودة الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص ١٩٩ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٦٢ .

(٦) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ١٦٣ .

أفضل من هذا »[١] عندئذ استدعى كمال الدين كاميار رسول الملـك الروسـي وأبلغـه قبول عرض ملك الروس وذكره أن السلطان لا يُلقي بأحد في هاوية الهوان دون ذنب اقترفه وأنه لا يسمح بإهمال ولا إمهال في البطش بالمتمردين ثم أذن له بالعودة بعد أن زوده بالخلع والهدايا وبخلعة من الخاص السلطاني وقلنسوة سلطانية [٢].

وهكذا أصبح الروس من ضمن الممالك الـتي دخلـت في طاعـة دولـة سـلاجقة الروم والتزموا بواجبات التبعية والتي منها إمداد القوات السلجوقية بما تحتاجه من قوات مقاتلة فظهرت بعض الفـرق الروسـية في الجيـش السـلجوقي أثنـاء النزاع السـلجوقي الأيوبي سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٤م [٣] .

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٦٣ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ص ١٦٦ ؛ علي عـودة الغـامدي : ألنفـوذ السـلجوقي في حـوض البحـر الأسـود ص١٩٩ – ٢٠٠ .

(3) Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiye, op.cit. s.380.

مع المغول

تزامن اعتلاء السلطان علاء الدين كيقباذ عرش السلطنة السلجوقية سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م مع ظهور جحافل المغول بقيادة جنكيز خان في الجزء الشرقي من العالم الإسلامي ، وتناقل الأخبار بعظمة هذه القوة العسكرية وتدميرها لكل موقع تمر به ، حيث سجل ابن الأثير المعاصر لتلك الفترة بعد معاناة نفسية شديدة في عدم ذكره الحوادث التي ارتكبها المغول والتي تمثل الأعمال التخريبية للإنسانية وآثارها ، وخص بذلك كل ما يتعلق بالمسلمين وحضارتهم المزدهرة آنذاك ، فقال : « وهؤلاء - المغول - لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا النساء والأطفال ... ولم ينج إلاّ الشريد النادر في أقل من سنة ... ولقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم »[1] .

ولأن صلب موضوعنا هنا هو العلاقة المباشرة بين المغول ودولة سلاجقة الروم ، فإن دولة سلاجقة الروم ، في ذلك الوقت ، شأنها شأن جميع الدول المهددة بهذا الزحف المدمر السريع [2] . إذ نما إلى علم السلطان علاء الدين كيقباذ اقتراب القوات العسكرية المغولية من الحدود الشرقية للأناضول ، وذلك أثناء مطاردتهم للسلطان الخوارزمي محمد خوارزمشاه سنة ٦١٧هـ / ١٢٢١م ، في محاولة جادة للقبض عليه [3] ، ووصولهم حتى شبه جزيرة القرم ، وإنزال الهزيمة بالروس والقفجاق وغيرهم ، حيث اكتشف المغول خلال غاراتهم تلك أنه لا يوجد في هذه البلاد التي

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ٣٥٩ - ٣٦٠ ؛ عن ظهور جنكيز خان وتوحيده للقبائل المغولية ، انظر : ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص٣٩٤ ؛ فؤاد الصياد ، المغول في التاريخ ، ص١٩-٥٧.

(٢) انظر عن غزوات المغول وتحركاته العسكرية فيما وراء النهر : النسوي : المصدر السابق ، ص٤٧-٢٣١؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣٥٨ - ٣٩٨ ؛ فؤاد الصياد : المرجع السابق ، ص٩٥-٢٣٨ ؛ حافظ حمدي : المرجع السابق ، ص٦٧ - ٢٠٠ .

(٣) النسوي : المصدر السابق ، ص٤٧ - ٢٣١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٣٩٦ - ٣٩٧؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

مروا بها جيش قوي يستطيع الصمود في وجههم [١] . وبطبيعة الحال ، فقد هدد هـذا التجارة السلجوقية وطرقها ، فما كان من السلطان علاء الدين كيقباذ إلاّ العمل علـى تهيئة بلاده داخلياً للصمود في وجه هذه القوة الضاربة دون رحمة أو خوف ، فحصـن المدن الكبرى مثل قونية وسيواس وقيسارية بالأسوار العالية والأبراج الضخمـة « وأمـر بالإسراع في الأمر واغتنام الفرصة » [٢] ، كما أعـاد بنـاء وتوسيـع قلعـة كـالونوروس على ساحل البحر الأبيض المتوسط والتي كان قد فتحها وسماها العلائية ، ودعم القـوة البحرية السلجوقية عن طريق بناء مسفن بها [٣] .

و لم تقتصر جهود السلطان عـلاء الدين كيقبـاذ على الاستعداد لـدرء خطر المغول داخلياً ، بل كان له دوره خارجياً كقوة سياسية فاعلة . فعندمـا أرسـل الخليفـة العباسـي النـاصر لديـن الله يطلـب منـه إمـداده بقـوة عسـكرية قوامـها ألفـي فـارس للمشاركة في صد خطر المغول إذا وصلوا إلى بلاده تضاءل حجم هـذه القـوة المطلوبـة في نفسه، وأمر أن يجهز خمسة آلاف فارس من عسكر السباهية القدماء بالأناضول[٤]، ممن عرفوا بالقوة والشجاعة ، ويشمل هذا التجهيز الجانب العسكري والتمويني . فقد رافق هذه القوة مؤونة سنة كاملة وجعـل علـى قيادتـهم الأمـير بـهاء الديـن قتلوغجـة مستحفظ ملطية [٥] . ورغم تجهيزه لهذه القوة وإرسالها إلى بغداد آنذاك ، إلاّ أننا نجـد أن للسلطان علاء الدين كيقباذ وجهة نظر لمواجهة الخطر المغولي ، إذ صرح أمام كبار

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٧٢ - ٣٨٩ ؛ رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص٤٢٥ - ٤٢٧ ؛ السيد الباز العريني : المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص١٣٤- ١٣٥ .

(٢) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p253 .
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.333. The Cambridge History of Islam, Vol. A, p.246.

(3) Ali sevim, yaşar yücel P op.cit. s.155 ; pir reis : op.cit. vo.4. p.1603 ;
عثمان توران: الأناضول، ص ٢٤. Osman Turan : selçuklular Zamaninde Türkiye. s. 338

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣١ - ١٣٢ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ب ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.334.

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص١٣١ - ١٣٢ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ب ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.334.

وماج كبحر من النار إلاّ بالمداراة ، ولعل الأصوب أن يشير أمير المؤمنين بأن يتجمع من كل إقليم رسول بالتحف والهدايا في موضع معين فيلتقون بصحبة رسول أمير المؤمنين إلى حضرة الخان (١) ويعتذرون إليه بأن السلاطين لا يستطيعون ترك بلادهم حتى لا تضطرب ويظهرون الطاعة ويتفقون معه على المصالحة وفق قاعدة راسخة » (٢)، إلاّ أنه لم يبين لرسول الخليفة هذا الرأي وزوده بأكثر مما طلب وربما مرد ذلك حتى لا يفقد تأييد الخلافة لسلطته بعدم الاستجابة لطلبه أو مخالفته الرأي ، وإذا أمعنا النظر في معطيات هذه الرواية نستشف الآتي :

١ - إدراك السلطان علاء الدين كيقباذ حجم القوة الكاسحة التي يمتلكها المغول وأن ليس في مقدور القوى الإسلامية المعاصرة مواجهتهم في ميدان مكشوف .

٢ - رغبة السلطان علاء الدين كيقباذ في عدم الدخول في مواجهات عسكرية مع التتار ، لأنه في أول حكمه و لم يطمئن بعد إلى قوة تماسك جبهته الداخلية .

٣ - رغم كثرة عدد القوة التي أرسلها إلاّ أنها كانت لأغراض استعراضية ، إذ كان قوامها الفرسان القدماء الذين يرغب في التخلص منهم لدواعي الأمن الداخلي .

٤ - تكليف ملك الأمراء مستحفظ ملطية الأمير قتلوغجة لقيادة الجيش المتجه شرقاً ، حيث أراد من ذلك إبعاد هذا الأمير ولو لفترة من الزمن ليحد من نفوذه في الدولة ، سيما وأنه أحد الأمراء الذي تخلص السلطان علاء الدين كيقباذ منهم فيما بعد سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م (٣) .

على أية حال ، فإن هذه القوة لم تواصل سيرها إلى بغداد شأنها في ذلك شأن جميع القوات التي أرسلت من البلاد الإسلامية تلبية لنداء الخليفة العباسي الناصر لدين

---

(١) خان أو قآن لقب من ألقاب السيادة دخل اللغة العربية عن طريق الترك والمغول ، ويعني الرئيس أو شيخ القبيلة ، وبعد انتقال الجماعات المغولية من البداوة إلى ما يشبه الحكومة النظامية ، أصبح يطلق لقب الخان على الأمراء من حكام الولايات في الإمبراطورية المغولية الذين يدينون بالولاء إلى الخان الأعظم أو الخاقان . وكان مقره منغوليا ، ومن هؤلاء جنكيز خان . انظر أحمد عطية الله : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٢٠٨ .

(٢) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص١٣٣ ؛

Ibin Bibi : op.cit. p.260 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.334.

(٣) انظر تفاصيل هذا الموضوع في الفصل الثالث ص ٦٩ - ٧٣ .

الله ، وذلك لعدم الحاجة ، إذ لم تعد تهدد الجموع التارية بغداد لتراجعها بعد اشتباكها مع القوات الخوارزمية [١] . فعادت القوات السلجوقية سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م إلى الأناضول [٢] .

ورغم أن خطر تهديد المغول لبلاد دولة سلاجقة الروم قد زال بانسحاب جنكيز خان سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م ، وعودته إلى منغوليا وانشغاله بمهام تتعلق بتدبير شؤون مملكته هناك [٣] ، إلاّ أن التحركات المغولية السابقة ووصولهم إلى جزيرة القرم قد نبهت السلطان علاء الدين كيقباذ إلى ضرورة تأمين دولته ببسط نفوذه المباشر على تلك المناطق فقام في الفترة من سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م إلى ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م بإرسال قواته إلى كل من شبه جزيرة القرم شمالاً ومملكة أرمينيا الصغرى جنوباً والسواحل الجنوبية للأناضول ونجحت تلك القوات في مهامها [٤] ، ثم مد نفوذه شرقاً حيث تعتبر هذه الجهة من أهم وأخطر حدود بلاده خاصة بعدما تمكن السلطان جلال الدين منكبرتي من استعادة أجزاء واسعة من بلاد الدولة الخوارزمية التي سبق وأن سقطت في يد المغول مستغلاً وفاة جنكيز خان سنة ٦٢٤هـ / أغسطس ١٢٢٧م وانشغال المغول بانتخاب أوكتاي بن جنكيز خان ٦٢٦ - ٦٣٩هـ / ١٢٢٩ - ١٢٤١م) خاناً أكبر عليهم [٥] . كما انشغل السلطان علاء الدين كيقباذ بتحركات السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي وتهديده لحدوده الشرقية حيث تقدم إلى أخلاط واستولى عليها سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م ، فجعل من قوته خصماً عنيداً للدولة سلاجقة الروم وأصبح يشكل تهديداً لها لا يقل عن تهديد المغول ، فأدى هذا الأمر إلى تحالف سلجوقي أيوبي ألحق بالقوة الخوارزمية هزيمة ساحقة في معركة ياسي جمن

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٣٤ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ب ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.263 .

(٢) فؤاد الصياد: المرجع السابق: ص١٣٦-١٣٨؛ السيد الباز العريني: المرجع السابق، ص١٤٣-١٤٤.

(٣) انظر فؤاد الصياد : المرجع السابق ، ص١٣٦ - ١٣٧ ؛ السيد الباز العريني : المرجع السابق ، ص١٣٩ - ١٤٣ ؛ حافظ حمدي : المرجع السابق ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٤) انظر الفصل الثالث ص ٨٤ - ٩١ .

(٥) فؤاد الصياد : المرجع السابق ، ص١٣٦ - ١٣٨ ؛ السيد الباز العريني : المرجع السابق ، ص١٤٣ .

أواخر سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م [١] ، وواجه السلطان جلال الدين منكبرتي بمفرده الحملة المغولية الضخمة التي أرسلها الخان الجديد أوكتاي بن جنكيز خان سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م ، ولم يستطع المقاومة حيث انهزم أمامها وولى هارباً إلى بلاد الجزيرة وهم يجدون في إثره حتى قتل على يد أحد الأكراد قرب آمد في شوال من السنة الآنفة . وبموته أصبحت آسيا الصغرى والبلاد الإسلامية المجاورة مفتوحة على مصراعيها أمام المغول . فقد كان جلال الدين سداً بين المسلمين « وبين التتار » [٢] . وأصبح السلطان علاء الدين كيقباذ وجهاً لوجه أمام المغول سيما وأنهم شرعوا في نهب سواد آمد وأرزن [٣] ، وميافارقين ، وخربوا معظم أراضي ديار بكر والجزيرة ، وقتلوا الأهالي غدراً بعد إعطائهم الأمان [٤] ، مما ترك في النفوس حالة من الهلع والخوف وانهيار الروح المعنوية وعدم القدرة على المقاومة . أما المواجهة الفعلية بين المغول وسلاجقة الروم ، فقد ظهرت في سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م عندما توغلت فرقة مغولية بقيادة جرماغون نوين في الأراضي السلجوقية وأغارت على نواحي سيواس « فقتلت وأسرت الكثير من الخلائق والمواشي » [٥] . وبطبيعة الحال ، ساء ذلك السلطان علاء الدين كيقباذ ، فأرسل قائده كمال الدين كاميار لصد هذا الهجوم والانتقام من تلك الفرقة، ولكن ما أن وصل إلى سيواس حتى كانت هذه الفرقة قد انسحبت عائدة إلى مراكزها [٦] . فهذا الأسلوب الهجومي اتبعه المغول لمعرفة أحوال

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في الفصل الرابع ص ١٤٨ .

(٢) الذهبي : دول الإسلام ، ج٢ ، ص ١٣٤ . انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٤٩٥ ؛ النسوي: المصدر السابق ، ص٢٧٧ -٣٨٥ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣١٤ - ٣٢٠؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان : ج٨ ، ص ٦٦٦ ؛ فؤاد الصياد : المرجع السابق ، ص١٧١ - ١٧٣؛ السيد الباز العريني : المرجع السابق ، ص ١٧١ - ١٧٣ .

(٣) أرزن : مدينة مشهورة قرب خلاط ولها قلعة حصينة . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج١ ، ص١٥٠.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧٦ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.165 .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص٢١٩ ؛ انظر خليل أدهم : قيصرى شهرى ، ص ٥٧ .

(٦) اتخذت تلك الطلائع المغولية من موغان بأذربيجان قاعدة للانطلاق منها إلى بلاد العراق والجزيرة وآسيا الصغرى . موغان : ولاية واسعة بها قرى ومروج بأذربيجان على يمين القاصد من أردبيل إلى تبريز ، وكانت منازل التركمان لسعة رقعتها : انظر القزويني : المصدر السابق ، ص ٥٦٤ ؛ انظر علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٣٧٣ .

البلاد المراد غزوها سياسياً وعسكرياً وهذا ما أقره ابن الأثير بعد اطلاعه على رسالة أحد التجار إلى أصحابه في الموصل وذلك أثناء شن هجوم مماثل من قبل المغول على كل من نصيبين والخابور وغيرها من البلاد « لا تظنوا أن هذه الطائفة التي وصلت إلى نصيبين والخابور والطائفة الأخرى التي وصلت إلى أربل ودقوقا [١] . وكان قصدهم النهب ، إنما أرادو أن يعلموا هل في البلاد من يردهم أم لا ؟ » [٢] .

والحقيقة فإن دخول هذه الفرقة إلى بلاد السلطان علاء الدين كيقباذ واقترافها تلك الأفعال جعله يدرك ضعف خطوطه الدفاعية المواجهة للمغول وانكشافها لتحركاتهم الدائمة في تلك المنطقة ، فرأى تشديد قبضته على تلك البقاع وخاصة بلاد أرمينية الكبرى [٣] ، وبلاد الكرج ، واللتين أضعفتا من قبل هجمات التتار ، ثم جلال الدين خوارزمشاه [٤] . لهذا بدأ بإرسال حملته إلى بلاد الكرج [٥] ثم بسط نفوذه المباشر على أخلاط وبدليس كبريات مدن أرمينية الكبرى مدنياً وعسكرياً ، مدنياً بإعادة توطين سكانها – الذين تركوها خوفاً من الغارات المغولية وقطاع الطرق الخوارزمية – وتشجيع المزارعين على ممارسة نشاطهم بعد إمدادهم بمقومات الزراعة وإعفائهم من الضرائب فترة من الزمن حتى تستقر أمورهم، وعسكرياً عمارة القلاع وتحصينها وتعيين مستحفظين لحراستها [٦] ثم تعيين الأمير سنان الدين قايماز على رأس قوة عسكرية في تلك المدن [٧] لردع أي هجوم مرتقب من قبل المغول .

---

(١) دقوقا مدينة بين أربل وبغداد معروفة لها ذكر في الأخبار والفتوح . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٥٩ .

(٢) الكامل : ج١٢ ، ص ٥٠٣ .

(٣) أرمينية : اسم لصقع عظيم واسع من جهة الشمال ، وقيل بارمينيا الكبرى خلاط ، انظر ياقوت الحموي ، ص١٦٠ – ١٦١ ؛ انظر كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٢١٦ – ٢١٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل : ج١٢ ، ص ٣٨٣ ، ٤٣٥ ، ٤٥٠ – ٤٥٢ .

(٥) انظر ص ٢٠٦ .

(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤ ؛ ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.428 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Türkiye. s.377.

(٧) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٤ ؛ منجم باشي المولوي : جامع الدول ، ورقة ١٠٧ ؛ صحائف الأخبار ورقة ٥٨٠ ب .

وإذا دققنا النظر في علاقة السلطان علاء الدين كيقباذ بالمغول ، نلاحظ حرصه الدائم على عدم استثارة هذه القوة ، إذ كان يأمل - كما رأينا - من الخليفة العباسي وبقية القوى الإسلامية سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م مهادنة المغول واسترضاءهم بالأموال والهدايا وإظهار لين الجانب لهم لدرء خطرهم . وكذلك في نصائحه للسلطان جلال الدين خوارزمشاه سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م حيث قال: « وهناك مصلحة أخرى من باب النصيحة التي هي الركن الأهم ... وهي أن يسلك - السلطان الخوارزمي - مع جيش التتار طريق المداراة والمهادنة وأن يقرع - كلما تمكن من ذلك - باب المصالحة من جانبه وبكل ما في وسعه » [1] . ثم يذهب إلى أبعد من ذلك حتى إنه يرغب في الاعتذار من الخان المغولي عن كل ما بدر من والد السلطان جلال الدين منكبرتي السلطان علاء الدين محمد الخوارزمي تجاه المغول ، ويرى أن ذلك فيه مصلحة للمسلمين أجمعين ... ويدعو السلطان الخوارزمي إلى العمل معا على إحلال السلام في البلاد الخوارزمية والمغولية والسلجوقية واستعداده لبذل ما يحقق ذلك من ذهب وفضة وخدمات [2] .

وعلى كل حال ، ففي أثناء انشغال السلطان علاء الدين كيقباذ في الفترة من ٦٣١ - ٦٣٤ هـ / ١٢٣٤ - ١٢٣٦ م بصراعه مع السلطان الأيوبي الكامل محمد على ديار بكر حدث اتصال رسمي من طرف المغول للسلطان علاء الدين كيقباذ وكان الرسول عمر القزويني أحد تجار منطقة قزوين [3] الذي يبدو أنه سمع بحرص خانات المغول على رعاية التجار الواصلين إلى بلاهم فسار إلى بلاط الخان المغولي أوكتاي بن جانكيز خان ، حيث أفاد حسب الرواية التي أودعها ابن بيبي كتابه الأوامر العلائية بأنه أعد ألوانا من الجواهر والمرصعات وسار بها إلى بلاد الإمبراطور المغولي ، ونجح في الوصول إلى القصر حيث مثل بين يدي الإمبراطور وعرض ما أتى

---

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٩٧ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p379 .

(٢) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٩٧ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p379 .

(٣) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤١ ؛
Ibin Bibi : op.cit, p.425 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.385.

به من أقمشة وحلي . فبادره الإمبراطور بسؤاله عن الموقع الذي جاء منه ، فأجاب من بلاد الروم ، فأخذ يسأله عن السلطان علاء الدين كيقباذ وطريقته في السياسة والملك[(١)] . ثم – طلب الخان المغولي – من شمس الدين أن يكون رسوله إلى السلطان علاء الدين كيقباذ حيث أعطاه أمراً ملكياً [(٢)] مع عملة تذكارية ذهبية وأخرى فضية، كما بعث معه اثنين من الخدم المغول لتأدية المهمة . وحسب تأريخه لهذه الحادثة ، فقد وصل إلى قيسارية وقابله السلطان علاء الدين كيقباذ أواخر سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م ، إذ أنه قابله بعد عودته من قضاء شتاء تلك السنة في العلائية .

وكيفما كان الأمر ، فقد استقبل السلطان رسول الإمبراطور المغولي بكل حفاوة وترحاب خاصة أنه مسلم وطلب المشورة منه بناء على ذلك فأفاده الرسول شمس الدين القزويني بأن قبول النيابة لن تلحق الضرر بالسلطنة وكل ماهو مطلوب حضور المندوب للخدمة كل سنة ، ومعه ما يرمز برسم الخدمة من أموال وخيول « فقبل النيابة وأمر فأعدت التحف والهدايا والطرف الرومية » [(٣)] . ورغم وفاة

---

(١) الأوامر العلائية : ص ٤٥٢ – ٤٥٣ ؛ انظر سلاحقة الروم ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ . ذكر ابن العبري : أن علاء الدين كيقباذ سبق وأن أرسل إلى القاآن سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م لبذل الطاعة ، إلاّ أن هذه الحادثة لم ترد عند مورخي السلاحقة الذين ذكروا سفارة شمس الدين عمر القزويني . وبما أن القاآن المغولي طلب في رواية ابن العبري أن يحضر السلطان علاء الدين كيقباذ إلى بلاطه لتقديم فروض الطاعة، ولما لم يستحب له فقد أرسل عمر القزويني لوضع السلطان أمام الأمر الواقع ويقبل بالتبعية واختار هذا التاجر القزويني بالذات ليطمئن السلطان إليه وهذه سياسة سنها جنكيزخان ، وهي استخدام التجار لأغراض الجاسوسية والدبلوماسية ، وذلك لما يتمتع به التجار من حرية التنقل بين البلاد . انظر تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٣٥ ؛ السيد الباز العريني : المرجع السابق ، ص١٤٩ – ١٥٠ ؛ سعد بن محمد حذيفة الغامدي : المجتمع المغولي . الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ص ٨٥ – ٩٠ ؛

Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.133.

انظر إجابة شمس الدين عمر القزويني : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٢ ؛

Ibin Bibi : op.cit. p.452 .

(٢) نص الأمر الملكي في الأوامر العلائية حيث لا تخرج عن رسالة طلب التبعية لقاآن المغول والتهديد بالاقتحام والتخريب إن لم يحصل ذلك . وهذا أسلوب القادة المغول لإرهاب أعدائهم والتأثير على قوتهم المعنوية ؛ ص ٤٥٤ – ٤٥٥ .

(٣) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٤ .

السلطان علاء الدين كيقباذ في شوال سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م ، أي قبل عودة الرسول إلى بلاط المغول ، إلاّ أن ابنه غياث الدين كيخسرو لم يخالف قرار والده إذ أرسل إلى شمس الدين عمر القزويني وقال : « خاطبك أبي قائلاً لك يا أخي وأنا أدعوك بقولي يأبي وسأسلك بدوري طريق النيابة » [١] .

وتم الأمر بالسماح للرسول بالاتجاه إلى القاآن اكتاي الذي ما أن علم فيما بعد بوفاة السلطان علاء الدين كيقباذ حتى ردد « قيران » ثلاث مرات تعبيراً عن حزنه على ذلك [٢] . وهكذا نجد أن كلا الطرفين قد توصلا إلى نوع من الود الظاهري ، وإن كان الحذر والاحتراس يشوبان تلك العلاقة خاصة لدى السلطان علاء الدين كيقباذ الذي أخذ في تقرير شمس الدين عمر لمعرفة نوايا الخان المغولي قبل اتخاذ قراره ، وحقيقة الأمر ، فإن سياسة السلطان علاء الدين كيقباذ منذ ظهور التتار على مسرح الحوادث كانت تقتضي مداراتهم ومحاولة بناء علاقات معهم [٣] ، وذلك لإدراكه باستحالة التصدي لهم خاصة وأن مشاكله مع جيرانه الأيوبيين مازالت معلقة وغيوم التوتر تحلق في سماء علاقاتهم ببعض وبعدم قبول عرض إمبراطور المغولي يحكم على دولته الفتية بالدمار وتقويض ما عمل على تأسيسه وبنائه خلال سنين حكمه . هذه السياسة الودية التي أظهرها السلطان علاء الدين كيقباذ عملت على حماية الأناضول من الهجوم المغولي خاصة في عهده . إذ مالبثت أن اجتاحت القوات المغولية المدن السلجوقية مبتدئة بأرزن الروم حيث اقتحمتها بعد حصار شديد ، ونتيجة خيانة

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٤ .

(٢) ذكر د. محمد التونجي : المعجم الذهبي قيرين : النسبة إلى قير : أسود ، زفتي وهو مقارب للمعنى . انظر ص٤٤٧ – وقد نستغرب هذا الموقف من الخان المغولي ، إذ من مصلحته وفاة هذا السلطان القوي ، ولكن يبدو أنه رد فعل آني ، إذ لم تستطع القوات المغولية دخول المدن السلجوقية إلاّ بعد وفاته وفي عهد ابنه غياث الدين كيخسرو سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م عندما أنزلت الجيوش المغولية هزيمة فادحة في كوسه داغ بالقوات السلجوقية وفرض الخان التبعية على السلطان السلجوقي .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص١٣١ – ١٣٢ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص٤٣٥ ؛ Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, s.316.

شحنة المدينة (١) ، فقتلوا الرجال والأطفال وسبوا النساء ، ونهبوا الأموال « وجعلوا البلد قاعاً صفصفا » (٢) . ثم التقت بالقوات السلجوقية وقائدها السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني في كوسه داغ سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م ، حيث حلت الهزيمة الفادحة بالسلطان غياث الدين كيخسرو ، وفر هارباً إلى قونية بينما واجه أكثر عسكره وأمرائه القتل على أيدي العساكر المغولية وغنموا الأموال والأثقال(٣) .

ويبدو أن الاتفاق المسبق مع السلطان علاء الدين كيقباذ قد تم على الورق فقط ، ولم يطبق فعلياً آنذاك . فعندما صدر الأمر بأن يذهب القزويني نائباً للخان المغولي في بلاد الروم كان بايجونومين ، القائد المغولي ، قد اجتاح البلاد وأنزل هزيمة فادحة بالقوات السلجوقية في معركة كوسه داغ .

ونتساءل هنا لماذا اجتاحت القوات المغولية المدن السلجوقية رغم موافقة السلطان علاء الدين كيقباذ على قبول النائب المغولي ؟

للتوصل إلى الإجابة على هذا السؤال هناك عدة احتمالات :

١ - ربما أن الهدف الأساسي من وفد شمس الدين عمر القزويني الاطلاع على الأحوال الداخلية لدولة سلاجقة الروم من حيث العلاقة بين السلطان والأمراء ومعرفة نوعية الإدارة السلجوقية . وبناء على التقارير المفصلة التي حملها المرافقون للقزويني صدرت الأوامر للقوات المغولية احتياح المدن السلجوقية .

٢ - ربما أن السلطان علاء الدين كيقباذ ومن منطلق حرصه على استقلالية دولته ،

---

(١) أوعز ابن بيبي سبب دخول القوات المغولية مدينة أرزن الروم ، رغم حصانتها ، إلى خيانة شرف الدويني الذي كان يكره قائد الجيش السلجوقي سنان الدين قايماز ، فأرسل إلى القائد المغولي يطلب منه الأمان له ولأتباعه ، مقابل السماح للقوات المغولية بالدخول عبر البرج الموكل إليه حراسته ، انظر الأوامر العلائية ، ص٥١٤ .

(٢) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٢ب ؛ انظر :
The Cambridge History of Islam, Vol. IA, p.249 ; Ali sevem yaşar yücel : op.cit. s.161 - 162 ; Osman Turan : selçuklular Zamaninde Türkiye s.375.

(٣) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٣أ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب : ج٣ ، ص٢٦٩ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣٢٧ ؛ ابن ايبك : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ؛ فؤاد الصياد : المرجع السابق ، ص١٨٢ - ١٨٣ ؛علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٧٥ - ٣٧٦.

وضع بنوداً معينة للموافقة على النيابة لم ترض الخان المغولي . نستشف ذلك من رواية ابن بيبي أن جرماغون قال أثناء مفاوضات الصلح بعد معركة كوسه داغ بعد أن أثنى على السلطان كيقباذ : ليت أن علاقة تبعية تنشأ بين السلطان والخان الأعظم لكي تبقى ولايته سالمه من معرة الجيش وحضرته فمن الخسارة أن تخرب مثل تلك المملكة التي زينت بالعدل والإنصاف بصدمة صولة المغول وأن تصاب قواعد السلطنة بالوهن [١] .

٣ - إن حادثة الإجتياح تلك وقعت بعد وفاة الخان أوكتاي الذي توفي سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م [٢] ، وفي الوقت نفسه لم يصل النائب المغولي إلى بلاد الروم حيث كان هذا الاحتياح المغولي من ضمن غارات الطلائع المغولية في موغان ، إذ قال شمس الدين القزويني « فلما بلغت العراق ، كان بايجونوين قد اصطدم في كوسه داغ بجيش غياث الدين وسارت الأمور في جهة غير التي قدمناها » [٣] .

وعلى أية حال ، فإن دولة سلاجقة الروم قد أصبحت بعد عام ٦٤١هـ / تدين بالتبعية للخان المغولي . وبناء عليه تقدم أتاوة سنوية [٤] رمزاً للخضوع والتبعية [٥].

---

(١) الأوامر العلائية ، ص ٥٣٤ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٢) فؤاد الصياد : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(٣) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٤ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p457 .

(٤) لم يحدد المورخون المعاصرون المبالغ المالية تلك ، إلاّ أن ابن أيبك الدواداري قال : « صالح صاحب الروم التتار على أن يدفع لهم كل يوم ألف دينار وفرساً ومملوكاً وجارية وكلب صيد » . انظر كنز الدرر ، ج٧ ، ص ٣٥٢ .

(٥) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٣ ب - ٥٨٤أب ؛ الذهبي : دول الإسلام ، ج٢، ص١٤٧ ؛ الباز العريني : المرجع السابق ، ص١٧٨ - ١٧٩ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٧٦ ؛ The Cambridge History of Islam, p.211 .

الفصل السادس

حضارة سلاجقة الروم

خلال الثلث الأول من القرن السابع الهجري

- نظام الحكم والإدارة .
- الإقطاع الحربي والجيش والبحرية .
- الأحوال الإقتصادية .
- الحياة الثقافية .
- الأحوال الإجتماعية .
- المنشآت العمرانية والمرافق العامة والمدن الجديدة .

نظام الحكم والإدارة

بما أن دولة سلاجقة الروم واحدة من البيوت السلجوقية التي ظهرت بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م واتخذت من آسيا الصغرى مقراً لها فإن نظام الحكم فيها لا يخرج عن القاعدة التركية العامة التي تقول : « إن الدولة ملك مشترك للأسرة الحاكمة » [١] ، وظهر ذلك واضحاً في توزيع الحاكم السلطة على كل أفراد الأسرة على شكل ولايات داخل إطار محدد » [٢] ، حيث طبق السلطان قلج أرسلان الثاني ذلك سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م « إذ قسم مملكته وهو لايزال على قيد الحياة بين أبنائه الأحد عشر متبعاً تقاليد السياسة التركية » [٣] ، فحكم هؤلاء الأبناء مستقلين في مناطقهم وأقاموا في عواصم البلاد التي يحكمونها وفق نظام إداري وعسكري شبيه بنظام السلطان في العاصمة قونية وكل منهم يحمل العلامات والألقاب الخاصة بل أيضاً كانت لهم اتصالاتهم الخاصة بالخلافة العباسية في بغداد ، إذ منح الخليفة الناصر لدين الله ركن الدين سليمان لقب الملك القاهر [٤] أثناء حكمه على توقات ، كما سُكّتْ عملات بأسمائهم من مدنهم [٥] واستمروا في فتوحاتهم وكل واحد منهم يحمل لقب ملك [٦] بينما والدهم - قلج أرسلان الثاني - هو السلطان المعترف به ، أي سلطان واحد وعدة ممالك ، ولكن هذا التطبيق لم يثبت جدواه لرغبة كل واحد من هؤلاء الملوك أن تكون ممتلكات السلطنة ملك له وحده ، لذا اضطر السلطان قلج أرسلان إلى التراجع عن تقسيمه السابق والعودة إلى نظام الحكم الوراثي

---

(1) Nejat Kaymaz, op.cit. V1, s.110.

(2) Nejat Kaymaz, op.cit. s.110.

(٣) عثمان توران : الأناضول في عهد السلاجقة ، ص٢٠ . انظر الفصل الأول .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص٢١ ؛ Ibn Bibi : op.cit. s. 01. ؛ إسماعيل حقي : آناطولي تورك تاريخي وثيقة لرندن (توقاد) كتابه لر ، وكالة معارف ، استانبول ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م ، ص ٦٦ .

Nejat Kymaz : op.cit. s114 ; Ibrahim Artuk. Cevriye Artuk : Istanbul Arkeoloji müzeleri Teşhirdeki Islamî sikkeler Katalogu, mills Egitim Basimevi C.I, Istanbul, 1971. s.354-355.

(٥) انظر إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص ١١ ، ١٧ .

(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص٥ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ص٥٧١ب .

Nejat Kaymaz : op.cit. s.114.

والذي هو أساس الحكم لدولة سلاجقة الروم وعين ابنه غياث الدين كيخسرو ولياً للعهد ووريثاً للسلطنة دون سائر اخوته ، وقد أورد ابن بيبي قول السلطان قلج أرسلان الثاني : « إن ابني كيخسرو قد منحته ولاية العهد ... وجعلته وارثاً للتاج والخاتم ونحيت نفسي جانباً إنما عليكم أن تبايعوه » [(١)] . وقد أخطأ عزالدين قلج أرسلان للمرة الثانية في إقرار نظام الحكم هذا لأن غياث الدين كيخسرو أصغر أبنائه وولاية العهد في رأي أبنائه تكون لأكبرهم ، لذا اندلعت الصراعات المسلحة بينهم نتيجة لذلك منذ سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م وحتى سنة ٥٩٦هـ / ١١٩٩م عندما انتهت تلك الصراعات بالاستيلاء على قونية من قبل ركن الدين سليمان شاه أكبر أبناء قلج أرسلان الثاني[(٢)] ، وتوحيد البلاد تحت سيطرته [(٣)] ، كما مر بنا سابقاً وتطبيق المركزية في الحكم ، وقد سن السلطان ركن الدين سليمان لمن بعده من السلاطين « تقليداً جديداً لارتقاء العرش ... وهي إقصاء السلطان عن عرشه وإجباره على مغادرة بلاده ليتخذ من أراضي أعدائه منفى سياسياً له » [(٤)] ، إذ بعد وفاته سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م ورغم بيعته ابنه قلج أرسلان الثالث ولياً لعهده عاد أخوه غياث الدين كيخسرو ليجبر السلطان الصغير على التخلي عن العرش لصالحه ، وبذلك ثبت عدم جدوى تطبيق قاعدة « إن الدولة ملك مشترك لجميع أفراد الأسرة الحاكمة » [(٥)] وإعادة تطبيق المركزية في الحكم ، حقيقة أن كيخسرو لم يحدد ولياً للعهد بعده ، إلاّ أن الاعتبار بأحقية وراثة العرش للابن الأكبر قد كان له دوره في استقرار الدولة واستمرارها رغم ما يثار من اضطراب بعد وفاة كل سلطان منذ سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م، إذ أن الاتجاه إلى إقرار وليٍّ للعهد لم يود في الواقع إلى احترام هذا التعيين « و لم يكتسب قيمة القاعدة القانونية التي لاتتغير وكل ما حدث أن هذا التعيين اكتسب قيمة تساوي قيمة قسم الولاء الذي يمكن أن يكون له قيمة فعلية عند التطبيق – أي

---

(١) الأوامر العلائية ، ص ١٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم : ص ٤ .

(٢) انظر الفصل الأول ص ٦ – ١١ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥-٩ ، ٢١-٢٢ ؛ Ibin Bibi, op.cit, p27-36, 58-59 .

(٤) أحمد توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

(5) Nejat Kymaz : op.cit. s.110.

الجلوس على العرش - ولهذا كانت الفائدة التي تتحقق للإبن الأكبر أو لولي العهد هي مجرد تقويةً لمطلبه بالعرش وزيادة فرصته إزاء منافسيه في تحقيق جلوسه على العرش»[1] ، وبذلك يؤدي هذا التعيين إلى خلق مشكلة وراثة العرش إذ أن الأمراء وكبار رجال الدولة يلجأون تبعاً للنظام المطبق فعلياً إلى مساندة أحقية الابن الأكبر في العرش ومنذ البداية يعملون على تقوية نفوذهم عند أكبر الأبناء والسعي إلى تثبيته في الحكم تحقيقاً لمصالحهم وأهدافهم - وسنرى ذلك فيما بعد - حيث اتضح لنا ذلك أثناء ارتقاء السلطان عزالدين كيكاوس للعرش ثم من بعده أخيه السلطان علاء الدين كيقباذ وظهر ذلك بصورة جلية رغم وجود قرار بولاية العهد بعد وفاة السلطان علاء الدين كيقباذ عندما تقلد مهام حكم السلطنة ابنه الأكبر غياث الدين كيخسرو الثاني ، وأبعد ولي العهد الابن الثاني عزالدين قلج أرسلان ابن علاء الدين كيقباذ .

وعلى أية حال فإن دولة سلاجقة الروم عاشت أزهى عصورها أثناء تطبيق الحكم المركزي في يد أكبر أبناء أي سلطان من سلاطينها في الفترة من ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م إلى ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م وتطورت نظم مؤسسات الدولة الاقتصادية والمدنية حيث عاشت الأناضول حياة مرفهة وآمنة ، وذلك لأن إدارة الدولة ترجع بالدرجة الأولى إلى السلطان فهو الحاكم المطلق في كل الشؤون وكان دور رجال الدولة مجرد تنفيذ أوامر السلطان وخططه التي يضعها ولكن من خلال دراستنا لتاريخ سلاطين هذه الدولة لاحظنا أن إمكانية جلوس هذا السلطان دون بقية أمراء الأسرة مرتبط برأي رجال الدولة ذوي النفوذ القوي ، إذ لا يمكن أن يتحقق ذلك دون رضى ومساعدة أصحاب القوى الكبرى في الدولة ؛ وذلك لأن ضمان حقوق الحكم تقوم برأيهم فإذا لم يحصل الأمير على بيعتهم كما حدث للسلطان علاء الدين كيقباذ بعد

---

(1) Nejat Kaymaz, op.cit, s133.

سبق وأن ذكر قايماز في مقالته تلك أن المبدأ السائد عند سلاطين دولة سلاجقة الروم هو أن من يضمن لنفسه القوة المادية من الأمراء يستطيع فرض نفسه سلطاناً دون اعتبار للحقوق القانونية (ص١٠٠) ، إلاّ أننا بعد الاطلاع على طريقة وصول هؤلاء الأمراء إلى الحكم نجد أن الابن الأكبر هو الذي ينجح في ارتقاء سدة الحكم دون اعتبار للحقوق القانونية والتي تشمل وجود ولي عهد أو قوة مادية كما حدث لعلاء الدين كيقباذ وأخيه عزالدين كيكاوس .

وفاة السلطان غياث الدين كيخسرو سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م - فإنه لايحق لـه الحكـم ويعتبر من العصاة على السلطان الشرعي ، ولكن ما أن يستقر السـلطان علـى العـرش حتى يضمحل تأثير هؤلاء الأمراء وكبار رجال الدولة ، ويبدو أن اختفاء تأثيرهم هـذا على قرارات السلطان يرجع إلى خوفهم على مكتسـباتهم ومميزاتـهم الـتي تحققـت لهـم كمكافآت تتناسب مع الدور الذي قام به كل منهم وذلك بعد تمام عملية الجلوس.(١)

ويبدو أن المنصب الإداري لم يكن له ذلك التأثير العميق ، ولعـل ذلـك يرجـع إلى ضعف أو قوة شخصية متقلده . والمعلومات التي لدينا حول الأمراء وكبـار رجـال الدولـة في فـترة موضـوع البحـث قليلـة جـداً ، حيـث كـان اعتمادنـا علـى بعـض الإيضاحات التي يبثها ابن بيبي في ثنايا كتابه (٢)والتي تساعدنا في إلقاء بعـض الضـوء على طبيعة مراكز هؤلاء الأمراء الذين تناط بهم مهمة الحفاظ على العرش السـلجوقي في الأناضول . فبعد استشهاد السلطان غياث الديـن كيخسـرو في أرض المعركـة سـنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م أمام البيزنطيين ، « اجتمـع أركـان ايـوان التدبـير وحفظـة شـرف التـاج والسـرير » (٣)حيـث عُقـد مجلـس مشـورة في قونيـة وتبـادلوا الـرأي حـول أبنـاء السـلطان الثلاثـة (٤)، فاسـتقر الـرأي علـى تنصيـب الابـن الأكـبر عزالدين كيكاوس . ورغم أن ابن بيبي لم يوضح لنا مـن هـم هـؤلاء الأمـراء ومـاهي مراكزهم الإدارية ؟ إلاّ أنه ذكر اسم أحدهم وهو ملـك مرعـش الأمـير نصـرة الديـن الحسن بن إبراهيم (٥)، الـذي أعلـن ترشيـح عزالديـن كيكـاوس فوافـق بقيـة الأمـراء على ذلك ، ومن ذلك نستشف أن أمـراء الثغـور رغـم بعدهـم عـن عاصمـة السـلطة إلاّ أنـه كـان لهـم الكلمـة المسـموعة في أمـر تنصيـب السـلطان ، فقـد سـبق لأمـراء

---

(1) Nejat Kaymaz, op.cit. s.102.

(٢) الأوامر العلائية ، انظر كتاب أخبار سلاجقة الروم . ص ٨ ٤ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٨ ؛ Ibn Bibi : op.cit. s.113 .

(٤) انظر تفصيل ذلك الفصل الثاني « تعيين عزالدين كيكاوس » .

(5) Ibn Bibi : op.cit. s.112 ; Nejat Kaymaz, op.cit. Vol.1, s.136 ; Salim Koça : op.cit. s.935.

أخبار سلاجقة الروم ص ٤٨ ؛ Osman Taran : Selçuklar Zamaninde Türkiye, s.294 .

الحدود الغربية « الأوج » أن انضموا إلى ظهير الدين ايلي وإخوته لإعادة غياث الدين كيخسرو إلى عرش دولة السلاجقة واستدعائه من منفاه » [١].

وبالإضافة إلى ذلك وُجدت مسميات إدارية عمل متقلدوها على تنفيذ أوامر السلطان وتطبيق الخطط التي يضعها كملك الأمراء ، والنائب والبروناناه ، وهذه المناصب [٢]منها ماكان معروفاً لدى السلاجقة العظام - التي تعتبر دولة سلاجقة الروم إحدى فروعها في آسيا الصغرى - ومنها ما استحد وعرفت به دولة سلاجقة الروم كمنصب ملك الأمراء [٣] الذي يعتبر صاحبه من الشخصيات المهمة وله مكانته المرموقة فهو القائد العام للجيش سواء براً أو بحراً ومن مهامه وضع الخطط الحربية وقيادة القوات في المعارك الداخلية والخارجية [٤]، ومن أبرز من تقلد هذا المنصب الأمير سيف الدين إيبه [٥]في عهد السلطان غياث الدين كيخسرو وأسر في معركة آلاشهر التي استشهد فيها السلطان سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م ، ويبدو أنه حافظ على مكانته الإدارية في عهد السلطان عزالدين كيكاوس وكانت له الكلمة المسموعة، إذ أنه أحد الأمراء الكبار الذين تعهد لهم السلطان كيكاوس بعدم التعرض لحياة أخيه علاء الدين كيقباذ أثناء حصار أنقرة سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م ، وفي ذلك يقول ابن بيبي : « واستدعى - عزالدين كيكاوس - الأمراء الكبار مثل ملك الأمراء حسام الدين جوبان ، وملك الأمراء سيف الدين إيبه ... وكانا من كبار أعوان المملكة ، فأقسم السلطان في حضورهم بأغلظ الأيمان بألاّ يلحق بالملك علاء الدين كيقباذ أي

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٨ ، ٢٩ ؛
Ibn Bibi : op.cit. s.77, 78 ; Ali sevim yaşar yücel , op.cit. s.144 ;
Nejat Kaymaz, op.cit s.126, 127.

(٢) اقتصر ذكر أهمية هذه المناصب للدور الفاعل لمتقلديها في إدارة الدولة رغم مركزية الحكم وقوة سيطرة السلطان السلجوقي .

(٣) توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .

(٤) ملك الأمراء من الألقاب التي اصطلح عليها لكفال الممالك من نواب السلطنة كأكابر النواب ... لأنه يقوم مقام الملك في التصرف والتنفيذ والأمراء في خدمته كخدمة السلطان . انظر محمد قنديل البقلي : المرجع السابق ، ج١٥ ، ص ٣٢٧ .

(٥) أيضاً لسيف الدين ايه وظيفة أخرى اقترنت باسمه وهو الجاشنكير وهي وظيفة تشريفية أكثر منها تنفيذية .

ضرر ... » [١]، وهذه الرواية تدل على أهمية منصب ملك الأمراء ، إضافة إلى أنه يجوز أن يحمل أكثر من أمير هذا اللقب ، وربما يتقلد أيضاً نفس المهام . وكما كان لهذا المنصب بعض الإيجابيات لإدارة شؤون الدولة ، فقد كان لبعض متقلديه – وخاصة ممن اتصفوا بقوة الشخصية – الأثر السلبي على السلطان نفسه ، وهذا ما استشعره السلطان علاء الدين كيقباذ من ملك الأمراء سيف الديه إيبه وأدى إلى القبض عليه مع جملة من الأمراء وقتله ومصادرة جميع أملاكه ومطاردة أتباعه [٢]– كما مر بنا سابقاً – وأيضاً ما فعله ابنه غياث الدين كيخسرو وتخلصه من ملك الأمراء سعد الدين كوبك [٣].

ومن أبرز من تولوا هذه الوظيفة أيضاً الأمير حسام الدين جوبان قائد منطقة قسطموني الذي عهد إليه السلطان علاء الدين كيقباذ أمر قيادة الحملة البحرية إلى بلاد القرم ونجح في الاستيلاء على مدينة سوداق سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م [٤]. أيضاً تميز ملك الأمراء كمال الدين كاميار بقيادة الحملة العسكرية على بلاد الكرج وحقق النصر المؤزر في عهد علاء الدين كيقباذ [٥]، وبلغت ثقة السلطان به أن جعله المترجم بينه وبين الملك الأشرف أثناء انفرادهما للتشاور في أمر التحالف ضد السلطان جلال الدين الخوارزمي سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م [٦]، كما استدعاه أثناء تعرضه لحالة

---

(١) الأوامر العلائية ، ص ١٣٧ ؛ انظر : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٠ .

(٢) انظر الفصل الثالث ص ٦٩ – ٧٤ .

(٣) انظر : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٥٩ – ٢٦١ ؛ Ibn Bibi : op.cit, p.481,482 ؛
كان سعد الدين كوبك يعمل ترجمان في الديوان ، انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٧٩ .

(٤) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ١٦٥ – ١٦٩ ؛
Ibn Bibi : op.cit. p.326, 333 ; Vryonis : op.cit, p.228 ; Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.126.

(٥) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٢١٩ – ٢٢٢ ؛ Ibn Bibi : op.cit, p.419-427 ؛
منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩أ ؛
Ali sevim , yaşar yücel : op.cit. s.159 .

(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ . يبدو أن معرفة السلطان باللغة العربيــة لا ترقى إلى درجة التحدث مع الأشرف بدون مترجم ، كما أن الأشرف لايتكلم إلاّ العربية والكردية .
Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Türkiye, s.319.

التسمم التي أودت بحياته « لتزويده ببعض الوصايا » (١).

أيضاً من الوظائف الإدارية منصب نائب السلطنة (٢)، ولم يكن هذا المنصب معروفاً عند دولة السلاجقة العظام على الرغم من أهميته ودور النواب في الحفاظ على عرش السلطنة إبان فترة سلاطين دولة سلاجقة الروم الأول (٣)، إلاّ أن دور النائب في عصر السلطان غياث الدين كيخسرو وأبنائه اقتصر على تنفيذ أوامر السلطان فقط ، ومن النواب الذين سجلهم ابن بيبي في قونيه العاصمة سيف الدين أبو بكر بن حقه باز (٤) ، الذي كان له دور فاعل في القضاء على أتباع الأمراء الذين سبق وأن تخلص منهم السلطان علاء الدين كيقباذ سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م ، وبأمر من السلطان قال ابن بيبي : « حين قدم السلطان من الميدان إلى الإيوان أمر بإنزال العقوبة بكل حواشي الأمراء المقتولين وأعطى خاتماً لابن حقه باز لتوقيع ذلك الحكم ... » (٥)

---

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٧ ؛ Ibn Bibi : op.cit. s462 .

(٢) النائب : هو القائم مقام السلطان في عامة أموره أو غالبها وخاصة أثناء عدم وجود السلطان في العاصمة ويأتي هذا المنصب بعد مرتبة الوزير . انظر القلقشندي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٤٥٣ ، ج١٥ ، ص٣٥٣ ؛ أيضاً هناك نواب في كل مدينة ولكن تركيزنا على لقب نائب السلطنة هنا لأثر متقلد هذا المنصب في الإدارة السلجوقية فقد ذكر الأفلاكي عن نائب لارنده قائلاً : « كان الأمير موسى قائد وحاكم تلك المدينة وكان تركي شجاع » .
Ariflerin menkibeleri. C.2, s.99 ; Ali Sevim, Erdogan Merçil : selçukklu Devleteri Tarihi, siyaset, Teşkilat ve Kütür,Türk Tarih kurumu Basimevi, Ankara, 1995, s.513.

(٣) انظر عن ذلك توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٤) كان ابن حقه باز سوباشي قيصريه في عهد السلطان عزالدين كيكاوس . ويبدو أن السلطان علاء الدين كيقباذ قد قلده منصب النائب بدلاً من جلال الدين قيصر الذي ذكر المولوي أنه كان النائب أثناء دخول السلطان علاء الدين كيقباذ قونيه سلطاناً لدولة سلاجقة الروم بعد وفاة السطان عزالدين كيكاوس وأعاد جلال الدين قيصر إلى منصبه الأول الذي عينه عليه السلطان عزالدين كيكاوس بعد توليته السلطنة سنة ٦٠٨هـ ، كما ذكر ابن بيبي « وأعطى السلطان عزالدين الحجوبية لجلال الدين قيصر » . انظر صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦ب . الأوامر العلائية ص ١١٩ .

السوباشي أو الصوباشي : كلمة تركية قديمة بمعنى قائد عام الجيش ، وتنقسم إلى كلمتين : صوبا بمعنى الضابط باشي بمعنى رأس ، وكان لكل بلد سوباشي وتعني رئيس فرقة السباهية في الدولة العثمانية ، والصوباشي بالفارسية الوكيل في الضيعة من قبل صاحبها ومن يوكل إليه بحفظ الأمن. محمد أحمد دهمان ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ ؛ أحمد عطية الله : المرجع السابق ، ج٤ ، ص٣٥٠ .

(٥) الأوامر العلائية ص ٢٧٣ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ١٤٢ .

ويبدو أن ابن حقه باز قد حظي بثقة السلطان علاء الدين كيقباذ لما يتمتع به من حنكة وحسن تقدير الأمور إذ استشاره السلطان في أمر مصاهرة الأيوبيين « فاستصوب رأي العاهل »[١] على حد قول ابن بيبي وتكفل للسلطان بإنجاز تلك المهمة حيث توجه إلى ديار الشام بخزانة كاملة »[٢].

ويتضح من ذلك أن النائب أيضاً يدخل ضمن مهامه القيام بسفارة السلطان إلى الجهة التي يريدها . ولكن الموت لم يمهله لإكمال مهمته فتوفي في ملطيه وهو في طريقه إلى الشام ، حيث « انتدب السلطان شمس الدين التونبه الجاشنكير بدلاً منه»[٣].

أيضاً ممن ذكرهم ابن بيبي كنواب للسلطنة مبارز الدين ارتقش النائب في انطاليا[٤] والذي كان سابقاً أحد غلمان الخاصة للسلطان غياث الدين كيخسرو[٥]، ثم عُين نائب للسلطان في أنطاليا بعد فتحها سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٧م[٦]، وبقي نائباً بها إلى سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م حيث أصبح أتابكاً[٧] للملك غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ ، ويدل استمراره في حكم ميناء انطاليا أكثر من عشرين عاماً على نجاحه في إدارة أهم ميناء للسلطنة في جنوبي الأناضول على ساحل البحر المتوسط ، إذ استطاع بنجاح تنفيذ أوامر السلطان علاء الدين كيقباذ فمد نفوذ دولة سلاجقة الروم على الساحل الجنوبي للبلاد ولم يحد من تحركاته الناجحة تلك إلاّ عدم رغبة السلطان

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ص ١٥٠ ؛ Ibin Bibi, op.cit. p.295 .

(٢) الأوامر العلائية ، ص ٢٩٤ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٥٠ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ص ١٥٠ ؛ Ibin Bibi, op.cit. p.294 .

(٤) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ورقة ٥٧٨أ . انفرد منجم باشي بتلقيب مبارز الدين ارتقش نائب انطاليا بينما ورد ذكره عند ابن بيبي : الأوامر العلائية ، ص٩٩ بمنحه إمارة انطاليا في زمن السلطان غياث الدين كيخسرو ، « وعهد من حديد بقيادة الجيش للأمير مبارز الدين ... في عهد السلطان عزالدين كيكاوس » ، ص ١٤٦ . انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٤١ ، ٦٤ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ص ٤١ ؛ Ibn Bibi : op.cit. s.99 .

(٦) أخبار سلاجقة الروم ص ٤١ ؛ Ibn Bibi : op.cit. s.98 ؛ علي الغامدي : أنطالية ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٧) أخبار سلاجقة الروم ص ١٨٥ ، ٢٤٥ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ورقة ٥٨٠أ ؛ Ali Sevim, yaşar yücel, op.cit. s.159 .

الدخول في حرب مع الصليبيين في قبرص [١].

وكيفما كان الأمر فقد قام هذا النائب بدور بارز في حماية حدود الدولة الجنوبية مما جعل السلطان ينقله إلى الحدود الشرقية للدولة والتي تمثل صمام الأمان للدولة آنذاك ، فوكل أمر إدارتها إلى مبارز الدين ارتقش لكفايته في هذا المجال ، وكونه أتابكاً لابنه غياث الدين كيخسرو فإن هذه الوظيفة اتسمت في عصر دولة سلاجقة الروم بكونها تشريفية أكثر منها تنفيذية ، حيث بقي في إدارة أرزنجان إلى أن توفي ، ثم عهد السلطان إلى الجاشنكير سيف الدين التونبه بهذا المنصب سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م . [٢]

ومن المناصب المهمة في دولة سلاجقة الروم البرواناه [٣]وهو لفظ فارسي معناه في الأصل الحاجب وقد أطلق في دولة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى على الوزير ، حيث اكتسب متقلده مركزاً مرموقاً في الإدارة السلجوقية فقد كان للبرواناه ظهير الدين إيلي الدور البارز في تكوين جبهة معارضة ضد السلطان عز الدين قلج أرسلان الثالث ابن ركن الدين سليمان شاه وهو من أمراء الأطراف والمطالبة بعودة غياث الدين كيخسرو من منفاه ليتسلم مقاليد الحكم في الدولة حيث نجح في ذلك [٤]، ثم تجدد ظهوره بشكل فاعل في النزاع على السلطة بين ابني السلطان غياث الدين كيخسرو عزالدين كيكاوس وعلاء الدين كيقباذ سنة ٦٠٧هـ / ١٢٣٠م ، إذ ضمه علاء الدين كيقباذ إلى صفه واعداً إياه بوعود لم يبين ابن بيبي ماهي واكتفى بقوله : « وسلك ظهير الدين إيلي بالوعود الجميلة في سلك مؤيديه » [٥]. ويتضح لنا قوة مركزه وحرص كل من المتنازعين على كسبه لصفه من معاتبة السلطان عزالدين

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الفصل الخامس ص ١٨٠ - ١٨٥ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٥ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p458 .

(٣) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج١٥ ، ص ٦٤ ؛ انظر محمد أحمد دهمان : المرجع السابق ، ص ٣٣ ؛ محمد التونجي : المرجع السابق ، ص ١٥٢ ؛ Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.222 .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٩ ؛ انظر تفاصيل ذلك في الفصل الأول .

(٥) الأوامر العلائية ص ١١٤ ح انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٥٠ .

كيكاوس له في نفس النزاع بإرسال بعض الأبيات الشعرية [١]. ويبدو أن تمسك كلاً منهما بظهير الدين ايلي يعود لإخلاصه وحسن سياسته ، إذ عندما انفكت عرى التحالف بين حلفاء علاء الدين كيقباذ انطلق ظهير الدين إيلي إلى نيكده علّه يجد مناصرين له ، وعندما فشل في ذلك اتجه إلى الشام للاستنجاد بالأيوبيين ، إلاّ أن المرض داهمه في تل باشر « ولم يلبث بعد بضعة أيام أن لفظ أنفاسه فدفنوه هناك »[٢]، ولم ينس السلطان عز الدين كيكاوس هذا الموقف من جانب ظهير الدين ايلي إذ أمر سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م أثناء محاولته غزو حلب وعند مروره بتل باشر بإخراج عظامه وإحراقها « وأذرى ترابها في الهواء وبذلك تحقق له التشفي » [٣].

ومن أبرز من تقلد هذه الوظيفة جلال الدين قيصر ، والذي كان قبل ذلك حاكماً لقيسارية وشحنتها في عهد السلطان غياث الدين كيخسرو « وكان موضع ثقة السلطان ... واعزازه لما كان يتمتع به من دهاء وذكاء شديدين » [٤]، وهذه الصفات أهلته في سلطنة السلطان عزالدين كيكاوس إلى تقلد منصب البروانـاه « الحجوبيه »[٥]، حيث أثبت موقفه الانقاذي للسلطان عزالدين كيكاوس[٦] أحقيته هذا المنصب ثم ترقى إلى منصب النائب [٧]، إلاّ أن ابن بيبي يشير إلى أنه في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ مازال « بروانه » وأمام ذكر منجم باشي بأنه نائب ونعت ابن بيبي له بالبروانه يبدو أن علاء الدين كيقباذ أعاده لمنصب البروانه لما يتمتع به من كفاية إدارية فلم يرد التفريط به رغم أنه كان من مؤيدي أخيه السلطان عزالدين كيكاوس أثناء النزاع على السلطنة [٨].

---

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٥٠ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.114 .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٤ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.130 .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٩١ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.188 .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥١ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.115 .

(٥) ذكر ابن بيبي لفظ البروانكيه لجلال الدين قيصر بينما ورد في أخبار سلاجقة الروم « الحجوبية » انظر الأوامر العلائية ص١١٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ٥٤ .

(٦) انظر تفصيل ذلك الفصل الثاني ص ٣٨ - ٣٩ .

(٧) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ورقة ٥٧٦ب .

(٨) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ١٣٠ ؛ Ibn Bibi : op.cit. s.257 .

وللبرواناه رأيه في شخص السلطان ، وربما يؤخذ بهذا الرأي أو يهمل للمصلحة العامة ، ففي أثناء اجتماع الأمراء للبحث فيمن يجلس على عرش السلطنة بعد وفاة السلطان عزالدين كيكاوس حذر البرواناه شرف الدين محمد من ترشيح السلطان علاء الدين كيقباذ لأنه « حقود متكبر ... وسوف ينزل ... بكل شخص من الضربات ما لا يندمل » (١). ويرجع أساس تكوينه لهذا التصور عن السلطان إلى فترة ملازمته له في توقات عندما كان ملكاً بها (٢)، ولكن الأمراء لم يأخذوا برأيه « وقالوا : ليس بالإمكان طلب المزيد فوق الملك علاء الدين كيقباذ » (٣).

وقد اتضح فيما بعد صدق رأي البرواناه شرف الدين محمد عندما قضى السلطان على الأمراء كما مر بنا سابقاً (٤).

وفي عهد السلطان علاء الدين كيقباذ برز تاج الدين بروانه ابن القاضي شرف الدين الأرزنجاني الذي حظي بثقة السلطان حيث أمر بأن يسلم « الصاحب ضياء الدين قرا أرسلان وسعد الدين المستوفي وتاج الدين بروانه ابن القاضي شرف من المال ما يذهبون به نحو أخلاط والأرمن - أرمينية الكبرى - ويدبرون أمر تلك البلاد » (٥)، وهذه إشارة إلى إحدى مهمات البرواناه إذ أن عليه تسجيل كل الأملاك والعقارات وضبط الإيرادات والمصاريف العامة (٦)، وإصلاح ما خرب من الأملاك والأراضي الزراعية . وإقرار إدارة الإقليم كما في أخلاط وما حولها والتي ضمت إلى دولة سلاجقة الروم سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م (٧).

وكما برع البرواناه تاج الدين في الإدارة المدنية أثبت قدرته في المعارك

---

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ١٠٢ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ص ١٠٢ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.204 .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠٢ ؛ Ibin Bibi: op.cit. p.204 .

(٤) انظر الفصل الثالث ص ٦٩ - ٧٤ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٢٣ ؛ انظر :
Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Türkiye, s.377.

(٦) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٢٤ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨٠ ب ؛
Ibn Bibi : op.cit. s.438 ; Ali Sevim, yasar yücel : op.cit. s.161-162.

(٧) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٢٢٢ - ٢٢٧ .

العسكرية ، حيث « هجم ... مع عساكر نيكدة ... وألحق بجند الشام هزيمة كاملة»[١]، وذلك سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م عندما هاجم السلطان الكامل محمد بن العادل بلاد السلطان ، وفي سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م كلفه السلطان علاء الدين كيقباذ بمهمة قيادة القوات للإستيلاء على آمد « وفوض إليه زعامة الجيوش وسير في صحبته الجند ومعهم الآلات الحربية والعتاد ... »[٢].

وهكذا نجد أن كفاءة البرواناه تاج الدين في القيام بما يناط له من مهام إدارية ومالية وجرأته العسكرية قد أهلته ليكون أحد الأمراء الذين يُخطب ودهم وتطلب موافقتهم على إقرار السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ بعد وفاة والده مباشرة بدلاً من تثبيت ولي العهد الأخ الأصغر له في الحكم [٣]، وكان للبرواناه المكانة المتقدمة حتى على ملك الأمراء كمال الدين كاميار [٤]، الأمر الذي جعله هدفاً للتخلص منه حيث تم ذلك على يد ملك الأمراء سعد الدين كوبك[٥].

من المناصب الإدارية في دولة سلاجقة الروم وظيفة أمير المجلس[٦]والتي اختص بها سلاطين دولة سلاجقة الروم دون غيرهم من القوى السياسية المعاصرة . ولم تقتصر مهمات أمير المجلس على ما يتعلق بمجلس السلطان من ضيافات ، بل تعدى ذلك إلى قيادة الجيوش والقيام بالمهمات الرسمية ، ومن أشهر من تقلد هذا المنصب أمير المجلس مبارز الدين بهرامشاه الذي كانت له مكانة مرموقة في عهد السلطان عزالدين كيكاوس [٧]حيث تولى أمر قيادة طلائع قوات السلطان أثناء غزو السلطان أرمينية

---

(١) انظر اخبار سلاجقة الروم ص ٢٣٣ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٤٨ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Türkiye, s.404.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٤٩ .

(٥) سعد الدين كوبك هو أحد الأمراء المتنفذين في دولة السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ . انظر : أخبار سلاجقة الروم ص ٢٤٨ - ٤٦١ .

(٦) أمير المجلس : لقب من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره . انظر القلقشندي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٤٥٥ - ج١٥ ص ٥٠ .

(7) Cloud Cahen : Pre-Ottoman, p.223.

الصغرى سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م، وكان له موقف رائع في الوصول إلى عمق المعسكر الأرمني ، قال ابن بيبي : « ذهب أمير المجلس مع رجل أو اثنين من خدامه متنكرين قرب عساكر الكافر » (١)، وهذه دلالة على جرأته وإخلاصه إذ استطاع بتحركاته تلك من إعطاء السلطان صورة دقيقة للمعسكر الأرمني سجل ابن بيبي ذلك بقوله : « لقد وقف المملوك - أي أمير المجلس - وقوفاً كاملاً على قوة الجيش الأرمني وشوكته » (٢)، فنال بهذا العمل تكريماً من السلطان لا مثيل له ، إذ « رفع السلطان منزلته عن كافة الأمراء وخلع ما كان يلبسه وألبسه له » (٣).

وفي غزو السلطان عزالدين كيكاوس مملكة حلب سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م أمر بأن يتقدم أمير المجلس مبارز الدين بهرامشاه مع أربعة آلاف رجل ، يتبعهم أربعة آلاف رجل بقيادة سيف الدين أيبه الجاشنكير (٤)، وهذه إشارة أخرى إلى ثقة السلطان به حتى أنه قدمه على ملك الأمراء سيف الدين إيبه ويبدو أن الأخير استشعر خطورة المكانة التي وصل إليها أمير المجلس مما جعله يتقاعس عن اللحاق به مما أدى إلى وقوع مبارزالدين بهرامشاه في الأسر (٥).

ويبدو أنه لحسن إدارة أمير المجلس بهرامشاه وبراعته في إنجاز المهمات حتى وإن كانت ليست من ضمن واجبات أمير المجلس قد حظي بثقة السلطان عزالدين كيكاوس فأوكل إليه مهمة مرافقة الموكب السلطاني إلى أرزنجان لإحضار عروس السلطان ابنة فخرالدين بهرامشاه بن داود ملك أرزنجان (٦).

وعلى أية حال فإن أهمية مركز أمير المجلس مبارز الدين بهرامشاه قد جعلته أحد كبار الأمراء المؤهلين لاختيار السلطان الجديد بعد وفاة السلطان عزالدين كيكاوس سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م ، وفرض رأيه على المجتمعين بإقراره مع ملك

---

(١) الأوامر العلائية ص ١٦٥ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٧٦ .
(٢) المصدر السابق ص ١٦٦ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٧٧ . انظر تفصيل ذلك في الفصل الخامس ص١٩٤ - ١٩٦ .
(٣) أخبار سلاجقة الروم ص ٧٨ .
(٤) أخبار سلاجقة الروم ص ٩٤ ؛ Nejat Kaymaz : op.cit. s.146 .
(٥) انظر تفصيل ذلك ونتيجته في الفصل الرابع ص ١٢٩ - ١٣٣ .
(٦) انظر الأوامر العلائية ص ١٧٨ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص٨٥ - ٨٧ ؛ Osman Turan : Selçukular Zamanında... s.322.

الأمراء سيف الدين ايبه الملك علاء الدين كيقباذ على عرش دولة سلاجقة الروم وعمل على تهيئة مدينة سيواس أمنياً لاستقبال السلطان علاء الدين كيقباذ وعدم تسرب أنباء وفاة السلطان عزالدين كيكاوس إلى خارج القصر [١]، ويبدو أن تمكنه في عهد السلطان عزالدين كيكاوس قد جعله من كبار الإقطاعيين في الدولة الأمر الذي جعل له الكثير من الأتباع ، فقد ذكر ابن بيبي في إشارة إلى إقدام رجاله – أمير المجلس – « كان يغدق عليهم الإقطاعات والإطلاقات » [٢] مما جعله خطراً على السلطان علاء الدين كيقباذ حيث أبعده إلى سيواس مع احتفاظه بوظيفته [٣] كإجراء سريع للحد من زيادة نفوذه في الإدارة السلجوقية في العاصمة ، فكان لهذا التدبير من جانب السلطان استشعار أمير المجلس بعدم قدرته على التصرف كيفما يشاء في الإدارة كما كان سابقاً ، فاتفق مع جملة من الأمراء – شاطروه مشكلة تقليص نفوذهم – على التخلص من السلطان علاء الدين كيقباذ [٤] ، إلاّ أن محاولتهم تلك أجهضت في مهدها وقضي عليهم كما مر بنا سابقاً .

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال : هل كان المحرك في الإدارة السلجوقية المنصب أم الشخص نفسه ؟

مما سبق نجد أن الوظيفة الإدارية لها مهات خاصة معروفة كالبرواناه وأمير المجلس مثلاً ، ولكن بعد عرضنا لأبرز متقلدي هذه الوظائف حسب ما أوردته بعض المصادر والمراجع نجد أن الأمير المعيّن على هذه الوظائف يتعدى واجباته إلى مهمات أخرى قد تكون بعيده عن متطلبات عمله الإداري وبالتالي يزداد نفوذه وتحكمه في إدارة الدولة ، فأمير المجلس بهرامشاه وبفضل دعم السلطان عزالدين كيكاوس له احتل

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ١٠٥ ؛ Nejat Kaymaz, op.cit. s.148 .

(٢) جمع إطلاق ، ومعناه : إما تقرير عدل لما قرره أحد الملوك السالفة أو ابتداء في معروف أو زيادة في إحسان على ما كان مقرراً ومن معانيه أيضاً قطعة أرض تمنح وتعفى من جميع أنواع الضرائب . انظر محمد قنديل البقلي : المرجع السابق ، ص٣٦.

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠٧ ؛
Osman Turan : Selçukular Zamannda..., s.328 ; Nejat Kaymaz : op.cit. s.149.

(٤) انظر الفصل الثالث ص ٦٩ – ٧٤ .

مكانة أعلى من مكانة قائد القواد الذي هو أعلى المناصب العسكرية [(١)] ففرضت قوة شخصيته زيادة نفوذه وثرائه مما شكل خطورة على السلطان علاء الدين كيقباذ .

ومثالنا الآخر سيف الدين التونبه الذي كان أحد قادة الجيوش في عهد السلطان قلج أرسلان الثاني وابنه ركن الدين سيمان شاه عام ٥٩٨هـ / ١٢٠٢م [(٢)]، ولما اتصف به من كمال الحصافة وتمام النباهة [(٣)]، استطاع الارتقاء في مناصب الإدارة السلجوقية حتى وجد السلطان علاء الدين كيقباذ فيه ما يصلح ليحل محل النائب ابن حقه باز وإكمال المهمة الموكلة للأخير على خير وجه [(٤)]، ثم بعثه سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م سفيراً إلى السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي ليثنيه عن احتلال أخلاط [(٥)] رغم أنه في منصب الجاشنكير ، إذ بقي يحمل لقب الجاشنكير حتى عهد السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ ، إذ ذكره ابن بيبي بالأتابك . ويبدو أنه حصل على هذا اللقب بعد موقفه المؤيد للسلطان غياث الدين كيخسر ولاعتلاء عرش السلطنة رغم وجود ولي عهد أقره والده السلطان علاء الدين كيقباذ قبل وفاته ، وهذه دلالة على مكانة شمس الدين التونبه المرموقة مما جعله من أشهر رجالات الدولة داخلياً والتأثير على مجريات السياسة الخارجية [(٦)].

---

(1) Nejat Kaymaz, op.cit, s.143 ; Ali Sevim - Erdogan Merçil : op.cit. s.514.

(٢) نوره باذياب : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ص ١٥١ ؛ Ibn Bibi : op.cit. p.395 .

(٤) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ١٥٠ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ص ١٩٩ - ٢٠١ ، النسوي : المصدر السابق ص ٣١٧ .

(٦) ذكر في الأوامر العلائية ص ٧١ ، أخبار سلاجقة الروم ص ٢٥٢ ، أن سيف الدين التونبه قتله النائب سعد كوبك في عهد السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ ولم يحدد التاريخ ولكن قبل معركة كوسه داغ . بينما يرد اسمه مرة أخرى في فترة حكم الاخوة أبناء غياث الدين كيخسرو أي ما بين سنة ٦٤٦ وسنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٨ - ١٢٤٩م وانه تذمر من حالة الدولة المتدنية وقارنها بقوتها وعظمتها في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

وأمام قولي مؤلف أخبار سلاجقة الروم ومن قبله ابن بيبي في الأوامر العلائية المتناقضين فإننا نرجح القول الأخير وذلك أنه أولاً لم يثبت قتل شمس الدين التونبه بل قال : أخرجه - أي سعد الدين كوبك - من صف الأكابر وسلمه لأحد الحراس لكي يذهب به إلى الخارج ويقتله ص ٢٥٢ .

وربما انه لم يقتله بل احتجزه سراً عن كوبك لما لشمس الدين من مكانه خاصة في نفوس

=

إذ يبدو أن قوة شخصية الأمير هي المحرك في الإدارة السلجوقية فهناك الكثير من الأمثلة سجلها ابن بيبي ومن أخذ منه من المؤرخين حيث اتضح دور هؤلاء الأمراء في دولة سلاجقة الروم بعد وفاة السلطان علاء الدين كيقباذ واعتلاء العرش سلاطين ضعفاء [١] أوصلوا الدولة إلى الدخول في تبعية المغول وبشروط مذلة [٢].

وعلى أية حال فإن تركيزنا على هذه المناصب لا يعني عدم وجود المناصب الإدارية المكونة لهيكل إدارة أي دولة إسلامية في ذلك العصر كالوزير والشحنة وأمراء الدواوين وغيرهم . فمنصب الوزير بشكله الرسمي موجود إلاّ أن متقلده لا يكاد يظهر نشاطه في خضم الإدارة السلجوقية في فترة موضوع البحث حقيقة أن الوزير اختيار الدين حسن بن جفراس كان له الأثر البارز في عهد السلطان عزالدين قلج

=

الأمراء وعامة الناس وذلك لاسهاماته الفاعلة في أعمال الخير وذلك حسب ما ذكر في وقفيته ثم اتجه خارج السلطنة .

يستدل من الطريقة التي عرف بها شمس الدين حال السلطنة احتمال ذلك إذ قال : « وفي هذه الأثناء وصل شمس الدين التونيه إلى حضرة السلطنة فرأى الأمور مشعثه » ص ٣٣٤ ، ثانياً : أسلوب التقريع للأمراء من قبله على ماصلت إليه حالة السلطنة تدل على أنه بالفعل مازال على قيد الحياة إلى ذلك الوقت . ولكن استنكاره هذا أدى بحياته على حد قول مؤرخ أخبار سلاجقة الروم : « ولشد ما أوغرت نصائح شمس الدين التونيه صدر « تركري » فثارت في حسده بحار الحسد لما كان بينهما من تضاد في سفاهة هذا ونباهة ذلك وحمل رحل على أن يذيقه السم ... وأوصله إلى منازل الرضون بعد ثلاثة أيام » .

انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٣٥ ، نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٢٠١ ؛ تركري من أكابر الأمراء ومن أبناء مماليك السلطنة ، أخبار سلاجقة الروم ص ٣٣٤ .

(١) أخبار سلاجقة الروم ص٢٤٨ - ٢٦١ . سجل مؤلف أخبار سلاجقة الروم حال السلطنة على لسان مهذب الدين قائلاً : « طالما أن أمر السلطنة قد وصل إلى هذه المنزلة السافلة بسبب حداثة عهد السلطان وجهله - غياث الدين كيخسرو - فإنه يتعين علينا أن ... تنطلق في أثر المغل ونأخذ في طرق باب الصلح والمدنة » . انظر ص ٢٩٣ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٢٦٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم : ص ٢٨٣ - ٢٩٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص١٠٥ ؛ ابن أيبك : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٣٥٢ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ج١ ، ص ١٧١ ؛
Setton : A History of The Crusades, The University of Wisconsin, 1969, Vol.II. p.691-692.

أرسلان الثاني(١) وزُج باسمه في صراع أبناء قلج أرسلان على السلطه حيث قُضي عليه نتيجة هذا التدخل (٢) ، إلا أنه في الفترة التالية للسنوات ٦٠٠ - ٦٣٤هـ / ١٢٠٤ - ١٢٣٦م للدولة سلاجقة الروم لم يعد للوزير أهمية أو دور فاعل في الجهاز الإداري كما كان في السابق أو أسوة بالأمراء سابقي الذكر حتى مسماه الوظيفي تغير إلى الصاحب فيقال : « صاحب الأعظم أو صاحب السلطان » (٣) كما يبدو أن الوزير قد اختص بالنظر في أملاك الدولة وتقييدها في الديوان ، قال ابن بيبي : « لحق الصاحب ضياء الدين (٤) وتاج الدين بروانه وسعد الدين المستوفي وفي صحبتهم ألف فارس بإقليم أخلاط ونصبوا الديوان فسجلوا كل الأملاك والعقارات ودعوا المزارعين وأرباب الأراضي للعودة إلى أراضيهم ... وضبطوا الإيرادات والمصاريف العامة » (٥) أي انه اقتصرت مهامه في الإدارة على الشوون المدنية بخلاف الأمراء الذين سبق استعراضهم، ويبدو أن ذلك عائد إلى قوة السلطان نفسه ، إذ بعد وفاة السلطان علاء الدين كيقباذ وازدياد نفوذ الأمراء في تسيير دفة الإدارة السلجوقية في عهد ابنه السلطان غياث الدين كيخسرو برزت مكانة الوزير « الصاحب مهذب الدين » وخاصة في أعقاب معركة كوسه داغ سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م ، فكان له الفضل بالاشتراك مع قاضي اماسيه في إنقاذ الدولة والتوصل مع المغول إلى صلح حفظ كيانها واقتصرت التبعية على إرسال ما اُتفق عليه من أموال (٦).

---

(١) انظر توني عبداللطيف : المرجع السابق ص ٢٨٧ - ٢٩٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج١٢ ، ص ٨٨ - ٩٠ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص ٩٧ ؛ إبن واصل : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤١١ ؛
Osman Turan : Selçukular Zamaninda Türkiye, s.272-276 ; Nejat Kaymaz, op.cit, s.122-123; Claud Cahen : Pre-Ottoman, p.

(٣) استُعمل الصاحب كنعت اطلق على الوزير إسماعيل بن عباد وزير بني بويه بأصفهان ، ويقال أنه نعت بذلك لأنه كان يصحب ابن العميد « صاحب ابن العميد » ثم صار لقباً على من ولي الوزارة بعده . انظر حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٣٦٧ .

(٤) ضياء الدين قرا أرسلان كان أمير الدواة في عهد السلطان عزالدين كيكاوس ومع ذلك أرسل لتحصيل الخراج من الملك ليون ، انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨٠ .

(٥) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ؛ Ibn Bibi : , op.cit. p.437 .

(٦) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٢٩٣ - ٢٩٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج٢٧ ، ص١٠٥ .

أيضاً من الوظائف التي لها موقعها في الهيكل الإداري الشحنة والتي برز متقلدها في بعض الفترات إذ كان لشحنة قيصريه جلال الدين قيصر الدور الفاعل في إنهاء حصار الملك علاء الدين كيقباذ لأخيه السلطان عز الدين كيكاوس سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م كما مر بنا سابقاً ، الأمر الذي جعل السلطان يعلي من مرتبته ويُعينه على وظيفة كبير الحجاب ثم البرواناه .

أما بالنسبة للديوان فبطبيعة الحال لم يختلف عن ما عُرف في دولة السلاجقة العظام ويتضمن ديوان الإنشاء « الطغراء » ، ديوان الاستيفاء ، ديوان العرض ، ديوان أشراف الممالك ، ديوان الخاص [1].

ومن أبرز موظفي ديوان الإنشاء ملك الكتاب شمس الدين حمزة بن المؤيد الطغرائي الذي كان ضمن مجلس الشورى لاختيار سلطان دولة سلاجقة الروم بعد وفاة السلطان عزالدين كيكاوس سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م . وكذلك المنشئ الخاص

---

(١) ديوان الإنشاء : هو أهم الأعمال الديوانية ورئيسه من رجال القلم ويتلقب بصاحب ديوان الإنشاء ، وكان من يتولى ديوان الإنشاء لابد أن يكون ملماً بأعمال الكتابة وكان منهم من يعرف بالضرورة اللغات الأجنبية . انظر : محمد قنديل البقلي : المرجع السابق ص١٤٣ - ١٤٤ .

ديوان الاستيفاء : متقلده المستوفي الذي يضبط الديوان ، وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك . انظر : القلقشندي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٤٦٦ ؛ توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

المشرف في هذا الديوان كان بمثابة عين السلطان على رعيته ومن مهامه القيام بجمع المعلومات والأخبار التي تتعلق بالدولة وأمنها . انظر : توني عبداللطيف ص ٢٩٥ ؛

Ali Sevim - Erdogan Merçil : op.cit. s510.

ديوان العرض : هو الديوان المسؤول عن الأعمال العامة بالجيش ويطلق على رئيسه صاحب ديوان العرض ومهمة هذا الديوان هو تقييد وإدارة المعاشات والمرتبات وجميع أنواع الدخل وإقطاعات أصحاب الرتب العسكرية المختلفة .

Ali Sevim - Erdogan Merçil : op.cit. s.509.

ديوان الخاص : يطلق على المؤسسة التي تدير أراضي السلطان . وكان السلطان يُقطع أفراد العائلة السلطانية من تلك الأراضي . انظر :

Ali Sevim - Erdogan Merçil : op.cit. s.510.

انظر القلقشندي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٤٥٢؛ محمد قنديل البقلي : المرجع السابق ، ص١٤٥.

شمس الدين الأصفهاني والذي ترقى في المناصب حتى أصبح نائباً للسلطنة [١] في عهد السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ . ولايفوتنا هنا ذكر والد مؤلف الأوامر العلائية ابن بيبي : « الأمير مجد الدين محمد الترجمان » الذي عينه السلطان علاء الدين رئيساً لديوان الإنشاء الخاص وبلغ من ثقة السلطان به أن كلفه بحمل الرسائل إلى البلاطات الكبرى كبغداد والشام والمغول ، ويتضح من تلقبه بالترجمان أنه كان يتقن عدة لغات [٢]. ومع ذلك فإن دوره في الإدارة السلجوقية لم يظهر كسابقيه من أصحاب الإنشاء ، ويعادل أهمية ديوان الطغراء ، ديوان الاستيفاء إذ برز المستوفي في الإدارة السلجوقية في فترة موضوع البحث وخاصة في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ سعد الدين المستوفي الأردبيلي الذي كان ثالث ثلاثة في الإدارة السلجوقية البرواناه والصاحب لتقرير أحوال أخلاط المالية والإدارية « وقد امتاز سعد الدين بإتقان عمله وعلو كعبه في العلوم الحسابية » [٣] .

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ؛ Ibn Bibi : op.cit. s443-444 .

(٣) توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .

الإقطاع الحربي والجيش والبحرية

لما كانت دولة سلاجقة الروم إحدى فروع دولة السلاجقة العظام ، فإنها قد سارت على نفس رسومهم ونظمهم وخاصة نظام الإقطاع (١)، إلاّ أن دولة سلاجقة الروم طبقته بشكل يخدم الدولة دون خروج الإقطاع عن سلطتها ، فعرف هذا الإقطاع بالإقطاع العسكري « الذي يقوم على أساس تنازل الدولة عن جزء من خراج أو ضريبة قطعة معينة من الأرض الخاصة بها لرجال الجيش مقابل خدمات عسكرية يؤدونها للدولة » (٢)، وذلك في ظل المركزية في الحكم . ويبدو أن سلاطين دولة سلاجقة الروم قد أدركوا عدم جدوى تطبيق النظام الإقطاعي السلجوقي بعد التجربة التي خاضها السلطان عزالدين قلج أرسلان الثاني عندما « حول البلاد إلى إقطاعيات عمومية فيما بين أولاده ... فجلبت هذه التجربة الدمار على الأسرة وقامت صراعات داخلية بين الأمراء إلى أن نجح أكبرهم في توحيد البلاد تحت سيطرته » (٣) . لذا نجد سلاطين دولة سلاجقة الروم قد فضلوا منح الإقطاعيات لكبار أمرائهم وقادتهم بحيث يكونوا قادة وحسب للجنود المنتمين لتلك المناطق أكثر من كونهم سادة ومُلاّك لتلك المناطق ، وحمل هؤلاء المقطَعين القادة لقب سوباشي (٤)، ولهذا السبب لم تود الإقطاعات إلى الإنقسام السياسي في الأناضول (٥) كما حدث في دولة السلاجقة العظام . كما أن ذلك النظام شجع أصحاب الإقطاعيات الصغيرة على العناية بالإقطاع وزيادة الإنتاج مما أدى بدوره إلى الرخاء الاقتصادي . فأصبحت دولة سلاجقة الروم من أغنى الدول في الشرق في النصف الأول من القرن السابع الهجري /

---

(١) عثمان توران : الأناضول ، ص ٣٤ .

(2) Osman Turan : Tûrkiye Selçuklular inda, Toprak Hukuku Miri Topraklar Ve hususi mûlkiyet şekilleri, Belleten, cilt: XII, sayi: 47 , Temmuz 1948, s.550.

(3) Claud Cahen: Selçuki Devleteri Feodal devletler miidi ?, Cevireh - L.Güçen. istanbul ünive. I
ktisat Fakültesimecmuas, 17.c. 1-4. Sayi, 10.1955, 7. 1956.s.354.

(4) Cloud Cahen : Pre-Ottoman, p.233 .

(٥) عثمان توران : الأناضول في عهد السلاجقة ، ص ٣٤ .

الثالث عشر الميلادي[١].

إضافة إلى ذلك فليس من حق الـمُقطَع توريث هـذه الإقطاعيـة كمـا أنـه لا يضمنُ بقائه في هذه الإقطاعية ، إذ ربما يُنقل إلى إقطاعية أخرى ويُمنـح إقطاعـه لأمـير آخر وذلك حسب رغبة السلطان [٢]، فعند تولي السلطان الجديد تكـون أولى مهماتـه تجديد ما بأيديهم – الأمـراء – « مـن وثـائق الأمـلاك والإقطاعـات » [٣] ، أو « منح مناشير الإقطاعات » [٤].

اتضح ذلك من إقطاع مبارز الدين حاولي في عهد السلطان عزالدين كيكاوس أبلستان [٥] أما في عهد السلطان علاء الدين كيقبـاذ فقـد أقطـع سـيواس [٦] ، ويبـدو ذلك بعدما تخلص السلطان من أمير المجلس مبارز الدين بهرامشاه [٧] ، وكذلك مدينـة نيكده التي كانت لزين الديـن بشـاره ، ثـم أصبحـت في عـهد السـلطان عـلاء الديـن كيقباذ للبرواناه تاج الدين [٨] ثم تحويلها إلى القـائد الخوارزمـي « ليـلان نوغـو بصفـة إقطاع » [٩] ، وإقطاع البرواناه تاج الدين انقرة بدلاً عن نيكدة [١٠] .

ولا يقتصـر منـح الإقطاعيـات علـى الأمـراء وكبـار قـادة الدولـة ، بـل هنـاك إقطاعيات لبعض الحكام الذين سيطرت السلطنة على مدنهم وأنهت (أو وضعت حداً لاستقلالهم) مثل كيرفارد صـاحب قلعـة كـالورنوس (العلائيـة) إذ منحـه السـلطان علاء الدين كيقباذ إمارة آقشهر قونيـه وملكيـة عـدد مـن القـرى وكـتب لـه منشـوراً

---

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٤٢ ؛ Setton : op.cit. Vol.II. p.687.

(2) Cloud Cahen : Selçuki Devlctleri Feodal Devletmi miidi ?, p.356.

(٣) أخبار سلاجقة الروم ص ٥٤ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.120-121 .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ص ١٠٦ ؛ انظر : Ibin Bibi : op.cit. 214 .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ص ٥٤ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٧) المصدر السابق ص ١٠٧ ، ١٣٦ ، ١٤٠ .

(٨) المصدر السابق ، ص٥٤ .

(٩) المصدر السابق، ص ٢٢٩ .

(١٠) المصدر السابق ، ص٢٥٢ .

بذلك (١) . وذلك عوضاً له عن قلعته التي سيطر السلطان عليها واطلق عليها اسم العلائية . كما أقطع السلطان علاء الدين كيقباذ الملك علاء الدين داود شاه بن فخرالدين بهراشاه صاحب أرزنجان إقطاعاً داخلياً عوضاً عن ارزنجان التي ضمها إلى دولته فسجل ابن بيبي ذلك بقوله : « وأنعم عليه فأقطعه أقشهر قونيه مع أبكرم»(٢). ونلاحظ في صيغة المنح هذه أن هناك اشتراك في الاستفادة من الإقطاع وربما يعود ذلك إلى اتساع مساحته ، فقد ذكر ابن بيبي (٣) أن اقشهر قونيه مُنحت لكيرفارد والملك علاء الدين داود شاه إلى جانب قرى أخرى . ونظراً لندرة تناول المصادر لكيفية توزيع الإقطاع وطريقة الاستفادة منه بصورة واضحة في فترة موضوع البحث، فإنا نجد صعوبة في سبر أغواره والاطلاع على أبعاد تفاصيله ، إذ يكتفي المؤرخون بقول : « ومنح مناشير الإمارات والمناصب والإقطاعات » (٤) ، والمعلومات التي بين أيدينا عن الإقطاعات كثيراً ما تدور حول الإقطاعات الكبيرة لأهميتها ومكانة أصحابها السياسية ، وفي نص منشور تعيين الأمير كمال الدين كاميار على ولاية قيساريه يتضح لنا الواجبات المطلوبة من الـمُقطَع وهي « تعمير الولاية ، رعاية جانب الرعية ، الإهتمام المباشر بترتيب إعداد الجيوش وانتظامها بعدتها وعتادها » (٥) .

ومن صفات هؤلاء الجند الطموح والحماس والبسالة والشجاعة ، كما حدد المنشور راتب كمال الدين كاميار بمبلغ ١٨٠ درهم شهرياً . (٦)

وبعد معرفة محتوى هذا المنشور نستشف أن الهدف من تضييق إطار الإقطاعات القضاء على التقسيمات الإقطاعية ، لذلك عُين القادة بما فيهم الكبار بمرتب محدد مع تحديد الصلاحيات ، وقد يتبادر إلى الذهن سؤال وهو : كيف يقطع

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٥ .

(٢) الأوامر العلائية ، ص ٣٥٨ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٨٤ .

(٣) الأوامر العلائية ، ص ٢٤٧ ، ٣٥٨ ؛ وانظر أخبار سلاجقة الروم ص ١٢٥ ، ١٨٤ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ص ١٠٦ ، انظر : منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦ب.

(5) Osman Turan : Türkiye Selçuklulari Hakkinda Resmi... s.75.

(٦) في نص المنشور لم يحدد قيمة العملة ولكن عثمان توران ذكر بأن الـ ١٨٠ درهم ، انظر :
Osman Toran : Tûrkiye Selçuklulare Hakkinda Resmi , s.76.

الأمير كمال الدين كاميار أحد الأمراء الكبار ولايه قيساريه المدينة الثانية لدولة سلاجقة الروم من حيث الأهمية الاستراتيجية والسياسية وبهذا المرتب القليل ؟

الحقيقة أن لكمال الدين كاميار إقطاع سبق أن منحه إياه السلطان علاء الدين كيقباذ ، وفي ذلك يذكر ابن بيبي : « وأنعم عليه فأقطعه ولاية زره وكان حاصلها مائة ألف نقداً وحاشيته فيها ستين شخصاً » (١) ، لذا يبدو أن إقطاعه قيساريه الهدف منه الإطمئنان على أن تكون هذه المدينة المهمة في أيدي أمينة ويدير شؤونها أحد الأمراء الثقات وهو كمال الدين كاميار (٢) ، خاصة وأن السلطنة في تلك الفترة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م تعيش صراع مع السلطان الأيوبي الملك الكامل محمد ، إضافة إلى الغارات المتكررة في شرق البلاد مع المغول . لهذا وذاك تقلد كمال الدين كاميار رعاية هذه المدينة كإقطاع . ولم تنحصر صلاحية منح الإقطاع على السلطان السلجوقي فقط ، بل هناك من الأمراء أصحاب الإقطاعات الكبيرة ممن منح إقطاع لأتباعهم ومن هم دونهم ففي إشارة لابن بيبي إلى مدى إخلاص رجال أمير المجلس مبارز الدين بهرامشاه أنه « كان يغدق عليهم الإقطاعات والإطلاقات » (٣) .

وعلى أية حال فقد وظف سلاطين سلاجقة الروم الإقطاع لصالح قوة الدولة العسكرية ، حيث تشكّل جيش كبير للدولة دون أن يكون هذا الجيش عبئاً على الدولة (٤) ، وبالإضافة إلى هذا هناك قوات عسكرية لا ينتمي أفرادها لإقطاع معين ، تُسَجَّلُ أسماؤهم على لوائح العطاء فتصرف لهم جامكيات وهم جزء من الجيش النظامي المستعد للقتال دوماً ، ويسمى الأجر الذي يأخذونه أو سهمهم في نهاية الحرب « أتا » (٥) .

---

(١) الأوامر العلائية : ص ٢٧٣ ؛ انظر : تاريخ سلاجقة الروم : ترجمة محمد علاء منصور ، ص ١٨١ ؛ انظر : أخبار سلاجقة الروم ص ١٤٢ذكر مترجمه بأن النص غير واضح .

(٢) انظر : Osman Toran : Türkiye Selçuklulare Hakkinda Resmi, ss.74,75 .

(٣) الأوامر العلائية ، ص ١٦٦ .

(4) Coşkun Alptekin : Selçuklu Devletinin Askeri Teşkilatinin eyyubi DevletiAskeri Teşkilatina Tesiri, Belletten, C, Liv, sayi 209, 1990, s.117.

(٥) انظر : أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٣ ؛ Coşkun A Lptekin : op.cit. s.117 .

فكما أسلفنا الهدف من الإقطاع تأمين قوة عسكرية عند الطلب « فالدولة السلجوقية التي قامت على النظم والتقاليد العسكرية التركية القديمة قد أدركت عدم كفاءة نظام الجيش الذي يعتمد على العبيد والجنود الأحراء في إدارة الدولة وتحقيق الأهداف العسكرية ، فأعادت تنظيم كل المناطق التي استولت عليها طبقاً للأسس العسكرية القديمة (١) ، واستحدثت ولأول مرة نظام الإقطاع العسكري فحقق بذلك إمداد السلطان بالقوة العسكرية اللازمة عند الحاجة ، فعلى سبيل المثال عندما أراد السلطان عزالدين كيكاوس الهجوم على حلب سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م ، « أصدر أمراً للأمير نصرة الدين صاحب مرعش بأن موكب السلطان سيصل إلى تلك الحدود مصحوباً بالجنود والجيوش فيتعين عليه إذاً إعداد جيشه القديم ... وأن يكون جيشاً بقدر ما يستطيع من المشاة والفرسان ، ويجهز بآلة الحصار ... كما أصدر أمراً آخر بنفس المعنى لأمراء ملطية وسيواس وأمراء الأوج » (٢) ، وهذا ينطبق على جميع التحركات العسكرية التي قام بها سلاطين دولة سلاجقة الروم خلال الحقبة موضع الدراسة ، سواء كانت هذه التحركات هجومية أو دفاعية .

والحقيقة فإن هذا النظام قد ساعد على تكوين قوة عسكرية ضخمة ، فالجيش السلجوقي يعتبر أقوى جيش في تاريخ الدولة السلجوقية الرومية ، حيث ذكر المؤرخ الفرنسي Vincent de Beavri بأن للسلطان ٥٠,٠٠٠ فارس وكان يصرف على كل واحد منهم ١٠٠٠ دينار ذهبي ، كما وصلت القوات الخاصة إلى ١٦ ألف جندي(٣)، بينما وصلت القوات المركزية في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ ١٢.٠٠ من أصل ١٠٠,٠٠٠ مئة ألف جندي بما فيه جنود الإقطاع (٤).

ولم تختلف التشكيلات العسكرية لدولة سلاجقة الروم عن سابقتها دولة

---

(1) Coşkun Alptekin : op.cit, s.117.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨٩ ، وانظر : Ibin Bibi, op.cit. p.185 .

(3) The Encyclopedia of Islam : Vol.6, p.658; نقلاً عن : Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiye, s.399 - 400 .

(٤) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص٢٨٠ ، أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٢ ؛ عثمان توران : الأناضول، ص ٢١٢ .

السلاجقة العظام ، فتكونت عناصر جيش سلاجقة الروم من :

١ - قوات الخاصة (الغلمان) [١] : حيث كان الغلمان يوخذون للقصر في سن صغيرة فيعلمون ويدربون ثم يلتحقون بالقوات الخاصة وكان جزء منهم يخدم السلطان والجزء الآخر مشاة [٢] ، ومن أشهر غلمان الخاصة الأمير مبارز الدين ارتقش [٣] .

٢ - القوات التي يقدمها أصحاب الإقطاعيات : وهم سباهية الإقطاع حيث كان أصحاب الإقطاعات ملزمين بإعدادها وتجهيزها ، وعلى أتم الاستعداد للحرب في كل وقت [٤] .

٣ - قوات الإمارات التابعة [٥] : وهم اولئك الذين يلتزم أصحاب الإمارات ذات الحكم الذاتي بمساعدة سلاطين دولة سلاجقة الروم بالقوة العسكرية عند الحاجة، ذكر Vincent de Beavri أن من ضمن القوات التي يرسلها الأتباع « أرسل الملك الأرمني ثلاثمائة مزراقي لخدمة السلطان لمدة أربعة شهور سنوياً »[٦].

٤ - التركمان : وهم القبائل التركية المنتشرة في الأناضول « وكان اشتراكهم في الحروب لغاية أخذ السهم من الغنائم » [٧].

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ص٤٥ ، انظر :
Ibin Bibi, op.cit. p.195 ; Ali Sevim . Erdgan Meriçit : op.cit. s.512 .

(2) Coskun Alptekin : op.cit. p.117; Vryonis: op.cit, p.p.175, 182; Ali Sevim. Erdogan Merçil : op.cit. s.513.

(٣) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٤١ - ٤٥ - ٩٧ .

(4) Coşkun Alptekin: op.cit. p.117 ; Ali Sevim. Erdogan Merçil : op.cit. s.513.

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٦٩ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ورقة ٥٧٥ب ؛
Ali Sevim. Erdogan Merçil : op.cit. s.512.

(٦) نقلاً عن :
Osman Toran : Selçuklulare Zamaninda, p.346 ;
انظر أخبار سلاجقة الروم ص ١٧٣ ؛
Osman Toran : op.cit. p.p.3, 347.

(7) Coşkun Alptekin : op.cit, p.117 ; Vryonis : op.cit, p.182 ; Ali Sevim Erdogan MerCil : op.cit. 513.

٥ - الجند المأجورين (١) : حيث كانت الدولة تستأجر قوات عسكرية بصفة مؤقتة وكانت تسمى « أجري خار » (٢) وكانوا يختارون في بعض الأحيان من غير المسلمين (٣)

هذا إلى جانب وجود أصناف أخرى مساعدة وخاصة أثناء الحصار مثل الحجارون والنفاطون وكذلك صانعي الأحذية وحدوات الخيول (٤) .

ويشير ابن بيبي في أكثر من موضع إلى انضمام عناصر أخرى للجيش السلجوقي مثل الروم والكرج والروس (٥) ، وكذلك القزاونة والديالمة (٦).

و لم يخرج تنظيم تلك القوات العسكرية في ميادين القتال عن النظام المتبع في الدول الإسلامية المجاورة آنذاك إذ كان على نسق كتائب تشبه ترتيب أعضاء جسم الإنسان الرئيسة فالجذع في الوسط بمثابة قلب العسكر ، والرأس في المقدمة بمثابة طليعة العسكر أو المقدمة ، واليدان في الجهتين بمثابة جناحي الميمنة والميسرة ، ثم الساقين معاً في الخلف بمثابة مؤخرة أو ساقة الجيش ، وقد أطلق على هذا التنظيم تسمية التخميس لأنه قائم على خمسة أجزاء (٧) . وقد اتضح بعد دراستنا لطبيعة المعارك التي خاضها الجيش السلجوقي أن لمقدمة الجيش والتي تعرف بالطلائع الدور الأساسي في وضع الخطط العسكرية إذ على ضوء التقارير التي ترد من قائد الطلائع يتم تنظيم سير المعركة المرتقبة . فمن مهمات قائد الطليعة الاستطلاع والاستكشاف

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ص ٤٠ ؛
Osman Turan : Selçulular Zamanind Turkiye, s.400 ; Ali Sevim, Erdogan Merçil : op.cit, p.513 .

(2) Coskun Alptekir : op.cit. p.118.

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٢٣ ؛ Coşkun Alptekin : op.cit: p.118 .

(4) Osman Turan: Selçuklula Zamaninda Turkiye , p.346; Coskun Alptekin: op.cit. p.117.

(٥) الأوامر العلائية ، ص ٣٩١ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ٢٠٦ ؛ انظر : ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

(٦) الأوامر العلائية ، ص ٢١٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ١٠٩ .

(٧) سلاجقة الروم ، ص ١٣٢ ؛ محسن محمد حسين : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .
Coskun Alptekin : op.cit. p.117.

وتقدير قوة العدو وكشف مواطن الضعف فيه (١) .

وكما سار تنظيم الجيش السلجوقي على نسق تنظيمات الجيوش الإسلامية المجاورة أيضاً استخدم في الجيش السلجوقي نفس الأدوات والآلات الحربية المعروفة آنذاك ، إذ كانت أسلحة المشاة خفيفة تتناسب وطبيعة المهام التي يقومون بها ، فكانوا يستعملون السيوف والأقواس والرماح القصيرة والدروع .

وبالنسبة للفرسان ، فبالإضافة للأسلحة السابقة كان الفرسان يستخدمون الدبوس (٢) ، كما استخدم في حصار القلاع آلات الحصار المعروفة مثل المنجنيقات والسلالم والعرادات (٣) ، وكذلك شاركت فرق النفاطون والنقابون القوات العسكرية في حصار القلاع والمدن وكان لهم الدور الفاعل في إسقاط تلك القلاع والمدن (٤).

كما كان يصاحب الجيش السلجوقي فرق ملحقة مثل الفرق الهندسية التي تقوم بمهمات تتطلب معرفة خاصة بشؤون الهندسة العسكرية التي يلزمها القتال . ومن تلك المهمات بناء الجسور ففي حرب السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ مع الملك الكامل محمد سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م أمر - علاء الدين كيقباذ - الجنود المكلفون «بمد الجسور على نهر الفرات ... » وأن تعبر العساكر بأسرها » (٥)

أيضاً من الفرق الملحقة الفرقة الطبية ، حقيقة لم تعطنا المصادر التاريخية توضيحات عن هذه الفرقة ودورها في الخطوط الخلفية لأرض المعارك إلاّ ان ابن بيبي أشار بمصاحبة الأطباء للسلطان في خروجه وذلك عندما تعرض السلطان علاء الدين

---

(١) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٩٤ ، ص ٦٦ .

(٢) الدبوس من الأسلحة الفردية وهو مصنوع من رأس من الحديد ونصابه من الخشب المحكم التقدير والتدوير ويستعمل هذا السلاح لتهشيم رأس العدو . انظر محسن محمد حسين : المرجع السابق ، ص٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٣) العرادة نوع من المنجنيقات استعملت لإلقاء الحجارة والسهام وهي أشبه بالمدفعية الخفيفة ، انظر محسن محمد حسين : المرجع السابق ص٣٠٧.

(٤) انظر : أخبار سلاجقة الروم ص.ص ٤٠ ، ٦٣ ، ٧٥ ، ١٢١ ، ١٤٣ ، ١٤٧ .

(٥) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٢٣٢ ؛

Osman Turan : Selçukluler Zamaninda, p.379, 380.

كيقباذ لخراج في عنقه سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م استدعى الأطباء [١] لعلاجه [٢] .

أيضاً هناك الفرق الموسيقية المصاحبة للقوات السلجوقية والتي تتكون آلاتها من طبلة ، وطبلة كبيرة وأبـواق النفـير [٣] ، وتعـزف هـذه الفرقـة مقطوعاتـها في حضـرة السلطان عند استقباله لكبار ضيوفه ، فعندما حضر محي الدين بن الجوزي مـن طـرف الخليفة العباسي حاملاً معه منشور السلطنة وخلعة الخلافة [٤] أمر السلطان علاء الدين كيقباذ باستقباله « بالمظلة والطبول » [٥] .

أما في أوقات الحـرب فتقـرع الطبـول لإثـارة حمـاس المقـاتلين وإعـلان بشـائر النصر [٦].

وهناك الراية أو العلم التي تعد من علامات السلطنة ولها أهمية خاصة ، إذ مـن ضمن الفرق المصاحبة للجيوش السلجوقية فرقة حملة الراية ، فقد ذكـر مؤلـف أخبـار سلاجقة الروم بأن الجيش الـذي أعـده السـلطان عـلاء الديـن كيقبـاذ لإنجـاد الخليفـة العباسي سنة ٦١٨هــ / ١٢٢١م انتظـر في ملطيـة قـدوم الرايـة السـلطانية لصحبتـه « فسرح السلطان الراية بصحبة ظهير الدين ... مع المبارزين والجنائب والحراس وخـزان السلاح ... فلما وصـل ظـهير الديـن مـع الرايـة ... انطلقـوا بنظـام لم يشـهد أحـد لـه نظيراً » [٧].

و لم تمدنا المصادر بمعلومات واضحة عن ألوان تلك الرايات أو أنواعها ، ولكن في إشارة لابن بيبي للون أعلام السلطنة عند ذكر فتح قلعة (كالورينوس) العلائية :

---

(١) ذكر ابن بيبي هؤلاء الأطباء بأنهم فريد الدين محمد الجاجرمي ، بدرالدين ابن الحريري ، عزالديـن بـن هبل الموصلي ، تقي الدين الرسعني ، الأوامر العلائية ص ٢٩٦ . انظر أخبار سلاجقة الروم ص١٥٢؛
Osman Turan : Selçukluler Zamaninda, p.350.

(٢) الأوامر العلائية ص ٢٩٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ١٥٢ ؛
Osman Toran : Selçuklular Zamanind... s.350.

(3) Ali Sevim, Erdogan Merçil : op.cit, p.502 ; Osman Turan : Selçuklular Tarihi ve Türk, Islam. s.395. 396.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ص ١١٦ ؛ منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٦ب .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ص ١٣٠ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda, p.330.

(٦) انظر أخبار سلاجقة الروم ص ١٥٩ ، ٢٣٥ .

(٧) أخبار سلاجقة الروم ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

« وفي اليوم التالي رفعت الرايات الصفراء » [١]، كما ذكرت بعض المراجع أنه شُـوهِدَ علمٌ أسود للسلطان علاء الدين كيقباذ عندما فتحت قواته مدينة كاخته سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦[٢].

ويبدو أن هذا العلم أحد رموز الخلافة العباسية التي أرسلها الخليفة الناصر لدين الله مع منشور الاعتراف بسيادة السلطان علاء الدين كيقباذ على عرش دولة سـلاجقة الروم [٣] .

البحرية :

لكـي تكتمـل الصـورة عـن الجيـش السـلجوقي مـن الضـروري التحـدث عـن البحرية السلجوقية باعتبارها قوة داعمة للجيش ، وقد ظهرت القـوة البحريـة للجيـش السلجوقي بعد سيطرة السلطان عزالدين كيكاوس على مدينة سينوب سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م على ساحل البحر الأسود ، حقيقة أن سينوب مدينة تجارية بالدرجة الأولى ، إذ انها حلقة الوصل بين عالم البحر الأسود ودولـة سـلاجقة الـروم ، ثـم عـالم البحـر المتوسط ، إلاّ أن أهميتها السياسية أيضاً جعلت سلاطين دولة سلاجقة الروم يعملـون على الحفاظ عليها والحيلولـة دون وقوعـها مـرة أخرى في قبضـة معاديـة [٤] ، حيـث أصبح لهم منفذاً دائماً على ساحل البحر الأسـود ، وهـذا بالتـالي مكنـهم مـن امتـلاك أفضل قاعدة بحرية على الساحل البونتيكـي Pontique (سـاحل البنطـى) لمراقبـة البحـر الأسود [٥] ، ثم مد النفوذ إلى شبه جزيرة القرم بفتـح مدينـة سـوداق سـنة ٦٢٢هـ /

---

(١) الأوامر العلائية ص ٢٤١ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ١٢٢ .

(2) Ali Sevim, Erdogan Mencil : op.cit, p.502 ; Ismail Hakki, Uzunçarşil : Osmanli Devleti Teşkilatina Medhal, Türk Tarih Kurumu, üçünübaski, Ankara, 1984, s.73 ;

(3) Osman Toran : Selçuklular Zamaninda. p.330; Ismail Hakki : Osmanli Devleti Teşkilatina madhal, s.73.

(٤) د. علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص ١٩٠ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda. p.306.

(٥) انظر د. علي الغامدي : النفوذ السلجوقي ص ١٩١ ؛
Claud Cahen : le Commerce Anatulian, p.94.

١٢٣٥م ، فقد وصف ابن بيبي القوات البحرية السلجوقية المتجهة لفتح شبه جزيرة القرم بـ « غابة من السفن والقلاع قد جرت فوق سطح البحر » (١) ، ونستشف من وصف القطع البحرية بالقلاع بأنها أحد نوعين من السفن كانتا مشهورتين بالضخامة في ذلك الوقت وهما : الشيني والبطسة أو البطشة (٢) ، وهذا يقودنا إلى أن الأسطول السلجوقي يمتلك قطعاً بحرية حربية ضخمة سواء هذه القطع صنعت في دار صناعة للسفن في سينوب أو كانت إرثاً سابقاً .

وقد أشار ابن سعيد المغربي (٣) إلى أن هناك دار لصناعة السفن في سينوب ، وأن مصادر الأخشاب اللازمة لصناعة السفن غابات الصنوبر الكثيفة الواقعة جنوب سينوب حيث تُقطع أخشاب تلك الغابات وتنقل عن طريق مجرى النهرين الأحمر (قيزل أرماق) والنهر الأخضر (يشيل ارماق) حتى مدينة سينوب حيث توجد ترسانة صناعة السفن . ولم يرد في المصادر ذكر عن كيفية بناء الأسطول السلجوقي في سينوب أو طاقته الإنتاجية والبشرية ولكن ما من مجال للشك بأنه خلال الأحد عشر عاماً – وهي فترة الاستيلاء على هذا الميناء الهام وضم مدينة سوداق إلى العرش السلجوقي – قد أنجز بناء أسطول ضخم استطاع تحدي كافة القوى المطلة على البحر

---

(١) الأوامر العلائية ص ٣١٠ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ص ١٥٨ .

(٢) الشيني من السفن الكبيرة وأكثرها استعمالاً لحمل المقاتلين بلغت سعتها حداً بحيث تحمل حوالي مائة وأربعين مجدافاً ، كانوا يقيمون فيها أبراجاً وقلاعاً خاصة بالسفن لغرض الدفاع والهجوم ، وكذلك يضعون فيها مجانيق خاصة بقذف النفط . انظر محسن محمد حسين : المرجع السابق ص ٣٤٣ ؛ انظر : سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ؛ دار المجمع العلمي بجدة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٣٥٢ .

البطسة : أيضاً من السفن الكبيرة ، فقد يصل عدد الشرع في البطشة الواحدة إلى أربعين شراعاً وتسع لعدد من المقاتلين يصل عددهم زهاء ٧٠٠ شخص ، وكانت تشحن بالمقاتلة والأسلحة والذخيرة وسائر معدات الحرب والحصار ، وقد لعب هذا النوع من السفن دوراً هاماً في أيام الحروب الصليبية . انظر : محسن محمد حسين : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ ؛ سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص٣٣٢ .

(٣) كتاب الجغرافية ، ص ١٩٥ . انظر أيضاً : يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة : عدنان محمود سلمان ، منشورات موسسة فيصل للتمويل ، تركيا ، استانبول ، ١٩٨٨ ، المجلد الأول ، ص٧٢ .

الأسود ونقل آلاف المقاتلين بمعداتهم وأسلحتهم ومؤنهم من الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود إلى الشاطئ الشمالي وفتح مدينة سوداق الميناء المشهور في شبه جزيرة القرم والمنفذ الرئيس للروس والقفجاق على سواحل البحر الأسود وتحويله إلى منطقة إسلامية [١] وهذا بطبيعة الحال لابد وأن يكون نتاج منطقة صناعية ضخمة لبناء تلك السفن وصيانتها .

وإلى جانب الأسطول البحري الحربي الشمالي في سينوب وسامسون هناك الترسانة البحرية في علائية الواقعة على الساحل الجنوبي للأناضول إذ حقق السلطان علاء الدين كيقباذ بفتح قلعة كالونوروس Kalonoros سنة ٦١٨هـ ، ١٢١١م موقعاً استراتيجياً لبناء ترسانة حربية بحرية في جنوب البلاد سيما وأن طبيعة موقع القلعة تهيء ذلك [٢] . فقد أمر ببناء مسفن بها لتدعيم قواته البحرية في خليج أنطاليه [٣] فاستطاع بهذه الخطوة توفير الأمن لثغر أنطاليه وحماية السفن القادمة إليه من غارات القراصنة [٤] ، كما ساهمت هذه القوة البحرية في مساعدة الجيوش البرية حيث تبين ذلك سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م أثناء فتح قلاع الساحل الجنوبي للأناضول إذ نجح الأمير مبارز الدين ارتقش في فتح أربعين قلعة أشهرها أنامور ومانفغا واندوشنج حتى أوصل النفوذ السلجوقي قبالة جزيرة رودس ، وقد أراد الإبحار إلى جزر الفرنج في البحر المتوسط للاستيلاء عليها لولا أن السلطان أمر بعودة القوات [٥] ، وهذه دلالة على ما وصلت إليه القوة البحرية السلجوقية من قدرة على خوض المعارك البحرية حتى إنه باستطاعتها مقارعة القوى البحرية المجاورة ذات التاريخ العريق في مجال القتال البحري .

---

(١) د. علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص ١٩٥ .

(٢) انظر ملحق ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .
The Cambridge History of Islam, Vo.I A. p.246; Cloud Cahen : Pre-Ottoman, p.124.

(٣) علي الغامدي : انطاليه في عصر الحروب الصليبية ، ص ٤٩ ؛ عثمان توران : الأناضول ، ص ٢٤.
The Cambridge History of Islam, Vo.I A. p.246; Cloud Cahen : Pre-Ottoman, p.124.

(٤) انظر : د. علي الغامدي : انطاليه في عصر الحروب الصليبية ، ص ٤٩ .

(٥) منجم باشي المولوي : صحائف الأخبار ورقة ٥٧٩ب ؛ أخبار سلاجقة الروم ص١٧٤-١٧٥ ؛
Ibin Bibi, op.cit, p.p. 342, 344 , The Combridge History of Islam
Vo. I A, p.247;

والحقيقة فإن مصادر العصر لاتلقي الضوء الكافي على طبيعة الترسـانة البحريـة السلجوقية باستثناء بعض الإشارة إلى وجود مراكز لصناعة السفن ، فقد توقف البحار Piri Reis في علائية وهو يمخر البحر بين موانئ البحر المتوسط وذكر أنها « تضـم مبنـى ضخم من الحجر وخمس ترسانات » [1] ولم يعطنا تفصيلاً عن ذلك .

---

(1) Kita, Bahriyye, Vol. IV, p.1603 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiye, s.338 .

الأحوال الاقتصادية :

تمتعت دولة سلاجقة الروم باقتصاد مزدهر تجلى في أوجه النشاط الاقتصادي المتعددة ، وذلك بسبب الوحدة والأمن اللذين عمل سلاطين الدولة على تحقيقهما وخاصة السلطان غياث الدين كيخسرو وابنيه من بعده - عزالدين كيكاوس ، علاءالدين كيقاذ - كما ساعد الموقع الجغرافي المتمثل في إحاطة الدولة بثلاث مسطحات مائية - البحر الأسود شمالاً ، والبحر الأبيض المتوسط جنوباً ، وبحر مرمره وايجه غرباً - على إتاحة الفرصة بإذن الله إلى سقوط الأمطار على سواحلها مما ضاعف مخزون المياه الجوفية . هذا بالإضافة إلى اختراق الأنهار الكبيرة عرض البلاد وطولها ، ومن أشهرها نهر الفرات وروافده . ومنها ما يصب شمالاً في البحر الأسود كنهري هاليس (قزل ايرماق) وسانجا ريوس ، ومنها ما يصب جنوباً في البحر المتوسط كنهري سيحان وجيحان ، ومنها ما يصب في بحر ايجه كنهر الميندر [١] . هذا إلى جانب البحيرات العذبة كبحيرة أقشهر وبقشهر .

وقد أدرك سلاطين دولة سلاجقة الروم تلك المميزات وأهميتها للزراعة وأثرها في تحقيق الاكتفاء الذاتي للدولة فاتخذوا عدة تدابير للنهوض بالزراعة ، وأولى تلك التدابير توزيع الأراضي العائدة للإستقراطيين البيزنطيين أو الممتلكات المهجورة بين طبقة الفلاحين [٢] . أيضاً إعادة توطين المهاجرين النصارى (الروم) من المزارعين المحليين القدامى في آسيا الصغرى لما لهم من خبرة في مجال الزراعة [٣] . ففي سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٦م قام السلطان غياث الدين كيخسرو بتوطين خمسة آلاف شخص في مدينة أقشهير وخصص لهم القرى والأراضي ومنحهم اللآلات الزراعية والبذور وقطعان الماشية لتشجيعهم على العمل وتحسين الإنتاج الراعي . بل زاد على ذلك

---

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٨٦ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٦٣ - ١٦٤ . انظر : أحمد توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٣١١ .

(٢) عثمان توران : الأناضول في عهد السلاجقة ، ص ٣٤ ، ٣٥ ؛ وقفية شمس الدين التون آبا : نشر عثمان توران ، مجلة بلتان (Belleten) مجمع التاريخ التركي ، العدد ٤٢ ، ١٩٤٧ ، ص ٢٢٧ .

(٣) محمد فؤاد كوبرلي : قيام الدولة العثمانية ، ترجمة د. أحمد السعيد سليمان ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧م ، ص ٨٩ .

بإعفائهم من الضرائب لمدة خمس سنوات [١] وأعلن أنهم أحرار في أن يعودوا أو لا يعودوا إلى ديارهم في حالة عقد صلح مع الامبراطور البيزنطي [٢]. وللحفاظ على حقوق الفلاحين فقد تضمنت بعض الوقفيات شروط بألاّ « يوخذ من الفلاحين من حاصل زروعهم غير الخمس ومن أخذ كان ظالماً متعدياً » [٣].

فأدت هذه السياسة المتسامحة والمشجعة إلى تنشيط المجال الزراعي وتفضيل هؤلاء الفلاحين البقاء في الأراضي السلجوقية حيث تحقق لهم الأرض والحرية مما شجع الآخرين على الهجرة إلى الدولة السلجوقية [٤] ، وبالتالي المشاركة في إعمار الأراضي الزراعية وزيادة الإنتاج .

كما ان سلاطين السلاجقة لم يكتفوا بتوطين المزارعين النصارى فحسب ، بل حرصوا أثناء نشوب الصراعات والصدام العسكري على عدم المساس بمنازل ومزارع الفلاحين بسوء [٥] ، وإذا تعرضت البساتين أو المزارع للضرر بسبب القتال كان السلطان يلزم نفسه بدفع تعويضات عن ذلك . فعلى سبيل المثال تعهد السلطان عزالدين كيكاوس أثناء حصاره لأخيه كيقباذ في أنقره لأصحاب المزارع « بأنه في حالة وقوع ضرر على تلك البساتين فستظل ملكاً لهم مع تعويضهم عن الخسائر ، وكتب بذلك عهداً ووقعه » [٦] وبعد انتهاء الصراع واستقرار الوضع يتم دعوة المزارعين وأرباب الأراضي للعودة إلى أراضيهم ومياههم ومنحهم البذور والمواشي وإسقاط التكاليف المعهودة [٧].

وتنعم عامة مدن دولة سلاجقة الروم بجريان الأنهار بها مما يسهل على

---

(1) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye . s.240 ; S. Vryoris : op.cit, p. 471 ; Ansiklopedis of Islam, Vol.V, p.614.

(2) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye. s.240 .

(٣) وقفية جلال الدين قراتاي . نشر عثمان توران ، مجلة بلتان (Belletan) ، مجمع التاريخ التركي ، العدد ٤٥ سنة ١٩٤٨م ، ص ٩٦ .

(٤) عثمان توران : الأناضول في عهد السلاجقة ، ص ٣٦ .

(5) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye. s.199.

(6) Osman Turan : op.cit, s.292.

(٧) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٢٤ ؛ Ibin Bibi : opcit. p428 .

السكان الاستفادة من تلك المياه وقد اهتم سلاطين دولة سلاجقة الروم بتوفير المياه لمستخدميها من سكان المدن عبر قنوات خاصة لإيصال الماء إلى بيوتها وخاصة مدينة اقصرى التي يمر بها ثلاثة أنهار [١] ، بينما تروي ملطية زروعها بواسطة قنى تنساب بين أرحائها [٢] ، فيما عمل السلطان علاء الدين كيقباذ على بناء صهريج كبير في العاصمة قونيه لتخزين المياه لري البساتين والمزارع المحيطة بها فتنزل من هذا الصهريج أكثر من ثلاثمائة قناة للري والسقيا [٣].

وقد أقيمت النواعير لسقيا الأراضي الزراعية في معظم المدن السلجوقية [٤] ، ومن أمثلة ذلك مدينة اماسية ونكيدة وفي ذلك يقول أبو الفداء : « إن اماسية بلدة كبيرة ولها بساتين ونهر كبير ونواعير تسقى بها » [٥] ، وذكر ذلك أيضاً ابن بطوطة بقوله : « مدينة - أماسية - كبيرة حسنة ذات أنهار وبساتين وأشجار فواكه وعلى أنهارها النواعير تسقي جناتها ودورها » [٦] ، وأيضاً مدينة نكيدة التي « يشقها النهر المعروف بالنهر الأسود وهو من كبار الأنهار عليه ثلاث قناطر إحداها بداخل المدينة واثنتان خارجها وعليه النواعير بالداخل والخارج » [٧].

وكثيراً ما يذكر المؤرخون أن جل مدن دولة سلاجقة الروم : كثيرة البساتين وأشجار الفواكه » [٨] ، وتنوعت المحاصيل الزراعية من الحبوب الغذائية إلى الفواكه مما ساعد في سد الحاجة والإستهلاك المحلي وأفاض للتصدير للخارج ، ومن هذه المحاصيل الزراعية المهمة في حياة السكان القمح الذي كان يزرع بكثرة في أزرنجان وملطية وسيواس وقونيه فامتلأت مخازن الأعيان من أحولة القمح [٩] حتى أن أحدهم على

---

(١) القلقشندي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣٥١ ؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٠٢ .

(٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٨١ - ٣٨٥ .

(٣) كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

(4) Osman Turan : Selçuklular Târihi ve Türk - I slâm mederiyeti, s.342-343.

(٥) تقويم البلدان ، ص ٣٨٣ .

(٦) رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص ٣٠٤ .

(٧) رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص ٣٠٢ .

(٨) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ .

(٩) كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٨١ ؛ نورة باذياب : المرجع السابق ص ٢٧١ .

حد قول ابن بيبي « يأمر بحمل الحبوب في آنية ضخمة إلى الجبال والصحارى ونثرها على الأرض لتطعم منها الطيور وذلك في أوقات الشتاء » [(١)] ، كما كان لتلك الحبوب دور في استخدامها لأغراض سياسية وذلك أثناء حصار علاء الدين وحلفائه - عمه طغرل شاه وملك الأرمن - لأخيه عزالدين كيكاوس في قيصريه سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م إذ ساهم ذلك في تحييد ملك الأرمن بإمداده بـ « اثني عشر ألف مد من الغلال بصفة مخزون احتياطي لقلاع الأرمن » [(٢)].

ولا تقتصر الغلال على القمح ، بل يزرع الشعير في قسطمونية وكذلك البقوليات ونحوها ومنها الباقلاء وخصصت أسواق لبعض المحاصيل مثل الحنطة [(٣)]، كما يزرع الكتان والقطن وخاصة في مزارع مدن انقره وسيواس وقونيه وملطيه [(٤)].

وقد انتجت مزارع المدن السلجوقية أنواع متعددة من الفواكه فقد اشتهرت قونية بالمشمش الأصفر والذي يصنع منه قمر الدين وهو « لوزي مفضل على مشمش دمشق » [(٥)]، ولم تقتصر جودة المشمش على قونيه بل نافستها انطاليه « فإن منتجها من المشمش تتميز نواته بالحلاوة فييبس ويحمل إلى مصر » [(٦)] ، ونظراً لموقع انطاليه على ساحل البحر المتوسط فقد اشتهرت بمزارع الحمضيات من « الأترج والنارنج والليمون » [(٧)] ، إضافة إلى ذلك فقد اشتهرت معظم المدن السلجوقية بإنتاج أجود أنواع الأعناب [(٨)] ومنها اماسيه وأقصرا وأياسلوق [(٩)] ، واشتهرت اقشار « بالتفاح

---

(١) الأوامر العلائية ص ٧٢ ؛ انظر أخبار سلاجقة الروم ص ٢٥ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ص ٥٢ ؛ Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye. s.295 .

(٣) وقفية مدرسة قره طاي ، ص ١٣١ .

(٤) القلقشندي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣٥٦ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

(٥) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩٥ - ٣٠٠ ؛ ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص ١٨٦ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

(٦) ابن بطوطه : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩٢ .

(٧) القلقشندي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣٤٦ ؛أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٨١ .

(٨) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٩) ابن بطوطة : المصدر السابق، ج١، ص٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٠ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق، ص١٨٢. أياسلوق : تقع على الساحل الغربي (الجنوبي الغربي) لآسيا الصغرى وتسمى أفسوس ، انظر القلقشندي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣٤٨ ؛ كي لسيترنج : المرجع السابق ، ص١٨٧ - ١٨٨ .

المخضب والكمثرى الكبيرة والسفرجل والخوخ » [١] ، كما انتشرت أشجار الجوز خاصة قرب الأنهار حيث قال ابن بطوطه أثناء مروره بمدينة بركي : « فنزلنا على نهر ماء تحت ظلال شجر الجوز » [٢] .

وإلى جانب الإنتاج الزراعي الوفير من الفواكه يبدو أن للمزارعين اهتمام بتربية النحل سيما وأن الأزهار منتشرة في بساتين الفواكه وكذلك الأزهار الطبيعية والتي منها البنفسج الذي ينبت حول العيون بكثرة [٣] فاشتهر في بلاد السلاجقة العسل الأبيض الذي « يضاهي الثلج بياضاً ، والسكر لذاذة وطعماً »[٤] .

وإلى جانب الاهتمام بالزراعة وانتاجها فقد اشتهرت دولة سلاجقة الروم بالاهتمام بالثروة الحيوانية والتي حباها اللّه بمراع فسيحة خضراء معشبه انتشرت فيها قطعان الأغنام والماعز والأبقار والخيول [٥] .

وقد حظيت الخيول باهتمام بالغ في دولة سلاجقة الروم حتى اكتسبت شهرة ذائعة الصيت ، أشار القلقشندي إلى ذلك بقوله : « ونتاج بلادهم من الخيل هي البراذين الرومية الفائقة ، هذا بالإضافة إلى الأكاديش الرومية الفائقة المفضل بعضها على كل سابق من الخيل العراب ولها أنساب محفوظة عندهم كخيل العرب ، يتغالى في أثمانها لا سيما في بلادهم حتى تبلغ قيمة الواحد منها ألف دينار فما فوقه بل لا يستكثر فيها من يعرفها بذل مال » [٦] . ونظراً لاتساع تبادل الخيول وتجارتها في

---

(١) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص ٣٠٧ .

(٣) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٤) ابن فضل اللّه العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ / ١٣٥٠) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، طبع بالتصوير عن مخطوطة ٢/٢٧٩٧ أحمد الثالث طوبقابوسراي ، استانبول ، يصدره فواد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية المانيا الاتحادية ، فرانكفورت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، المجلد ٢/٤٦، السفر الثالث ، ص ١٥٥ ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣٥٦ .

(5) Cloud Cahen : Pre Ottoman. p.157.

(٦) صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٣٤٢ ، ٣٥٦ ؛ انظر أيضاً ماركوبولو : رحلات ماركوبولو ، ترجمة عبدالعزيز توفيق حاويد ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧٧ ، ص ٣٠ ؛ انظر ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

الأناضول تم إنشاء سوق عالمية لها هناك وقد أقيمت تلك السوق بعيداً عن المدينة ، وكان يطلق عليها اسم « البرية » ، وكانت سوق قره حصار أكثر الأسواق شهرة يتوافد إليها التجار من الشرق والغرب والشمال والجنوب ليتبادلوا التجارة بها ، وكانت الخيول الأصيلة من البضائع الرائجة في تلك السوق ، إلى جانب تجارة العبيد والجواري والأقمشة والفراء (١).

كما اهتم السلاجقة بتنمية الثروة الحيوانية من الأبقار ، وشجع سلاطين السلاجقة المزارعين على الاعتناء بها بتوزيعها عليهم لمساعدتهم في حراثة الأرض والاستفادة من لحومها وألبانها واتخاذها وسيلة نقل . فقد استخدم المزارعون الأبقار في نقل منتجاتهم إلى مراكز البيع ، وقد أشار ابن سعيد المغربي إلى ذلك بقوله : « والمسافرين يحملون بضائعهم في العجل وتجرها البقر إلى قونيه » (٢)

إلى جانب الخيل والبقر نالت الأغنام عناية فائقة وانتشاراً واسعاً في دولة سلاجقة الروم ، قال القلقشندي : « وأكثر مواشيهم نتاجاً الغنم » (٣)، وأشار ابن فضل اللّه العمري إلى وجود نوع جيد من الماعز يعرف بالمعز المرعزي ذوات الأوبار المضاهية لأنعم الحرير » (٤).

وليس هذا فقط ، بل إنها من أطيب أنواع الأغنام لحماً مما جعلها مرغوبة ومطلوبة في الدول المجاورة ، ذكر القلقشندي بأن « غالب قنية أهل الشام وديار بكر والعراق وبلاد العجم وذبائحهم مما يفضل ويجلب منها ، وهي أطيب أغنام البلاد لحماً وأشهاها شحماً » (٥) ، هذا إلى جانب وفرة الإنتاج من الألبان وما ينتج منها من سمن وجبن وغير ذلك(٦) .

كذلك ازدهرت صناعة البسط والتي تستمد خامتها من أصواف الأغنام

---

(1) Osman Turan : Selçuklular Târihi Ve Türk - islâm medeniyeti, s.181-182.

(٢) كتاب الجغرافيا ، ص ١٨٨ .

(٣) صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٣٥٨ .

(٤) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الثالث ، ص ١٥٤ .

(٥) صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٣٥٦ .

(٦) القلقشندي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٥٦ .

وخاصة في مدينة اقصرا فعرفت بسط اقصرا التي لا مثيل لها في بلد من البلاد وطلبت في كل من الشام ومصر والعراق والهند والصين (١) .

وهكذا تمتع سكان بلاد وسلاجقة الروم في هذه الفترة بالرخاء الاقتصادي المتمثل في الزراعة وما يتبعها من نتاج حيواني حتى تحقق لهم الإكتفاء الذاتي والتصدير للدول المجاورة مما أكسبها أهمية كبرى تضاهي ماحولها من الممالك ، سجل ابن فضل اللّه العمري ذلك بقوله : « وبلاد الروم إذا غلت وأقحطت كانت بسعر الشام إذا أقبل وأرخص » (٢).

المعادن والنشاط الصناعي :

من أبرز الأنشطة الاقتصادية التي اشتهرت بها دولة سلاجقة الروم في فترة موضوع البحث النشاط الصناعي ويعود ذلك إلى توفر المواد الخام عماد الصناعة سواء معدنية أو الخامات الصناعية الأخرى ، فكان خام النحاس بمدينة أرزنجان والفضة في اماسيه وكذلك وجود الذهب إلى جوار الفضة بمدينة بركي (٣) ، فكان لتوافر هذه المعادن دَوْرٌ في إمداد دُوْر السكة بما تحتاجه من معدني الذهب والفضة وكذلك النحاس (٤) ، كما نشطت الصناعات اليدوية لتوفر الخامات اللازمة وتشجيع الأيدي العاملة الماهرة على الاستيطان فعلى سبيل المثال عندما فتح السلطان عزالدين كيكاوس سينوب قام بتوطين العلماء والفقهاء وأصحاب الحرف والأيدي العاملة الماهرة بأعداد كبيرة من البلاد الإسلامية (٥) ، وتكونت تبعاً لذلك طوائف الصناع ، فهناك الحدادين

---

(١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١، ص٣٠٢ ح انظر القلقشندي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٥١؛ ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٢) مسالك الأبصار : السفر الثالث ص ١٥٥ .

(٣) انظر : ابن بطوطه : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٠٥ ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٨٣ ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣٥٦ .

(4) Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiye, s.235.

(٥) علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص ١٨٩ .

والخرازين والبيطاره [١]، واشتهرت ارزنجان بوجود صناع المشغولات الذهبية وخاصة للسلاطين، فعندما خطب السلطان عزالدين كيكاوس ابنة بهرامشاه ملك ارزنجان جُمع الصناع المهرة لصنع الخواتم والمجوهرات وأطقم الذهب والفضة الخاصة بالعروس [٢]. وأشار ابن بيبي إلى حلوس السلطان علاء الدين كيقباذ على « عرش ذهبي مرصع بالجواهر كان قد صنع له ليلقى به رسل الكبار » [٣]، وذكر بيجولوتي أيضاً أن الذهب كان يباع في انطالية بطريقتين، فالذهب الخام يباع بالوزن، أما الذهب المسبوك فكان يباع بالقطعة [٤] وهذه إشارة إلى وجود بعض مناجم للذهب في سلطنة سلاجقة الروم قريباً من أنطالية وإلى ازدهار صناعة الذهب وسبكه في انطاليه من ناحة أخرى.

ومن الصناعات اليدوية التي شاهدها ابن بطوطه وأشاد بدقة صناعتها صناعة البياسيس النحاسية [٥].

وهكذا استفاد سلاجقة الروم من خام النحاس المتوفر لديهم في صناعة ما يحتاجونه من الأواني والبياسيس التي تفي بمتطلبات حياتهم اليومية كما كان للمواد الخام الصناعية غير المعادن دور في ازدهار الصناعة اليدوية في دولة سلاجقة الروم ويأتي على رأسها صناعة المنسوجات القطنية والحريرية سواء سجاد أو ملابس.

فقد انتشرت صناعة المنسوجات القطنية والحريرية في كل من ارزنجان ولاذيق، فقد سجل ماركوبولو « بأن مدينة ارزنجان تقوم بها صناعة نسيج قطني رفيع

---

(١) ابن بطوطه: المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٣ ؛ انظر نوره باذياب، المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٢) أخبار سلاجقة الروم، ص ٨٢ ؛ Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiy, s.322.

(٣) الأوامر العلائية، ص ٣٧٥ ؛ انظر: أخبار سلاجقة الروم ص ١٩٦.

(٤) علي الغامدي: انطاليه، المرجع السابق ص ٥٠ نقلاً عن:

Pegolotti, Francesco : la pratica della mercatura edited by Allan Evans, The Madiaval A cademy of America, Cambridge, Masschustts, 1936. p.58.

(٥) البيسوس شبه المناره من النحاس له ثلاث أرجل وعلى رأسه شبه حلاس من النحاس وفي وسطه أنبوب للفتيلة ويملأ من الشحم المذاب وإلى حانبه آنية نحاس ملآنة بالشحم وفيها مقراض لإصلاح الفتيل. انظر: ابن بطوطة، ج١، ص ٢٩٣.

حداً يسمى البومبازين فضلاً عن أنسجة أخرى كثيرة وعجيبة » [(١)] ، ولتوفر نبات القطن فقد ذكر ابن بطوطة أيضاً أنه يصنع بارزنجان « ثياب حسان تنسب إليها » [(٢)] وقد تطورت صناعة المنسوجات تبعاً لمتطلبات حياة الرفاهية التي يعيشها سكان دولة سلاجقة الروم فقد أضيفت خيوط الذهب بين ثنايا النسيج القطني حتى أصبحت صناعة المنسوجات القطنية الموشاة بالذهب على أيديهم درجة عالية من الجودة والإتقان . ففي مدينة لاذيق « تصنع ثياب قطن معلمة بالذهب لا مثيل لها ولصحة قطنها وقوة غزلها تطول أعمارها » [(٣)] كما رصعت الثياب بالذهب وهذه خاصة للسلاطين .

أما المنسوجات الحريرية فقد بلغت شأواً عظيماً في دولة سلاجقة الروم وذاعت شهرتها في كافة الأرجاء ، وقد ازدانت تلك المنسوجات بألوان جذابة مستمدة من الطبيعة فقد أكد ماركو بولو ذلك بقوله : « كما تصنع الحراير المصبغة بالأرجوان وغيره من الألوان الزاهية » [(٤)] ، وقد برع النساجون السلاجقة في دمج عناصر الفنون الثلاثة الساسانية والبيزنطية والإسلامية وصنعوا نسيجاً متكاملاً يعد إضافة جديدة لصناعة المنسوجات الحريرية وفن الزخرفة معاً [(٥)] ، تمثل ذلك في القطعة الحريرية الموشاة بخيوط الذهب والموجودة بمتحف المنسوجات بمدينة ليون [(٦)] وقوام تلك القطعة أرضية حمراء من الحرير مزخرفة بخيوط ذهبية على هيئة دوائر من الأشرطة ذات وريدات تضمن بين ثناياها رسوم لأسود متدابرة فوق أرضية من زخارف نباتية وفي أحد أطراف القطعة بقية شريط من الكتابة نصها : « علاء الدنيا والدين أبو الفتح

---

(١) رحلة ماركو بولو ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) ابن بطوطة ، ج١ ، ص ٣٠٥ .

(٣) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩٦ ؛ انظر توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص٢١٨ .

(٤) رحلة ماركو بولو ، ص ٣٠ .

(٥) توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

(٦) زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ، ص ٣٧٦ .

كيقباذ بن كيخسرو » [١] وهذه دلالة على صنع تلك القطعة النادرة والفريدة في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ ، كما صنع في بعض مدن سلاجقة الروم أقمشة الديباج وهو قماش حريري يدخل في نسخه خيوط الذهب والفضة ، وقد نال شهرته حتى عرف باسم الديباج الرومي ، كذلك كانت القطيفة نوعاً من القماش الحريري يتميز ببروز زخارفه المخملية ويعرف بالتركية باسم « شتما » Catma وهو القماش الذي اعتادت نساء سلاجقة الروم ارتداءه [٢].

أما الأطلس فهو نوع من القماش المموج نسجت خيوطه من الحرير وكان يستخدم في انتاج الخلع الخاصة بالأمراء وكبار الموظفين [٣] وتقديمه هدايا لكبار ضيوف السلطان ، فقد قدم السلطان قلج أرسلان الثاني هدايا لأحد ضيوفه الألمان من ضمنها قماش حريري نادر [٤] .

وقد اشتهرت أيضاً دولة سلاجقة الروم بهذا القماش وكان يصدر منه بكثرة إلى مصر في عصر المماليك وعرف باسم « الأطلس الرومي » [٥] .

وإلى جانب الأقمشة الفاخرة القطنية والحريرية انتشرت صناعة الملابس الصوفية لتوفر خام الصوف بفضل كثرة الماشية والأغنام ، ولحاجة السكان الماسة لتلك الملابس فشتاء معظم بلاد سلاجقة الروم معروف بشدة وقسوة برده . وكانت تلك الأقمشة تصنع بواسطة الأنوال اليدوية [٦].

---

(١) زكي محمد حسن : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ ؛ انظر توني عبداللطيف ص ٣١٩ ؛ تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١١٦ ؛ نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٢) محمد عبدالعزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م ، ص١٠٦ ؛ توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ ؛ نورة باذياب : المرجع السابق ، ص٢٧٨ .

(٣) محمد عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(4) Osman Turan : Selçuklular Zamanind Turkiy s.221.

(٥) المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٦٩ ؛ انظر محمد عبدالعزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص١٠٧.

(٦) ابن فضل الله العمري : المصدر السابق ، السفر الثالث ، ص ١٤٧ ؛ نورة باذياب : المرجع السابق ، ص٢٧٧ .

كما اشتهرت صناعة السجاد والطنافس [١] في دولة سلاحقة الروم وقد نشأت تلك الصناعة على أيدي الأتراك بموطنهم الأصلي في المنطقة التي تمتد من بين الصين شرقاً وآسيا الوسطى غرباً ثم نقلها السلاحقة معهم إلى آسيا الصغرى [٢]. وقد حذقوا تلك الصناعة وبلغت على أيديهم درجة عالية من الرقي والإبداع ساعدهم على ذلك وفرة الأغنام والماعز التي وجدت المراعي الغنية على سفوح مرتفعات آسيا الصغرى فأمدت تلك الماشية الصناع بأجود أنواع الصوف مما جعل الرحالة الذين مروا بدولة سلاحقة الروم يشيدون بتلك البسط والسجاجيد ، ذكر ماركو بولو ذلك بقوله : « تصنع هنا – في آسيا الصغرى – أحسن وأجمل أنواع البسط » [٣] ، وأيده في ذلك كل من أبي الفداء وابن بطوطه باختصاص مدينة أقصرا بصناعة البسط وذلك بقولهم : « وهي التي تعمل فيها البسط الملاح » [٤] ، « وتصنع بها البسط المنسوبة إليها من صوف الغنم التي لا مثيل لها في بلد من البلاد ومنها تُحمل إلى الشام ومصر والعراق والهند والصين » [٥].

نستشف من ذلك أن تلك الصناعات لم تقتصر على الاستهلاك المحلي بل كانت إحدى موارد الدخل لدولة سلاحقة الروم التي تصدره للخارج ويتزايد الطلب عليها ، وشهرة تلك البسط والسجاجيد يعود أيضاً إلى جمال ألوانها وجودة نسجها وصباغتها ، إذ تتوفر أجود أنواع الصباغة بسبب وجود الأصباغ الطبيعية التي منها الزعفران المتوفر بكثرة في أنطالية ومنه نوعان عرفا بكثرة « عصارتهما وحسن ألوانهما وصبغهما للصلاية التي يسحقان عليها يستعملها أهل أنطالية ومن أجل ذلك أثمانها

(١) الطنافس جمع طنفسة وهي الأبسطة ذات الخمل Pile Carpets . انظر : محمد عبدالعزيز مرزوق ، ص١١٩ ؛ انظر : توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٣٢٠ .

(٢) أرنست كونل : الفن الإسلامي ، ترجمة : أحمد موسى ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص٨٤ . انظر : محمد عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٢٠ ؛ توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص٣٢١ .

(٣) رحلة ماركوبولو ، ص ٣٠ .

(٤) تقويم البلدان ، ص ٣٨٣ .

(٥) رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص ٣٠٢ .

كثيرة » [١] ، أيضا هناك شجرة تسمى صفيرا « تصبغ الصباغون بخشبها » [٢] ، وبالنسبة للون الأحمر هناك نبات بانطالية يسمى الفوة وهو « عرق نبات لونه أحمر يستعمله الصباغون » [٣] ، وإلى توفر تلك الأصباغ استفاد الصباغون السلاجقة من معدن حجر الشب الذي تنتجه سلطنة سلاجقة الروم وأشهر محاجره في أقصرا وسيواس وقرا حصار وكوتاهيه وكان هذا الحجر يستخدم على نطاق واسع في صناعات العصور الوسطى كالأدوية والصباغة ودباغة الجلود [٤] . واستخدم هذا الحجر في تثبيت الأصباغ المتعددة فظهرت تلك السجاجيد والطنافس بألوان جذابة فأطياف من الأحمر في الجزء الأوسط من السجادة والأزرق المخضر مع قليل من الأحمر والأصفر في الإطار [٥] . فحازت تلك السجاجيد على رضى المستهلكين وزاد طلبها في كثير من الدول آنذاك [٦].

إلى جانب الصناعات الآنفة فقد عرفت أيضا صناعات أخرى في دولة سلاجقة الروم منها صناعة دباغة الجلود وذلك لتوفر جلود الماشية بمختلف أنواعها ، وقد صدرت تلك الجلود لجميع البلدان لاسيما بلاد الفرنجة الذين كانوا يستخدمونها في صناعاتهم المختلفة [٧] ، وكانت هناك أنواع أخرى من الصناعات يعمل بها عدد كبير من الصناع مثل غزل الخيوط ونسجها من القطن وقد قامت لذلك أسواق خاصة عرفت بسوق الخيوط [٨]. أيضا انتشرت في معظم مدن دولة

---

(١) ابن البيطار : ضياء الدين ابن محمد عبدالله بن أحمد الأندلسي المالقي (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص ٤٦٧ .

(٢) ابن البيطار : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١١٤ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ٢٣١ .

(4) Cloud Cahen : Pre-Ottoman, p.160.

انظر : علي الغامدي : انطاليه في عصر الحروب الصليبية ، ص ٤٩ – ٥٠ ؛

Ali Sevim, Erdogan Merçil : op.cit. s.519.

(٥) نعمت إسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ص١٢٣ .

(٦) ف هايد : المرجع السابق ، ص٣٠٨ .

(٧) انظر نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

(٨) انظر نوره باذياب : المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

سلاجقة الروم صناعة الخشب وذلك لتوفره في البلد بانتشار الغابات فكان من أهم المواد الخام التي استخدمت بكثرة في البناء (١) سواء العمائر المدنية أو بناء السفن في كل من سينوب أو أنطالية (٢).

وكذلك التحف الخشبية مثل أثاث المساجد وكراسي المصاحف والتي تعتبر من أجمل القطع التي تبين مهارة الصانع في دولة سلاجقة الروم وتحويل القطع الخشبية إلى تحف فنية رائعة مثال ذلك كرسي مصحف كان في مسجد علاء الدين بقونية قوام الزخرفة فيه عناصر كتابية وفنية (٣) وكان خشب قسطموني يستخدم في صنع مشربيات سينوب (٤).

كما انتشرت صناعة الحلوى من السكر والعسل ، وكذلك وجدت صناعة الفخار وصناعة الحصير والسلال (٥).

وهكذا نجد أن سلاجقة الروم قد أولوا انتاجهم الصناعي عناية فائقة من أجل الوصول به إلى أرقى المستويات ، فاستفادوا من كل مادة أولية متاحة لهم في بلادهم وطوروا الصناعات التي كانت معروفة حتى راجت صناعاتهم وكنيت باسمهم وعد بعضها من ابتكارهم (٦).

---

(1) Aflaki : op.cit. Vol. I , p.150.

(٢) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص١٩٥ ؛ Pirîreis : op.cit, Vol.4, p.1603 ؛ The Camridge History of Islam, Vol. I A. p. 246 ; Cloud Cahen : Pre Ottoman Turkey, p.124.

(٣) نعمت إسماعيل علام : المرجع السابق ، ص ١٢١ ؛ انظر ملحق ص ٣٦٦ .

(4) Ali Sevem, Erdogan : op.cit. s.519.

(٥) وقفيه التون : ص ٢٢٩ ؛ Aflaki : op.cit. Vol. 1, pp,163, 338 .

(٦) انظر توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

النشاط التجاري :

لم يقتصر حرص سلاطين دولة سلاجقة الروم على تنشيط اقتصاد البلاد على الزراعة والصناعة فقط ، وإنما نال النشاط التجاري حظه من ذلك الحرص وذلك لموقع البلاد الجغرافي المتميز على طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، هذا بالإضافة إلى وفرة الإنتاج المحلي وتميزه .

وقد اتخذت تدابير تشجيعية لحماية التجارة مما أدى إلى زيادة النشاط التجاري. وكانت أولى هذه التدابير التي اتخذها سلاطين دولة سلاجقة الروم التصدي لأي عوائق أو أخطار تصادف حركة التجارة ، فقد أجبر السلطان ركن الدين سليمان شاه الإمبراطورية البيزنطية على دفع تعويضات للتجار الذين تعرضت سفنهم لهجوم الأسطول البيزنطي في البحر الأسود ، وقد بلغت تلك التعويضات « خمسة آلاف جوهر فضي وخمسون مينه من الفضة »[١] . ويبدو أن الإمبراطور البيزنطي فضل دفع التعويضات على التصدي لهجوم سلجوقي لا تحمد عواقبه سيما وأن حادثة وادي الميندر ليست بعيدة [٢].

ومن ضمن التدابير التي نفذها سلاطين دولة سلاجقة الروم لحماية التجارة وتيسير طرقها محاولة السلطان غياث الدين كيخسرو سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م إيجاد منفذ على ساحل البحر الأسود [٣] بفتح طرابزون لكنه أخفق في ذلك . وقد كانت غايته إقتصادية بحتة [٤] إذ تسبب إغلاق البيزنطيين في طرابزون وسامسون لطرق القوافل التجارية الأناضولية في تكدس التجار في مدينة سيواس فتضررت الحركة التجارية عبر تلك البلاد ، وقد ذكر ذلك ابن الأثير فقال : « وفيها تجهز غياث الدين خسرو شاه

---

(1) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turk. s.244 ; Osman Turan : Selçuk Türkiyesi Ve Dünya Ticareti, Turk yurdu, 50. c.,10 sayi, 1.1.1990. s. ;
انظر : علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسوط ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(2) Savvides : op.cit, p.71.

(٣) كانت سمسون على ساحل البحر الأسود تحت السيطرة السلجوقية إلى سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م ، ولكنهم فقدوها ابان فترة حكم الطفل قلج أرسلان الثالث بن سليمان ملكشاه (٦٠٠-٦٠١هـ / ١٢٠٤-١٢٠٥م) . انظر علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص ١٧٦ .

(٤) محمد فؤاد كوبرلي : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

- كيخسرو - صاحب بلاد الروم إلى مدينة طرابزون وحصر صاحبها لأنه قد خرج عن طاعته فضيق عليه براً وبحراً ولم يخرج منهم أحد إلى بلاد غياث الدين فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس لأنهم كانوا يتجرون معهم ويدخلون بلادهم ويقصدهم التجار من الشام والعراق والموصل والجزيرة وغيرها فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير فحيث لم ينفتح الطريق تأذوا أذى كثيراً فكان السعيد من عاد إلى رأس المال »(١).

وعلى أية حال فإن إخفاق السلطان غياث الدين كيخسرو في فتح منفذ تجاري للبلاد شمالاً جعله يقرر سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٧م التوجه جنوباً لفتح ميناء انطاليه مستغلاً شكاوي الأقلية المسلمة فيها ، وقد تحقق له ذلك وأصبح بمقدور دولة سلاجقة الروم الاتصال المباشر مع عالم البحر المتوسط (٢).

والحقيقة فقد جاء فتح انطاليه وما ترتب عليه من نتائج تجارية مهمة بالنسبة لدولة سلاجقة الروم حافزاً لخلفاء السلطان غياث الدين كيخسرو لفتح منفذ بحري لهم على سواحل البحر الأسود حيث تحقق ذلك على يد ابنه السلطان عزالدين كيكاوس فاستطاع بسط نفوذه على مينائي سينوب وسامسون على ساحل البحر الأسود وذلك لتأمين حركة التصدير والاستيراد وتحرير التجارة من الخضوع للتهديدات المفاجئة (٣) مع موافقة امبراطور طرابزون على دفع جزية سنوية بلغت « عشرة آلاف دينار ذهب وخمسمائة رأس من الخيل ، وألفين رأس من البقر وعشرة آلاف رأس من الغنم وخمسين حِمل من أنواع التحف » (٤).

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج١٢ ، ص ٢٤٢ .
(٢) علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص١٨١ - ١٨٢ .
(٣) علي عودة الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحرا لأسود ص١٨٢ - ١٨٣ .
(٤) أخبار سلاجقة الروم ص ٦٩ ؛
Ibin Bibi, op.cit, p.153 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye, s.304.
وبالنظر لبنود هذه المعاهدة السياسية التي تعلن تبعية امبراطور طرابزون لدولة سلاجقة الروم نجد أن وجهها التجاري له دور في زيادة قوة وثراء دولة سلاجقة الروم ، كما أن التزام الامبراطور الطرابزوني بتلك المبالغ الباهظة سيضطره إلى فرض رسوم كبيرة على مرور التجارة عبر مملكته لتوفير المبالغ الآنفة الذكر وخاصة التجارة القادمة عبر البحر الأسود والتي يحملها التجار الروس والقفجاق والكرج والبنادقة وهذا سيجعل الكثير من هولاء التجار يفضلون الموانئ السلجوقية الواقعة على البحر الأسود مثل سينوب وسامسون الأمر الذي يزيد من ازدهار حركة التجارة وزيادة الدخل لدولة سلاجقة الروم. انظر علي الغامدي : النفوذ السلجوقي ص ١٨٩ .

ثم اتجه جنوباً وشن هجوماً كاسحاً سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م على مملكة الأرمن جنوب البلاد واستطاع استعادة بعض القلاع التي سبق وأن فُقدت على يد الملك الأرمني ليو [١] ، وأجبر الملك ليو على العودة لتبعية دولة سلاجقة الروم وترجع أهمية ذلك إلى أن مملكة أرمينية الصغرى منطقة عبور مهمة للتجارة وحين تسببت في الإخلال بأمن قوافل التجارة أرغمت على دفع التعويضات عما ألحقت بالتجارة من أضرار [٢] ، وعادت القوافل التجارية إلى حركتها بين الشام ودولة سلاجقة الروم ، وتأكيداً لذلك بعث السلطان عزالدين كيكاوس إلى أصحاب الثغور قائلاً : « فافتحوا الطرق أمام التجار والمترددين (العابرين) ولا تلحقوا أذى بأي مخلوق » [٣].

وهكذا فإن الهدف من شن الغارات وإرسال الحملات العسكرية يأتي غالباً لتأمين طرق التجارة العالمية التي تمر بالبلاد وتدعيم سياستهم التجارية لإنعاش حركة التجارة في طريقها إلى أوربا عبر سلطنتهم .

وإلى جانب اتخاذ سلاطين دولة سلاجقة الروم الجانب العسكري لحماية التجارة ارتبطوا بمعاهدات تجارية مع القوى المجاورة لنفس الهدف ففي سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٩م توسطت البندقية لإجراء معاهدة تجارية بين الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وبين دولة سلاجقة الروم وذلك لضمان دخولهم الأراضي السلجوقية وكذلك حماية مصالحهم التجارية في الميناء المفتوح - انطاليه - حديثاً [٤].

وقد فصلت المعاهدات التي وثقت فيما بعد بين السلطان عزالدين كيكاوس وملك قبرص بنود محددة خاصة بحماية التجار وسلعهم بين المملكتين ومن تلك البنود :

---

(١) انظر : ماسبق الفصل الثاني ، ص

(٢) محمد فواد كوبرلي ، ص٩١ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨٠ ؛ انظر منجم باشي المولوي : جامع الدول ورقة ٨٢ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ١٨١ .

(4) M.E. Martin : op.cit, p.32 ; Osman Turan : Selçuklular ile venediklier Arasinda Ticaret Muahedelem, p.124.

ف . هايد : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٣٠٩ .

١ - حرية انتقال التجار بين المملكتين سواء براً وبحراً وحمايتهم .
٢ - دفع الرسوم المقررة وعدم الزيادة على ما اتفق عليه (١).
٣ - حماية سفن كلا الطرفين من القراصنة في مناطق سلطة كل منهما وإذا تعرضت سفينة تحمل ركاباً أو بضائع لقراصنة في البحر التابع لحكم السلطان السلجوقي تُغرق ويعاد كل ما كان عليها من بضائع صادرها القراصنة أو أناس أوقفهم هؤلاء القراصنة » (٢) ، وإذا تعرضت السفن التجارية لعاصفة في عرض البحر وأوشكت على الخطر .. فليحافَظ على من بقي حياً من الناس والتحفظ على البضائع والأموال التي عليها وتعاد دون أن تعطى فرصة للنهب أو اتباع القواعد غير العادلة السائدة (٣) .

إضافة إلى ماسبق فقد استثنيت بعض البضائع من الرسوم المقررة أثناء دخولها البلاد مثل « الدر واللولو والأحجار الكريمة والذهب والفضة المشغولة وغير المشغولة وكذلك القمح » (٤) ، وذلك في معاهدات لاحقة في زمن سلطة السلطان علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو ، وقد علل M.E. Martin (٥) إعفاء اللولو والأحجار الكريمة والذهب والفضة من الرسوم أن تلك البضائع استخدمت أحياناً كبديل للنقود.

---

(1) Osman Turan : Türkiye Selçuklularinin hakkinda Resmi Vesikalar. p.140.
لم تزد تلك الرسوم عن ٢٪ في عهد السلطان عزالدين كيكاوس وأخيه السلطان علاء الدين كيقباذ ، وقد نصت الإتفاقية بين السلطان علاء الدين كيقباذ والبنادقة على ٢٪ فقط . انظر : هايد : المرجع السابق ، ج١ ص ٣٠٩ ؛ M.E. Martin : opcit. p.327 .

(٢) انظر :
Osman Turan : Türkiye Selçuklularinin hakkind Resmi vesikalar. p.140 ;
Claud Cahen : le commerce A natolien, p94.

(٣) كانت هناك قاعدة في العصور الوسطى لحال السفن التي تتعرض للضرر وتتحطم قرب السواحل ، إذ تصبح حمولة تلك السفن من بضائع وأشخاص ملك للدولة التي تتحطم السفن قرب سواحلها ، وكانت هذه المادة مخالفة للقانون الروماني وهي غير إنسانية وتعد من قبيل النهب والسرقة الرسمية ، وقد استنكرت ولعنت من قبل المجلس الذي عقد في عام ١٠٧٩م في لاتران ، انظر :
Osman Türan : Türkiye Selçuklularinin hakkind Resmi vesikalar, p.119-114.

(٤) هايد : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٣٠٩ ؛ محمد فواد كوبرلي : المرجع السابق ، ص٩٢ ؛
Claud Cahen : Le Commerce Anatolien , p.69 ; M.E. Martin : op.cit. p.32 .

(5) Op.cit. p.328.

ولكن دخول مثل تلك البضائع وخاصة القمح إلى البلاد بدون رسوم عليها رغم توفرها محلياً قد يضر باقتصاد البلاد وقد يُستغرب ذلك ولكن ذلك الاستغراب ينجلي لما عرف عن السلطان علاء الدين كيقباذ من بعد نظر وتقدير لعواقب الأمور ، فهذه الاتفاقية عقدت مع البنادقة سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م وهؤلاء كان لهم نشاط تجاري في البحرين الأبيض والأسود لذا فمن مصلحة البلاد تسهيل المعاملات التجارية معهم لإنعاش تجارة البلاد سيما وأن تلك الاتفاقية محددة بمدة زمنية لا تزيد على السنتين [١] وتم الاتفاق أيضاً في تلك الاتفاقية أنه من حق البنادقة أن يشكلوا محاكم خاصة بهم للنظر في الخلافات التجارية التي تنشأ بينهم وبين غيرهم من الفرنج المقيمين للتجارة في سلطنة سلاجقة الروم ، بينما تنظر المحاكم السلجوقية في الخلافات الخاصة بجرائم القتل والسرقة التي تقع بين البنادقة أنفسهم وبينهم وبين سائر الفرنج [٢].

كما حرص السلطان علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو على تشجيع التجار البروفانسيين أسوة بالتجار البنادقة ، إذ نشطت حركة تجارة العبور التي يقومون بها ، فقد كانوا ينقلون الشب والصوف والجلد والحرير الخام والمنسوج عبر دولة سلاجقة الروم إلى جزيرة قبرص [٣].

وهكذا استفاد سلاجقة الروم من إنعاش حركة التجارة العالمية عبر أراضيهم بما كانوا يجبونه من رسوم جمركية ، كما انتعشت حركة التجارة الداخلية في أسواق بلادهم بما كان يجلبه إليها التجار الأجانب من سلع وبضائع جديدة لم تكن متوافرة لديهم [٤].

وقد وفر سلاطين الدولة الحماية للأسواق المحلية التي تقام داخل المدن أو خارجها وكذلك الأسواق الجامعة ، كما خضعت تلك الأسواق للرقابة [٥] من قِبل

---

(1) Claud Cahen : Pre Ottoman Turkey, p.166 ; Claud Cahen : Le Commerce Anatolien, p.96.

(٢) ف. هايد : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٣٠٩ ؛ تمارا رايس : المرجع السابق ، ص١٢٤ ؛ M.E. Martin : op.cit, p.329.

(٣) ف . هايد : المرجع السابق ، ص٣١٠ ؛ محمد فؤاد كوبرلي : المرجع السابق ، ص٩٣ .

(٤) توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

(٥) محمد فؤاد كوبرلي : المرجع السابق ، ص١٠٧ .

المحتسب التابع لهيئة الحسبة [١] بالاتفاق مع القاضي حيث يراقب الأسواق والآداب العامة وبصفة عامة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر [٢] ، وقد تميزت الأسواق بمدن دولة سلاجقة الروم بأنها كانت مصنفة حسب الصنعة أو السلعة أو التجارة التي تمارس فيها ، واختص كل سوق بسلعة معينة فسميت الأسواق في كثير من الأحيان باسم السلع التي تباع بها [٣] ، مثل سوق البزازين (تجار الأقمشة) ، كما كانت الأسواق تقام في مداخل المدن ، فقد كانت لتركمان الشرق الأدنى الرحل أسواق يبتاعون بها صناعاتهم والمحاصيل للحيوانات لذلك أطلق عليها سوق التركمان [٤].

إذا نجد أن النشاط التجاري لسلاجقة الروم لا يقتصر على تشجيع التجارة الداخلية والتي كانت أولى صورها التبادل العادي الذي كان منظماً بين القرويين الروم من جهة وبين رعاة الغنم التركمان [٥] من جهة أخرى بل ارتقى إلى رعاية التجارة العالمية بحماية طرقها وتوقيع المعاهدات التجارية مع أقطاب محركي التجارة العالمية - تجار المدن الإيطالية - وكذلك حماية طرق القوافل بإيجاد قوات الأمن اللازمة المرافقة للقوافل التجارية ، وكذلك وضع قوات خاصة لحفظ الأمن واستتبابه في الأماكن الوعرة والممرات الخطرة والطرق المنعزلة [٦] وكان يسمى قائد تلك القوات « كروان باشي » (رئيس القافلة) وقد يصل عدد تلك القوة العسكرية إلى مئة أو مئتين مسلح» [٧].

ويرجع حرص سلاطين سلاجقة الروم لوضع تلك التدابير إلى أن البلاد ذات طبيعة جبلية وعرة ومسالك صعبة الاجتياز يتخلل تلك انتشار رجال العصابات

---

(1) Yaşar yücel : A Nadolu Beyliklerinde Devlet Teşkilati ve Toplum Hayati, s.813.

(2) Eflaki : op.cit. Vol. 2. p.103.

(٣) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٣٠ ؛ نوره باذياب : المرجع السابق ، ص٢٩٦ - ٢٩٨ .

(4) Osman Turan : Selçuklular Trihi ve Türk islâm madeniyeti, s.182.

(٥) محمد فؤاد كوبرلي : المرجع السابق ص١٠١ ؛
Claud Cahen : Pre Ottoman Turk, op.cit, p.157.

(6) Osman Turan : Selçuk kervansarylari, Belletn, 37, Ankara, 1946, s.474-478.

(7) Osman Turan : Selçuk Türkiyasi ve Dünya Ticareti, p.7.

والخارجين على القانون (١).

وبطبيعة الحال فقد أدرك سلاطين السلاجقة أن دولتهم بقدر ما تكون مأمونة في الداخل بقدر ما تكون ذات هيبة من جانب جيرانها ، سواء الأصدقاء أو الأعداء ، لذلك اتخذت تدابير الحماية لتأمين تلك القوافل التجارية التي كانت تنقل المقتنيات الثمينة والتي كانت بالتالي هدفاً لهجمات اللصوص وقطاع الطرق في الداخل وجيوش الأعداء على الحدود (٢) فأدت تلك السياسة إلى الانتعاش الكبير لسلطنة سلاجقة الروم في مجال التجارة العالمية مما جعل من البلاد جسراً تجارياً بين الأمم ومهد الطريق لتبادل السلع والبضائع (٣) فعلى سبيل المثال أصبح الطريق التجاري الذي تمر عبره بضائع وسلع الأناضول وشمال البحر الأسود من أفضل الطرق حيث يربط مصر بحراً بميناء انطالية في جنوب آسيا الصغرى ، ثم عبر البر إلى موانئ البحر الأسود الجنوبية ومنها إلى شمال ذلك البحر (٤) وهذه السلع كانت تتنوع بين البشرية والمادية ، فبسبب حاجة الدولة الأيوبية في مصر والشام للمماليك أصبحت سلطنة سلاجقة الروم هي نقطة الوصل بين بلاد الشام ومصر وبين البلاد المصدرة للرقيق شمالي البحر الأسود ، كذلك استُوردت الفراء بكميات كبيرة من بلاد البلطيق ووجد الفراء طريقه إلى بلاد سلاجقة الروم ومنها إلى سائر البلاد الإسلامية الجنوبية ، إضافة إلى أن مصر كانت تعاني تقليدياً من حاجتها إلى الخشب والحديد وكانت الأناضول هي أقرب نقطة يمكن أن تزودها بها (٥).

وقد ترتب على ذرع القوافل التجارية البلاد شمالاً وجنوباً وغرباً وشرقاً ومن أجل استمرارية وحيوية ذلك النشاط التجاري إلى حرص سلاطين سلاجقة الروم على

---

(1) Osman Turan : Selcuk' kervansaraylari, p.474.

(2) Osman Turan : op.cit. p.474.

(3) Ibid, p.473.

(٤) انظر د. علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ، ص١٨٠ ؛
Vryonis : op.cit, p.223.

(٥) انظر علي الغامدي : النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود ص ١٠٨ .
Cloud Cahen : Le Commerce Anatolien, p.91-92.

إنشاء النُزل (الخانات) وتشجيع رحالات الدولة على ذلـك [١] ، وبافتتـاح سـلاطين سلاجقة الروم لمينائي أنطالية وسينوب انتظمت خانات القوافل شمالاً في اتجاه سامسون وسينوب على البحر الأسود ، وجنوباً في اتجاه انطاليه علـى البحـر المتوسـط ، ونتيجـة لإنشاء الخانات وما كفله نظامها من حماية وراحـة للتجـار ازداد مجـيء التجـار الذيـن كانوا يحملون بضائعهم وأموالهم من مصر والشرق الإسلامي وشبه جزيرة القرم ودول الفرنج إلى مدن السلطنة السلجوقية [٢].

وقد انشئت هذه الخانات على طـرق القوافـل التجاريـة لتـأمين أمـاكن ضيافـة واستراحة آمنة يمكن حمايتها والدفاع عنها ضد هجمات قطـاع الطـرق والمهاجرين ، ومن العصابات العدوانية التي تهاجم القوافل التي تنقل البضائع الثمينة [٣].

ولتـأمين ذلـك تم إحاطـة تلـك النـزل (الخانـات) بأسـوار ذات أبـراج متينـة وأبواب حديدية ، كما جهزت بكل أنواع الترتيبات الدفاعية التي تمكنها مـن صـد أي هجوم خارجي [٤] ، أما من الداخل فقد وفر في تلك النـزل كـل أسـباب الراحـة مـن أماكن خاصة لنـوم المسـافرين والحمامـات اللازمـة وأركـان لمعالجـة المرضـى وصـرف الدواء لهم ومخازن المؤن ، ولا تخلو تلك النـزل مـن مسـاجد لتأديـة المسـافرين الصـلاة فيها، وكذلك أماكن لإصلاح أحذية المسافرين وتـأمين الجديـد منـها للفقـراء منـهم ، كما هناك حظائر خاصة للحيوانات واصطبلات للخيول ومحال لتركيب الحدوات لها. كما يدير هذه النزل موظفين لتنظيم متطلبات تلك النزل [٥] والتي خصـص لهـا أوقافـاً غنية لأن هذه الاستراحات كانت تقدم لأي مسـافر سـواء كـان غنيـاً أو فقـيراً تـاجراً

---

(1) Osman Turan : Selçuk Türkiyesi Ve Dünya Ticareti s.8 ; Selçuk Kervansaraylari, s.472.

(٢) نوره باذياب : المرجع السابق ، ص٢٩٢ ؛ Vryonis : op.cit, p.223 .

(3) Osman Turan : Selçuk Kervansaray lari, s.477.

(٤) انظر ابن فضل اللّه العمري : المصدر السابق ، السفر الثالث ، ص١٤٦ ، تمارا رايس : المرجع السابق، ص١٧٦ – ١٧٧.

(٥) ابن فضل اللّه العمري : المصدر السابق ، السفر الثالث ، ص ١٤٦ ؛ Osman Turan : Selçuk kervarsaraylani, p.483 - 484 .

أوعابر سبيل كل احتياجاته بالخان (١) .

وحرصاً من سلاطين سلاجقة الروم على حماية التجار والقوافل التجارية فقد تقاربت تلك النزل وأنشأت في نقاط استراتيجية على طول الطرق التجارية المهمة ، فجعلوا المسافة ما بين المنزلة والتي تليها ما بين ثلاثين إلى أربعين كيلو متراً (٢٨ ميل) وهي المسافة التي يستطيع الجمل قطعها في نهار واحد ، وتستغرق حوالي تسع ساعات. فكانت القافلة التي تسير في الصباح الباكر تصل إلى المنزلة التالية مساء (٢) وقد بلغت بعض الطرق من الأهمية بحيث تقاربت المسافات بين النزل فقد ذكر أبو الفداء « أن مسافة الطريق بين سيواس وقيصريه ستون ميلاً فيها أربعة وعشرون خاناً للسبيل فيها ما يحتاج إليه المسافرون لا سيما أيام الثلوج (٣) ، وانتظمت تلك النزل على الطريقين التجاريين الدوليين الرئيسيين اللذين يقطنان آسيا الصغرى وهما :

١ - الطريق الذي يتجه نحو الشرق والذي يبدأ من انطاليه وعلائيه على البحر المتوسط يمر بالمراكز التجارية مثل قونيه وأقصراي وقيسارية وسيواس وأرزنجان وأرزروم ويصل إلى إيران وتركستان (٤).

٢ - الطريق الثاني والذي أصبح فيما بعد منافساً للطريق السابق - وذلك نتيجة إخضاع أرمينية الصغرى - فيبدأ من ميناء إياس إلى الشرق قليلاً من نهر جيحان عابراً أرمينية الصغرى ومتجهاً نحو قونيه وقيسارية ، وتسلك هذا الطريق القوافل التجارية المحملة بالبضائع المجلوبة من الغرب فتصل قيسارية وقونية وتتخذ في الطريق الرئيسي السابق الذي يمتد من فيلومليوم (أقشهر) إلى قونيه وهرقله ودرب قليقية حتى يصل إلى انطاكية ، كما يوجد هناك

---

(١) وقفية جلال الدين قراطاي ، ص ٩٥ ؛
Osman Turan : Selçuk Devri Vakfyeleri, p.449.

(2) Osman Turan : Sulçur Kervansaraaylari, p.474 ;
انظر تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٢٢ ؛ انظر نوره باذياب : المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

(٣) تقويم البلدان ، ص ٣٨٥ .

(4) Osman Turan : Sulçuk Kervensaraylari, p.474.

طريق يتفرع من أقشهر وينتهي إلى أنطالية على البحر المتوسط [١].

وإلى جانب الطريقين السابقين هناك طريق ثالث ممتد من قونيه إلى أقشهر ثم إلى القسطنطينية ووديان غرب آسيا الصغرى [٢].

وبطبيعة الحال ارتبطت معظم المدن السلجوقية التجارية بشبكة طرق فرعية تصب في هذين الطريقين وتمتعت تلك الطرق بوجود النزل التي تكفل الراحة والأمان للقوافل التجارية السالكة تلك الطرق مما كان له الأثر الواضح في النشاط التجاري وبالتالي الرخاء الاقتصادي لدولة سلاجقة الروم في تلك الفترة حيث انعكس ذلك على سك العملة السلجوقية في آسيا الصغرى ، فالعملة تعتبرمن شعارات الدولة التي تدل على استقلالها وسيادتها [٣] ، وقد أدرك سلاطين سلاجقة الروم ذلك فظهرت العملة السلجوقية الخاصة بهم معلنة قيام دولة ذات سيادة وقوة اقتصادية مع اتخاذ الأصول الإسلامية في سك العملة والتي استقر عليها الأمر في البلدان الإسلامية المجاورة خاصة في بلدان الخلافة العباسية سواء من حيث القيمة النقدية لكل من الدرهم والدينار وطريقة السك وسعر صرف كل منها للآخر [٤].

ولإضفاء الصبغة الإسلامية الشرعية على مظاهر الحكم في دولة سلاجقة الروم وكنوع من التبعية الاسمية للخلافة العباسية فقد تم نقش أسماء الخلفاء العباسيين

---

(١) رنسمان : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٧٦ ؛

Osman Turan : Sulçuk Karvansaraylari, p.474.

(2) . Osman Turan : Sulçuk Kervansaraylari, p.474 ; S.Vryoris : op.cit, p.222.

(٣) لم تظهر لدولة سلاجقة الروم عملة رسمية خاصة بهم عند بداية تأسيسهم لسلطنتهم في آسيا الصغرى وذلك لأنهم كانوا تابعين لدولة السلاجقة العظام واكتفوا بما كانوا يجبونه من آسيا الصغرى بالعملات السابقة التي كانت تحمل الطابع البيزنطي . ويبدو أن أول سك للعملة في عهد السلطان مسعود الأول السلجوقي (٥٠١-٥٥١هـ / ١١١٦-١١٥٦) حيث كانت عملة نحاسية واستمرت هذه العملة النحاسية في عهد السلطان قليج أرسلان الثاني (٥٥١-٥٨٨هـ / ١١٥٦-١١٩٢م) وبتطور بسيط. وكان ذلك شأن جميع مسكوكات الحكومات التركمانية التي قامت بآسيا الصغرى في تلك الفترة من أراتقة دانشمند وغيرهم ، فقد كانت عملتهم في بداية الأمر تقليداً لمسكوكات مسيحية . انظر : إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص٥-٧ ؛ انظر نوره باذياب ، المرجع السابق ، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

(٤) انظر نوره باذياب : المرجع السابق ، ص ٣٠٢ .

المعاصرين لكل سلطان سلجوقي على العملة ، كما تم نقش اسم السلطان السلجوقي ولقبه وأحياناً اسم المدينة وسنة الضرب وبقية الشعارات الإسلامية التي تنقش على السكة الإسلامية من آيات قرآنية وشهادة التوحيد والصلاة على النبي ﷺ واستعملوا الأرقام الديوانية أحياناً بين العبارات [١].

ويحتمل أن أول سك للعملة في عهد السلطان مسعود الأول (٥٠١-٥١١هـ / ١١١٦-١١٥٦م) وهي عملة نحاسية وعلى أحد وجهيها صورة للامبراطور البيزنطي وهو يحارب التنين ثم مناظر دينية نصرانية [٢] واستمر ضرب هذه العملة في عهد السلطان عزالدين قليج أرسلان الثاني (٥٥١ - ٥٨٨هـ / ١١٥٦-١١٩٢م) ، إلاّ أنه لم تستخدم بنفس الصورة وبنفس العبارات التي كتبت على مسكوكات والده السلطان مسعود الأول النحاسية [٣] إذ أصبحت أصغر من العملة السابقة مع عدم وجود تاريخ أو مكان السك وإنما نقش على وجهها اسم السلطان واسم والده ونقش على الوجه صورة فارس في يده رمح كعلامة على الحرب والفروسية [٤] ، ويبدو أن وجود هذه الرموز النصرانية على النقود السلجوقية يرجع إلى أن عملتهم في بداية الأمر تقليداً لمسكوكات نصرانية مجاورة حيث أن الدولة لم تتبلور بعد وتظهر كقوة سياسية فاعلة أو بسبب الإضطرار إلى استمرار عملية البيع والشراء لسد احتياجات الدولة في تلك الفترة [٥] ولم يقتصر سك العملة على السلطان بل تميزت دولة سلاجقة الروم بالسماح للملوك بسك العملة بأسمائهم وخاصة في فترة تقسيم السلطان قلج أرسلان الثاني البلاد بين أبنائه وذلك لتسهيل المعاملات التجارية .

ومن ضمن العملات الموجودة عملة فضية ونحاسية باسم معزالدين قيصر شاه ملك ملطيه ولكنها خالية من سنة السك ومقره ، ونظراً إلى أنه تولى حكم ملطية

---

(١) إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص ٦ .

(2) Claud Cahen : pre Ottoman: op.cit, p169; Vryoris : op.cit, p474 ; Osman Turan: Selçuklular Târihi ve Türk - islâm medeniyet, s.169.

(٣) إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص ٧.

(٤) المرجع السابق ، ص٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢ .

مابين سنة ٥٨٤ - ٥٩٦هـ / ١١٨٨ - ١٢٠٠م فلا شك أن تكون هذه العملة قد ضربت في ملطية في تلك الفترة [١].

والملاحظ أن الخام المستخدم لسك العملة في دولة سلاجقة الروم النحاس وذلك لتوفره بكثرة في البلاد فكانت أحسن تلك العملات النحاسية تلك التي ظهرت في عهد ركن الدين سليمان شاه[٢] ثم الفضة في عهد السلطان قلج أرسلان الثاني [٣]، واستخدم الذهب في سك العملة ، وقد ذكرت تمارا رايس [٤] أن أول عملة ذهبية سكت في عهد علاء الدين كيقباذ الثاني ، ولكن الثابت أن سلاطين السلاجقة قد سكوا العملة الذهبية قبل ذلك ، ذكر ابن بيبي بأن السلطان عزالدين كيكاوس « أمر بقطع نقدية من الذهب ... ووضعت في أطباق من ذهب وفضة » [٥].

كما سكت قطع نقدية ذهبية في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو ، وقد وثق ذلك محمد باقر الحسيني بقوله : « ظهرت لهؤلاء السلاطين - سلاجقة الروم - نقود ذهبية لا يتجاوز عددها أصابع اليد ثلاثة منها للسلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو ٦١٦هـ/٦٣٤هـ وهي غير مصورة وخمسة للسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ ثلاثة منها غير مصورة واثنان يحملان صوراً لم يظهر مثلها في المتاحف العالمية وغيرها من الأماكن وهما كنوز المتحف الملكي باسطانبول[٦].

---

(١) إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص ٧ .

(٢) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٣) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٤) السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص ١٣٤ .

(٥) الأوامر العلائية ، ص ١٧٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ٨٣ .

(٦) محمد باقر الحسيني : نقدان مصوران من الذهب نادران في العالم للسلطان السلجوقي غياث كيخسرو ابن كيقباذ ، المسكوكات ، وزارة الثقافة والإعلام ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، العدد ١ تموز ١٩٦٩م ، ص٥ ؛ عبدالرزاق زقزوق : نقد فضي مصور في متحف حماة باسم السلطان السلجوقي كيخسرو بن كيقباذ ، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية ، إصدار المديرية العامة للآثار والمتاحف ، الجمهورية العربية السورية ، المجلد الخامس والعشرون ، الجزء الأول والثاني ، ص ١٣٨ .

الحياة الثقافية :

الثقافة هي الوجه المشرق للدولة والتعبير الحقيقي عن واقعها الحضاري ، ولقد تنبه سلاطين سلاجقة الروم إلى تلك الحقيقة منذ وطئت أقدامهم آسيا الصغرى سيما وأن دولتهم قامت في بيئة بيزنطية الثقافة نصرانية العقيدة (١) ، لذا كان لابد لسلاجقة الروم من إثبات واقعهم الحضاري داخل تلك البيئة بكل قوة وصدق وثبات ، فعملوا جاهدين على نشر الثقافة الإسلامية باللغتين العربية والفارسية (٢) لأنهما لغتي الثقافة آنذاك ، فاللغة العربية كانت اللغة الرسمية للدولة (٣) التي اعتمدت عليها في إنشاء نظمها السياسية والمالية والتعليمية (٤) فالصكوك الشرعية الخاصة بالأحوال الشخصية للمسلمين التي كان يصدرها القضاة كانت تكتب باللغة العربية ، وكذلك المستندات المالية ، بالإضافة إلى الكتابات الخاصة بالوقفيات والنقوش الأثرية والمسكوكات (٥) . كما حرص سلاطين السلاجقة على تشجيع استخدام اللغة العربية فهي لغة القرآن والوسيلة الهامة لنشر الإسلام ، فجعلوها لغة التدريس في المدارس (٦) . وظل الحال كذلك حتى عهد الإيلخانيين فقامت اللغة الفارسية مقام اللغة العربية (٧) .

وقد كان لسلاطين سلاجقة الروم الدور البارز في ازدهار الحياة الثقافية في دولتهم ، فقد تلقوا العلم حتى في أحلك الظروف إذ أشار ابن بيبي إلى حرص السلطان غياث الدين كيخسرو على تعليم ابنيه الصغيرين وهو في المنفى ، وذلك بقوله : « وعندما كان الملكان عزالدين وعلاء الدين يفرغان من المكتب وتعلم الأدب

---

(١) توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ .

(٢) نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٨٣٦ .

(٣) أحمد السعيد سليمان : مقدمة كتاب قيام الدولة العثمانية ، ص ف

(٤) نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ ؛ عثمان توران : الأناضول ، ص ٣٨ ؛
Setton : op.cit. Vol.2, p.689.

(5) Claud Cahen : Pre Ottoman Turkiy, p.228 ; Setton : op.cit, Vol. 2, p.689.

(٦) أحمد السعيد سليمان : مقدمة كتاب قيام الدولة العثمانية ، ص.ف .

(٧) المرجع السابق الصفحة نفسها ؛
Esin Kahya : Anadolu Selçuklularinda Bilim, Erdem, ç.5. say: 13/1/1989, s.64.

يقضيان وقتهما في صيد البر والبحر » (١) ، فكان لهذا أثره في قيام بعض السلاطين بكتابة وقرض الشعر باللغة الفارسية مثل ركن الدين سليمان شاه وغياث الدين كيخسرو وابنه عزالدين كيكاوس (٢).

وقد حاول كل أمير من هؤلاء الأمراء الذين تعلموا تعليماً رفيع المستوى وربوا تربية فائقة ، أن يحولوا حواضرهم وعواصم ملكهم إلى مراكز ثقافية ... حتى إن نصر الدين بركياروق شاه ملك نيكسار وقويلو حصار قد أمر بنظم قصصٍ من الأساطير الإيرانية (٣) ، أما علاء الدين كيقباذ فكان صاحب ثقافة رفيعة خاصة .

وكان يعرف الرومية والفارسية والعربية إلى جانب التركية (٤) « وكان يشغل المجلس بتواريخ الملوك وذكر محاسن سير الملوك القدماء ودائم الإطلاع على كيمياء السعادة وسير الملوك لنظام الملك » (٥) وقد انعكس هذا الاهتمام العلمي لسلاطين دولة سلاجقة الروم على الثقافة العامة للدولة فحرصوا على إنشاء المدارس واستقطاب العلماء من كل مكان للتدريس بها (٦).

والحقيقة فإن الهدف الأساسي من إنشاء المدارس هو نشر الإسلام وغرس العلوم الإسلامية في سكان آسيا الصغرى ، حيث بدأ سلاجقة الروم كغيرهم نظام التعليم بإنشاء الكتاتيب الملحقة بالجوامع لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال وتعليمهم القراءة والكتابة (٧) فدولة لها مكانتها السياسية والإقتصادية كدولة سلاجقة الروم لابد وأن تعزز ذلك بالثقافة الإسلامية لهذا قاموا بتأسيس العديد من المدارس وأول مدرسة في آسيا الصغرى عرفت من نقش في قيصرية في سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م ، أما أول

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.58 .

(٢) أحمد السعيد سليمان : مقدمة كتاب قيام الدولة العثمانية ، ص ف . انظر بعض من الأبيات التي نظمها هؤلاء السلاطين . أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١ ، ٣٥ ، ٥٠ .

(3) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiy . s.218.

(4) Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Türkiye. s.391.

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(6) Osman Turan : Selçuklulari Zamaninda Turky. s.391.

(٧) محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ١١٢ ؛ Eflaki : op.cit. Vol. 2, p.103 .

مدرسة أنشأها سلاجقة الروم لتدريس العلوم الإسلامية فهي مدرسة ألتون أبا في قونيه ثم توالت بعد ذلك المدارس في العاصمة وفي غيرها من المدن السلجوقية وخصصت لها الأوقاف الغنية ووفد عليها الطلاب من كل مكان (١).

وبطبيعة الحال فكل دولة تحرص عند رعاية الثقافة والعلم بها على نشر مذهبها الخاص ، لذا نجد أن من أصول أهداف المدارس السلجوقية في آسيا الصغرى نشر المذهب السني بصفة عامة والفقه الحنفي بصفة خاصة ، فقد ذكر صراحة في وقفيات كبار رجال الدولة إذ خص شمس الدين التون أبا في وقفية مدرسة بظاهر مدينة قونيه على الصرف على « المتفقهين المتعلمين الحنفيين والشفعويين » (٢) ، بل اشترط ألا يتقلد وظيفة التدريس بها إلاّ من كان حنفي المذهب (٣) ، وكذلك الإمام لابد وأن يكون حنفي المذهب (٤).

وفي وقفية جلال الدين قراتاي أضاف إلى جانب الصرف على المدرس الحنفي « وعلى مصالح الأئمة من المذاهب الأربعة » (٥) .

وعند الإطلاع على الوقفيات السلجوقية الخاصة بالمدارس نجد أن رغبة هؤلاء الواقفين على رعاية العلم والعلماء واضحة في رعاية أدق احتياجات تلك المدارس ، فهذه المدارس تحت رعاية موظفين على رأسهم المتولي والناظر ولكل منهم راتبه الذي يُصرف من عائدات المدرسة (٦) ، كذلك خصصت مصروفات لأثاث تلك المدارس وشراء ما يحتاجه المتعلمين من كتب ، وأيضاً تزويد مكتبات تلك المدارس بالكتب لغرض الدراسة في المدرسة أو الإعارة شرط أن يضع تأمين يعادل ثمن الكتاب المستعار (٧).

وكان عدد الطلاب في المدرسة الواحدة يتراوح ما بين عشرين إلى أربعين

---

(١) نورة باذياب : المرجع السابق ، ص٣٨٨ .
(٢) وقفية مدرسة التون آبا ، ص ٢٢٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ ؛ ٢٣٠ .
(٥) وقفية مدرسة جلال الدين قراتاي ، ص ١٣١ .
(٦) وقفية مدرسة التون آبا ، ص ٢٣٠ ؛ Vryoris : op.cit. p353 .
(٧) وقفية مدرسة التون ابا ص ٢٣٠ .

طالباً، وكان يطلق لقب (متعلم) على الطالب الذي يتلقى تعليماً أولياً ، كما يطلق لقب (متفقه) على الطالب الذي يتلقى تعليماً عالياً بالمدرسة (١).

وقد وُضِعَ نظامٌ صارمٌ لجدية التعليم في تلك المدارس ، فالطالب الذي يلتحق بالمدرسة ويقضي مدة خمس سنوات دون تحقيق ماهو مفروض عليه من التحصيل العلمي كان يفصل منها (٢) ، كذلك كان يفصل من المدرسة كل من يتهاون أو يهمل في حضور الدروس عدا أيام العطلات التي يجاز فيها المدرسون (٣).

هذا إلى جانب أن تلك المدارس تميزت بالتخصص سيما في العلوم الشرعية فهناك مدرسة لدراسة القرآن الكريم وأخرى للحديث أو للفقه أو للتفسير ، وكانت كل مدرسة تأخذ اسماً محدداً ، فمدرسة تعليم القرآن الكريم تسمى مدرسة القرآن ، ومدرسة تعليم الحديث تسمى دار الحديث ، وهو الإسم الذي أطلق على مدرسة إنجه مناره بقونية ، بينما كانت مدرسة صيرجالي والمدرسة الأتابكية لتدريس الفقه فقط ، وضمت مدرسة قره تاي العلوم الشرعية والحديث والتفسير والأصول والفروع (٤) .

والحقيقة فإن نظام التعليم بمدارس دولة سلاجقة الروم يشير إلى مدى التقدم والرقي الذي ساد الحياة الثقافية في البلاد آنذاك ، ويرجع ذلك إلى أن سلاطين دولة سلاجقة الروم قد فتحوا الأبواب أمام العلماء والأدباء والشعراء الإيرانيين والتركستانيين الهاربين من الغزو المغولي وتمتعوا بحماية هؤلاء السلاطين ورعايتهم ومن هؤلاء العلماء :

محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) :

الذي وفد إلى سلاجقة الروم سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م ، وكان ذلك في عهد السلطان عز الدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو حيث خرج السلطان بنفسه لاستقباله بكل حفاوة وإكبار حتى أنه منحه داراً فخمة للإقامة بها (٥) ، كما رحب

(١) نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .
(٢) وقفية مدرسة التون آبا ، ص ٢٣٠ .
(٣) وقفية مدرسة التون آبا ، ص ٢٣٠ .
(٤) نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٣٨٩ .
(٥) اسين بلا ثيوس : ابن عربي حياته ومذهبه ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، ص ٦٦ .

السلطان بتوجيهات ووصايا ابن عربي في الأمور الدينية (١) . ومن ذلك الاتصال بين محيي الدين بن عربي والسلطان عزالدين كيكاوس الرسالة التي كتبها ابن عربي للسلطان يحثه فيها على العدل بين الرعية ومراعاة حق اللّه والحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية في معاملة أهل الذمة في دولته (٢).

وكان لمحيي الدين بن عربي الأثر الكبير في نشر الثقافة الصوفية في آسيا الصغرى ، وذلك عن طريق تدريسه للطلاب أو قيامه برحلات داخلية بين مدن السلطنة حيث نشر علمه في كل من قيسارية وملطية وسيواس وارزن الروم (٣) ساعده على ذلك اهتمام سلاطين دولة سلاجقة الروم بهؤلاء العلماء وتشجيعهم على الاستقرار في بلادهم ونشر العلوم الإسلامية بين السكان الذين هم بدورهم أظهروا رغبة شديدة في معرفة علوم الإسلام والتعمق والتفقه فيها سيما وأن معظمهم حديثي عهد بالإسلام (٤) .

بهاء الدين ولد (ت سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) :

محمد بن حسين بن أحمد البلخي المعروف ببهاء ولد والملقب بسلطان العلماء ، ولد في بلخ سنة ٥٤٥هـ / ١١٤٧م وهو من ضمن العلماء الذين وفدوا إلى آسيا الصغرى إبان فترة الغزو المغولي للشرق الإسلامي فترك بلده بلخ التي ولد وتعلم وعلم بها متجهاً إلى دولة سلاجقة الروم التي عُرف عن سلاطينها تشجيعهم للعلماء وخاصة الصوفية اللذين وجدوا مناخاً مناسباً لنشر ثقافتهم في آسيا الصغرى بعيداً عن منافسيهم الفلاسفة (٥)، وذكر كاهن بأن لجوء بهاء الدين ولد إلى دولة سلاجقة الروم

---

(١) ابن عربي : محيي الدين بن عربي (٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) : الفتوحات المكية ، تحقيق د. عثمان يحيى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، ج٤ ، ص ٥٤٧ .

(٢) ابن عربي : الفتوحات المكية ، المجلد الرابع ، ص ٥٤٧ .

(٣) أسين بلاثيوس : المرجع السابق ، ص ٦٨ ؛ نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(4) Claud Cahen : Pre Ottoman. p.253, 255.

(٥) أحمد كمال حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص٢٦٣ .

بسبب خلافه مع السلطان الخوارزمي [١] .

وكيفما كان الأمر فقد قصد بهاء الدين ولد دولة سلاجقة الروم مصطحباً ابنه الصغير جلال الدين ، وأثناء تجواله في مدن آسيا الصغرى استدعاه السلطان علاء الدين كيقباذ حيث استقر نهائياً في قونيه العاصمة [٢] حتى وفاته بها ، وقد عمل بهاء الدين ولد على نشر آرائه الصوفية وتحذير الناس من خطر المغول وخاصة على الدين الإسلامي ، ساعده على ذلك تقبل المسلمين في دولة سلاجقة الروم لهذا المذهب . ثم ورث ابنه جلال الدين علمه . وقد علل محمد فؤاد كوبرلي سبب انتشار الصوفية في دولة سلاجقة الروم إلى اتصالها بمختلف الثقافات وعدم تعصبها ، فأدى ذلك إلى قبول تلك التيارات الثقافية التي بدأت في النصف الثاني من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي [٣] .

الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عبدالله السهروردي :

وهو فقيه ومحدث صوفي شافعي المذهب ولد بسهرورد سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م وتوفي ببغداد سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م [٤]، كان سفيراً ومستشاراً للخليفة العباسي الناصر لدين اللّه العباسي[٥] أصبح عمر السهروردي معروفاً في بلاط السلطان علاء الدين كيقباذ لكونه كان سفيراً للخليفة العباسي وعلى رأس الحاضرين في الاحتفالات غير العادية التي أقامها السلطان علاء الدين كيقباذ لتسلم الخلع وقرارات

---

(1) Claud Cahen : pre Ottoman. p.258.

(2) Cloud Cahen : op.cit. p.258 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turky, s.392.

(٣) قيام الدولة العثمانية ص ١١٣ ؛ أيضاً :
Ali Sevim. Erdogan Mençil : Selçuklu Devletleri Tarihi, s.520.

(٤) ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر : (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لا يوجد تاريخ ، ج٣ ، ص٤٤٨-٤٨٦ ؛ السبكي : تاج الدين بن تقي الدين (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٦م) : طبقات الشافعية الكبرى ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ج٥ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٥) ابن الجوزي : أبي الفرج عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) : المنتظم في تاريخ الأمم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية : حيدر آباد الدكن ، الهند ، الطبعة الأولى ١٣٥٩هـ ، ج١٠ ، ص٧٥ .

التعيين التي كان يرسلها الخليفة [١].

وقد كشف ابن بيبي [٢] أن هناك علاقة بين عمر السهروردي والسلطان علاء الدين كيقباذ قبل ذلك ، ثم تعززت تلك العلاقة من قِبل السلطان علاء الدين كيقباذ بعد توليه السلطة وظهر جلياً في تقديره للشيخ عمر السهروردي سجل ذلك ابن بيبي [٣]بقوله : « حين أبلغ السلطان بالقدوم المبارك للشيخ إلى « أقسرا » أرسل الأمراء ... كما خف القضاة والأئمة والمشايخ والمتصوفة والأعيان بأعداد كبيرة للغاية للترحيب به ، ثم توجه السلطان بنفسه بجيش منظم ... لاستقباله » .

وهكذا نلاحظ مدى تقدير سلاطين سلاجقة الروم واحترامهم العلماء وترغيبهم في الاستقرار في بلادهم من أجل نشر تعاليم الإسلام وعلومه والرفع من ثقافة دولتهم . وليس السلاطين فقط من حرص على إكرام العلماء وتقديرهم ، بل شارك في ذلك كبار رجال دولة سلاجقة الروم ، ومن ذلك تقرب قراتاي من الشيخ السهروردي [٤].

وقد أثرى الشيخ السهروردي الثقافة في دولة سلاجقة الروم بما كتبه عن التصوف ومن الفتوة [٥] .

جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ / ١٠٧٣م) :

هو محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن أحمد بن قاسم وينتهي نسبه إلى عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ، عرف باسم جلال الدين القونوي [٦] ولد عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧هـ في بلخ ورحل مع والده صغيراً إلى دولة سلاجقة الروم حيث

---

(١) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ٧٥ .

(٢) الأوامر العلائية ، ص ٢٠٦ ؛ انظر الفصل الرابع ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) الأوامر العلائية ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ؛ أخبار سلاجقةالروم ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٨ .

(5) Claud Cahen : Pre Ottoman, p.256.

(٦) العيني : المصدر السابق (حوادث وتراجم ٦٦٥ - ٦٨٨هـ / ١٢٦١ - ١٢٨٩م) تحقيق د. محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ١٢٨ .

عاش بها وتلقى العلم فيها لذا تلقب بـالرومي ، وكـانت لـه حلقـة علميـة في قونيـه ، تتلمذ على يديه العديد من الطلاب الذيـن صـاروا فيمـا بعـد أهـلاً للتدريـس [١] وقـد خلف والده في وظيفة التدريس بعض الوقت فكان عالماً بالمذهب الحنفي واسع الفقه ، عالماً بالخلاف وبأنواع العلوم [٢] ثم اتجه إلى التصوف وأصبح مقصـد الـزوار ومنتـدى العلماء والمفكرين [٣] ، وقـد أثـرى الحيـاة الثقافيـة إثـراءً كبـيراً مـن النـاحيتين الدينيـة والأدبية ، فمن الناحية الدينية كانت أغلب مؤلفات جلال الدين الرئيسة تأخذ أشكال محاضرات أو رسائل أو أقوال مأثورة تكون مزيجاً من الأفكـار الدينيـة والفلسـفية يعـبر عنها عن طريق نظم الشعر وهي موجهة بصفة خاصة للدراويش المولوية [٤].

أما إثراءه الثقافة السلجوقية أدبياً فتمثل في أعماله الشعرية والنثريـة الـتي كتبـها باللغتين الفارسية والتركية [٥] .

وهكذا نجد أن الاستقرار الـذي أمنـه سـلاطين دولـة سـلاجقة الـروم للعلمـاء المسلمين وخاصة العلوم الدينية قد هيأ مناخاً لإظهار النشاط الثقافي وازدهاره في إطـار تآلف أقوام وأديان متعددة في الأناضول [٦] ، ولنا هنا وقفه إذ أن جـل العلمـاء الذيـن حظوا باهتمام سلاطين سلاجقة الروم من العلماء والمتصوفة وربما يعود ذلـك إلى ميـل هؤلاء السلاطين لتلـك المذاهـب ، فقـد أشـار ابـن الأثـير إلى حادثـة وقعـت في عـهد السلطان ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان الثاني يدلل بها على ميل هـذا السـلطان إلى مذهب الفلاسفة ، ولكن لايجرؤ على إظهاره حتى لايخالفه الناس [٧].

---

(1) Ali Sivm Erdogan merçil : Selçuklu Devlettani Tarihi. s. 520 ;

نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٣٥٦ .

(٢) العيني : المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٣) أحمد توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٣٧٨ .

(٤) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٥) نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ ؛

Ali Sevim, Erdogan Merçil : Selçuklu Devletleni Tarihi. s.520 .

(6) Ali Sevim. Erdogan Merçil : op.cit. s.520.

(٧) الكامل : ج١٢ ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

على أية حال لم يقتصر تشجيع السلاطين للنشاط الثقافي على علماء العلوم الإسلامية ، بل نال العلماء الآخرون قسطاً كبيراً من ذلك الاهتمام وتلك الرعاية ، فهذا المؤرخ محمد بن علي الراوندي قد قدم مؤلفه « راحة الصدور وآية السرور » للسلطان غياث الدين كيخسرو سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م [١] ، وهذا الكتاب من أهم الكتب التي تتناول تاريخ سلاجقة إيران منذ نشأتهم حتى انقراضهم على يد الخوارزميين ، ورغم أن هذا المؤلف لايؤرخ لدولة سلاجقة الروم إلاّ أن سلاطين تلك الدولة اهتموا بتاريخ الأمم والملوك [٢] ، وهذا يعكس حرص أولئك السلاطين على حب الإطلاع على الثقافات المختلفة ونشرها .

ولا يفوتنا ونحن نستعرض النشاط الثقافي لدولة سلاجقة الروم الأعمال الأدبية التاريخية التي خصها العلماء لسلاطين تلك الدولة وأشهرها كتاب « الأوامر العلائية في الأمور العلائية » الذي ألفه ناصر الدين يحيى بن مجد الدين محمد ترجمان (٦٨٠هـ / ١٢٨٢م) حيث حمل اسم هذا المؤلف الفريد لتاريخ دولة سلاجقة الروم اسم أشهر سلاطينها والذي عاشت في عهده الدولة أزهى عصورها وهو السلطان علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو ، وقد أبدع مؤلفه في نسج محتوياته وتطريزها بالشواهد الأدبية الرائعة الفارسية وهي لغة الكتاب ، وكذلك الشواهد العربية اللغة الرسمية للدولة ، فأظهر كاتبه مهارة في معرفته بالأدب العربي ، فهو « كتاب أدبي ، كتب لكي يقرؤه الملوك وهو مرآة للملوك » [٣].

وهكذا يتضح مدى حرص سلاطين سلاجقة الروم على الرقي بالثقافة في دولتهم بتواجد موظفين في الدولة على مستوى أدبي وعلمي رفيع ، مما كان له أثره على الناحية الثقافية لسلطنتهم .

---

(١) نوره باذياب : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ ؛
Ali Sevim, Erdogan Merçil : op.cit. s.520.
ضمن الراوندي مؤلفه هذا مدح للسلطان غياث الدين كيخسرو شعراً ونثراً . انظر : الراوندي : محمد ابن علي بن سليمان : (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م) : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية د. إبراهيم أمين الشواربي . د. عبدالمنعم محمد حسنين ، د. فؤاد عبدالمعطي الصياد ، دار القلم ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م ، ص ٥٨ - ٨٣ ، ٦٣٩ - ٦٤٣ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٣) نوره باذياب : المرجع السابق ، ص ٣٦٩ .

هذا بالإضافة إلى اهتمامهم بالعلوم الطبية وإقامة المنشآت الضخمة للتطبيق العملي لما درسه الطلاب في مدارس تعليم الطب ، فقد كان السلطان غياث الدين كيخسرو من أوائل السلاطين الذين شيدوا المؤسسات الطبية ، فأنشأ مدرسة طبية ومستشفى ملحق بها في مدينة قيسارية شاركته في ذلك أخته جوهر نسيبه [١] ، وقد سميت هذه المؤسسة « مدرسة الشفاء » حيث قام الأطباء في المستشفى بالتعليم في المدرسة نظرياً ، وتطبيقها عملياً في المستشفى ، ثم أسس السلطان عزالدين كيكاوس دار الشفاء في سيواس ، فكانت نموذجاً احتذت به الامبراطورية العثمانية بعد ذلك[٢]، وقد حرص سلاطين السلاجقة على استقطاب العلماء في هذا المجال سواء المسلمين منهم أو غيرهم ... [٣] لتدريس الطب في المدارس الملحقة بالمستشفيات ، ذكر ابن أبي اصيبعة بأن شمس الدين بن هبل الموصلي كان متميزاً في الطب والأدب « سافر إلى بلاد الروم وأكرمه صاحب الروم الملك الغالب كيكاوس بن كيخسرو إكراماً كثيراً وبقي عنده إلى أن توفي » [٤]. وقد تنوعت تخصصات هؤلاء الأطباء فكان من بين هيئة التدريس اختصاصيون في الأمراض الداخلية والجراحة والكحالة والأمراض الجلدية والإضطرابات العقلية ، فكان هؤلاء الأطباء يمارسون التدريس ومعالجة المرضى[٥] .

وقد خصصت الأوقاف الغنية للصرف على تلك المدارس الطبية والمستشفيات من أجور الأطباء إلى توفير الكتب الطبية اللازمة لطلاب الطب وأيضاً توفير الأدوية والعقاقير للمرضى[٦] .

---

(١) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١١٨ ؛ خليل أدهم : قيصري شهري ، ص ٣٠ ، ٣٢ .

(٢) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٥١ ، ١٥٢ ؛ Ibin Bibi : op.cit, p.296 .

(٤) ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق د. نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ٤١٠ .
وابن هبل الموصلي هو : شمس الدين بن أبو العباس أحمد بن مهذب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل ولد في العشرين من جماد الآخرة سنة ٥٤٨هـ .

(٥) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١١٩ ؛ اقطاي أصلان ابا : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، استانبول ، ١٩٨١م ، ص١٠٤ ؛ خليل أدهم : قيصريه شهري ، ص ٣١ ؛ Esin Kahya : op.cit. s.76 .

(6) M.Cevdet : Sivas Derüşşifasi Vakfiyesi ve tercümesi, The Wagfiyya of the Hospital at sivas and a commentary upon it. Istanbul 1938. s.36 ; Esin Kaya : op.cit. s.75.

الحياة الاجتماعية :

كان لموقع دولة سلاجقة الروم الجغرافي - في آسيا الصغرى - الأثر في تنوع العناصر السكانية ، فضمت الترك والتركمان والفرس والسريان والأكراد ، بالإضافة إلى الأرمن والأقليات الأوربية ، فالأتراك السلاجقة كانوا من أبرز العناصر السكانية فقد استوطنوا معظم المدن في آسيا الصغرى منذ نشأة دولة سلاجقة الروم فيها وعاشوا عيشة مستقرة [١] .

وبعد استقرار الدولة سياسياً أخذ الترك يتوافدون على دولة سلاجقة الروم على شكل أفواج كثيفة ، ثم اندرجوا في سكان البلاد ، وبطبيعة الحال فقد شجع سلاطين سلاجقة الروم الهجرات التركية إلى الأناضول وذلك لتتريك المدن المفتوحة التي بلغت في منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي مائة مدينة [٢] . وقد ثبت دور الترك في القوات السلجوقية وذلك بوجود وحدة تركية لحماية قونية قبل أن تصبح عاصمة سلاجقة الروم ، ثم أبقيت هذه الوحدة لحمايتها [٣] فيما بعد ، كما ضمت القوات السلجوقية بين طوائفها العنصر التركي أسوة بالعناصر الأخرى [٤] .

ولا تقتصر إسهامات العنصر التركي على الناحية العسكرية ، بل كان لهم دور في اقتصاد الدولة لاسيما في ميدان الأسواق التجارية ، حيث وضحت ذلك وقفية التون أبا بكثرة أسماء التجار الترك [٥].

أما العنصر الثاني لسكان سلاجقة الروم فهم التركمان وهم من القبائل التركية التي كانت تعيش في آسيا الوسطى ثم أخذت في الزحف إلى آسيا الصغرى مساندة للانتصارات السلجوقية [٦] ، وباعتبارهم قبائل رعوية عاشوا حياة كلها بداوة لا

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية : ترجمة إبراهيم زكي خورشيد ، أحمد الشنتناوي ، عبدالحميد يونس ، الشعب ، المجلد الرابع (٣٢) ، ص ٥٢٥ .

(2) Cloud Cahen : Pre-Ottoman, op.cit, p.189.

(٣) نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٤) وقفية التون أبا ، ص ٢٢٤ ، ٢٣٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(٦) محمد فؤاد دكوبرلي : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

استقرار فيها ، تجمعت أكثر قبائل التركمان في منطقة الحدود بين دولة سلاجقة الروم وجيرانها في شرق وجنوب شرق آسيا الصغرى ، إذ وجدوا تلك المنطقة مناسبة لمعيشتهم الرعوية [١] وأخذوا في التحرك بشكل مستقل عن الدولة [٢]. ولقد اشتهر هؤلاء التركمان بالشجاعة الحربية والطاعة العمياء لقادتهم [٣] ، كما امتاز رماتهم بدقة التصويب وخفة الحركة مما جعلهم يشكلون الغالبية العظمى في القوات السلجوقية وخاصة منطقة الحدود ، قال ابن سعيد المغربي : « يقال أن فيها وفي جهاتها - انطاليا - نحو مائتي ألف بيت للتركمان وهم الذين يقال لهم الأوج » [٤] ، كما ذكر محمد فؤاد كوبرلي « أن خلقا من التركمان قوامهم الفاخيمة كانوا يسكنون شمال غرب انطاليه وفي جبال ديكزلي وبجوارها أي بالقرب من منطقة مندرس » [٥] . وفي منطقة اسكيشهر تجاوز عددهم ١٠٠,٠٠٠ [٦] ، أيضاً هناك عناصر من التركمان سكنوا المدن التجارية مثل سيواس ، فقد وصل عدد سكانها في فترة من الفترات إلى ١٢٠,٠٠٠ نسمة غالبيتهم من التركمان [٧] . ومن المحتمل أن تلك القبائل سواء في سيواس أو أنطاليه هي واحدة من نقاط حراسة الحدود التي اوكل السلاجقة مهمتها لقبائل التركمان وخاصة الحدود الغربية والمشتركة مع حدود نيقيه [٨] . ومع أن هؤلاء التركمان كانوا خاضعين لسلاطين السلاجقة ، إلاّ أنهم لا يتحرجون من شق عصا الطاعة إذاما أحسوا بضعف السلطة الحاكمة في العاصمة [٩] . وأحياناً ينحازون إلى أحد الأمراء المتصارعين على العرش لدعم مركزهم في الدولة [١٠] .

---

(1) Claud Cahen : Pre-Ottoman Turky, p.145 ; Vryonis : op.cit, p.191-193.

(2) Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiy, s.206.

(٣) نورة باذياب ، المرجع السابق ، ص ١٧١ ؛ Osman Turan : op.cit, s.235 .

(٤) كتاب الجغرافية ، ص ١٨٥ .

(٥) قيام الدولة العثمانية ، ص ٧١ .

(6) Osman Turan : op.cit, s.205.

(٧) محمد فؤاد كوبرلي : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٨) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٩) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(١٠) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٠-٥١ .

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن اندماج قبائل التركمان داخل العناصر السكانية المكونة لدولة سلاجقة الروم قد غيّر من أنماط الحياة الاجتماعية لتلك القبائل، فلم تعد تلك القبائل البدوية الرعوية بصفة دائمة، وإنما أصبحوا يتحركون مع قطعانهم ويصلون إلى القرى في المواسم المختلفة وكان عددهم أكثر من البدو.

وفيما استقرت جماعات منهم نهائياً في القرى وعملوا في الزراعة وامتهن آخرون مهنة قطع الأشجار في الغابات [١].

إلى جانب الترك والتركمان هناك عنصر ثالث وهم الفرس حيث وفدوا إلى دولة سلاجقة الروم هرباً من ويلات المغول [٢]، وعلى الرغم من قلة عددهم كعنصر سكاني مقارنة بالترك والتركمان فقد كان لهم قدر من التأثير خاصة القزاونة والديالمة. ذكر ابن بيبي في معرض حديثه عن مراسم استقبال السلطان علاء الدين كيقباذ في قونيه عند اعتلائه عرش السلطنة " وجرى في ركاب مالك الرقاب خمسمائة من مقدمي العساكر من القزاونة والديالمة ما منهم أحد إلاّ هو أشد جسارة من النوازل السماوية [٣]، ولم يقتصر وجودهم في القوات الخاصة بل انضموا للجيش السلجوقي كما تبوأت طائفة منهم مناصب كبار الموظفين في الدولة وارتقوا فيها مراتب عالية مثل وظيفة نائب السلطنة، القاضي، المستوفي والوزير [٤]، ومن هؤلاء شمس الدين الأصفهاني نائب السلطنة ورئيس المكتبة في عهد السلطان غياث الدين كيخسرو [٥]، أيضاً هناك شهاب الدين علي بن محمد الديلمي الذي تولى وظيفة المستوفي في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ، ثم ارتقى إلى وظيفة وزير في دولته بعد أن أثبت كفاءة عالية في وظيفته [٦]. وقد جمع هؤلاء الفرس البراعة والتميز السياسي والرقي الثقافي،

---

(1) Cloud Cahen : Pre-Ottoman Turkiy, p.146 ; yaşar Yücel : Anadolu Beylikleriue Devlet Teşkitâti ve Taplum Hayate. s.820.

(٢) أحمد السعيد السليمان في مقدمة تاريخ الدولة العثمانية، ص ي.

(٣) الأوامر العلائية : ص ٢١١ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ٩ - ١٠.

(٤) نورة باذياب : المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٥) أخبار سلاجقة الروم، ص ١٠١.

(٦) العيني : المصدر السابق، حوادث ٦٦٥هـ، ص ١٦٥.

فشمس الدين الأصفهاني نائب السلطنة - كما ذكرنا - شغل أيضاً مركز رئيس كتبة السلطان نفسه (١) وذلك لثقافته وغزارة علمه ، أيضاً لم يقرب مهذب الدين علي بن محمد الديلمي من الطبقة الحاكمة ويجعله يتقلد المناصب العليا إلاّ تميزه الثقافي (٢) ، والحقيقة فإن العنصر الفارسي يتميز بحضارته الفارسية وانخراطه في سلك العلم والتعليم بعكس القبائل التركية ، فكان لتشجيع سلاطين سلاجقة الروم العلماء واجتذابهم بالمغريات المادية الأثر في توافد هؤلاء الأقوام إلى الدولة وإثرائها ثقافياً واجتماعياً ، إضافة إلى هذه العناصر الوافدة هناك بطبيعة الحال عناصر سكانية تمثل سكان البلاد الأصليين مثل الروم ، وهؤلاء كانت الغالبية العظمى منهم الأسرى والسبايا الذين تعايشوا فيما بعد بين السلاجقة الأتراك ودخلوا في خدمة السلاطين أو كانوا مزارعين وصناع (٣) ، ومنهم من اعتنق الإسلام وكان له دور فاعل في المجتمع السلجوقي الرومي أو من بقي على ديانته النصرانية وعومل كأهل الذمة (٤) ولم يتحرج السلاجقة في ضمهم إلى قوات الجيش إذ وجدت فرق رومية ضمن القوات السلجوقية (٥) كما لعبوا دوراً كبيراً في البحرية السلجوقية (٦) .

أيضاً هناك السريان في مناطق الفرات العليا في مدينة ملطية وما جاورها (٧) الذين عاشوا في كنف سلاطين دولة سلاجقة الروم كرعايا تمتعوا بحرياتهم الدينية فاحتفظ رجال الدين بكامل صلاحياتهم وكذلك بكنائسهم وأديرتهم (٨) رغم أنهم تحت لواء دولة إسلامية . فالنصارى السريان وجدوا الحرية الدينية التي كانوا ينشدونها في ظل سلاطين دولة سلاجقة الروم مما زاد في ولائهم لهؤلاء السلاطين

---

(1) Eflaki : op.cit, Vol. 1, p.37.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٣٦٥ .

(3) Vryonis : op.cit, p.170, 470.

(4) Cloud Cahen : Pre-Ottoman Turkiy, p.204.

(5) Vryonis : op.cit, p.469.

(6) Vryonis : op.cit, p.481.

(7) Setton : op.cit, Vol.2. p.685.

(8) Ibid, Vol.2. p.685; Vryoris : op.cit, p. 198 .

وتفاعلهم إيجابياً كسكان محليين [١] . وقد عمل السريان في دواوين الدولة ككتاب ومترجمين ، ففي إشارة لابن العبري ذكر « أن ميخائيل القسيس اليوناني والكاتب الملطي توجه إلى قونيه ليدفع الخراج » [٢] ، إذ تتضح من رواية ابن العبري طبيعة عمل هذا القسيس وهو أنه كاتب في ديوان ملطية ، وأيضاً التزام هؤلاء السريان بما عليهم من أموال للدولة .

كما برز السريان في مجال الطب فخدموا في بلاط سلاطين السلاجقة وأمرائهم ومن أشهرهم حسنون الرهاوي المتوفي سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م [٣] ، وأبو سالم النصراني اليعقوبي الملطي المعروف بابن كرايا المتوفي سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥ الذي خدم السلطان علاء الدين كيقباذ وترقى في هذه الخدمة ولازم السلطان في جميع تحركاته ، ويبدو أن السلطان يستعين به في الترجمة وفي ذلك يقول ابن العبري : « وكان قليل العلم بالطب إلاّ أنه كان أهلاً لمجلسه لفصاحة لهجته في اللسان الرومي » [٤] ، إضافة إلى ذلك فلم يتوان السريان في خدمة الدولة عسكرياً إذ انضم ٥٠٠ رامي ممن برعوا في رمي السهام من دير برصوما إلى القوات السلجوقية سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م [٥].

وهناك الأكراد في المناطق الشرقية لدولة سلاجقة الروم وخاصة المناطق التي دخلت تحت لواء سلاطين السلاجقة من بلاد ديار بكر الأرتقية ، ولكن هذا العنصر السكاني لم يدخل المدن في الأناضول كسكان إذ آثروا الإقامة في البلاد الجنوبية الشرقية لدولة سلاجقة الروم [٦] ؛ وذلك للعداء بين التركمان والأكراد ، فأقرب فتنة

---

(١) عثمان توران : الأناضول ، ص ٩ ؛ Cloud Cahen : Pre-Ottoman, op.cit, p.203 .

(٢) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢١٨ .

(٣) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص٢٧٣ ؛ تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٤٢ – ٤٤٣ .

(٤) مختصر تاريخ الدول ، ص ٤٤٤ .

(٥) ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص ٢٨٥ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٧٢ :
دير برصوما : قرب ملطية على رأس جبل يشبه القلعة وعنده متنزه . انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٠٠ .

(٦) دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع (٣٢) ، ص ٥٢٦ .

حدثت بين الأكراد والتركمان كانت سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م شملت مناطق واسعة من الجزيرة والشام وشمال العراق والأناضول (١) ، لذا فقد كان دور العنصر الكردي في سكان دولة سلاجقة الروم كرافد اقتصادي إذ أمدوا أسواق المدن السلجوقية بالمنتجات الزراعية وعمل السلطان علاء الدين كيقباذ على إعادة توطينهم في مدينة خلاط سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ، وحثهم على مزاولة نشاطهم الزراعي بإمدادهم بمقومات ذلك بما يحتاجونه من بذور وأدوات زراعية (٢).

كما انتقل الرعاة الأكراد بأغنامهم إلى المدن السلجوقية خلال الربيع لبيع أغنامهم (٣) وتسويق مصنوعاتهم من أكسية المرعز التي اشتهر بها سكان ماردين والتي تصنع من صوف الأغنام لديهم (٤) . ولم تمدنا المصادر التاريخية التي بين أيدينا بدور هؤلاء الأكراد في المجتمع السلجوقي أو في الإدارة السلجوقية ، ولكن هناك إشارة باستعانة قائد ملطية بالأكراد لإخماد الثورات الداخلية سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤١م (٥).

أما الأرمن فقد أخذوا في التوافد إلى المدن السلجوقية للعمل فيها أعمال حرفية كالجزارة (٦) والصناعات اليدوية والتي من أشهرها نسج السجاجيد والأقمشة الحريرية ذات اللون القرمزي (٧) ، هذا بالإضافة إلى امتهان مهنة التجارة والتعدين فقد كان الأرمن في أرزنجان يعملون في تعدين النحاس وتصنيع الأدوات المنزلية (٨) وأيضاً في أعمال البناء وهم بذلك يمثلون أحد عناصر سكان سلاجقة الروم النشيطين والمؤثرين إيجاباً في اقتصاد البلاد (٩) .

---

(١) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٠٦ ؛ عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ٤٧٦ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢٤ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamanind Turkiye, op.cit, s.377.

(٣) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ٤٥٢ .

(٤) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٤٧ ؛ أبو سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٧٣ .

(6) Eflaki : op.cit. Vol. 1, p.153.

(٧) ماركوبولو : المصدر السابق ، ص ٣٠ ؛ Vryonis : op.cit. p.183, 238, 477 .

(8) Vryonis : op.cit, p.239.

(9) Cloud Cahen : pre Ottoman Turkiy. p.204 ; S. Vryoris : op.cit. p.235.

كما كان هناك أقلية سكانية يهودية . وكل عنصر سكاني له أحياءه الخاصة في كبريات المدن ، ففي مدينة علائية على سبيل المثال يقع حي النصارى في الميناء «وعليهم سور تُسد أبوابه عليهم ليلاً وعند صلاة الجمعة ، والروم السكان الأصليين لهم حيهم الخاص وحوله سور واليهود أيضاً لهم حيهم الخاص [١].

ومن بين عناصر المجتمع السلجوقي العنصر اللاتيني والذي ترجع أصوله إلى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م إذ تخلف ثلاثةآلاف نسمة عن القوات الصليبية للحملة الصليبية الثانية في مدينة أنطاليا [٢] فاعتنقوا الإسلام واندمجوا في المجتمع السلجوقي وسكنوا قرب انطاليا .

وهكذا نجد أن تلك العناصر السكانية المتباينة في أصولها قد انصهرت في بوتقة دولة سلاجقة الروم وكونت حضارة خاصة بها شكلت نسيجاً اجتماعياً يعبر عن الحياة الاجتماعية لدولة سلاجقة الروم . فالسلاطين أنفسهم لم يكونوا ذوي دماء تركية خالصة فقد كانت والدة السلطان غياث الدين كيخسرو بيزنطية ووالدة السلطانين عزالدين كيكاوس وعلاء الدين كيقباذ بيزنطية أيضاً وهي ابنة أحد الأرستقراطيين البيزنطيين (مفروزموس) [٣] ، فكان لتلك العلاقات الاجتماعية الأثر الواضح في مظاهر الحياة الاجتماعية ، فجاءت العادات والتقاليد الاجتماعية مزيجاً من أنظمة سلجوقية يرجع معظمها إلى أصول فارسية وعادات بغدادية وبعض الأساليب المحلية (البيزنطية) [٤] ، إضافة إلى اقتباس هؤلاء السلاطين بعض المظاهر الاحتفالية من بلاط الأرستقراطية البيزنطية أثناء زيارتهم أو لجوئهم إليهم [٥] . ففي حفلات

---

(١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ؛ تمارا رايس : المرجع السابق ، ص.١٢٩.

(٢) انظر تفصيل ذلك : علي الغامدي : انطالية ، ص ١٩ ؛ رنسمان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٤٣٦ - ٤٤٦ ؛ عثمان توران : الأناضول ، ص ١٧ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٠ ؛ Vryonis : op.cit. Vol.1, p.153 .

(٤) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٥) تمثل ذلك في زيارة السلطان عزالدين قلج أرسلان الثاني لبلاط الامبراطور مانويل كومنين سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٨م . ولجوءه أيضاً سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م كما لجأ السلطان غياث الدين كيخسرو إلى القسطنطينية بعد نزاعه مع أخيه ركن الدين سليمان شاه .
Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiy. s. 202, 269 - 270 ;
ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٧٥ .

التتويج تتضح مزج تلك العادات والتقاليد . فما أن يخلو عرش السلطنة بوفاة السلطان حتى يتوجه كبار الأمراء إلى الابن الأكبر للسلطان حتى وإن كانت هناك ولاية عهد للأصغر [١] ، وعادة يحدث خلو العرش والابن الأكبر خارج العاصمة في إقطاعه لهذا يتجه رسول مرشح من أحد كبار الأمراء لينقل إليه نبأ الوفاة والتعزية ثم المبايعة والتهنئة . هذا فيما السلطنة تستعد لاستقبال السلطان الجديد في العاصمة [٢] .

وكانت تقام مراسم العزاء للسلطان السابق قبل تتويج السلطان الجديد حيث يلبس السلطان وكبار الأمراء الأطلس الأبيض برسم العزاء ويعلن الحداد ثلاثة أيام [٣] ثم تؤخذ البيعة بالمصافحة باليد في المسجد ويتلى القسم باسم السلطان يقوم بذلك القاضي إذ يلقن القسم لكبار الأمراء ويرددونه وراءه [٤] ، وأثناء تقديم العزاء يقوم الأمراء بأخذ قلنسواتهم في أيديهم حسب تقاليد الترك [٥] . وفي اليوم الرابع تبدأ حفلات التتويج بتوزيع الخلع على الأمراء حسب رتبهم وصرف مناشير الإقطاع والأملاك [٦] وإطلاق سراح المسجونين [٧] . وأثناء توجه السلطان إلى العاصمة [٨] لارتقاء عرش السلطنة كانت تصاحبه الفرق الموسيقية يتقدمهم حاملوا الرايات السلطانية وفي مقدمتهم حامل العلم ذي اللون الأسود وهو شعار الدولة العباسية إذ وجدت ألوان أخرى خاصة بسلاجقة الروم كاللون الأصفر وقد رسم على تلك الرايات شكل تنين وهو مقتبس من الحضارة الشرقية الساسانية عن الصينية ، وأحياناً تحمل تلك الرايات شكل الأسد أو النسر ويعتقد أنه انتقل إلى السلاجقة نتيجة التأثر

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٤٨ – ٢٤٩ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٨ ؛
Ibin Bibi : op.cit. p.113 ; Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiy, s.294.

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٨ ، ١٠٦ ؛
Ibin Bibi : op.cit. p.113, 209 ; Osman Turan : op.cit. s.294.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ص ١٠٦ ، ٥٤ .

(5) Osman Turan : op.cit. s.328.

(٦) أخبار سلاجقة الروم ص ٤٨ – ٤٩ .

(٧) المصدر السابق ص ٥٤ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.129 .

(٨) هذه المراسيم للسلطان علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو وهو مثال لمراسيم حفلات التتويج السلطانية .

بالحضارة البيزنطية (١) .

يصاحب السلطان حاشية خاصة مكونة من خمسمائة من مقدمي العساكر من القزاونة والديالمة والفرنج - وأيضاً - مائة وعشرون حارساً حاملي السيوف الذهبية (٢) يسيرون خلف حصان السلطان وعن يمينه ويساره (٣) ويتقدم الموكب خمسون شخصاً من العسكر الذين يطلق عليهم اسم الجاندار والسلحدار (٤) وفي أيديهم قسي الشام ومع الموكب ستون شخصاً من المكلفين بالملابس مع البغال التي تحمل صرر الأطلس الموشى بالذهب » (٥).

وفي هذه الأثناء تلبس كل مدينة يمر بها السلطان أبهى حللها وتبنى الجواسق (٦) على طول الطرق بين المدن وهي مزينة « بغرائب السلاح والخرائد الملاح » (٧) . كما ينتظم الفرسان على صهوات جيادهم على طول الطرق وأثناء مرور موكب السلطان ينزل هؤلاء الفرسان لتقبيل الأرض ثم يعودون على صهوات جيادهم ويرافقون السلطان ، كما يتسابق الأمراء وكبار رجال الدولة بتقديم الهدايا للسلطان وفي ذلك يقول ابن بيبي : « وانتثر الدرهم والدينار بل اللؤلؤ الثمين على المليك كقطرات أمطار الربيع » (٨) « وقدموا مائة ألف درهم وخمسة آلاف دينار أحمر رسماً لحق القدوم » ويتم التتويج الرسمي في العاصمة حيث يلبس السلطان العمامة التي قد كورت في بغداد وخلعة الخلافة ، وعلى « ملأ من الناس يأتي مندوب الخلافة بمقرعة الحدود

---

(١) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ؛ Ismail Hakki : Osmanli Devleti... s.72 .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠٩ .

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) السلحدار : من يتولى أمر السلاح ، انظر محمد أحمد دهمان : المرجع السابق ، ص ٩١ .

(5) Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiy, s.329.

(٦) الجواشق في الأصل كوشك وهي كلمة فارسية عربت جوسق وهو مقر صغير في بقعة بعيدة عن العمران ويبدو أن بعضها كان ينقل من مكان إلى آخر . أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠٨ ، انظر ملحق ص ٣٤٩ .

Osman Turan : Selçuklular Tarihi ve Turk - islam, op.cit, s.397.

(٧) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠٨ .

(٨) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٠٩ ، ٥٤ .

- وهي تقليد من تقاليد دار الخلافة - ويجريها على ظهر السلطان أربعين ضربة وتقاد جنيبة دار الخلافة ذات النعل الذهبي وتسلم للسلطان » (١) ثـم يلبـس الخـاتم السـلطاني المنقوش عليه توقيعه الذي يوقع به على ما يعرض عليه في شؤون الحكم (٢).

كما تضرب النوبه للسلطان خمس مرات إعلانا لسـلطنته ، ثـم ترسـل فرمانـات جلوس السلطان إلى أطراف المملكة (٣) .

وكان السلطان يجلس خلال هذه الاحتفالات في مكـان مرتفـع (٤) وهـو عـرش السلطنة وقد صنع للسلطان علاء الدين كيقباذ « عرش ذهبي مرصع بالجواهر ليلقى به رسل الكبار » (٥) .

وأثناء الاحتفالات بالتتويج تمد الموائـد الفخمـة الـتي تعكـس مـدى ثـراء الدولـة وقوتها الاقتصادية إذ تحوي أطـايب الطعـام كـالخراف المحشـوة ولحـم المـاعز والطيـور والحمام ويقدم ذلك في أوان ثمينة مرصعة بالجواهر ، كما يقدم الشراب في أقداح ثمينة يحملها الخدم بملابسهم المزركشة وكان أغلبهم من الغلمان النصارى (٦).

ومن تقاليد هذا الاحتفال تقديم هدية قيمة من السلطان الجديد لمندوب الخلافة ، ويتضح من محتوى هذه الهدية مدى ما وصلت إليه الدولة من ازدهار اقتصادي وتـرف اجتماعي وتوسع سياسي وقوة عسكرية فقد أمر السلطان علاء الدين كيقبـاذ لرسـول الخلافة بمبلغ مائة ألف درهم من الفضة تدفع له من خراج المناطق النصرانية والأرمنية والرومية وبمبلغ خمسة آلاف دينـار سـلطاني قسـم منـها مـن العملـة الـتي ضربـها مـن الذهب، وأمر له بالخيول والعبيد الروم والملابس الثمينة (٧) .

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٨ . انظر :
Ismail Hakki : Osmanli Devleti, op.cit. s.72 .
(2) Ali Sevim - Erdogan Merçil : op.cit. s.504.
(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١١ ؛
Aksarayli : op.cit. p.71 ; Ali Sevim - Erdogan Merçil : op.cit. s.502.
(٤) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .
(٥) أخبار سلاجقة الروم ص ١٩٦ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.375 .
(٦) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .
(٧) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٩ ؛
Osman Turan : Selçuklular Zamaninda Turkiye , s.330.

ومن ضمن عادات السلاطين بعد ارتقائهم سدة الحكم إطلاق سراح السجناء[١] .

أيضاً من الإحتفالات السلطانية التي تعكس عادات وتقاليد سلاجقة الروم حفلات زواج السلاطين ، فقد بسط ابن بيبي[٢] بالتفصيل مراسم زواج السلطان عزالدين كيكاوس بكل ما يصاحبه من مظاهر الترف والبذخ السلطاني .

ويتضح ذلك البذخ والترف في قيمة صداق « سلجوقة خاتون » ابنة فخرالدين بهرامشاه ملك ارزنجان عروس السلطان إذ بلغ « مائة ألف دينار حُمراً خمسين معجلا وخمسين مؤجلا »[٣] .

أيضاً تتسم حفلات الزواج بنثار القطع النقدية الذهبية والفضية على الأمراء والمدعوين ففي حفل زواج غياث الدين كيخسرو الثاني وغازية خاتون شقيقة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب (٦٣٤-٦٥٨هـ/١٢٣٦-١٢٦٠م) ملك حلب تم توزيع الذهب والفضة، حيث حصل ابن العديم على ألف دينار من الذهب فهو كاتب عقد الزواج[٤]، كما سُكت في حلب عملة خاصة تخليداً لذكرى هذه المناسبة عبارة عن درهم مؤرخ بالسنة التي تم فيها هذا الزواج ٦٣٧هـ/١٢٣٩م[٥].

أيضاً من النثار ما يقدم في العرس إذ « توضع أمام المدعوين أطباقاً من الذهب والفضة بها قطع نقدية من الذهب فئة الألف ، والخمسمائة ، والمائتين ، والمائة والخمسين مثقالاً في سكارج من السكر »[٦].

إضافة إلى ذلك وتلك يقوم السلطان بتوزيع الخلع والخيول على كبار الأمراء إذ

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ص ٥٤ ؛ تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٢) الأوامر العلائية في الأمور العلائية ، ص ١٧٣ - ١٧٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨١ - ٨٧ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ص ٨٤ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.177 .

(٤) زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٢٣٧ - ٢٤٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ١٥٠ ، ٨٥ ؛ رأفت محمد النبراوي : درهم أيوبي يسجل مصاهرة ملكية ، مجلة العصور ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ، ١٩٨٧م ، ص ٩٧

(٥) رأفت محمد النبراوي : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٦) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨٣ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p176 .

أرسل – السلطان عزالدين كيكاوس – خمسمائة خلعة وسبعمائة ألف سكة ومائة من الخيول ومائة من البغال المطهمة ومائتين من الخيول والبغال المزينه مع أطقم الملابس المنوعة في صحبة أمير المجلس إلى القاضي شرف الدين فقام بدوره بتوزيعها على الأمراء كل بقدر مرتبته (١).

وعندما يدخل السلطان مقر العروس تقوم الوصيفات بالركوع أمامه وخلع حذائه فيجدن في الحذاء قطع ذهبية أعدت لذلك ، يقول ابن بيبي : « وركعت وصيفات الملكة ركعة الأدب فخلعن الحذاء من قدم السلطان ووقعن فجأة على كنز ثمين في ذلك الحذاء » (٢) . كما تمد الموائد الفخمة المحتوية على أطايب الطعام وأنواع الأشربة وتلقى القصائد أثناء تناول الطعام (٣) .

ويصاحب ذلك العزف والغناء الذي يقوم به موسيقيون روم في البلاط السلطاني . هذا بالإضافة إلى عازفوا الأناضول والموصل الذين يضيفون البهجة على العرس . كما يأخذ اللاعبون بحركاتهم الجميلة السريعة المتقنة باستعراض مهاراتهم وفنونهم (٤) وتستمر هذه الاحتفالات عادة من ثمانية أيام إلى عشرة (٥) ، كما كان يقام احتفال خاص لختان الملوك الصغار ولكن لم تشر المصادر التاريخية إلى تفصيل ذلك الاحتفال إنما هناك إشارة لابن بيبي بتكليف السلطان علاء الدين كيقباذ « كمال الدين كاميار واياز الشاربسلار لكي يطهر الملكين اللذين أنجبهما من الملكة العادلية ويقوما بختانهما وفق رسوم الختان السلطانية » (٦) .

أما حفلات الختان لعامة الناس فقد كان يُصرف عليها من ريع الأوقاف في بعض الأحيان خاصة إذا كان الختان لحديثي عهد بالإسلام حتى يشعروا بأهمية هذه

---

(١) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨٧ .

(٢) الأوامر العلائية ، ص ١٨٠ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٨٧ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ص ٨٥ ؛
Ibin Bibi : op.cit. p.178 ; Osman Turan : Seçuklulari Zamaninde Turkiye, s.351.

(٤) أخبار سلاجقة الروم ص ١٥٣ ؛ Ibin Bibi : op.cit, p.297 .

(٥) أخبار سلاجقة الروم ص ١٥٣ – ١٥٤ ؛
Osman Turan : Selçuklulari Zamaninde Turkiye. s.350 .

(٦) الأوامر العلائية ، ص ٤٤٦ ؛ أخبار سلاجقة الروم ص ٢٣٧ .

السنة في الإسلام (١) .

كما أن هناك احتفالات خاصة لمعتنقي الإسلام من النصارى ، إذ بعد أن ينطق بالشهادتين أمام الناس يؤخذ إلى القاضي وهناك يعيد النطق بالشهادتين ثم يلبس حلة جديدة ويضع الإمام منديلاً على رأسه بخلاف المناديل المتعارف عليها للنصارى واليهود إذ أن لون منديل النصارى أزرق ولون منديل اليهود أصفر ، ثم يطلب الإمام من الحاضرين تقلد سلاحهم وإقامة الاحتفال بالمسلم الجديد فيركب الفرسان ويركب الشخص الذي اعتنق الإسلام فرساً فيسير الناس أمامه والأئمة خلفه تصاحبهم الأبواق والدفوف ويسيرون في طرقات المدينة احتفالاً به وإعلان دخوله الإسلام ويردد العبارات التالية : « هناك إله واحد والمسيح عبدالله ومريم أمه ومحمد رسول اللّه (عليه الصلاة والسلام) ثم يؤخذ إلى المسجد لختانه (٢) .

ومن الأيام التي لها طقوس خاصة وتقليد معين أيام الأعياد والجمع والليالي الثلاث ليلة النصف من شهر شعبان وليلة القدر وليلة الرغائب .

ففي الأعياد تقام الاحتفالات في الميادين العامة في المدن وأحياناً كثيرة خارج تلك المدن كما في صحراء مشهد ومراعي بنلو فتقام الخيمة السلطانية ذات الثلاث قباب يرفرف فوقها علم السلطنة وفوقه الهلال ، وتؤمر القوات بالحضور لتلك الميادين وتقام العروض العسكرية أمام السلطان لإظهار قوة الدولة عسكرياً ، إذ أن تلك الاحتفالات يدعى إليها الرسل اللذين يصادف وجودهم أثناء إقامة تلك الاحتفالات (٣) ، ثم يخلى الميدان لمشاركة السلطان وكبار الأمراء في استعراض مهارتهم الفروسية فقد ذكر ابن بيبي ذلك بقوله « ثم انهم أخلو الميدان ، وانطلق السلطان خلف الأمير جلال الدين قراطاي قابضاً على رمحه زاعماً أنه سيلقي به من فوق ظهر الحصان على الأرض فلم يمكنه الأمير جلال الدين من ذلك بروغانه ، وقد لعبا هذه اللعبة عدة مرات ثم توجه إلى خيمة ذات ثلاث قباب وأدوا صلاة العيد ثم

---

(١) وقفيه التون ابا ص ٢٣٤ ؛ نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ ؛ Vryonis : op.cit. p.358 .

(2) Vryoris : op.cit. p.357. 358.

(3) Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiy, s.388.

وضعوا الخوان ورفعوه » (١) .

وقد يستغرب أداء صلاة العيد بعد الاستعراضات العسكرية واستعراض مهارات السلطان وأمرائه الفروسية . خاصة إذا عرف عن السلطان علاء الدين كيقباذ التزامه بالسنن فهو حنفي المذهب وفي ذلك يقول جلال الدين قراطاي الذي لازمه طيلة ثمانية عشر عاماً « انه كان يعد إتباع مذهب الإمام أبي حنيفة في الأصول والفروع فرضاً واجباً » (٢) .

ثم إن العلماء في الدولة لن يألوا جهداً في نصح السلطان إذا أخر فعلاً صلاة العيد . ولكن يبدو أن ترتيب الأحداث في الرواية هو الذي أدى إلى إثارة ذلك الاستغراب .

على أية حال فإن الاحتفالات في العيد لا تقتصر على الاستعراضات العسكرية ، ففي اليوم الثالث يقام حفل سلطاني يدعى إليه « كل الرسل الموجودين بقيصريه ... والأمراء والأكابر والأماجد التابعين للسلطنة ، ويجيء بآلات الطرب وتتصاعد أصوات المطربين ذوي الألحان البديعة » (٣) هذا بينما تقدم شتى أنواع الأطعمة في أطباق الذهب والفضة ويأخذ السقاةُ ذووا المناطق الذهبية والسيقان الفضية في توزيع كؤوس المشروبات على الحاضرين (٤) بينما تمد الأسمطة في العيدين لعامة الناس والفقراء في الأماكن العامة على نفقة الواقفين من رجالات الدولة (٥) .

أما صلاة الجمعة فلها أيضاً ترتيب خاص يقوم به موظف يطلق عليه أمير المحفل(٦). سجل ابن فضل اللّه العمري ذلك بقوله : « ثم حضرت القضاة والفقهاء والصوفية وذوو المراتب من أصحاب العمايم على عادة بني سلجوق في كل جمعة ووقف أمير المحفل ... وله وسامه وفخامة وله أوسع كم وأكبر عمامه وأخذ في ترتيب المحفل ... وانتصب قائماً بين يدي السلطان ينتظر ما إليه به يشار ، وشرع القراء يقرؤون جميعاً

---

(١) الأوامر العلائية ص ٤٥٩ ؛ أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤٥ .

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٣ ، ١١٤ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p228 .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٤٦ ؛ Osman Turan : Selçuklulari Zamaninde Turkiy s.388 .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ص ٢٤٩ .

(٥) وقفية التون أبا ، ص ٢٣٠ .

(٦) أمير المحفل : هو الذي يمشي في الاحتفالات يوم الجمعة أمام السلطان ويستقبل الزائرين للسلطان ويدعو له في هذه الاحتفالات Ismail Hakki : op.cit. s.80 .

وفرادى ، ثم بعد ذلك يقوم أمير المحفل بالإنشاد وذكر الأوراد بالفارسية بصوت عال. ثم يمد سماطاً ليأكل منه الناس ، بعد ذلك يتجهون لأداء صلاة الجمعة (١) .

بينما أهل البلاد المسلمين منهم يعظمون ليال الجمع بتلاوة القرآن وهُيء لهم ذلك بالصرف على إنارة المساجد والزوايا من الأوقاف الخيرية (٢) .

وأحياناً تخص يوم الجمعة بخبز الخبز وفي ذلك يقول ابن بطوطة « ومن عاداتهم بتلك البلاد - سلاجقة الروم - أن يخبزوا الخبز في يوم واحد من الجمعة يعدون فيه ما يفوتهم سائرها فكان رجالهم يأتون إلينا بالخبز الحار في يوم خبزه ومعه الإدام الطيب ويقولون لنا : إن النساء بعثن هذا إليكم وهن يطلبن منكم الدعاء » (٣).

نستشف من هذه الرواية مدى تمكن الإسلام في قلوب مواطني دولة سلاجقة الروم فهم يتقربون إلى اللّه - سبحانه وتعالى - ببذل الصدقات التي من عمل أيديهم تعظيماً وطلباً للمثوبة .

وقد بلغ تقديرهم لصلاة الجمعة أنه في هذا اليوم تغلق الأبواب التي تفصل أحياء النصارى عنهم (٤).

أما الليالي التي لها مكانة في نفوس السلاجقة كليلة نصف الشهر من شعبان وليلة القدر وليلة الرغائب فلم تمدنا المصادر التاريخية عن تفصيل ما يتخذ فيها سوى أن الواقفون يحرصون على الصرف عليها طلباً للأجر والمثوبة حيث تُحيا هذه الليالي بقراءة القرآن (٥).

هذا بينما تجتمع النساء لدى حرم النائب الخاص للسلطان مساء كل جمعة بعد صلاة العشاء فيجتمع بهن الشيخ جلال الدين الرومي فينصحهن ويشرح لهن بعض معاني وأسرار الصوفية ويستمر هذا الاجتماع إلى منتصف الليل حيث تقوم بعد ذلك

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الثالث ، ص ١٤٨ ؛
Ismail Hakki : Osmanli Devleti , op.cit, p.72.

(٢) وقفية التون ابا ، ص ٢٢٩ .

(٣) رحلة ابن بطوطه ، ج١ ، ص ٢٩٠ .

(٤) ابن بطوطه: المصدر السابق ، ج١ ،ص ٢٩١ .

(٥) وقفية التون آبا ص ، ٢٣٠ .

الجواري بالغناء وضرب الدفوف [1] ورغم أن ذلك ينافي سنة النبي ﷺ إلاّ أن ذلك التقليد انتشر بصورة واسعة في المجتمع السلجوقي بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة في ذلك العصر وهي من البدع المضللة والمهلكة التي أبعدت الأمة الإسلامية عن واقعها الديني [2] وضح ذلك العيني بقوله : « وقد ينقل عنهم – الطوائف الصوفية – من الإطراء في حق جلال الدين المذكور ما يؤدي إلى تكفيرهم وخروجهم عن الدين المحمدي والشرع الأحمدي » [3] .

ويقتصر دور المرأة في المجتمع السلجوقي على إدارة شؤون أسرتها فلم تشارك النساء في أمور الدولة أو يكون لأي منهن أثر في قرارات السلاطين وكبار الأمراء ولكن لا يعني ذلك ما قالته تمارا رايس من أن « مركز المرأة السلجوقية قد انحط بعد أن استلمت قبيلتها السلطة وأن دورها انحسر أكثر بعد اهتداء السلاجقة بهداية النور الإسلامي .. كان على المرأة أن تتبرقع وأن تنزوي خلف أبواب الحريم » [4].

فهذا قول مردود إذ أن المرأة تمتعت بكل ما يكفله لها الإسلام من حقوق وأسهمت في مجتمعها بكل ما عليها من واجبات فأنشأن الموسسات الخيرية [5] التي كان لها أثرها الإيجابي على الحياة السلجوقية ، وتعمل النساء الروميات في مصانع الملابس وخاصة صناعة الثياب القطنية المعلمة بالذهب [6] كما أن لهن دورهن الاجتماعي أسوة بالرجال وفي ذلك يقول ابن بطوطه « وكنا متى نزلنا بهذه البلاد – مدن سلاجقة الروم – زاوية أو داراً يتفقد أحوالنا جيراننا من الرجال والنساء وهن لا يحتجبن فإذا سافرنا عنهم ودعونا كأنهم أقاربنا وأهلنا » [7].

وإجمالاً فقد وضع ابن بطوطه يده على حقيقة المجتمع السلجوقي في آسيا

---

(1) Eflaki : op.cit. Vol.I, p.431.

(٢) نوره باذياب : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

(٣) عقد الجمان ، أحداث ٦٦٥ – ٦٨٨ هـ ، ص ١٢٨ .

(٤) السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص ١١٠ .

(٥) خليل أدهم : قيصريه شهري ، ص ٣٢ ، ٦٢ ؛ تمارا رايس : المرجع السابق ص ١١٠ .

(٦) ابن بطوطه : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩٦ .

(٧) رحلة ابن بطوطه ، ج١ ، ص ٢٩٠ .

الصغرى بقوله : « وهذا الاقليم المعروف ببلاد الروم من أحسن أقاليم الدنيا وقد جمع اللّه فيه ما تفرق من المحاسن في البلاد فأهله أجمل الناس صوراً وأنظفهم ملابس وأطيبهم مطاعم وأكثر خلق اللّه شفقة ... والشفقة في الروم وإنما عنى به أهل هذه البلاد » (١).

أما ابن فضل اللّه العمري فقد أعطى صورة واضحة للبلاد والعباد بقوله بأنها « ذات ديارات عامرة وخيرات غامرة ولأهلها أموال مفيدة وأعمال مديدة وبها الجوامع والمساجد والربط والزوايا وأنواع بر لها بها مزايا وللفقراء من أهلها خاصة وأهل بلادها عامة مد رفاق ومستمد أرزاق على مالهم من الميل إلى جانب اللهو ولذة العيش وسماع الطرب » (٢).

وقد اشتهر في معظم المدن السلجوقية سماع الغناء والطرب فلم يقتصر ذلك على قصور السلاطين وحفلاتهم الخاصة بل تعدى ذلك إلى شغف الناس جميعاً بمن فيهم من العلماء لسماع الغناء أتاح ذلك انتشار التصوف كما كان يستمع نزلاء الخانات للمغنيات بصحبة الموسيقى كنوع من أنواع التسلية في تلك النزل (٣) ، أيضاً من ألوان التسلية إقامة مسرحيات الخيال في الميادين في خيمة خاصة وذلك في المواسم والأعياد حيث عرفت في ذلك الوقت بدايات التمثيل المسرحي في آسيا الصغرى ولعبت دوراً هاماً في حياة المجتمع وثقافته حيث عكست الروح القومية للدولة (٤) .

ومن جملة مظاهر اللهو لدى السلاجقة الصيد والقنص بالصقور ، وقد خصص موظفون للعناية بتلك الطيور المستخدمة في الصيد وتنظيم إدارتها كما عرفت لعبة الشطرنج وقد كان يجيدها السلطان علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو (٥).

ومن ضمن المظاهر الاجتماعية التي لها الأثر الواضح على المجتمع السلجوقي تنظيمات

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص ٢٩٠ .

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأبصار ، السفر الثاني ، ص ٦٤ .

(3) Osman Turan : Selçuklular Târihi ve Türk - islâm medeniyeti, s.397-398 ;

تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ٥١ .

(4) Osman Turan : Selçuklular Târihi ve Türk - islâm medeniyeti, s.404.

(٥) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٥ ، ١٨٠ ؛ تمارا رايس : المرجع السابق ص ١١٥ .

الفتوة [١] ويرجع تأسيس هذا التنظيم في دولة سلاجقة الروم إلى السلطان عزالدين كيكاوس الذي استجاب لدعوة الخليفة العباسي الناصر لدين اللّه الذي جعل من نفسه زعيماً للفتوة وحث ملوك وسلاطين العالم الإسلامي آنذاك شرقاً وغرباً على الاقتداء به وألمح إلى أن من لم يفعل ذلك فهو ليس من الفتوة في شيء [٢] لذا فقد أرسل السلطان عزالدين كيكاوس سنة ٦١١هـ/١٢١٤م « وطلب سروال الفتوة » [٣] فمنحه الخليفة « سروال العصمة والطهارة ... وكتاب الفتوة » [٤] ، وبذلك أعلن إقامة هذا التنظيم رسمياً مع وجوده على أرض الواقع قبل ذلك إذ أنها تنظيمات شعبية اجتماعية ممثلة بجماعات الأخية الفتيان التي تتركز على مبدأ ارتباط الفتيان في المدينة الإسلامية برباط المشاركة مع بعضهم البعض[٥] . وفي فترة موضوع البحث لم تتبلور بعد الأخية الفتيان إذ لعبت فيما بعد دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأصبحت أساس نقابة التجار في الدولة العثمانية [٦] فقد لعبت طائفة الأخيه دوراً هاماً في حياة المدن الإقتصادية حيث ساعد أفراد تلك الجماعة في زيادة عدد المنتجين الحرفيين إذ أن هؤلاء الأفراد ينضوون تحت جناح حرفة من الحرف أو صناعة من الصناعات [٧] .

---

(١) عن تطور الفتوة عبر التاريخ الإسلامي انظر : ابن المعمار : أبي عبدالله محمد بن أبي المكارم (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) كتاب الفتوة ، تحقيق د. مصطفى جواد وآخرون ، مكتبة المثنى ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٥٨م ، مقدمة مصطفى جواد ص ٥ - ١٥ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٤٤٠ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٠٦ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ق١ ، ص ١٧٢ ؛ ابن الوردي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٨٣؛ توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ص ٧١ ؛ Ibin Bibi : op.cit, p.155 .

(٤) أخبار سلاجقة الروم ، ص ٧١ ؛ Ibin Bibi : op.cit. p.155-156 .

(5) Vryouns : op.cit. p.396.

(6) Osman Turan : Selçuklular Târihi ve Türk - Islam medeniyeti, s.318-319.

(٧) نوره باذياب : المرجع السابق ، ص ٢١٧ ؛ توني عبداللطيف : المرجع السابق ، ص ٣٥٣ ؛ Claud Cahen : Pre-Ottoman , op.cit. p.195-199.
تناول ابن بطوطة في ثنايا كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار مواقفه مع رؤوساء الأخية الفتيان مسجلاً ما يتصفون به من شهامة وكرم وحسن وفادة للضيف وكذلك دورهم الاجتماعي والاقتصادي في دولة سلاجقة الروم ، انظر ، ج١ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٤ .

المنشآت العمرانية والمرافق العامة :

اقترن الازدهار الاقتصادي والاستقرار الأمني في دولة سلاجقة الروم بقيام نهضة عمرانية معمارية في الدولة فكثر الإنشاء والبناء وخاصة العمائر الدينية من مساجد ومدارس وملحقاتها . فأخذت العمارة السلجوقية ابتداء من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي في التطور والانتشار في آسيا الصغرى [١] إذ أن سلاجقة الروم قد بدأوا بإنشاء وتشييد العمائر الدينية في مدن آسيا الصغرى منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي [٢] ، ولكن لم تكن بقوة وجمال ما تحقق في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي . ثم أن اكتفائهم بالعمائر الدينية تطلبه جهادهم آنذاك من أجل تأسيس دولة إسلامية تركية في بلاد نصرانية بيزنطية .

وقد استمد سلاجقة الروم فن العمارة الإسلامية من البلاد المجاورة خاصة بلاد فارس والعراق في عهد السلاجقة العظام مع مراعاة الظروف المحلية في تصميم تلك العمائر . ومن تلك الظروف المناخ القاسي المتمثل في الشتاء شديد البرودة مع الأمطار والثلوج الذي تميز به مناخ آسيا الصغرى فاستبدلوا الساحات المكشوفة بإيوانات مغطاة بالأقبية وإدخال النافورات المخصصة للوضوء داخل المباني [٣] .

كما تميزت العمارة السلجوقية باستخدام الخامات المحلية ذات القوة والجودة في الحفاظ على هيكل البناء كالمرمر والأحجار ، أيضاً الاستفادة من بقايا العمائر البيزنطية كالأعمدة القديمة في وحدات العمائر السلجوقية [٤] واستُخدمت الأخشاب في الأسقف المسطحة والزخارف المزينة لتلك العمائر [٥] فأكسبت تلك المواد الخام العمائر السلجوقية ميزة خاصة وهي بقاء الكثير من العمائر دون الاندثار . فبينما ظلت تلك العمائر شاخة في معظم مدن آسيا الصغرى لتحكي حضارة سلجوقية

---

(١) اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٢) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٣) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٦٨ ؛ Claud Cahen : Pre Ottoman Turky, p.263 .

(٤) نورة باذياب : المرجع السابق ، ص ٣٩٥ ؛ Claud Cahen : Pre Ottoman Turky. p.263 .

(5) Cloud Cahen : Pre Ottoman Turky. p.263.

راقية ، اندثرت العمارة السلجوقية في إيران والعراق التي استخدم في بنائها مواد غير صلبة كالطوب [١] .

وقد برع الفنان السلجوقي في توظيف العناصر الزخرفية المحلية التي كانت معروفة قبل الفتح السلجوقي ذات الأصول الهلنستية مثل الزخارف النباتية كالمراوح النخيلية وأنصافها وأوراق الأكانتس ، وتنحصر تلك الزخارف في تيجان الأعمدة ، ومن الممكن أنه قد دخل عليها عناصر بيزنطية أو تأثير بيزنطي [٢] . أيضاً ظهرت هذه البراعة الفنية للمزخرف السلجوقي في تنوع الزخارف النباتية المنفذة بالحفر على الحجر والجص الذي زينت به العمائر السلجوقية [٣] ، وقد حرص سلاطين السلاجقة وكبار رجالات الدولة على إنشاء العمائر الدينية المتميزة والجوامع والمساجد والمدارس ، أيضاً انفرد السلاطين بإنشاء القصور في المدن الرئيسة للدولة والتي تُتَّخذ مصائف لهم أو مشاتي ، كما كان للمرافق العامة النصيب من الاهتمام مثل الخانات والمستشفيات وسنتعرف على نماذج لتلك العمائر الدينية والمدنية .

وبما أن دولة سلاجقة الروم قد رفعت لواء الإسلام عقيدة ومنهجاً لها فقد حرص سلاطينها وكبار رجالات الدولة على بناء الجوامع في كل مدينة ، وبما أن الجامع يجتمع فيه المسلمون المتواجدون في المدينة والقادمون من ضواحيها وقراها لأداء صلاة الجمعة فيه جماعة فقد كان يتم عادة اختيار موقعه في أحسن بقعة في المدينة [٤] . وقد تميزت جوامع دولة سلاجقة الروم بطراز معماري خاص بها تكون من إيوان للصلاة مغطى متعدد الأروقة تظهر به عدة دعائم منتظمة ومسطح الشكل مع علو

---

(١) نعمت علام : المرجع السابق ، ص ١١٦ ؛ Cloud Cahen : op.cit. p.263 .

(٢) طلال محمد محمود شعبان : المدارس الباقية في قونية والقاهرة خلال عصري السلاجقة الروم والمماليك البحرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص ٤٠٩ ؛ عبدالمعطي الخضر : تاريخ العمارة ، منشورات جامعة حلب ، كلية الهندسة المعمارية ١٤١٨ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٧ - ١٩٩٨م ، ص ٢٤٠ .

(٣) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ؛ عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ، ٢٧٦ - ٧٧ ؛ طلال شعبان : المرجع السابق ، ص ٤٠٤ .

(٤) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

القبة لمحراب الصلاة وهذا نموذج تقليدي لعمارة سلاجقة الروم [١] ، إذ اضطروا إلى ذلك الطراز المعماري بسبب جو آسيا الصغرى القاسي [٢] .

مسجد مدينة أقشهر :

نجد في هذا المسجد المظاهر المعمارية السلجوقية ، إذ يرجع تاريخه إلى بداية القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي [٣] ، فالقبة فوق محرابه ومئذنته عبارة عن اسطوانة غليظة تقوم على قاعدة مثمنة ، وقد بني هذا المسجد في عهد السلطان عزالدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو ، خلد ذلك النقش المكتوب على قاعدة المئذنة « بني في عهد كيكاوس الأول سنة ٦١٠هـ / ١٢١٣م [٤] ، كما زخرف المحراب بزخارف اشتملت على أشكال هندسية باللونين الفيروزي والأحمر البنفسجي ، هذا بالإضافة إلى استخدام الخط في الزخرفة ، إذ ظهر من خلف المقرنصات [٥] الخزفية كلمات اللّه واللّه أكبر مكررة في شريط بقلم الثلث [٦].

جامع علاء الدين كيقباذ في نيكدة :

أنشئ هذا الجامع سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ

---

(١) أوقطاي أصلان آبا ص ٧٨ ؛ نعمت علام : المرجع السابق ص ١١٦ .

(٢) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٦٦ ؛ حسين مؤنس : المساجد ، عالم المعرفة ، صفر / ربيع الأول ١٤١٠هـ ، يناير كانون الثاني ١٩٨١م ، ص ٩٠ .

(٣) اقطاي أصلان : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٤) اوقطاي أصلان آبا ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٥) المقرنصات في المصطلح الأثري للمعماري ان المقرنص هو عنصر إنشائي وزخرفي يعمل عادة من أحجار تنحت وتجمع في أشكال ذات نتوءات بارزة تؤلف حليات معمارية تتكون من صواعد وهوابط تشبه خلايا النحل تتدلى في طبقات مصفوفة بعضها فوق بعض في أماكن مختلفة من العمائر الإسلامية مثل أركان القباب وشرفات المآذن وواجهات النوافذ والعقود والأعمدة والزوايا . عاصم محمد رزق : معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي - ٢٠٠٠ ، ص ٢٩٣ ؛ انظر ملحق ص ٣٥٠ .

(٦) اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٨١ .

وقد عمره الأمير زين الدين بشاره ، خلد ذلك نص مكتوب فوق المدخل (١) ، وتتمثل في هذا الجامع كل العناصر التقليدية المميزة لعمارة المساجد السلجوقية في أول عهدها فبلاطات (٢) الجامع خليط بين التعامد على جدار القبلة وموازيه له (٣) ويتوسط الجامع منور وهو ما عرف بالصحن المكشوف الذي عرفت به المساجد التركية (٤) وترتفع فوق المحراب قبة وهي واحدة من القباب الثلاث التي بجانب بعضها في جهة المحراب (٥) أما زخارفه فمعظمها هندسية متشابكة ومتداخلة .

ولكن المستغرب وجود صور على مدخل المسجد ، فقد حفرت حفراً بارزاً صورتين لشخصين لهما ضفائر طويلة تتدلى على جانبي الوجه (٦) وهذا يخالف منهج الزخرفة الإسلامية وخاصة على العمائر الدينية والتي اقتصرت على الزخارف الهندسية والنباتية وربما هاتين الصورتين لمن قام ببناء الجامع إذ جاء بين الصورتين قائمة بأسماء البنائين وعلى رأسهم صدق بن محمود وأخيه غازي (٧) .

وعلى أية حال فإن جامع علاء الدين في نيكدة تمتزج فيه العناصر التقليدية المتعددة في عمارة المساجد السلجوقية في الأناضول والمتمثل في القبة التي تعلو المحراب والزخارف التي تكسو جدرانه من الداخل ، وأيضاً ظهور المناور المفتوحة والحليات (٨)

---

(١) ورد في كتاب اوقطاي أصلان آبا " امراهور زين الدين بشاره بك ، والصحيح أمير آخور وهي احدى الوظائف في الإدارة السلجوقية (أمير اصطبل) وزين الدين بشارة أحد امراء السلطان عزالدين كيكاوس وكان قد أقطعه مدينة نيكده . انظر أخبار سلاجقة الروم ، ص ٥٤ ؛ اوقطاي أصلان : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٢) البلاطات : تتمثل في المسافة المحصورة بين صف الأعمدة الرأسية والتي تبدأ من الباب الرئيس للمسجد وتنتهي بجدار القبلة والأعمدة الأفقية الموازية لجدار القبلة . فالمسافة المحصورة بين أربعة أعمدة تسمى بلاطة ، والجمع بلاطات . حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٣) اوقطاي أصلان : المرجع السابق ص ٨١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٥) نعمت علام : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٦) اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٧) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٨) الحلية : نقش الزخارف على الجص ، وقد تصنع قطع من الجص على هيئات زخرفية ليزين بها البناء ، وقد تصنع الحلية من الخشب أو الحجر . حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ١٥٧ – ١٥٨ .

التي ملأت الجدران الخارجية [١] ، كما يظهر تأثير العمارة الإسلامية السورية لاسيما في مدينة حلب على مدخل الجامع [٢] هذا بالإضافة إلى الحفاظ على سمة المعمار السلجوقي وخاصة في المآذن إذ تكون المئذنة اسطوانة متوسطة الارتفاع هي بدن المئذنة ، ثم الشرفة الأولى ، ويرتفع البناء إلى أن تصل المئذنة إلى الارتفاع الذي يراه المعماري مناسباً لها ثم يختمها بمخروط [٣].

المسجد الكبير بملطية :

أنشئ هذا المسجد في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو ٦٢١هـ / ١٢٢٤م ، وقد استمد المعماري السلجوقي عناصر بناء ذلك المسجد من الطراز المعماري السلجوقي في إيران وذلك باستخدام الطوب في بناء القبة التي تعلو المحراب وأيضاً الإيوان والفناء ذي الحوض أو النافورة [٤]، وتشير إحدى الكتابات المنقوشة إلى أن مهندس المبنى هو يعقوب بن أبي بكر من ملطية [٥] ، هذا بينما استخدم في زخرفة واجهة ايوان المسجد الفسيفساء الخزفية والأشرطة الكتابية ذات اللونين الفيروزي والأحمر الأرجواني . وقد مر على هذا المسجد عدة إصلاحات مع المحافظة على القيم المعمارية السلجوقية ، حيث أضيف بعد ذلك مبنى بالحجر يحيط بالمبنى الأصلي سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م ، حيث تشير بعض النصوص إلى أن هذه الإضافات من عمل شهاب الدين إياس أبو بكر [٦] .

ويمكننا القول بأن جامع ملطية حافظ على تخطيط وأصول عمارة مساجد السلاجقة العظام مع وضع اللمسات السلجوقية لدول سلاجقة الروم حيث تجانست

(١) اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٢) حسن الباشا : موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ج١ ، ص ١٧٩ .

(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ١٣٥ . انظر ملحق ص ٣٥١ .

(٤) اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٥) اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٦) المرجع السابق الصفحة نفسها .

كلها في خصائص العمارة والزخرفة المتمثلة في استخدام الأحجار الرملية والجرانتية والرخامية التي عرفت في آسيا الصغرى ومكنت المعماري السلجوقي من إنشاء عمائر بديعة في صلابتها وقوتها وجمالها ، فالبوابات والأعمدة والعقود تقوم متينة مع إحكام الزخرفة والنقش عليها (١) .

جودة الآجر (٢) المستخدم في العمارة فاستطاع المعماري السلجوقي إخراج أشكال وألوان في غاية المتانة والصفاء وعمل منه الواجهات والعقود والقباب والمآذن (٣) .

التميز بالبوابات الضخمة ذات العقود العالية المدببة فظهرت تلك البوابات الحجرية مثقلة بالزخارف (٤) .

ومن العمائر السلجوقية التي انتشرت في مدن دولة سلاجقة الروم والتي يمكن أن نطلق عليها الأبنية المشتركة أو المجمعات المعمارية (٥) الجامع الكبير في ديوريكي (٦) والذي يتصل به مستشفى حيث أنشئ في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م وقام بإنشائه الأمير أحمد شاه بن سليمان شاه بن شاهنشاه أمير ديوركي (٧) بينما قامت زوجته ملكة توران ملك ابنة بهرامشاه صاحب أرزنجان بإنشاء جزء من المستشفى الملاصق للمسجد حيث أشار إلى ذلك نص موجود بالمستشفى (٨) ، وهذا يوضح مشاركة المرأة السلجوقية في الأنشطة الإجتماعية والمساهمة في إنشاء العمائر الخيرية .

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٧١ ؛ اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ٨٢ .

(٢) يتم تصنيع الآجر بحرق أنواع معينة من الرمال والأتربة ثم مزجها وإخراج أشكال وألوان في غاية الدقة والمتانة والصفاء . أخبار سلاجقة الروم ص ٢٢٤ ؛ حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

(٤) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

(٥) نعني بالمجمعات المعمارية تلك التي تحوي جامعاً ومدرسة أو جامعاً ومستشفى ومدفن . انظر : اوقطاي أصلان : المرجع السابق ، ص ٧٨ ؛ تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٦) ديوريكي : تقع في الجنوب الشرقي من سيواس ، وقد لعبت دوراً كبيراً خلال العصر السلجوقي ، ازدانت بالعديد من العمائر المتنوعة الأغراض والتي مازال بعضها باقيا حتى اليوم ومن المسميات الأخرى لهذه المدينة ديفرجي ، و ديوريك ؛
Ansiklopedis of Islam, p.596.

(٧) اوقطاي أصلان : المرجع السابق ، ص ٧٥ ؛ حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ ؛ أرنست كونل : المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٨) اوقطاي أصلان : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

أما تصميم ذلك البناء فقد قام به المهندس خرمشاه الأخلاطي الذي ظهر تأثره كونه من أخلاط على بناء ذلك المجمع فأخلاط كانت واحدة من أقدم وأغنى مراكز صناعة الحجارة المنحوتة في الأناضول [١] فبنى الجامع بالحجر المصقول وسقفه محمول على عقود حجرية متشابكة كما أن محراب المسجد من الحجر المنحوت ومحدد بوضوح في دخلة واسعة في الجدار وبسيطة في نفس الوقت [٢] وعقد البلاطة الثالثة في رواق القبلة يقوم فوق حوض رخامي تصب فيه نافورة [٣]. وتميز هذا المسجد بالصحن المسقوف وذلك بسبب برودة الجو [٤] وبالمنبر المصنوع من خشب الأبنوس والذي وضع بعد تمام إنشاء المسجد باثنتي عشرة سنة [٥] .

وببابه الشمالي المشهور بزينته الجصية المثقلة وزخارفه حيث برع المزخرف السلجوقي في تطويع المادة الجصية وتكوين زخارف هندسية متشابكة مع زخارف أخرى من عناصر نخيلية وزهرة اللوتس والأقراص المستديرة [٦].

أما المستشفى فيعتبر من وجهة النظر المعمارية أكثر توفيقاً في عمارته من المسجد [٧] . فقد حرص المعماري على المحافظة على الخصائص المعمارية القديمة الخاصة بمجموعة المدارس ذات القباب [٨] وسقف المستشفى مفتوح في وسطه بمنور (شخشيخة) [٩] ويقوم على عقود حجرية تقوم على أعمدة يظلل نافورة تشبه نافورة

---

(١) أقطاي أصلان : المرجع السابق ، ص ٧٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٦ .
(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .
(٤) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .
(٥) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ٧٦ . انظر ملحق ص ٣٥٢ .
(٦) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ٧٧ ؛ نعمت علام : المرجع السابق ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
(٧) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٧٧ .
(٨) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٧٧ .
(٩) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٧٧ .
الشخشيخة : في المصطلح الأثري المعماري لفظ فارسي معرب أصله خسخانة للدلالة على قبة ضحلة غير عميقة من جص مخرم تعشق فتحاته الصغيرة - التي كانت تعمل للتهوية والإضاءة في أشكال هندسية مختلفة - بزجاج ملون . عاصم محمد رزق : المرجع السابق ، ص ١٠ . انظر ملحق ص٣٥٣.

المسجد [١]. أيضاً تميز ببواباته الضخمة التي تظهر قدرة العمارة السلجوقية ومهارة مزخرفيها ، فعلى « الحائط الشمالي لهذا المستشفى نُقش بشكل بديع ومتقن شكل نسر ذي رأسين [٢] ويبدو أنه رنك السلطان علاء الدين كيقباذ [٣] كما لا تخلو زخارف بوابات المستشفى من نقش الرؤوس الآدمية ، فعلى المدخل الشمالي ضمت زخارفه إلى جانب الحليات البنائية المستديرة رأسين آدميتين تشبهان الرسوم الرمزية التي على أبنية المستشفيات السلجوقية الأخرى [٤].

ويعتبر المستشفى والمسجد وحجرة الدفن التي تصل بينهما أقدم أمثلة الأبنية المشتركة أو المجمعات في بلاد الأناضول [٥] . أما أقدم الأبنية المشتركة لسلاجقة الروم في الأناضول فهو مجمع خواند خاتون [٦] في قيسارية وهو مكون من جامع ومدرسة وضريح وحمام ، وقد بدء بناء هذه المنشأة سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م على نفقة ماهبري خاتون زوجة السلطان علاء الدين كيقباذ .

وبني هذا المجمع جميعه من الحجر ذي اللون الأصفر الذي يستخرج من جوار قيسارية [٧] ويكاد يقترب شكل المحراب والقبة والإيوان والفناء الصغير الذي يليه للمسجد من مسجد ملطية [٨] . والجامع بشكل عام مستطيل ومنارته على يمين المدخل [٩] وله منبر مصنوع من الخشب أثر تجديد صباغته على جمال زخرفته

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

(٢) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٣) انظر ملحق ص ٣٦٨ .

(٤) أقطان أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٥) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٦) هي ما هبري خاتون زوجة علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو وأم ولده غياث الدين كيخسرو الثاني (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م) لها الكثير من المنشآت والعمائر . طلال شعبان : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ هامش (١) ؛ أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٨٤ ؛
Osman Toran : Selçuklular Zamaninda, op.cit. s.337.

(٧) خليل أدهم : قيصرية شهري ، ص ٦٢ .

(٨) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

(٩) خليل أدهم : قيصرية شهري ، ص ٦٣ .

الأصلية [١] . ويقع المدخل الرئيسي في غرب الجامع وقد زين بحـزام دائـري علـى بابـه نقش عليه بخط جميـل آيـات مـن القـرآن وزخـارف هندسـية [٢] وكتـب علـى المرمـر العبارات الآتية :

(١) أمر بعمارة هذ [ا] الجامع المبارك في أيام السلطان الأعظم غياث الدنيا والديـن أبو الفتح كيخسرو بن كيقباذ .

(٢) الملكة الكبيرة العالمة الزاهدة صفوة الدنيا والديـن فـاتحت الخـيرات ولـده [٣] أدام اللّـه ظلال .

(٣) جلالها وضاعف اقتدارها في شوال سنة خمسة وثلثين وستماية [٤].

أما المدرسة فهي مكونة من صحن تحيـط بـه أربـع بوائـك والبـائكتين الجـانبيتين منهما حجرات الطلبة [٥] .

وتتصل المدرسة بالمسجد من الزاوية التي يقوم فيها الضريح [٦] وهو ضريح ثماني الأضلاع تعلوه قبة [٧]. ويخلو داخل الضريح من النقوش ويوجد ثلاثة قبور داخله [٨].

القبر الأول في جهة المحراب مبني من المرمر الأبيض على شكل صندوق أطواله ٢,٢٥م و ٠,٥٧م زين بآية الكرسي وكتب عليه :

(١) هذا قبر الست السيدة الستيرة السعيدة الشهيدة الزاهدة العابدة المرابطـة المجـاهدة المصونة الصاحبة العادلة .

(٢) الملكة النساء في العالم العفيفة النظيفة مريم أوانها وخديجة زمانها صاحبة المعروفة

---

(١) خليل أدهم : قيصريه شهري ، ص ٦٣ .

(٢) اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

(٣) يبدو أن الخطاط قد غفل عن وضع حرف الألف بعد الواو وكذلـك التـاء لتصبح (والدتـه) . خليـل أدهم : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٤) وفي نقش تأسيسي آخر أضيف حرف التاء في أمر واسم والدة السلطان ماه بري . خليل أدهم : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٥) طلال شعبان : المرجع السابق ص ٢٧٨ .

(٦) انظر ملحق ص ٣٥٤ .

(٧) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ٨٤ ؛ Claud Cahen : Pre Ottoman, op.cit. p263 .

(٨) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ٨٤ ؛ خليل أدهم : قيصري شهري ، ص ٦٦ - ٦٧ .

المتصدقة بالمال ألوف صفوة الدنيا .

(٣) والدين ماه بري خاتون والدة السلطان المرحوم غياث الدنيا والدين كيخسرو بن كيقباذ رحمهم الله أجمعين آمين .

والقبر الثاني لابنة غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ هذا ما وضحه النقش على القبر وتميز بتأريخ الوفاة سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م .

أما القبر الثالث فلا يعرف لمن ، لعدم وجود الكتابة عليه [١] .

ويتميز هذا الضريح بجمال زخارفه الخارجية إذ يوجد في كل ركن من أركان المبنى المثمن الأضلاع عمود زخرفي مرتفع حتى المقرنصات عند الحافة العليا للمبنى ، ويوجد أسفل هذه المقرنصات مباشرة شريط كتابي بخط الثلث البارز يدور حول المبنى ، وفيما تخلو وسط الجدران من الزخارف يظهر شباكان يتوسط كل منهما عمود رخامي أبيض [٢]. يحيط بتلك المساحة صفين من العقود يحيط بهما ويعلوها زخارف هندسية متشابكة ، وزينت الأركان بتصميمات قوامها الوريدات الصغيرة والصلبان المعكوفة [٣] ويتم الوصول إلى المقبرة بواسطة سلم يبدأ من إحدى غرف (خلاوي) الطلاب بالمدرسة المجاورة[٤] .

ومن المنشآت المعمارية التي تعكس واقع دولة سلاجقة الروم الحضاري المدارس ، فقد قامت تلك المدارس كمؤسسات لدراسة الدين الإسلامي وتشريعاته ، كما قامت كذلك بالعديد من المهام الأخرى كمعاهد لتعلم الطب وممارسة العلاج ودراسة الفلك ورصد الكواكب [٥]. وما تزال توجد حتى الآن حوالي سبع وستون مدرسة ترجع إلى الفترة الممتدة من منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي حتى نهاية

---

(١) خليل أدهم : المرجع السابق ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١١٦ ، انظر ملحق ص ٣٥٥ .

(٣) من الزخارف الهندسية التي تشبه أشكال الصليب المعكوف وقد ظهرت من قبل في الزخارف الإغريقية ثم تطورت في العصر الإسلامي . طلال شعبان : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ . انظر ملحق ص ٣٥٦ .

(٤) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ١١٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٥ .

القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وحظيت دولة سلاجقة الروم بالعدد الأكبر من هذه المدارس المنتشرة في مدنها .

وتميزت عمارة تلك المدارس بقاعة مغلقة يعلوها قبة وبها حوض ماء بدلاً من الصحن المكشوف ذي النافورة الذي كان معروفاً في إيران والعراق [(١)] ، كما تميزت كسائر العمارة السلجوقية في آسيا الصغرى بأسلوب البناء القوي من الحجر المنحوت، فمدرسة ارتقوش قرب اسبارطه والتي انشئت سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م جسدت طراز المدارس السلجوقية فهي ذات ايوان كبير على جانبيه غرف كثيرة ذات قباب وتحمل القبة الرئيسية أربعة أعمدة وتتصل تلك القبة بالجدران من حولها بواسطة الأقبية ومركز القبة مفتوح من أعلى ويوجد أسفله حوض للماء [(٢)] .

والحقيقة إن المدرسة ذات القبة ابتكار أناضولي في العمارة التركية [(٣)] ، ورغم قلة عدد المدارس ذات القباب التي ترجع إلى القرن السابع الهجري / الثاني عشر الميلادي ، إلاّ أنها تكشف عن تطور بارع في أسلوب العمارة السلجوقية ، ومن المدارس الملحقة بالمستشفيات المدرسة التوأم (حفته مدرسه çifta medrsa) في مدينة قيساريه فهي مدرسة مخصصة لدراسة الطب أنشأها السلطان غياث الدين كيخسرو سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م ، والمستشفى لأخته جوهر نسيبة وخصص هذا المستشفى كمصحة للأمراض العقلية [(٤)]. ومساحة البناء ٤٠ × ٦٠ م ولها أربعة ايوانات بسيطة [(٥)] ويصل بين البنائين المدرسة والمستشفى دهليز [(٦)] وقد بني المستشفى بالحجر وتميز بالضخامة وخاصة بوابته التي مازالت باقية إلى الآن حيث زينت واجهة البوابة بأشكال هندسية وفي أعلى البوابة لوحة من المرمر نقش عليها النقش التأسيسي للمستشفى من سطرين :

---

(١) نعمت علام : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٢) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٩٧ - ٩٨ . انظر ملحق ص ٣٥٧ .

(٣) أقطاي أصلان آبا ، ص ١٠١ .

(٤) خليل أدهم : قيصريه شهري ، ص ٣١ .

(٥) انظر ملحق ص ٣٥٨ .

(6) Osman Turan : Salçuklulara Zamaninde Turkiy, s.292.

(١) إمام السلطان المعظم غياث الدين والدنيا كيخسرو بن قلج أرسلان دامت انفق بنا هذا المارستان .

(٢) وصية عن الملكة عصمة الدنيا والدين جوهر نسيبه ابنة قلج أرسلان أرضا لكم اللّه سنة اثنتين وستمايه [١] .

وكما هي العادة في المجمعات الإنشائية فقد جاءت المقبرة ذات الأضلاع الثمانية في أقصى يمين مجموعة الإيوانات الأربعة للمدرسة وهي مبنية كلها بالحجر المنحوت[٢].

وقد حذا السلطان عزالدين كيكاوس حذو والده في إقامة منشآت التطبيق العملي لما يدرسه طلاب الطب ونعني بذلك المستشفيات .

ففي سنة ٦١٤هـ / ١٢١٨م أسس السلطان عزالدين كيكاوس بظاهر مدينة سيواس على جادة توقات [٣] دار الشفاء المكون من مستشفى مساحته (٤٨×٦٨م) مازالت آثاره موجوده إلى الآن وإلى جانبه مدرسة صغيرة للطب اندثرت أجزاء كبيرة منها وهي الآن خرائب [٤].

ويتكون تصميم المستشفى من أربعة ايوانات وله فناء ببوائك تدور من حوله غرف النوم [٥] وقد راعى المعماري لهذا المستشفى توفير سبل الراحة والدفء للمرضى وذلك لشدة برودة المنطقة بإقامة حجرات لها مدافئ [٦] . ويقع الضريح خلف الإيوان الذي إلى يمين مدخل المستشفى وهو مكون من قاعدة عالية ذات عشرة أضلاع [٧] تعلوه قبة مخروطية [٨] واستخدم الحجر المتباين الألوان في بناء وزخرفة البناء ، كما استخدم الطوب والخزف معاً [٩] حيث اتضح ذلك في ظاهر جدران المقبرة مع زخرفته

---

(١) خليل أدهم : قيصرية شهري ص ٣٠ ، ٣١ انظر ملحق ص ٣٥٩ .

(٢) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١١٢ انظر ملحق ص ٣٥٨ .

(3) Ceuidet. M : Sivas Darüşşifasi vakfiyesi vetercümeri.

(٤) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٥) انظر ملحق ص ٣٦٠ .

(٦) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٧) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٨) انظر ملحق ص ٣٦١ .

(٩) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

بوحدات من الصليب المعكوف بأشكال هندسية داخل صفين من العقود [١] . وقد تنوعت الألوان الخزفية المستخدمة ما بين الأبيض والفيروزي والأزرق الكوبالتي وهذه الزخارف البديعة الأشكال والألوان برع في صياغتها الصانع أحمد المرندي [٢].

وقد شاع استخدام الخزف الملون في زخرفة العمائر السلجوقية ، وهو أسلوب إيراني كان مقتصراً على الأواني ولكن المعماري السلجوقي طور هذا الأسلوب الفني ونجح في استخدامه في العمارة السلجوقية وخاصة كسوة المسطحات وتغطية جدران المحاريب والمدافن والقباب [٣] بتلك البلاطات الخزفية المطورة في أشكالها وألوانها عن ما عرف لدى سلاطين السلاجقة العظام [٤].

وقد نفذت تلك الزخرفة الخزفية على واجهة ضريح السلطان عزالدين كيكاوس في دار الشفاء فجاءت حروف النقش بلاطات بيضاء بارزة على أرضية زرقاء ومحتوى النقش « إن ثروتي لا تنفعني بشيء الآن وها قد زال عني سلطاني ودالت دولتي وحان رحيلي من دار العبور هذه إلى الدار الآخرة » [٥] والتاريخ الرابع من شوال سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ، أما النقوش الكتابية الرئيسة الخاصة بالمستشفى فهي محفورة على حجر المدخل [٦] ، بينما نحتت بشكل بارز على حافتي المدخل رأسين لرجل وامرأة [٧] وقد اقتبس المزخرف السلجوقي الزخارف الآدمية والحيوانية عن الأسلوب السلجوقي الإيراني ووجدت بكثرة في معظم العمائر السلجوقية في آسيا

(١) انظر ملحق ص ٣٦٢ .

(٢) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ١٠٢ ، ١٠٩ .

(٣) نعمت علام : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٤) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ١٠٢ ، ٢٥٠ ؛ أرنست كونل : المرجع السابق ص ٧٧ .

(٥) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ؛ في أخبار سلاجقة الروم ص ٩٨ أن السلطان عزالدين كيكاوس نظم بيتين من الشعر أثناء مرضه قبل الوفاة وأمر أن تنقش على قبره في دار الشفاء وهما : تركنا الدنيا ، ومضينا غرسنا تعب القلب ، ومضينا
فالنوبة بعد ذلك نوبتكم ، لأننا أخذنا نوبتنا ، ومضينا

(٦) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٧) انظر ملحق ص ٣٦٣ .

الصغرى [١] .

ومن ضمن المنشآت المعمارية التي اهتم بها سلاطين سلاجقة الروم إنشاء القصور والاستراحات السلطانية ولكن لم يتبق من تلك العمائر المدنية في المدن التركية آثار تذكر [٢] إذ أن تلك المنشآت بنيت من الطوب والآجر بخلاف المنشآت المعمارية الأخرى التي بنيت من الحجر [٣] ، فكان من السهل تداعي تلك المباني وتحولها إلى أنقاض ، لذا فمن الصعب معرفة التصاميم الحقيقية لتلك القصور أو أشكالها إلاّ فيما ورد في كتب المورخين أو ما توصل إليه الآثاريون من احتمالات لأشكال تلك المباني بعد عمليات التنقيب . والظاهر أن تلك القصور كان بها الكثير من العناصر المعمارية الفارسية كالإيوان والقاعة الكبيرة والتي كانت تستخدم للإستقبالات ، كما كان يلحق بهذه القاعة مجموعة من الحجرات الجانبية [٤] . كما لا تخرج أشكال القصور السلطانية عن عدد من القصور المنفصلة يربط بينها بهو كبير ويحيط بالمجموعة سور واحد ، هذه القصور تحتوي على المخادع الخاصة وغرف الحريم إضافة إلى بهو كبير للاستقبالات ومطابخ تكفي لإعداد الطعام لمئات الناس ، كما تحتوي على مقصورات ملابس السلطان وحاجياته ، ومقصورات أخرى تحتوي على قطع الأقمشة والحلي التي يهبها لضيوفه ، وربما حوت بعض هذه القصور مصنع لحياكة المنسوجات الحريرية خاصة للسلاطين تسمى « دار الطراز » .

كما ألحقت بتلك القصور مدارس للفروسية وأصطبلات ومرافق خاصة لرجال القنص الملكي ومخزن الأسلحة وتتخلل تلك القصور أيضاً الحدائق الصغيرة وبرك ونوافير مياه [٥] .

ومن أشهر القصور السلجوقية القصران اللذان بناهما السلطان علاء الدين

---

(١) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص٤٠١-٢٤٦ ؛ نعمت علام ، المرجع السابق ، ص١٢٠ ؛ أرنست كونل ، المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) نعمت علام : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٣) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٤) نعمت علام : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٥) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١١٦ ؛ محمد عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو الكيقباذية ، قوباد آباد فقصر الكيقباذية في قيسارية عبارة عن ثلاثة قصور تحيط ببحيرة صغيرة كونتها مياه الينابيع ، وأنشأت تلك القصور سنة ٦٢١هـ / ١١٢٦م [١] ، وقد أظهرت الحفريات تصميم أحد هذه القصور وهو عبارة عن مساحة مستطيلة وربما هذه قاعة الاستقبالات ، ،في أحد أركانه مطبخاً صغيراً [٢] وقد اتخذ هذا القصر استراحة صيفية يستقبل فيه السلطان سفراء الدول الأجنبية ويستضيفهم فيه [٣] ، وهذا يدلنا على وجود قاعات الاستقبالات وأماكن إقامة ضيوف الدولة في هذه القصور ، وقد كشف التنقيب لأحد قصور الكيقباذية عن أنه يتكون من ثلاثة أقبية متوازية تقوم فوق ربوة صغيرة تمتد داخل البحيرة [٤] ، وأمام هذه القصر رصيف من سبعة أقواس من الحجر كل قوس منها قطعة واحدة [٥] هذا إلى جانب إحاطة المسطحات النباتية الواسعة بتلك القصور والتي تحتوي على الزهور والورود ، كما تنساب أمام قصر السلطان عين ماء فكان السلطان يجلس في شرفة القصر أحياناً كثيرة [٦] .

وتتجلى مظاهر الترف المعماري وحرص السلاطين على تجميل قصورهم من بقايا الخزف بين أنقاض هذه القصور حيث وجد الكثير من القطع الخزفية المتعددة الأشكال والألوان فهي مكونة من رسوم هندسية مجدولة ومتشابكة بألوان فيروزية وزرقاء داكنة وسوداء تحت طلاء لامع شفاف [٧] ويبدو أن تلك القطع قد كسيت بها جدران القاعات الملكية وغرف القصور المتعددة [٨] .

---

(١) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٢) أقطاي أصلان : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(3) Osman Turan , Selçuklular Zamaninde Turkiy. s.398.

(٤) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٥) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(6) Osman Turan : Selçuklular Zaaninde Turkiy, s. 398.

(٧) أقطاي أصلان آبا :ا لمرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(8) M. Zeki Oral : Kubad Abad çinileri, Belleten LXVI. s.212.

قصر قباد آباد :

أسس هذا القصر واختار موقعه السلطان علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو على السواحل الغربية لبحيرة بايشهر [١] سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م أثناء مروره بهذا الموقع وهو متجه من قونيه إلى انطاليه . فأعجب بالموقع لما يمتاز به من طبيعة خلابة تنوعت فيه ألوان النباتات من الخضرة الفيروزية إلى الزهور الحمراء ... وعبق الجو برائحة المسك إضافة إلى وفرة المياه والصيد [٢] .

فاستدعى سعد الدين كوبك الذي كان أميراً للصيد والتعمير آنذاك وطلب منه بناء ذلك القصر [٣] على حافة جبلية ليطل على البحيرة وما حولها [٤] . وقد وضع مخططات القصر ورسوماته السلطان نفسه ، وقد كانت مساحته ٣٥ × ٥٠م [٥] هذا بالإضافة إلى ثمانية قصور [٦] أخرى حيث ظهرت مدينة ملكية احتوت على مسجد ومكتبة وبساتين متنوعة الأشجار وميدان للألعاب [٧] .

والقصر في مجمله عبارة عن بهو كبير وايوان مرتفع للعرش يغطي الطوب أرضيته ، ثم تبدأ بعد ذلك غرف الضيوف ، ثم قسم خاص للحريم . وأمام القصر فناء واسع غطيت أرضيته بالحجر وأحاطت الحجرات بضلعيه الجنوبي والشرقي [٨] واستخدم في زخرفة القصر بلاطات خزفية ذات أشكال وألوان متعددة كشفت عن قدرة سلاجقة آسيا الصغرى على الإبداع والابتكار في مجال التصوير والمحاكاة إذ هناك البلاطات الخزفية ذات الثمانية رؤوس والأشكال الصليبية التي غطت الجدران إلى ارتفاع

---

(1) M. Zeki oral : op.cit. s.210.

(٢) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٨٠ .

(٣) أخبار سلاجقة الروم ، ص ١٨٠ .

(4) Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiy, s.397.

(٥) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .
Osman Turan : Selçuklular Zamaninde Turkiy. s.397.

(6) M.Zcki oral : op.cit. s.210.

(٧) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٣٨ ؛ M. Aeki oral : op.cit. s.210 .

(٨) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٣٨ ؛ Claud Cahen : Pre Ottoman. p.220 .

مترين [١] ، وكانت ألوانه الأزرق الفيروزي والأحمر المائل للزرقة والأخضر [٢] . وقد أبدع البناء السلجوقي في تكوين الصور الآدمية والحيوانية من تلك البلاطات الخزفية الملونة فهناك صورٌ آدمية جالسة أو واقفة منها صور شخصية ربما أنها للسلطان علاء الدين كيقباذ وصور كائنات خرافية ونسور ذات رأسين وأشكال متعددة لطيور وحيوانات ومخلوقات ذات معان رمزية [٣] .

ونحن نستعرض المنشآت العمرانية لدولة سلاجقة الروم لا نستطيع إغفال الخانات السلجوقية التي مازال البعض منها قائماً إلى الآن يثبت للتاريخ قوة دولة سلاجقة الروم الاقتصادية والعمرانية ، فما تزال توجد إلى الآن ثمانية ربط [٤] سلطانية « خانات » تصنع أمامنا لوحة باهرة لفن وحضارة سلاجقة الروم [٥] .

وقد بني أغلب تلك الخانات خلال فترة التوسع العظيمة للتجارة التي ترجع لعهد السلطان غياث الدين كيخسرو وابنيه عزالدين كيكاوس وعلاء الدين كيقباذ ، وهذا الأخير يعد عصره العصر الذهبي لدولة سلاجقة الروم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، ففي عهده نجد مئات الآثار الخيرية مثل الجوامع والمساجد والمدارس والنزل والجسور والأسوار [٦] .

وتنفرد الخانات السلجوقية التي سنتناولها الآن بضخامة بنائها وانتشارها الواسع على طرق التجارة الأناضولية الممتدة من دينزلي إلى ارزروم وقارص ، ومن كوتاهيه

---

(١) اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٣٩ ؛ M.Zeki oral : op.cit, s.212 .

(٢) اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٣٩ ؛ M. Zeki oral : op.cit. s.212 .

(٣) اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٣٩ ؛ M. Zeki oral : op.cit. s.210-216 .

(٤) الأربطة والخانات والوكالات كلها ألفاظ تدل على المكان الذي أنشئ بهدف إيجاد أماكن راحة آمنة للقوافل التي تنقل السلع والبضائع التجارية الثمينة ، وقبل ذلك كانت قد أسست من أجل أهداف عسكرية ونقصد بذلك الرباط ، ثم بعد توسع الحدود الإسلامية أصبحت تلك الأربطة داخل الدولة الإسلامية فأصبحت أغراضه تجارية .

لمزيد من التفصيل انظر : نعمت علام : المرجع السابق ، ص١١٨ – ١١٩ ؛
Osman Turan : Selçuk Kervansarylari, s.489.

(٥) اوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ١٢٠ .

(٦) تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٦٤ – ١٦٥ ؛ M.Zaki oral : op.cit, s.212 .

إلى تبليس وأخلاط ، ومن انطاليه إلى سينوب وسامسون [١] .

وقد حفظ تلك الخانات إلى الآن كون مبانيها من الحجارة المنحوتة فقط دون الطوب وتضم تلك الخانات الحمامات إلى جانب المسجد والمكتبة ، هذا بالإضافة إلى وجود الأطباء البشريين والبيطريين لمواجهة احتياجات النزلاء المرتحلين ودوابهم . كما ضمت تلك الخانات أهل الحرف والصناعة للقيام بأية خدمات أو إصلاحات تلزم النزل وخُصص لتلك الخانات الأوقاف الغنية للصرف عليها وعلى موظفيها ومرتاديها. تبين لنا ذلك من وقفية جلال الدين قرطاي على خان بطريق أبلستان بقرية سراخور [٢] .

ومن الخانات السلجوقية في آسيا الصغرى والتي حرص سلاطين سلاجقة الروم على إنشائها على طرق التجارة .

خان اودير :

أنشئ هذا الخان في عهد السلطان عزالدين كيكاوس على طريق انطاليه - اسبارطه ، ونظراً لتلاشي نقش التأسيس فربما أن زمن بنائه ما بين سنة ٦١١ - ٦١٥هـ / ١٢١٦ - ١٢١٨م [٣] ، وقد بنى من الحجر المنحوت وله ثلاثة أبراج ساندة في كل جانب ، وأربعة أبراج أخرى اثنان في المقدمة واثنان خلف الخان ومساحته الكلية ٣٦٩٢م [٤] ، ويختلف تصميم هذا الخان عن بقية العمائر السلجوقية . فالبهو مكشوف والأقبية فسيحة ومنبسطة والبوائك في صفوف مزدوجة على شكل دائرة حول الفناء . وهكذا نلاحظ اختفاء البهو المغلق أو المغطى وذلك لأن الخان يقع في اقليم دافئ المناخ [٥] .

(١) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(2) Osman Turan : Selçuk Devri Vakfiyaleri. p.479.

(٣) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٤) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٥) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

أما زخارف الخان فتتجلى في المدخل ذي المقرنصات الرائعة والأعمدة الركنية والأشرطة العريضة التي تضم وحدات نجمية متقاطعة ومحفورة حفراً غائراً [١]

خان السلطان :

وهو الخان الثاني [٢] للسلطان علاء الدين كيقباذ ، ويقع على طريق قيصريه - سيواس بني بين عامي ٣٠ - ٦٣٤هـ / ٣٢ - ١٢٣٦م [٣] . ويتميز بجدرانه الصماء القوية والأبراج الساندة المتعددة الأشكال ، فأصبح كالحصن في مظهره ، ويتكون البناء من مدخل رخامي يرتفع نحو مترين عن خط الجدار الرئيسي ثم البهو بعرض ستة أمتار وفوقه قبة مفتوحة وعقود الأقبية السبعة على الجانبين وترتكز القبة على دلايات وكان يغطيها في وقت سابق سقف مخروطي وبرقبة القبة أربع نوافذ مستطيلة وفي الداخل صحن في وسطه مسجد بينما تقع حماماته ذات القباب في الركن الشمالي الغربي من الصحن [٤] .

وقد أبدع البناء السلجوقي في زخرفة هذا الخان فعلى العقود الساندة صور لرؤوس حيات ملتف بعضها ببعض فاغرة أفواهها وحول هذا الرسم شريط من الأشكال المتداخلة ، هذا بالإضافة إلى الزخارف الهندسية على المدخل الرخامي [٥] .

---

(١) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٢٣ . انظر ملحق ص ٣٦٤ .

(٢) خان السلطان الأول على طريق قونية أقسراي والذي يعتبر نموذجاً للخانات العظيمة ، أنشئ سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م . انظر أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ؛ تمارا رايس : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) نظراً لتآكل نص التأسيس فلم يتأكد الأثريون من سنة البناء . أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص١٢٤ ؛ Osman Turan : Selcuk Kervansarylari. s.480 .

(٤) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٥) المرجع السابق الصفحة نفسها .

خان « أغزاقر » (Agzikarg) :

يقع على طريق قيسارية - أقسرا ، بني في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ وأتم بناءه سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٧م ، وقام ببنائه خواجه مسعود بن عبدالله (١) . ويتميز هذا الخان بأنه في مستوى الخانات السلطانية غنى وثراء وكتلته الضخمة وأبراجه القوية تقربه من صورة الحصن أكثر مما هو خان كما أن واجهته الرئيسة في موقع جانبي ويعلو مدخله ومصلاه وبهوه القباب ، ويقع المصلى وسط الفناء ذا شكل مكعب(٢).

أما زخارفه فتتكون من رسوم الصلبان المعكوفة ملأت الفراغ بين المقرنصات وبين العقد الذي يضمها ، وتميز المدخل برسومه الهندسية المحفورة حفراً عميقاً على الحجر مادة بناء الخان بأكمله (٣) .

وهذه الخانات التي استعرضناها ليست إلاّ أمثلة على مئات الخانات التي انتظمت على الطرق التجارية الأناضولية والتي كان لها دورٌ بارزٌ في ازدهار الدولة اقتصادياً واجتماعياً ودليلٌ شاهدٌ على الاهتمام العمراني من قبل سلاطين ورجالات دولة سلاجقة الروم (٤).

---

(١) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) أقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤) انظر ملحق ص ٣٦٥ .

الخاتمة

الخاتمـــة

تم بحمد اللّه وتوفيقه الإنتهاء من بحث الموضوع المعنون بـ « سلاجقة الروم في الثلث الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي » حيث تم في هذه الدراسة التطرق إلى دراسة دولة سلاجقة الروم تاريخياً وحضارياً في الفترة من ٦٠٠ – ٦٣٤هـ / ١٢٠٤ – ١٢٣٧م ، تعاقب على الحكم خلالها ثلاثة سلاطين : غياث الدين كيخسرو (٦٠١ – ٦٠٧هـ / ١٢٠٥ – ١٢١٠م) ، ثم ابنيه : عز الدين كيكاوس (٦٠٧ – ٦١٦هـ / ١٢١٠ – ١٢١٩م) ، وعلاء الدين كيقباذ (٦١٦ – ٦٣٤هـ/ ١٢١٩–١٢٣٧م) . فأظهرت هذه الدراسة الكثير من الحقائق أهمها : فشل نظرية « أن الدولة ملك مشترك للعائلة المالكة تقسم بينهم بعد وفاة السلطان » إذ أدت تلك النظرية النابعة من تقاليد السياسة التركية القديمة إلى دخول البلاد فترة من الزمن في صراع ونزاع داخلي إلى أن يتسلم السلطة الابن الأكبر للسلطان ويطبق السياسة المركزية هذه السياسة التي كانت السبب في قوة دولة سلاجقة الروم وقدرتها على تحويل آسيا الصغرى من أرض يونانية نصرانية إلى أرض تركية إسلامية . وكان تطبيق المركزية في الحكم هو الذي مهد الطريق في المستقبل لنجاح الدولة العثمانية في تطبيق المركزية الأمر الذي حماها من التفكك والانقسام .

كما أوضحت الدراسة لجوء بعض سلاطين دولة سلاجقة الروم إلى الامبراطورية البيزنطية بعد وقوع النزاع بينهم كأخوة وذلك للتقارب الجغرافي بين تلك الدولتين ولانشغال العالم الإسلامي آنذاك بجهاده ضد الغزو الصليبي .

أيضاً اتضح من الدراسة الدور الحاسم لرجال دولة سلاجقة الروم – قادة وأمراء – في حفظ عرش الدولة وتعيين الابن الأكبر للسلطان السابق وتهيئة الأوضاع الداخلية لذلك ، وفي هذا دلالة على ما كان يتمتع به سلاطين سلاجقة الروم في فترة موضوع البحث من النظر في اختيار رجال الدولة الأكفاء .

أيضاً اتضح من الدراسة إدراك سلاطين دولة سلاجقة الروم لأهمية طرق التجارة العالمية فعملوا على بسط نفوذهم المباشر على المنافذ البحرية بفتح مدينتي

انطاليه على البحر المتوسط في جنوب البلاد وسينوب على البحر الأسود في شمال البلاد ، والارتباط بمعاهدات تجارية مع القوى التجارية آنذاك كالبنادقة والبيازنة فانعكس ذلك على ازدهار قوة الدولة الإقتصادية مما عزز من مكانتها السياسية والعسكرية في تلك الفترة .

اتضح من الدراسة بأن تلك القوة الإسلامية التي قامت وتمكنت سياسياً وعسكرياً واقتصادياً في آسيا الصغرى بوابة العالم الإسلامي الشمالية الغربية لم تُستغل لصالح الجهاد الإسلامي ضد الوجود الصليبي ، بل اندفعت دولة سلاجقة الروم في حركة توسعية في الشرق على حساب الإمارات الأرتقية وفي الجنوب بإشغال القوى الأيوبية في بلاد الجزيرة وعلى مدينة حلب ، الأمر الذي كان له أسوأ الأثر على الموقف الأيوبي تجاه الحملة الصليبية الخامسة التي كانت تهدد مصر والشام ، إذ شغل ذلك جزءاً كبيراً من القوات الأيوبية في التصدي لهجوم سلاجقة الروم مما ساعد الصليبيين على الإستيلاء على دمياط والتقدم جنوباً بقصد التوغل في أرض مصر ، ولم يتمكن الأيوبيون من التصدي الفعال للحملة الصليبية الخامسة إلاّ بعد صد سلاجقة الروم وانحسار خطرهم على الممتلكات الأيوبية في حلب والجزيرة .

اتضح أيضاً بأن دولة سلاجقة الروم في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ قد بلغت أزهى عصورها وأطلق على ذلك العهد العصر الذهبي للدولة وذلك لامتداد النفوذ الإسلامي إلى ساحل البحر الأسود الشمالي ودخول شبه جزيرة القرم وفتح مدينة سوداق ورفع الأذان في تلك البقعة البعيدة ، كما أصبحت بضائع بلاد الروس من فراء غالي وعبيد وجواري متميزين في يد مستهلكيهم من الطبقات الغنية مباشرة في دولة سلاجقة الروم ومن جاورهم .

حرص سلاطين سلاجقة الروم على أسلمة وتتريك المدن المفتوحة بتحويل تلك المدن إلى مدن إسلامية عن طريق تحويل الكنائس الكبرى إلى جوامع يرفع من فوقها الآذان ، وتعيين القضاة والأئمة والخطباء فور فتحها وتشجيع رؤوس الأموال الإسلامية على السكنى في تلك المدن وتسهيل السبل لهم لذلك ونقل الحرفيين والعناصر التركية والتركمانية وتوطينهم بها وليس أدل على ذلك من تحويل مدينة

سينوب من مدينة يونانية نصرانية إلى مدينة إسلامية تركية بعد فتحها في عهد السلطان عزالدين كيكاوس .

اتضح من الدراسة أن طبيعة العلاقات بين دولة سلاجقة الروم والقوى الإسلامية والنصرانية المعاصر لها في فترة موضوع البحث تحددها مصلحة دولتهم فليس هناك العداء الدائم ولا الصداقة الدائمة ، فساعدت هذه السياسة على توسع الدولة لتشمل معظم أجزاء آسيا الصغرى عدا الجزء الغربي المطل على بحر إيجة وذلك لارتباط دولة سلاجقة الروم بعهود صداقة مع الامبراطورية النيقية (البيزنطية) ولا يعني ذلك احترام تلك العهود وإنما لمصلحة كل منهما عدم استعداء الطرف الآخر واتجاه كل منهما للتوسع في الاتجاه المعاكس للآخر .

حدد سلاطين سلاجقة الروم هدف دولتهم من التوسع على حساب جيرانهم وهو خدمة اقتصاد البلاد فعملوا جاهدين على وضع قدم لهم على البحار العالمية فتحقق لدولتهم بعد الاستيلاء على سينوب وسوداق شمالاً على البحر الأسود وانطاليه جنوباً على البحر المتوسط التحكم في طرق التجارة العالمية والاستفادة من حركة العبور من مناطق الإنتاج إلى مناطق الاستهلاك المارة بالأراضي السلجوقية ، فألقى ذلك بظلاله على اقتصاد البلاد مما جعلها إحدى الدول الغنية .

اتضح من الدراسة أن رغبة سلطان الدولة الخوارزمية جلال الدين منكبرتي التوسع على حساب دولة سلاجقة الروم جعلها - دولة سلاجقة الروم - تتحالف مع الدولة الأيوبية لصد خطره الأمر الذي أدى إلى وقوع معركة شرسة نجم عنها تحطيم جيش جلال الدين وأصبح عاجزاً عن الوقوف أمام المغول فاقتحموا كل بلاد الدولة الخوارزمية بسهولة كبيرة .

أوضحت الدراسة نجاح السلطان علاء الدين كيقباذ في استقطاب فلول جيش جلال الدين منكبرتي بعد مقتله ، حيث استقبل زعماء تلك الفرق الخوارزميين وأقطعهم الإقطاعات وأفاد منهم في توطيد نفوذه .

أيضاً اتضح من الدراسة إدراك السلطان علاء الدين كيقباذ للخطر المغولي منذ ظهوره والعمل على تفادي آثاره السلبية بتحصين المدن السلجوقية داخلياً ، ثم رغبته

في اتخاذ الطرق السلمية للتعامل مع هذه القوة القادمة من الشرق إلاّ أن اصطدامه بالقوة الخوارزمية وإسقاطها وحروبه مع الدولة الأيوبية ثم وفاته سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م قد أجهضت سياسته السلمية تلك ولم يتضح لنا مدى نجاحها أو فشلها في تلك الحقبة نظراً لعدم مجيء غزوة مغولية كبيرة إبان فترة حكمه .

نجحت دولة سلاجقة الروم في الاستفادة من الإقطاع العسكري الذي خالفت في تطبيقه جميع القوى السياسية الإسلامية المجاورة والمتمثل في عدم توريثه للأمراء فأدى ذلك إلى ازدهار الإقطاع وإمداد الدولة بقوات إقطاعية فاعلة إذ وصلت القوات السلجوقية إلى مائة ألف مقاتل مع احتفاظ الدولة بأصل الإقطاع .

اتضح من الدراسة عدم استغلال القوى الإسلامية لقوتها العسكرية سواء سلاجقة الروم أو من جاورها من القوى السياسية في الوقوف في وجه الجحافل المغولية ودرء خطرها بل تكونت تحالفات قوية ضد بعضهم البعض وليس أدل على ذلك من تحالف سلاجقة الروم والقوات الأيوبية ضد السلطان الخوارزمي جلال الدين خوارزمشاه ثم تحالف الملوك الأيوبية والأمراء الأراتقة ضد السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ والدخول في صراعات حدودية استنفدت قوات كل منهما مما جعل منطقة شرق الأناضول وبوابة دولة سلاجقة الروم متهاوية الدفاعات أمام القوات المغولية فيما بعد .

اتضح من الدراسة حرص سلاطين سلاجقة الروم على الارتباط الودي بالخلافة العباسية للحصول منها على التقليد والشرعية لحكمهم .

اتضح من الدراسة أن سلاطين سلاجقة الروم نجحوا خلال الثلث الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في تقليم أظافر مملكة أرمينية الصغرى فأخضعوها لنفوذهم الأمر الذي حال بين الأرمن وبين الإسهام بشكل فعال في الاعتداءات الصليبية على المسلمين في بلاد الشام .

برهنت الدراسة على نجاح سلطنة سلاجقة الروم في إخضاع امبراطورية طرابيزون الواقعة في جنوب شرق البحر الأسود بحيث أصبحت تلك الامبراطورية البيزنطية تدفع لهم جزية سنوية وتعترف لهم بالسيادة .

كما برهنت الدراسة على قوة دولة سلاجقة الروم العسكرية وقدرتها على التوسع في الأراضي الكرجية الأمر الذي جعل ملكة الكرج رسودان تعلن تبعيتها لدولة سلاجقة الروم بل وتعرض مصاهرة السلطان علاء الدين كيقباذ بتزويج ابنتها لابنه الملك غياث الدين كيخسرو الثاني لتأمن على مملكتها سطوة القوة السلجوقية .

أظهرت الدراسة عظمة دولة سلاجقة الروم العسكرية البرية والبحرية عندما احتاز الأسطول السلجوقي عباب البحر الأسود ودخلت القوات السلجوقية مدينة سوداق في شبه جزيرة القرم لتعلن انضمام تلك المدينة الواقعة شمال البحر الأسود إلى راية دولة سلاجقة الروم فأدى ذلك إلى أسلمتها وتتريكها وأصبحت دولة سلاجقة الروم مصدرة لبضائع تلك المنطقة من فراء ورقيق متميز بعد أن كانت مستوردة له .

أوضحت الدراسة أنه رغم التصادم الحربي بين سلطنة سلاجقة الروم وبين مملكة قبرص الصليبية على ميناء انطاليه ونجاح السلاجقة في الاحتفاظ بذلك الميناء إلاّ أن ذلك لم يحل دون قيام العلاقات التجارية بين الجانبين وازدهارها طوال فترة البحث .

ألقى البحث أضواء جديدة على الحياة الاقتصادية المختلفة لدى سلطنة سلاجقة الروم خلال الثلث الأول من القرن السابع الهجري ، إذ تبين من الدراسة أن دولة سلاجقة الروم دولة زراعية بالدرجة الأولى فتنوعت المحاصيل الزراعية من فواكه وحبوب ومنتجات زراعية اقتصادية كالقطن فأدى ذلك إلى الاكتفاء الذاتي للدولة بل وصدرت في بعض الأحيان ما يفيض عن حاجتها إلى البلاد الأخرى .

كذلك اشتهرت دولة سلاجقة الروم بوفرة الثروة الحيوانية وجودتها حيث ترتب على الزراعة والثروة الحيوانية صناعات يدوية محلية ذاعت شهرتها في الآفاق ، فأدت قوتها الاقتصادية تلك إلى تميزها بين القوى المجاورة فقويت سياسياً بقوة ذلك الاقتصاد إذ حرصت المدن التجارية العالمية آنذاك على الارتباط بمعاهدات تجارية مع دولة سلاجقة الروم .

اتضح من الدراسة حرص سلاطين سلاجقة الروم على رعاية الثقافة بكل فروعها وفتح أبواب الدولة على مصراعيها أمام العلماء والأدباء والفنانين الإيرانيين

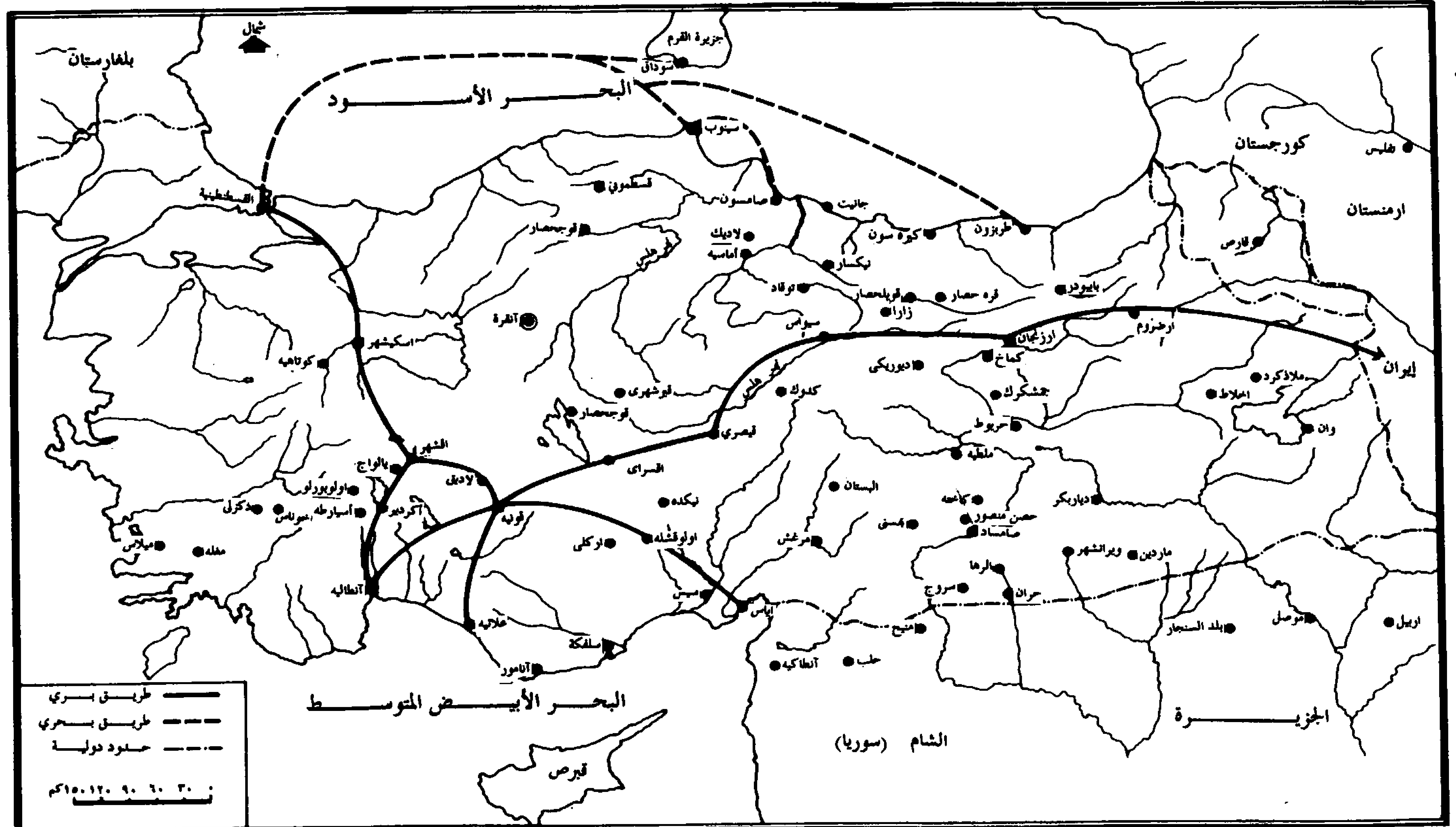
والتركستانيين الهاربين أمام الغزو المغولي وتهيئة المناخ المناسب لرقي الثقافة لدولة سلاجقة الروم فكان ذلك البذرة المكونة للثقافة الإسلامية التركية وتحويل العناصر التركية والتركمانية من أمة مقاتلة فقط إلى راعية للثقافة والفنون .

أوضحت الدراسة عناصر المجتمع التي يتكون منها المجتمع السلجوقي زمن سلطنة سلاجقة الروم وأهم تلك العناصر هي الترك والتركمان والفرس والسريان والأكراد بالإضافة إلى الأرمن والأقليات الأوربية ، بحيث ساد التناغم والانسجام بين تلك العناصر المختلفة بفضل السياسة الحكيمة التي اتبعها سلاطين سلاجقة الروم والبعيدة كل البعد عن التعصب لعنصر بعينه والإفادة من كل العناصر بحيث أصبح في إمكان أي شخص الترقي في مناصب الدولة بغض النظر عن أصله أو العنصر الذي ينتمي إليه .

اتضح من الدراسة اهتمام سلاطين سلاجقة الروم بالمنشآت العمرانية والتوسع في بنائها سواء كانت عمائر دينية كالجوامع والمساجد أو مدنية كالمستشفيات والقصور والاستراحات أو تجارية كالخانات والتي مازال بعضها ظاهر إلى الآن ليشهد على ما تميزت به من قوة البناء وروعة التصميم ودقة وجمال الزخرفة .

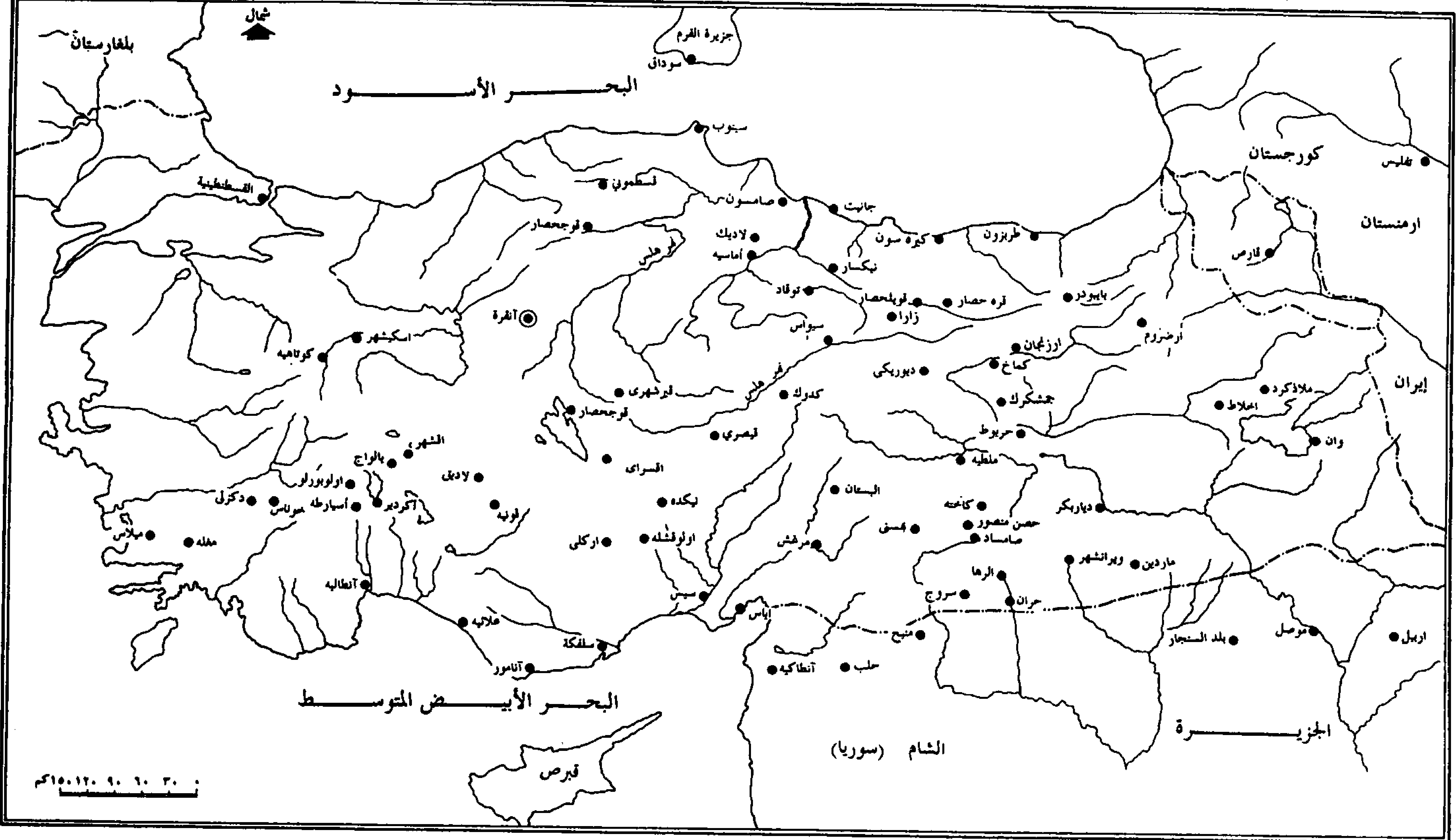
الملاحق

خريطة رقم (١) طرق التجارة العالمية البرية والبحرية التي تمر بدولة سلاجقة الروم



المصدر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام.

خريطة رقم (٢)   دولة سلاجقة الروم في عهد السلطان علاء الدين كيقباد (الأول)



شجرة نسب سلاطين سلاجقة الروم (١)

سلجوق

أرسلان بيغو

شهاب الدولة قُتلمش

١ – سليمان الأول

٢ – قلج أرسلان (الأول) داود

٣ – ملكشاه الأول
٤ – ركن الدين مسعود

٥ – عز الدين قلج أرسلان الثاني

٦ – قطب الدين ملكشاه الثاني
٧ – غياث الدين كيخسرو الأول
٨ – ركن الدين سليمان شاه

٩ – عز الدين قلج أرسلان الثالث

١٠ – عز الدين كيكاوس الأول
١١ – علاء الدين كيقباد الأول

١٢ – غياث الدين كيخسرو الثاني

١٣ – عز الدين كيكاوس الثاني
١٤ – علاء الدين كيقباد الثاني
١٥ – ركن الدين قلج أرسلان الرابع

١٦ – غياث الدين كيخسرو الثالث

١٧ – غياث الدين مسعود الثاني

١٨ – علاء الدين كيقباد الثالث

١٩ – غياث الدين مسعود الثالث

---

(١) عن زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمه .

نص منشور كمال الدين كاميار رحمه اللّه تعالى (1)

ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون .

لما كان الباري سبحانه وتعالى مالك الملك بحقيقته والمنح والمواهب تمنح طبقاً لمشيئته ؛ فقد خلع على كل مخلوق خلعة من جوده ، وأحضر كل معدوم من موطن قفر العدم إلى رياض وحياض الوجود ، ووهب كل مخلوق حداً من الكمال تبعاً لاستعداده واستحقاقه (فسبحانه ما أتم نعمه وأعم كرمه وأجزل إحسانه وأكمل امتنانه) ، فقد وضع عنان حكم الدنيا في يد تصرف اقتدارنا ، ووهبنا رتبة ومنزلة السلطان ظل اللّه في الأرض والرئاسة والتوفيق ومظلة الملك والسعادة . وجعل من عزائمنا ونهضتنا مفتاح الفتوح ، وثبت آيات النصر والظفر على راياتنا ، ووصل حد كمال المنزلة وجلال المناقب إلى أن ملوك الأرض قد تمنطقوا بمناطق الطاعة لنا طوعاً أو قسراً . ولهجت أفواههم وألسنتهم بالحمد والثناء علينا ، والتزموا بقواعد العبودية ، ونهجوا منهجها ، وابتهجوا بالخدمة في أعتاب جلالنا . وصار واضحاً ومقرراً ومصوراً لأرباب الباب وأولي العقول أن عباءة الشكر التي يرتديها الآدميون على جسد أداء حقوق اللّه عز شأنه وهي كبيرة أصبحت ضيقة ، وأن نطاق شرح وبسط أهل الدنيا لكنه الحمد والثناء الواجب لله لا يُحيط بقدره ، وأن قوة فهمهم ومنة أوهامهم مازالت قاصرة عن حصر وإحصاء هذا الحمد والثناء (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) ، إلاّ أن شكر نعمة المنعم المطلقة فهي واجبة ولازمة بقدر الطاقة وبقدر الإمكان ، والقصد من تمهيد هذه المقدمات وتشبيب هذه الكلمات هو إحصاء بعض نعم المولى وآلائه التي خصّنا بها ، والغرض منها هو نشر أوصاف بعض ما تكرم به علينا من اللطف العميم والصنع البديع ، والشكر لأياديه ونعمه ، وليس لتعظيمه وتعداد مواهبه وسطوته فالبراهين والشواهد عليها أكثر وضوحاً من الصبح الساطع وأكثر سطوعاً من أضواء الشمس ، وهي في غنى عن التقرير والتحوير والإطناب والإسهاب ، وليست في حاجة إلى بيان أو بنان .

إلاّ أننا أمرنا بذكر الباري تبارك وتعالى والحديث عن عوارفه وعواطفه (قال عز من قائل : وأما بنعمة ربك فحدث . ولقوله عليه السلام : التحدث بالنعم شكر) . كما وعدنا من المولى جلت قدرته وتوالت آلاؤه بمزيد من النعمة عندما نوطد قواعد

(1) Osman Touran : Türkiye Selçuklularinin hakkinda Resmi Vesikalar .

الشكر ونؤكد على معاقد الثناء والحمد (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) . ولشكر اللّـه عز اسمه أبواب وأسباب منها ري شجرة العدل وتمهيد وتوسيع جادة الإنصاف والحفاظ على حوزة الإسلام ورعاية مصالح كافة الأنام والترفيه عن الرعية وتنظيم إستقامة البرية وبناء قواعد الصيت الذائع واقتناء السمعة الطيبة التي تساعد على تخليد ذكراه وتأبيدها ، وتتزين بها ظهور المنابر وبطون الدفاتر. ومنها أيضاً إشاعة الخيرات العامة وإفاضة المبرات التامة واصطناع المعروف وإعانة الملهوف وإغاثته وما إلى ذلك ، حتى تهنأ الرعية في مهاد العدل والإنصاف وهم ودايع الحق ، وينعمون بالهدوء والسكينة ويصيبون حلاوة التخفيف والترفيه ، ولن يتيسر هذا المعنى وتتحقق هذه الأماني وتتجلى إلاّ باستخدام ومعاونة ومعاضدة المتحلين بأنوار العدل ورجاحة العقل ، المتصفين بالخلال الحسنة والخصال الطيبة والذكاء الكامل والدهاء الشامل والرأي الحصيف والشجاعة الكاملة .

ومن هؤلاء الجانب الكريم العظيم الموقر المجتبى العطوف المربي الشفوق الأمير القائد الكبير العالم العادل المؤيد المنصور المظفر المجاهد المرابط كمال الدين . جلال الإسلام ، أمين الحضرة ، مقرب السلطنة المعظمة ، نصرة الأمة ، زعيم جيوش الإسلام ، ناصر عساكر الموحدين ، عون الغزاة والمحافل ، ملك الأمراء والمجاهدين والحجاب ، عضد الملوك والسلاطين ، صاحب السيف والقلم ، قدوة أساطين العلم والحكم ، بطل الروم والشام والأرمن اينانج بلكا طغرلتكين الغ سوباشي بك أبو المؤيد كاميار بن إسحاق أدام اللّـه كرامته ساعد سعادة الدولة ، والعضد المعاضد للسلطنة وقائد الجيوش ، وسند المقاتلين في الحرب ، ووجه مبارزي الظفر والضرب ، وحيثما ذهب يكمن النصر ، وحيثما توجه تلازمه تباشير الظفر والسعادة ، وهو ينعم منذ ولادته وحتى أخريات أيامه في كنف نعم هذه الأسرة المباركة وكرمها ، ويحيا في رياض رحمتها وراحتها ومكارمها ورأفتها ، حتى أصبح مرموقاً ومنظوراً ومشهوراً ومغبوطاً ومحسوداً ومعضوداً من كل آت وذاهب وسائح وبارح ، وصار حائزاً ومستوعباً لكل أدوات الإمارة والسيادة ، فاقتضى الرأي الأنور زاده اللّـه إشراقاً أن تسند رئاسة وقيادة القيصرية المحروسة حماها اله التي تتمتع بأعظم منزلة في داخل المملكة وأعلى مرتبة في بيضة السلطنة إلى مؤل الشهامة ، وخصصناه بهذه العوارف والعواطف حتى يجري في هذا المنصب الكبير والعمل الخطير ما عهدناه فيه من نية حسنة وهمة عالية وحزم مصيب وعزم ماض في تعمير الولاية ورعاية جانب الرعية والبرية وترتيب إعداد الجيوش وانتظامها وهي التي تخضع لاهتمامه المباشر الذي يتميز

برزانة الرأي وحصافته وصدق العزيمة وصحتها ، من الجنود المعروفين بالطموحات المألوفة والعدة اللازمة ، والرجال ذوي الحماس والبسالة الذين لا يخشون عند النزال محاربة الأسد الهصور ، ويخطفون كرة القضاء والقدر من ميدان الكر والفر ، ويجعلهم مستعدين ومسلحين بالعدة والأهبة التي تتساوى مع الصباح في رونقه وطراوته ، وتتعادل مع سيف الشمس ، ويستطيع برجاله النصر والظفر عند السراء والضراء والخوف والرجاء ، في غمرة أزمات الزمان ، ويأخذ الحق من العدو العنيد ويعين بقلمه القدير خاصته في ديوان الاستيفاء ، ويرتب وينسق أسباب الإمارة والولاية وأدوات القيادة بمبلغ ١٨٠ وعين من العين .

وسبيل كافة الأمراء والجنود والرؤساء والقادة والمعروفين والمشهورين في القيصرية المحروسة حماها اللّه تعالى وأحسن حراستهم هو أن يعرفوا أن أميرها وحاكمها وقائدها هو هذا السيد الكريم الأمير القائد الأجل الكبير العالم العادل المؤيد المنصور المظفر المجاهد المرابط كمال الدين جلال الإسلام محيي الدولة ظهير الملة نصرة الأمة زعيم الجيوش الإسلامية ناصر عساكر الموحدين عضد الملوك والسلاطين عون الغزاة والمجاهدين ملك الأمراء والخواص والحجاب ، صاحب السيف والقلم ، قدوة أساطين العلم والحكم إينانج بلكا طغر لتكين الغ سوباشي خاصبك أبو المؤيد كاميار بن إسحاق المذكور أدام اللّه كرامته ، ويعتبروا أن طاعته وإتباعه في ظل الدولة القاهرة والحضرة الزاهرة من لوازم الأمور ، ويسلكوا طريق الإنقياد والطاعة له ، وألاّ يتجاوزوا رؤيته الصائبة ، ويرجعوا إليه في كل المآرب والمطالب والمهام التي تتعلق بقيادة الجيش ، ويعتمدوا في هذه المآرب والمطالب والمهمات وغير ذلك من المقاصد الهامة على توقيعه العالي أعلاه اللّه . وقد كتب هذا المنشور الأصلي في أول سنة ٦٣٢ في غرة شهر محرم الحرام بثغر انطالية ... والحمد لله رب العالمين .

نص منشور الخليفة الناصر لدين الله للسلطان عزالدين كيكاوس

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ذي العظمة والكبرياء والنعم الغزار والالاء والمنن المتجاوزة
حد الحصر والاحصاء مسائرا ولبابه بمرتبة الاحتباء وخول اصفيائه بالمنح والحباء
باعث نبيه محمد صلى الله عليه واله بانوار الهداية الباهرة والبراهين والحجج القاهرة
والكفر قد نشر لواءه وظهر ظهوره واستعلاؤه وانبسط حكمه واستيلاؤه فانبعث
صلى الله عليه وسلم من الضلال ونقى من دار الجهالة العضال وروض ربع الديانة
بعد الجدب والامحال ومحى اثر الجاهلية ودحض وصح الله في اعلاء كلمته وبخ وقمع
الزيغ والهوى وقمع من ضل وغوى واقام سناد الايمان بعد ما تاود والتوى فصلى الله
عليه وعلى آله الاطهار والائمة الاطهار وعلى عمه وصنو ابيه العباس بن عبد المطلب
الذي طالت الكواكب دون مناقبه ومعاليه وسح ببركته السحاب واحلت
عزاليه وعلى اخيه وابن عمه وناصر شريعته وباب علمه وسيف نصره ولسان حكمه
والمحقق لمن ياتي به وفاخره الباذل جهده في جهاد من الحد مع الله الها اخر وناصر
دين الله خير الانصار والصابر في ايامه على الله حين لا اصبار والقائم بسنن الملة و
والعارف باسرار العلوم وغوامضها امير المؤمنين وامام المتقين علي بن ابي طالب الذي
استوثر من حضرة النبوة بشرف الاخوة وخص دون الناس بمآجد الفتوة ومن
جبريل عليه السلام بما اتاه الله من الفخار لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار وعلى من
افضى الله تعالى اليه ميراث النبوة ومماجد الخلافة ومفاخرها خليفة الله تعالى في
ارضه القائم بسننه وفرضه سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام

ابن بيبي : الأوامر العلائية في الأمور العلائية .

حمد الناصر لدين الله امير المومنين وعلى ابايه الطاهرين الايمة المهديين
والخلفاء الراشدين الذين انار الله تعالى بانوار كرمه الشريفة الظلم الدوامس وجدد
بمراشد سيرته المقدسة هياكل الفتوة الطوامس وادام بها كلما ادرس من سدادها
والقوى من دعايمها وعمادها واورى ما كان من زنادها واصفى بما رتق من سناء لمهاد[illegible]
من اورادها حتى وضح نهجها السوى وازداد استحكاما سببها القوى فجزاه الله تعالى
عن عبادة الذين اصطفاهم لسياسته واحيا الحياطتهم وجعله لهم اماما اماما نزل عليهم
ما استخلافه فيهم سكينة وعصا ما جرى ما جارى به اماما عن امته وخليفة عن رعيته
ولما كان الملك الاجل السيد العالم العادل المجاهد عز الدين مجد الاسلام اختيار الانام
جلال الدولة تاج الامة قاتل الكفرة والمشركين عماد المجاهدين ملك بلاد الروم ابو المظفر
كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان اطال الله بقاه وادام سموه وعلوه في التزام شروط العبد
والولاء دوما على النظر ومد زعما من اعتقاد اسرار الطاعة الواجبة الامامية الحر
لباس واتقى رداء ارمت به همته الراقية الى اكتساب المفاخر الخالدة والماثر الباقية
وصرع في الانعام عليه بشرف الفتوة وتد ربعه بلباسها الفاخرة وسربالها الفضفاض
السابغ واستثماره بشرف هذه الفضيلة واعلاق يد سعادته باكيدها [illegible]
امتحن جده المسعود ومكانه الاثيل المعهود لجابته الى ضراعته واسعافه بطلبته وانالته
هذه البغية التي لا يمح بها الامن بحت في الولا اعراقه ووفا عليه طلل الاختصام والعت
اوراقه وقد جعل رسوله الشيخ الاجل العالم العابد الورع مجد الدين نجم الاسلام فخر الطائفة
جمال الحقيقة عمدة العارفين اسحق بن يوسف بن علي ادام الله رفعته وكتب [illegible]
الى المواقف الشريفة المقدسة النبوية الطاهرة الزكية الامامية المجدة المعظمة
الناصر لدين الله صلوات الله وسلامه عليه بعده الوكالة الصادرة عن الامير الاجل
المويد المظفر المجاهد عز الدين امير الامراء ملك ملوك الخواص ابناخ بلكا فلوخيوا عاملك

الى اليمن محاج الخاص خاص امير المومنين اطال الله بقاه امداد من علوه وتسمره ومرتبته
وكمل الخدمة الشريفة في الفتوة المقدسة زادها الله اشراقا وقدسا وبعد على مدته
ورسمه لباس شريف يحوى تلبسه على اقسام الفخار ويحل جنته واتقيه من عذاب النار
فليتدرع جلابيب هذه المنحة العظيمة ويسحب اذيالها ويشرع مطامح هذه المفاخر
ويعلى جلالها وليستشعر في السر والاعلان والاظهار والابطان تقوى الله تعالى فانها
عنوان الايمان ومصطلح الاديان والنور المشرق من سر الغيب على شهادة الاعيان
مراقبا لما فرضه الله عليه من صلاته وصيامه وقرن في العرض بطاعته من طاعة امامه
وليكن في التزام شروط الفتوة صدره سليما ونهجه قويما وسننه مستقيما عاملا في جميع
مرامه وساير متعاريه بما اوضح الله في كتابه العزيز من اوامره ونواهيه بقوله
تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي يعظكم لعلكم تذكرون والله ولي التوفيق لا حمد نهج وطريق هو حسبي
ونعم ولزم نهج هديه ورضاه في سره ونجواه وقد انعم على مجد الدين اسحق الوكيل المذكور بان
وكله ملك ملوك الخواص عز الدين في بعثته من يرغب ويضرع في تشريفه بالفتوة
الشريفة الى المواقف الشريفة المقدسة المعظمة المجيدة المكرمة النبوية الامامية
الطاهرة الزكية الناصرية لدين الله صلوات الله وسلامه عليها استصلاحه وبذل
الاجتهاد في اختياره وادنى محمد ولد هذا الوكيل المذكور الى هذا الحرم الشريف
المقدس النبوي نصرها الله تعالى فقد جعله ملك ملوك الخواص عز الدين الوكيل المذكور
وكيلا في ذلك بعد وفاة والده مجد الدين اسحق وعلى قاعدته المشروطة المشروحة
وكتب في شهر رمضان من سنه ثمان وستمايه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد واله الطاهرين اجمعين ما عمامه مثلا چون عمامه سودا ودراعه مشروع
مقنعه ومنشور سلطنت مسطور تو صيت با قامت حدود شريعت در مملكت

معاهدة صداقة موثقة بالإيمان من الملك إلى السلطان
(١٦ تموز / يوليو ١٢١٦م) [1]

بعون اللّه فإنه لظهور المحبة والنية الحسنة بخصوص الصداقة بين مملكتي وبين الحاكم العظيم لمدينة قونية الكبيرة عزالدين كيكاوس عقدت معاهدة الصداقة بموافقة طرفينا موثقة بالإيمان ، وهاهي مملكتي تقوم بدورها في سبيل تقوية هذه المعاهدة .

فأنا هوجو ابن ملك جزيرة قبرص المشهور ، المنتمي لدين النصارى في هذا اليوم التاسع عشر من شهر تموز (يوليو) ، أقسم على إنجيل اللّه المقدس ومحبة الصليب واهب الحياة ، وبإيمان أمة النصارى ، أقسم أنا المذكور اسمي سابقاً ملك قبرص هوجو ، على الوفاء والرعاية لنية الصداقة التي أظهرها سلطان مدينة قونية العظيم عزالدين ، والمحافظة على هذه الصداقة بكل ما أملك من قدرة وإمكانات مدة ثلاث سنوات .

وسوف يكون التجار من مملكتي ومن رجالي ، ومن دولة السلطان العظيم وبلاده بالتحرك في حرية تامة في الدخول والخروج بقصد البيع والشراء ، سواء كان ذلك بطريق البر أو البحر دون أن يتعرضوا للأذى والضرر ولن يتعرض أحد من بلادي أو أحد من شعبي لهم بالمصادرة أو الاستيلاء أو بالمنع ، أو تعريضهم للإذلال والتحقير ولن يطالبوا إلاّ بدفع ماهو معتاد من الرسوم المقررة وإذا تصادف أن تعرضت سفينة تحمل الركاب أو البضائع لقراصنة في البحر في مناطق تخضع لحكم السلطان العظيم سوف تُحضر وتُسحب إلى أي منطقة أو قلعة أو ساحل يتبع مملكتي ثم تُغرق ، ويُعاد كل ما كان عليها من بضائع صادرها القراصنة أو أناس أوقفهم هؤلاء القراصنة ، يُعاد كل ذلك إلى جانب السلطان العظيم .

وإذا ما تعرضت سفينة لعاصفة في عرض البحر ، وأوشكت على الخطر ، أو تعرضت لحادث على أحد سواحل مملكتي ، فليُحافظ على من بقي حياً من الناس ، والتحفظ على البضائع والأموال التي عليها ، وتُعاد دون أن تعطى فرصة للنهب ، أو

---

(1) Osman Touran : Türkiye Selçuklularinin hakkinda Resmi Vesikalar , p.140

إتباع القواعد غير العادلة السائدة (المعتادة) ، وعدا ذلك فـإنني لـن أخـاطر بتعريـض أي منطقة تتبع حكم السلطان العظيم للخطر أو الضرر سواء بشكل صريح أو مخفي ، وأن أحافظ على سلامة تلك البلاد .

ويجب علـيّ أن أحـافظ علـى الوفـاء بـهذه المعـاهدة بشـكل تـام وسـليم ، هـذه المعاهدة التي عقدتها مملكتي ، و الموضحة لجـانب السـلطان العظيـم في أكـثر مـن مـرة بالإيمان ، وهكذا ، وبالمقابل فإنه من الواجب على السلطان المحافظة على الوفـاء بـهذه المعاهدة لمدة ثلاث سنوات ، وأن يلتزم بذلك بكل دقة وحرص واهتمام نحو مملكتي .

وفي حالة طلب ملك الأرمن أو أمير أنطاكية أو أي طرف من النصارى الآخرين المساعدة والعون بعد هذا فإن مملكـتي سـوف تشـملهم المعـاهدة ، وسـوف تقـدم لهـم العون دون تردد .

أقسم بالصليب المقدس واهـب الحيـاة علـى هـذه الوثيقـة ، ووضـع عليـها ختـم الشمع الدال على السرية والضمان ، وحررت في عام ١٢١٦ .

المراسلات والمواثيق (العهود) المتبادلة
بين عزالدين كيكاوس الأول وملك قبرص هوجيس (هوجو) Hugues [1]

١ - من الملك إلى السلطان
كانون الثاني ١٢١٤م / ٦١٠هـ رمضان .

السلام والتحية من ملك قبرص هيوجيس (هوجو) المشهور الذي هو مظهر لحماية اللّه ، إلى السلطان السعيد والأصل العظيم حاكم جميع بلاد الترك الغالب في البر والبحر المنتصر صاحب القدرة .

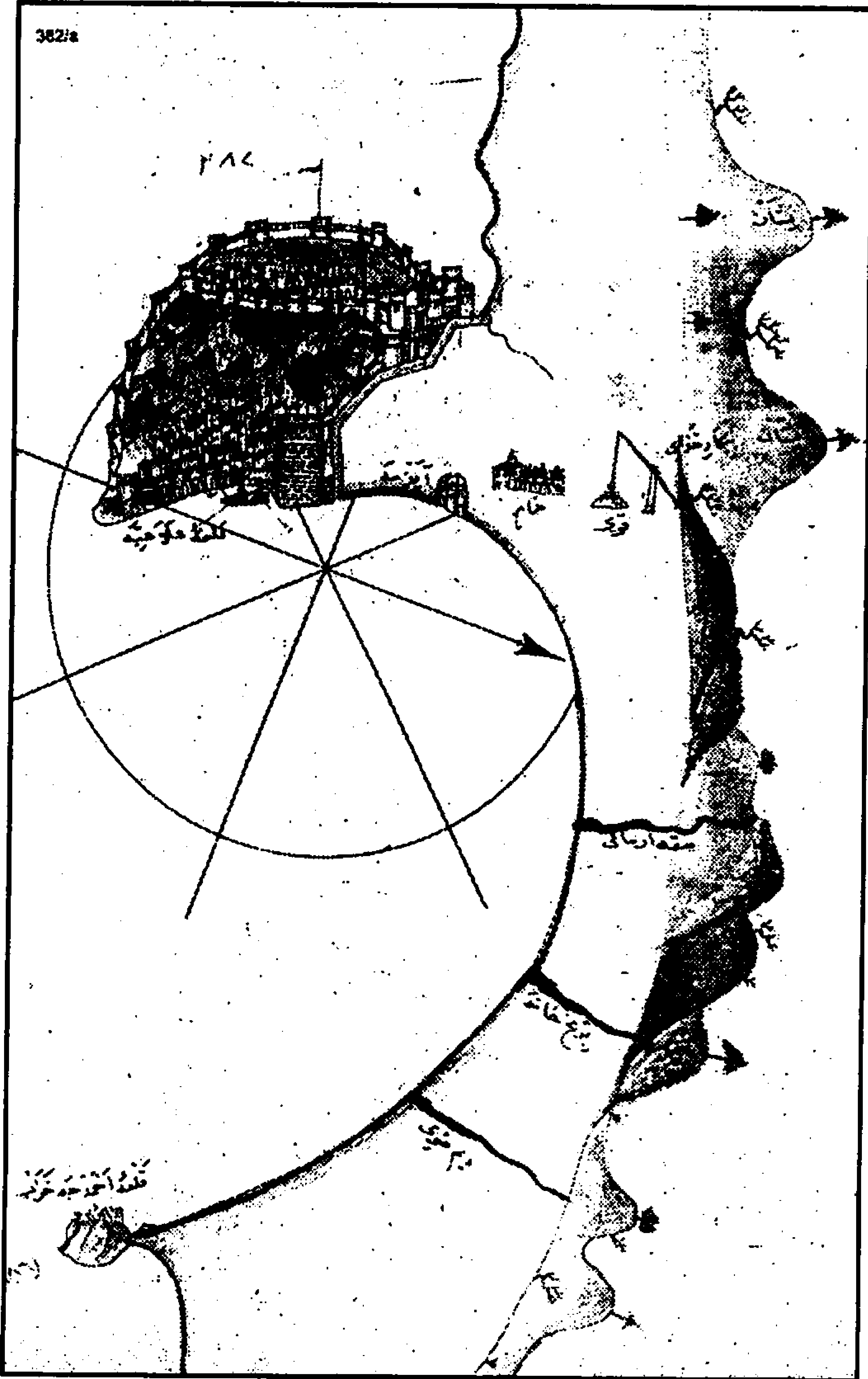
أتمنى من اللّه أن تظل بلادكم في كمال السلامة والسعادة دائماً . نحن بلطف اللّه في صحة وخير . ولقد قرأنا رسالتكم المرسلة إلينا مع رجلكم (سفيركم) الأمين ووقفنا على محتواها . وهانحن نسعى لتحقيق أوامر وطلبات ورغبات دولة السلطنة . وسوف تعلمون من رسول دولة السلطنة المذكور أعلاه أن بيننا صداقة موثقة بالأيمان منذ ست سنوات وسوف يطلعكم رسولكم على تفاصيل ذلك وأن الوثائق مختومة بأختام الذهب ومصدقة بالأيمان . وبموجب إذن دولة السلطنة وموافقتها سوف يقدم التجار والسفن من كل البلاد إلى بلادي بدون أية معوقات أو تردد ، وعلى الرحب والسعة .

وعلى النحو نفسه سوف يدخل تجارنا وسفننا بدون أن يمنعهم أحد إلى بلادكم ولكل منهم الحرية في الدخول والخروج وعمل ما يرغبون . وبهذا فليبجل اللّه من قبل كل شخص ولنحافظ على الصداقة الطيبة فيما بيننا ولا يجب أن تتزعزع بأي صورة ، وليتمكن الفقراء من الحصول على الغذاء وتأمين احتياجاتهم ، وإن كان لدى دولة السلطة الرغبة مستقبلاً في الكتابة إلينا أو الأمر لنا أو الطلب منا فليكن ذلك بواسطة الرسائل أو بواسطة السفراء ، وليكن عندنا علم في حالة الحاجة إلى أي أمر من بلادنا. فنحن على استعداد أيضاً لتلبية أي أمر وتحقيق أي رغبة لدولة السلطنة .
شهر يناير (كانون الثاني) ١٢١٤م .

---

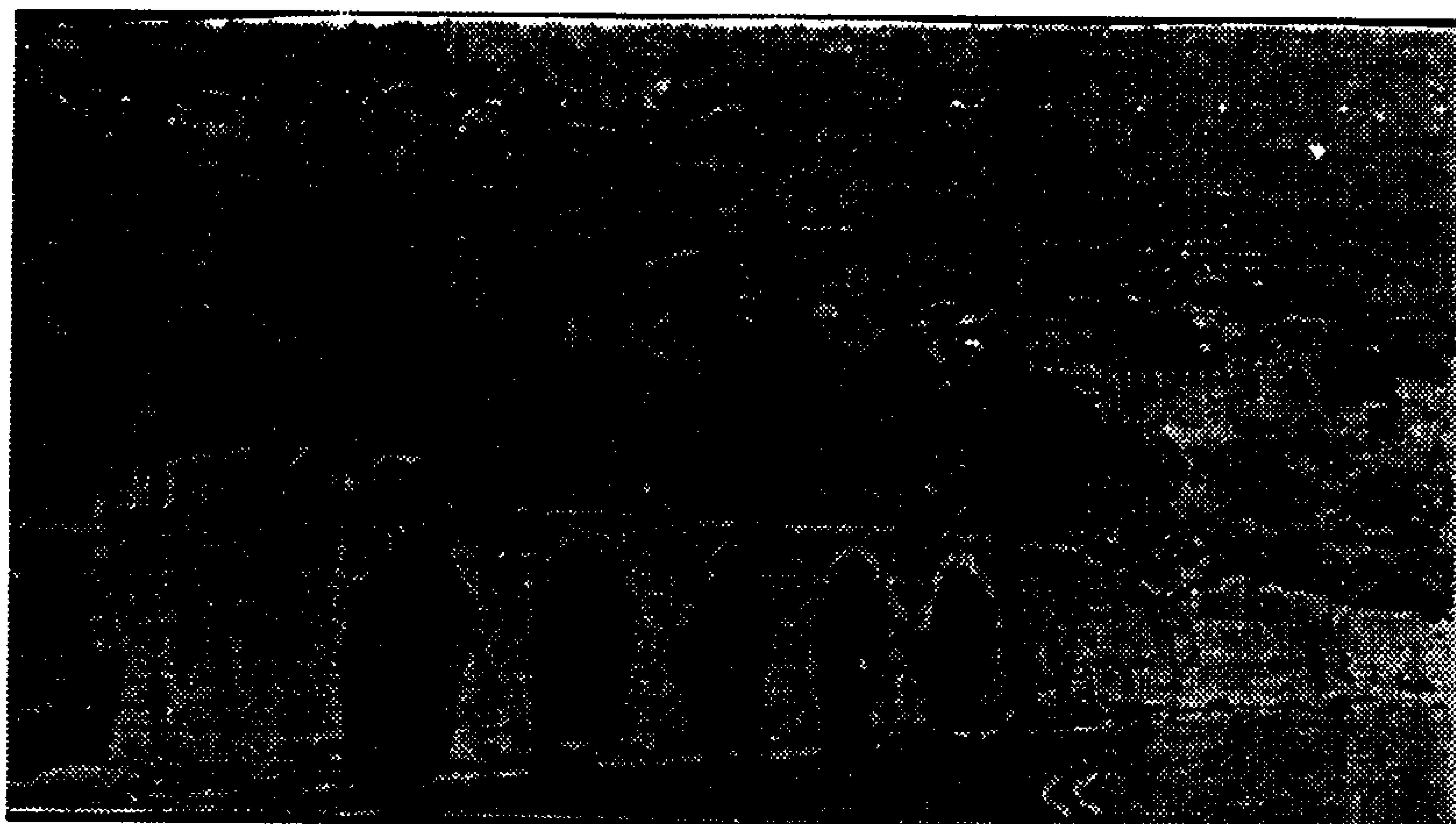
(1) Osman Touran : Türkiye Selçuklularinin hakkinda Resmi Vesikalar .

قلعة علائية *



* عن : Pîrîreîs : Kitab - I Bahriye

واجهة الوسالة البحرية في علاتية *



* نقلاً عن : تامارا تالبوت رايس : للسلاجقة تأريخهم وحضارتهم .

نماذج من الجواسق المستخدمة في دولة سلاجقة الروم *



* نقلاً عن : تامارا تالبوت رايس : السلاجقة تأريخهم وحضارتهم .

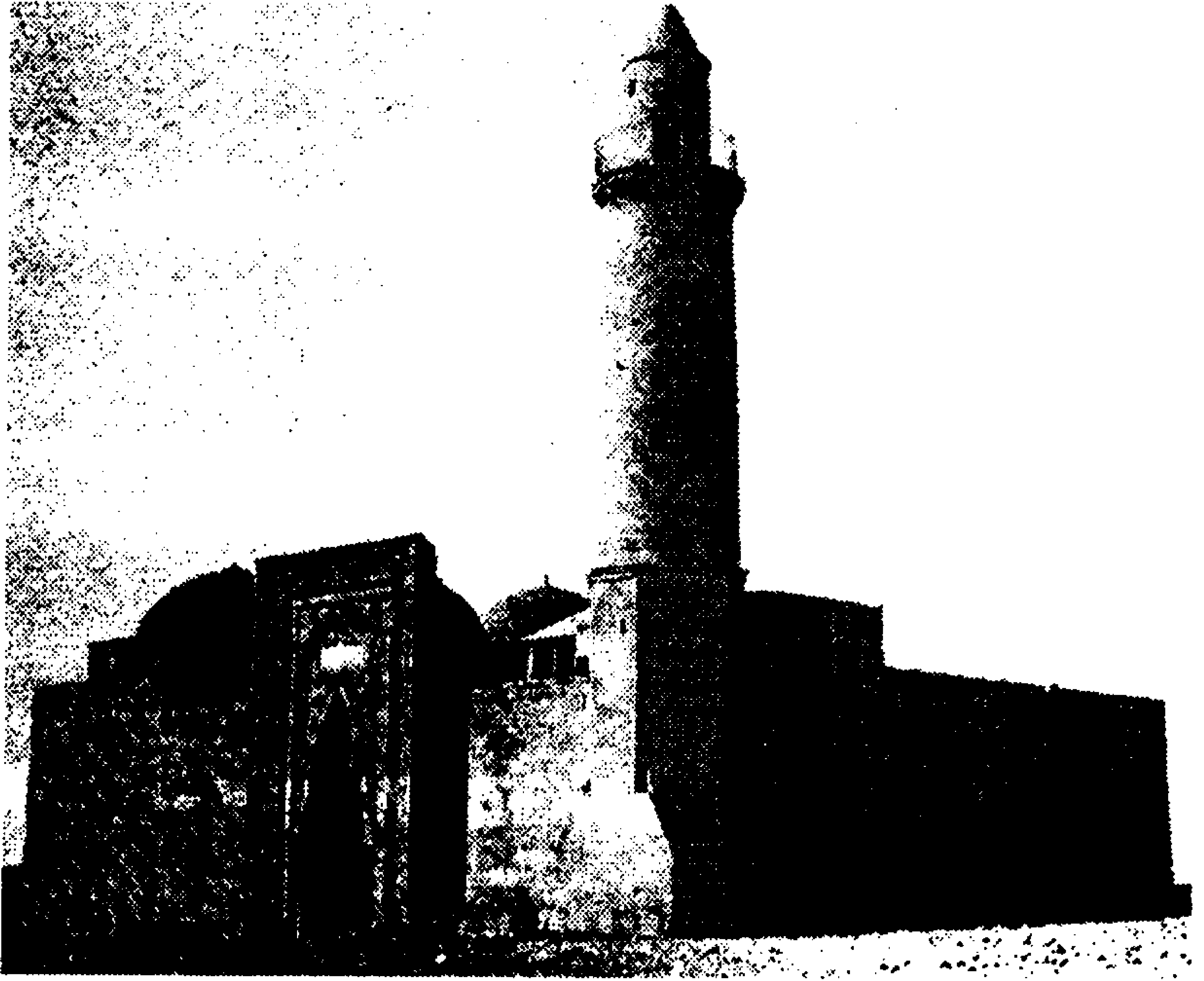
المقرنصات *



مقرنص مقعر ذو طاقات

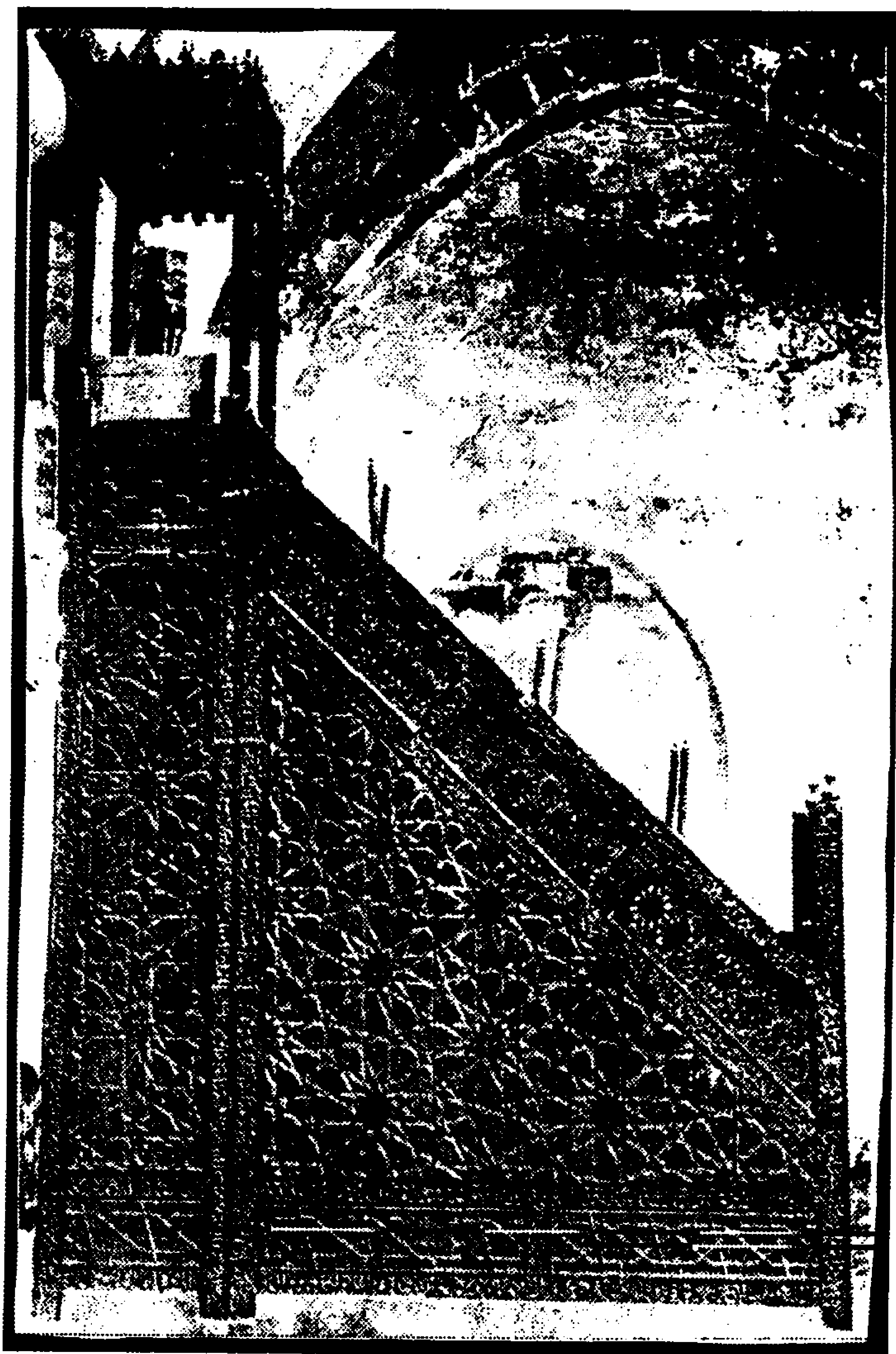
* عن : عاصم محمد رزق : معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية .

نيكده مسجد علاء الدين من الخارج *



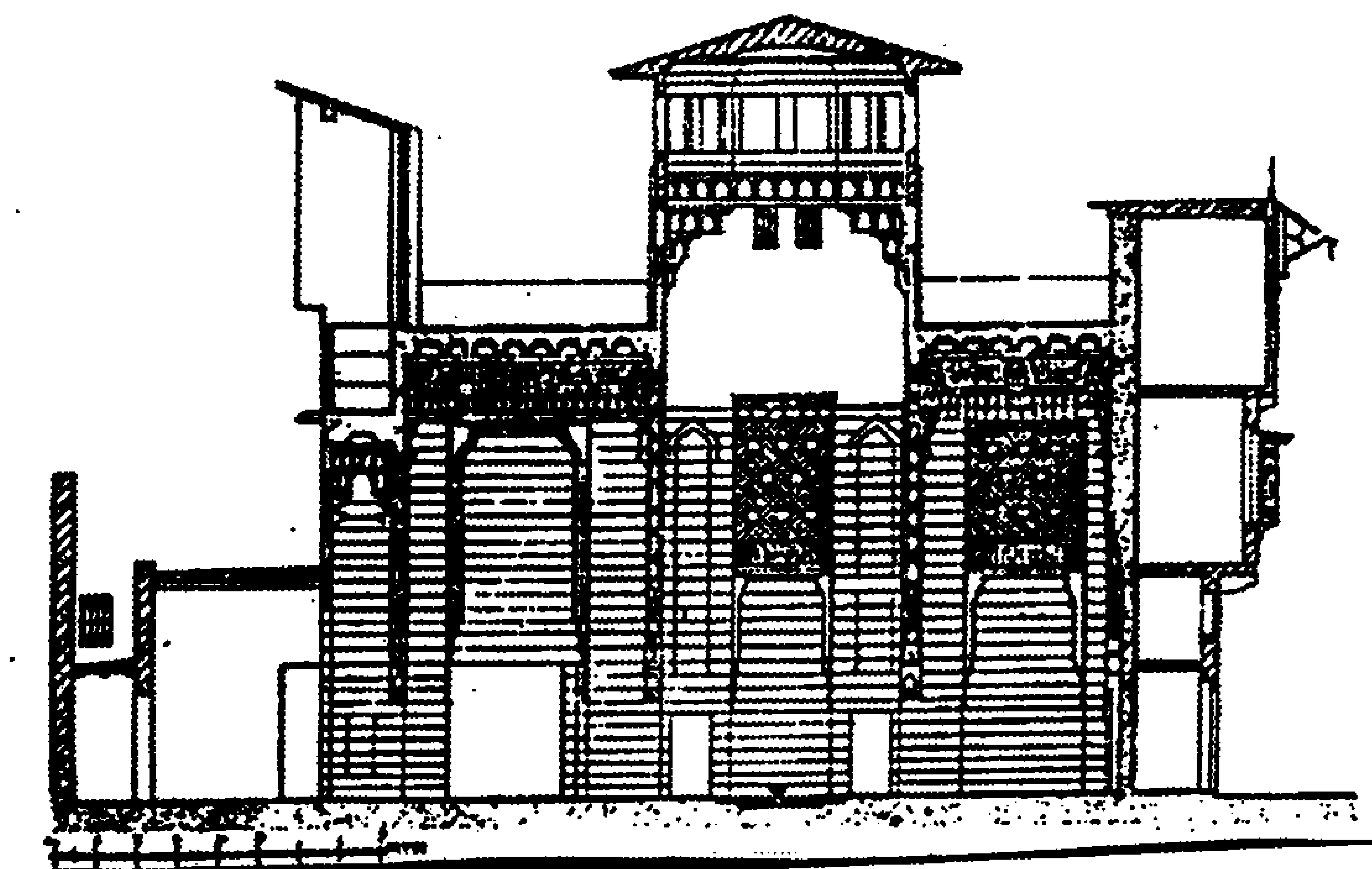
* نقلاً عن : اوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

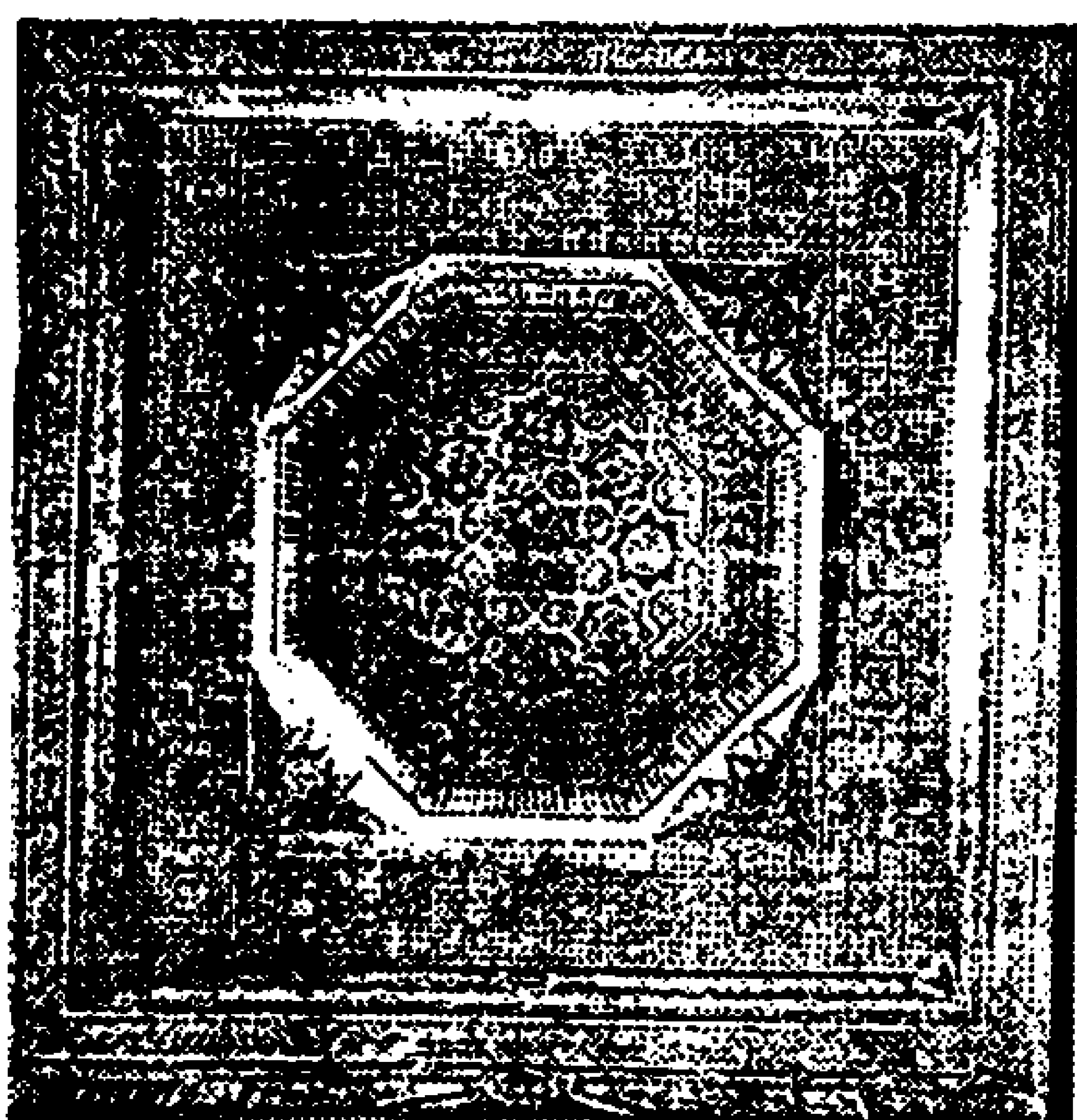
ديوركي المنبر *



* نقلاً عن اوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

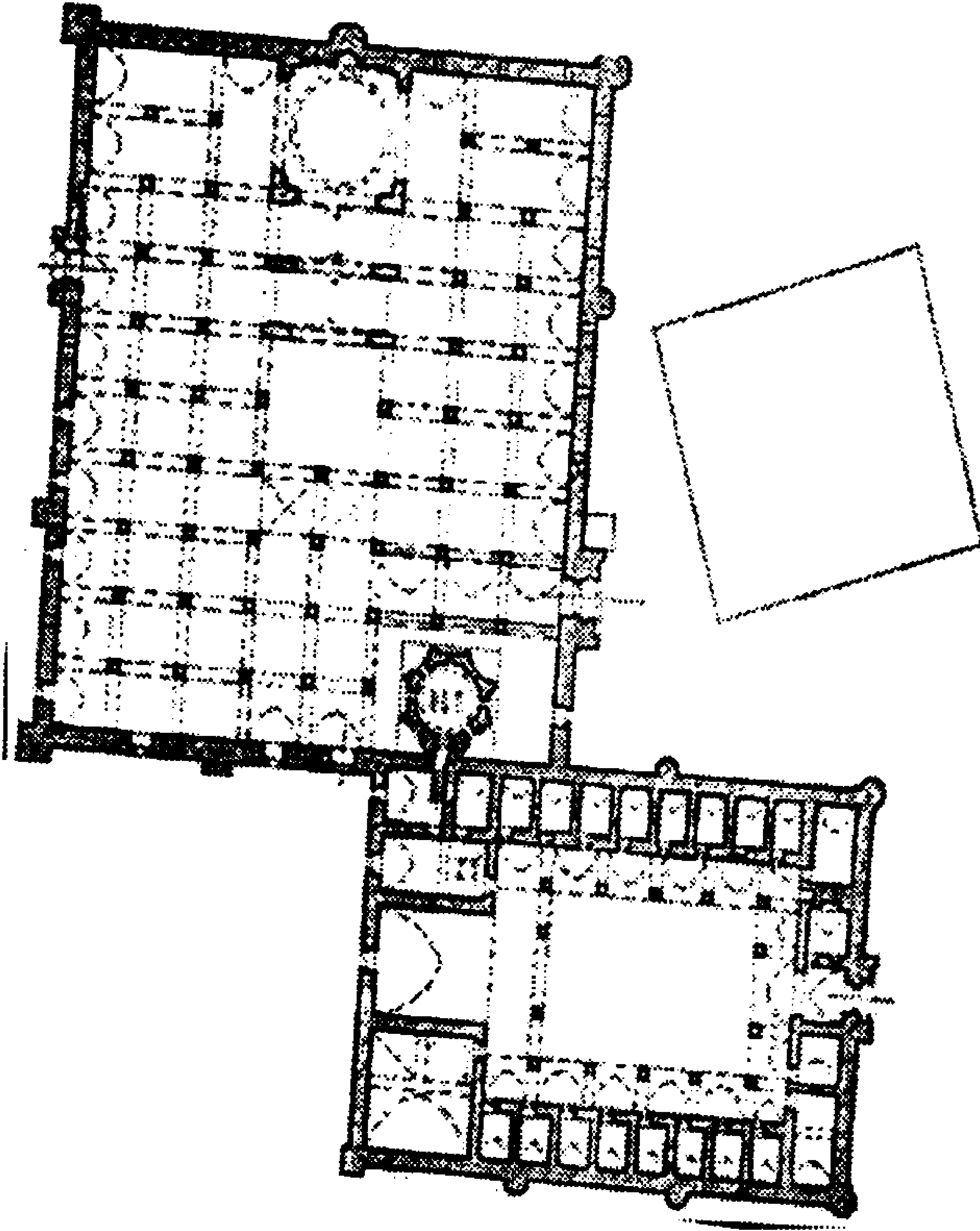
شخشيخة *





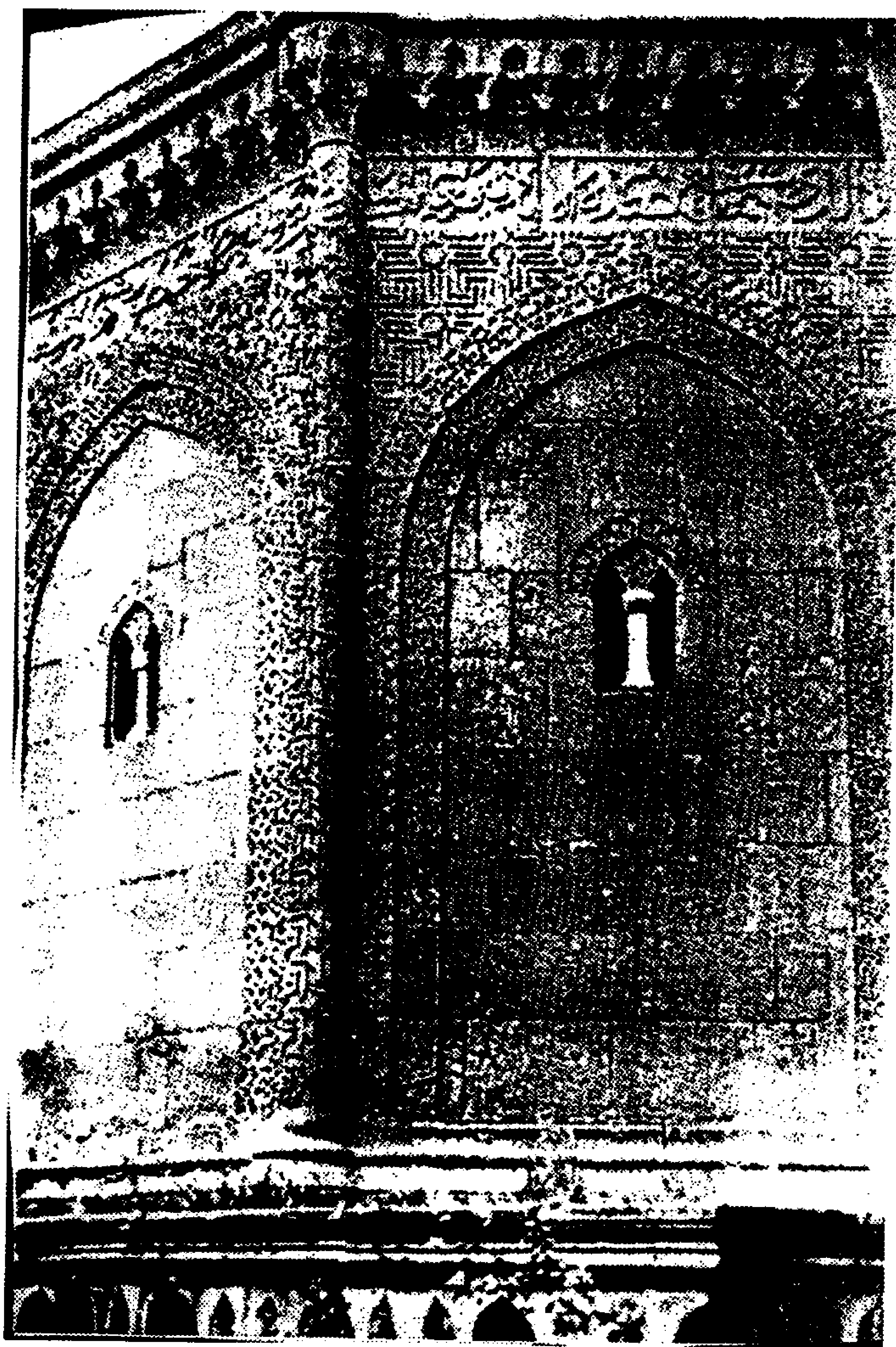
* عن : د. عاصم محمد رزق : معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية .

مجمع خواند قيسارية *



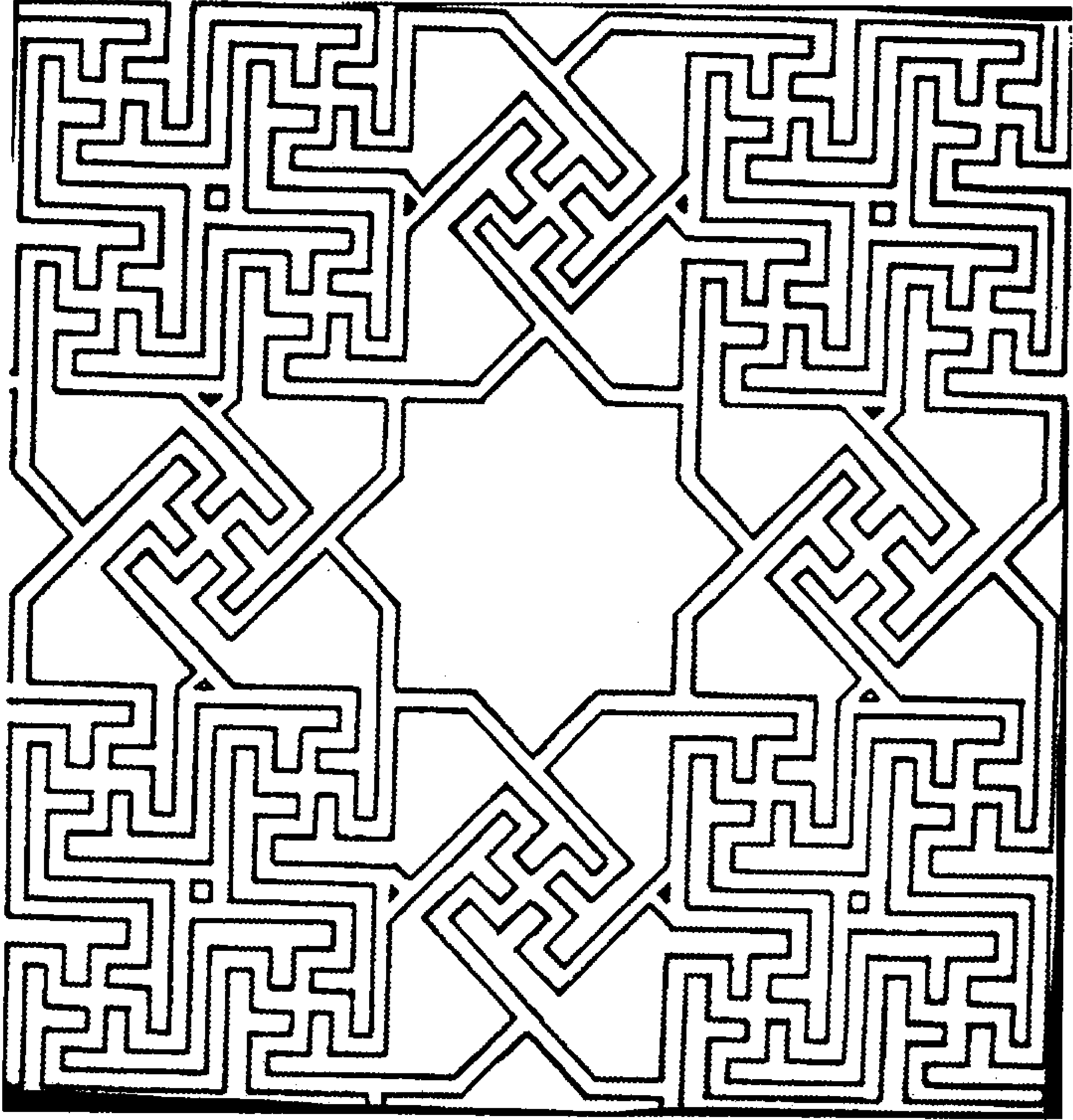
* نقلاً عن : أوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

ضريح مجمع خواند خاتون



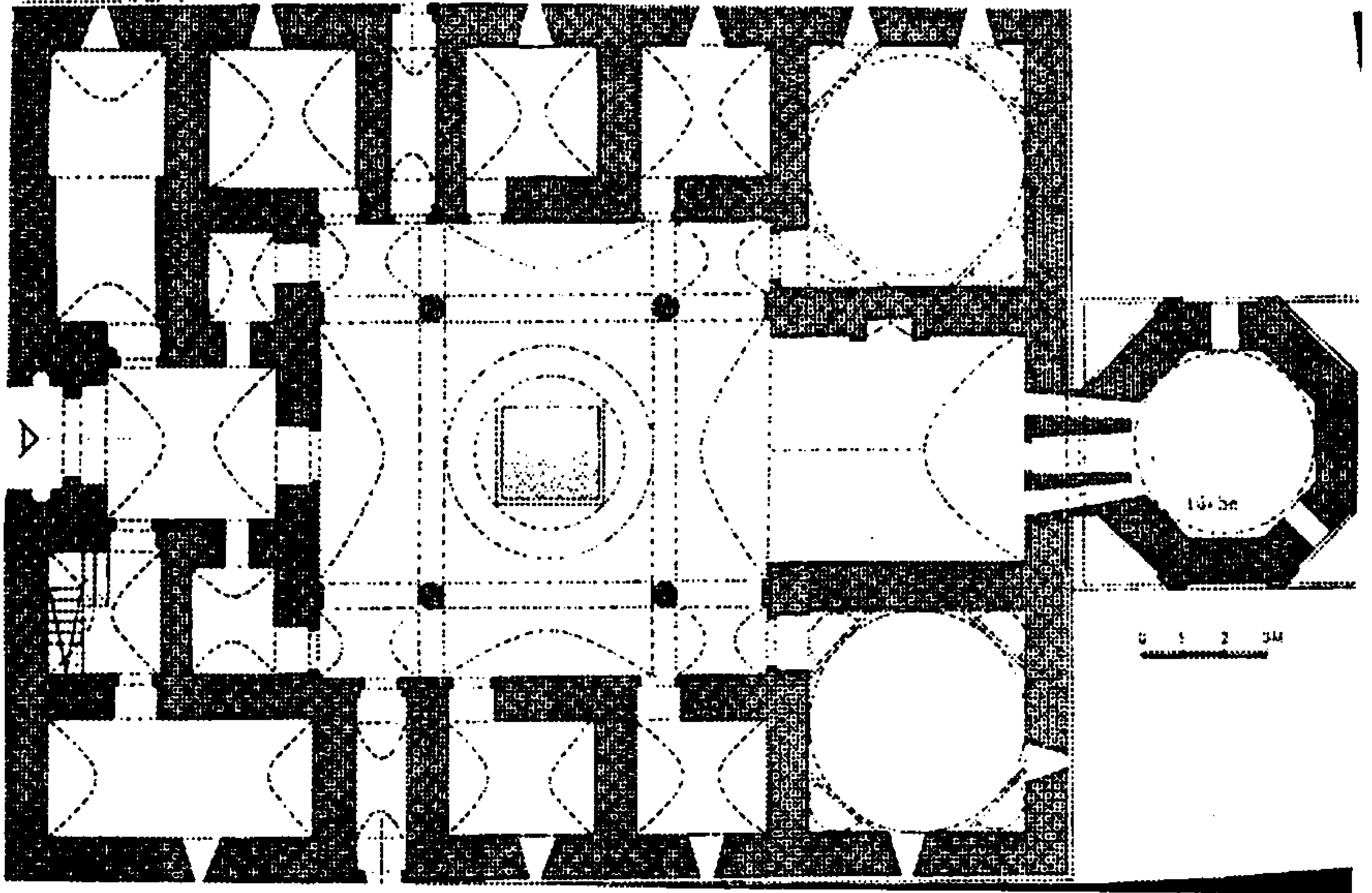
• نقلاً عن : اوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

زخارف الصلبان المعكوفة لبعض العمائر السلجوقية



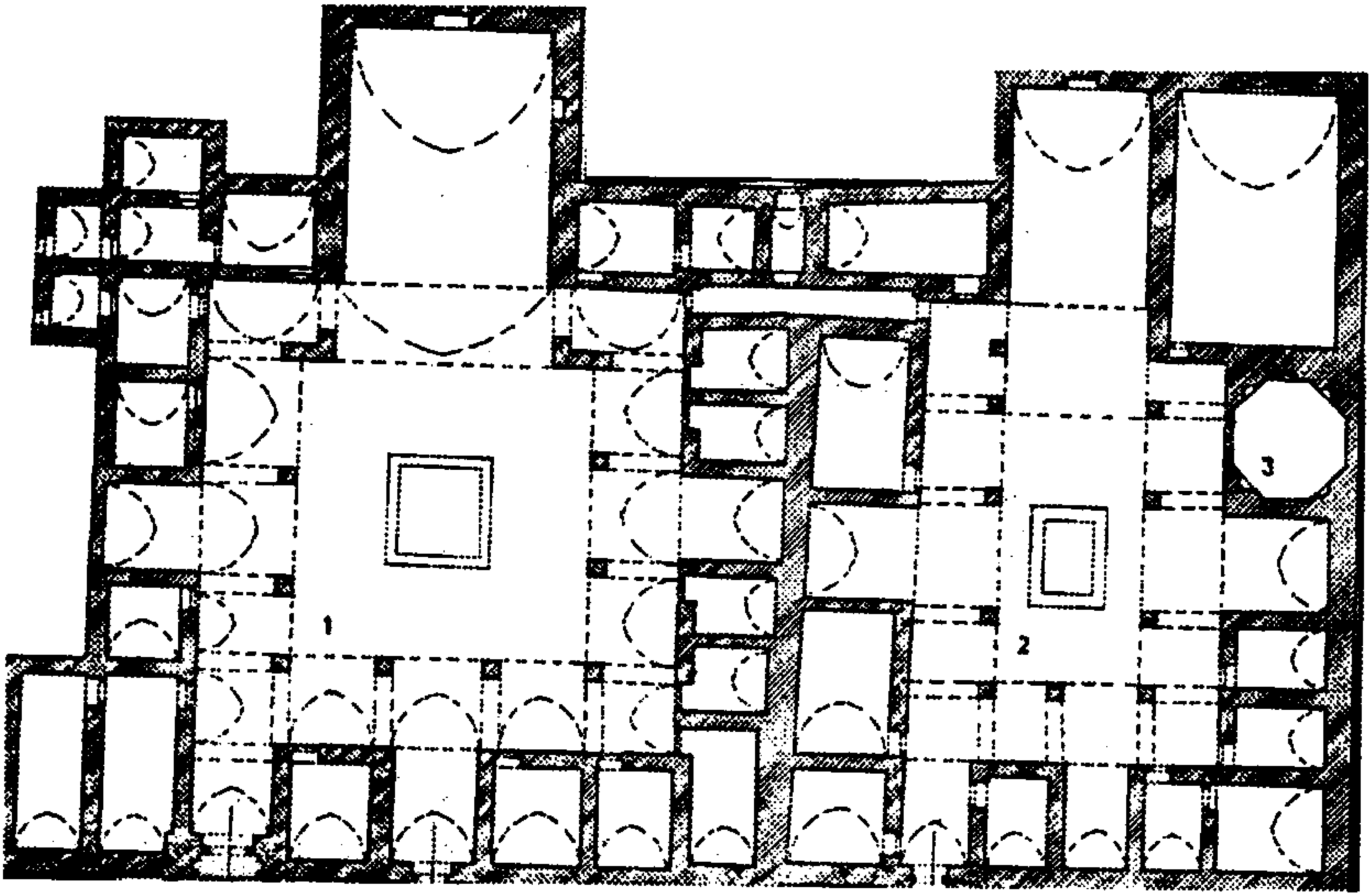
* نقلاً عن : أوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

مدرسة ارتقوش (اسبارطه)



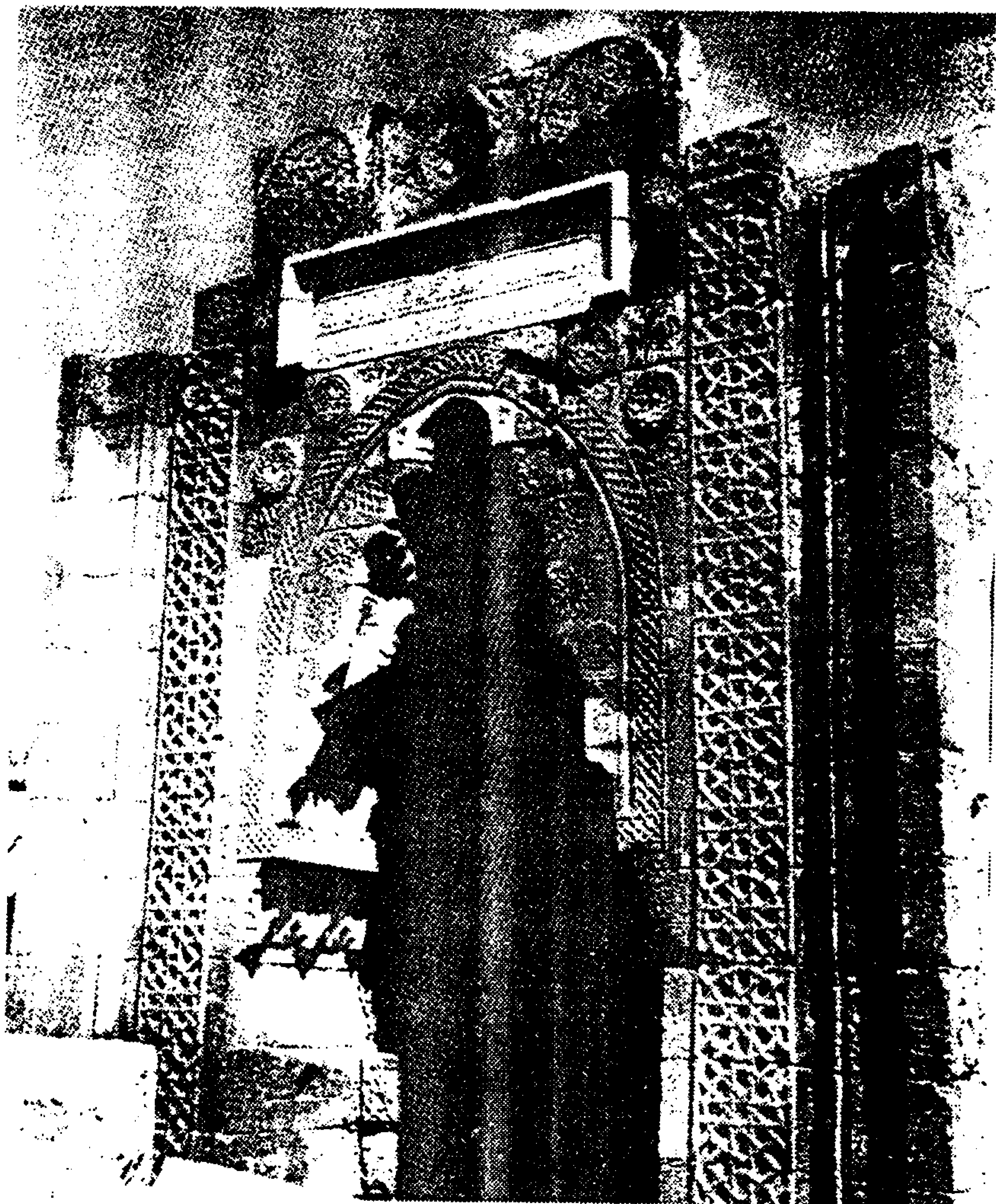
* نقلاً عن : أوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

المدرسة التوأم (جفته مدرسه çifta madrsa) في قيسارية



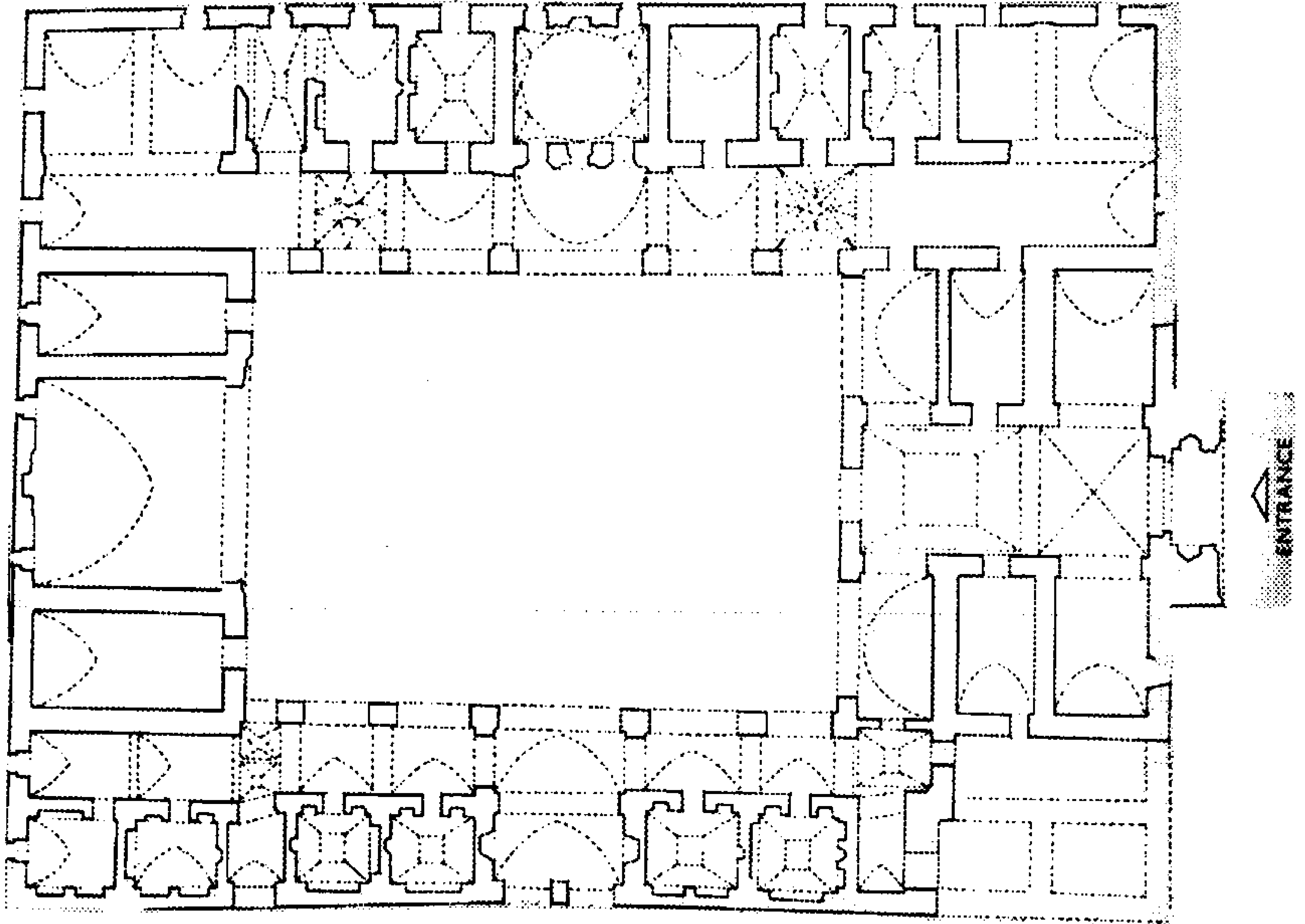
* نقلاً عن : أوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

بوابة المستشفى الذي بناه السلطان غياث الدين كيخسرو
سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م بمدينة قيسارية



* نقلاً عن : أوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

تصميم مستشفى دار الشفاء بسيواس



* نقلاً عن : أوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

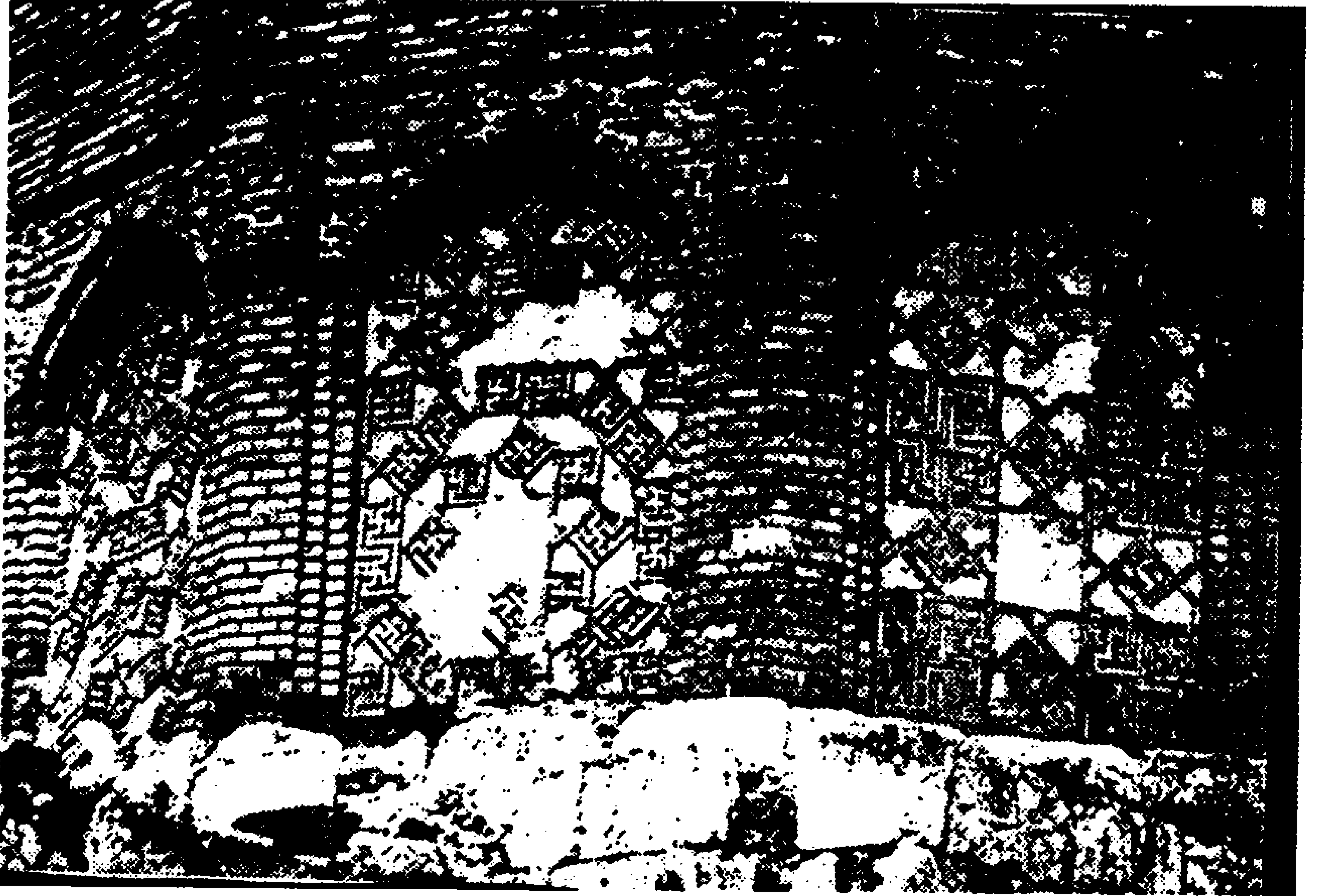
مستشفى دار الشفاء بسيواس

ويتضح ضريح السلطان عزالدين كيكاوس ذو القبة المخروطية



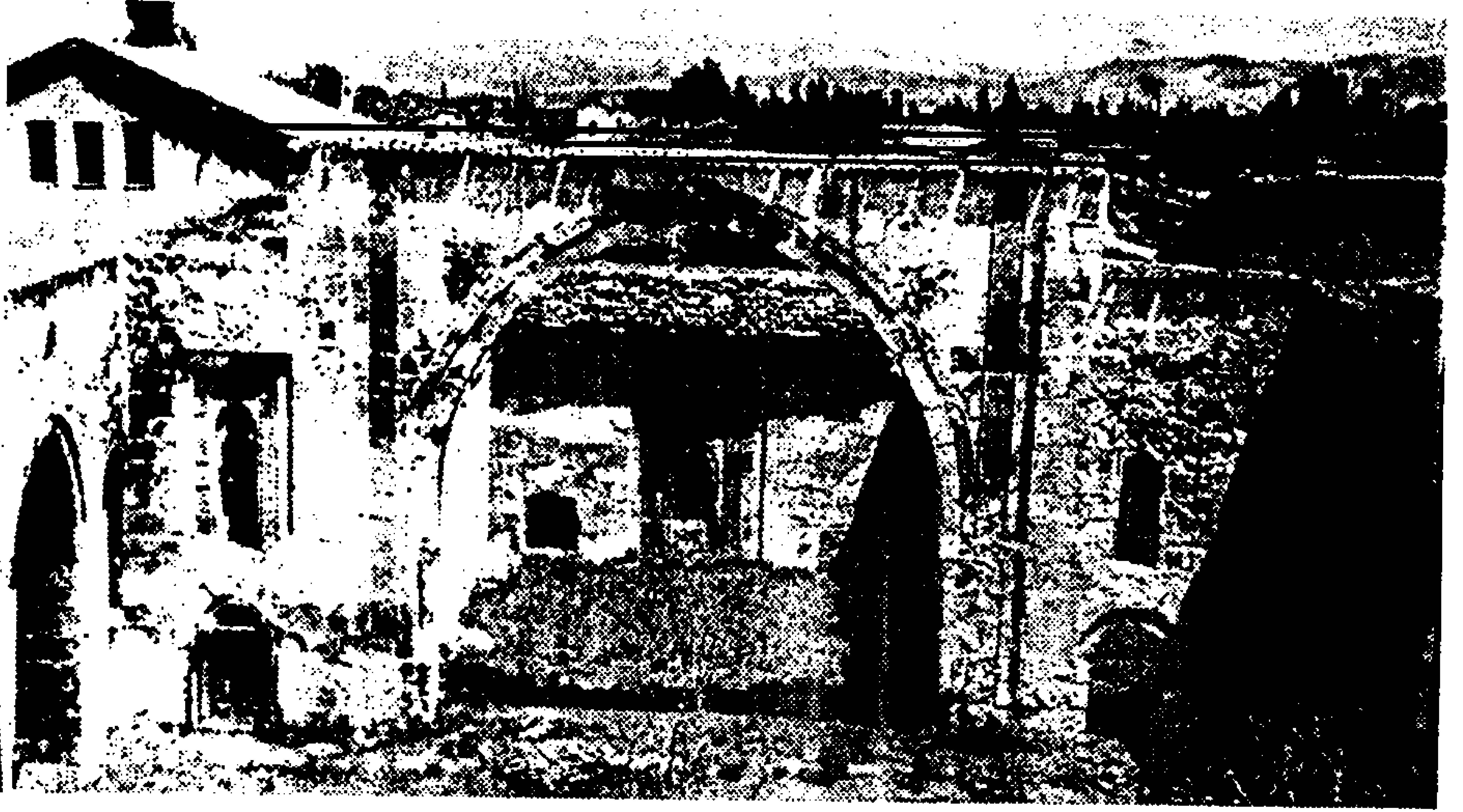
* نقلاً عن : أرقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

سيواس ، مستشفى كيكاوس ، تفاصيل من جوالب المقبرة *



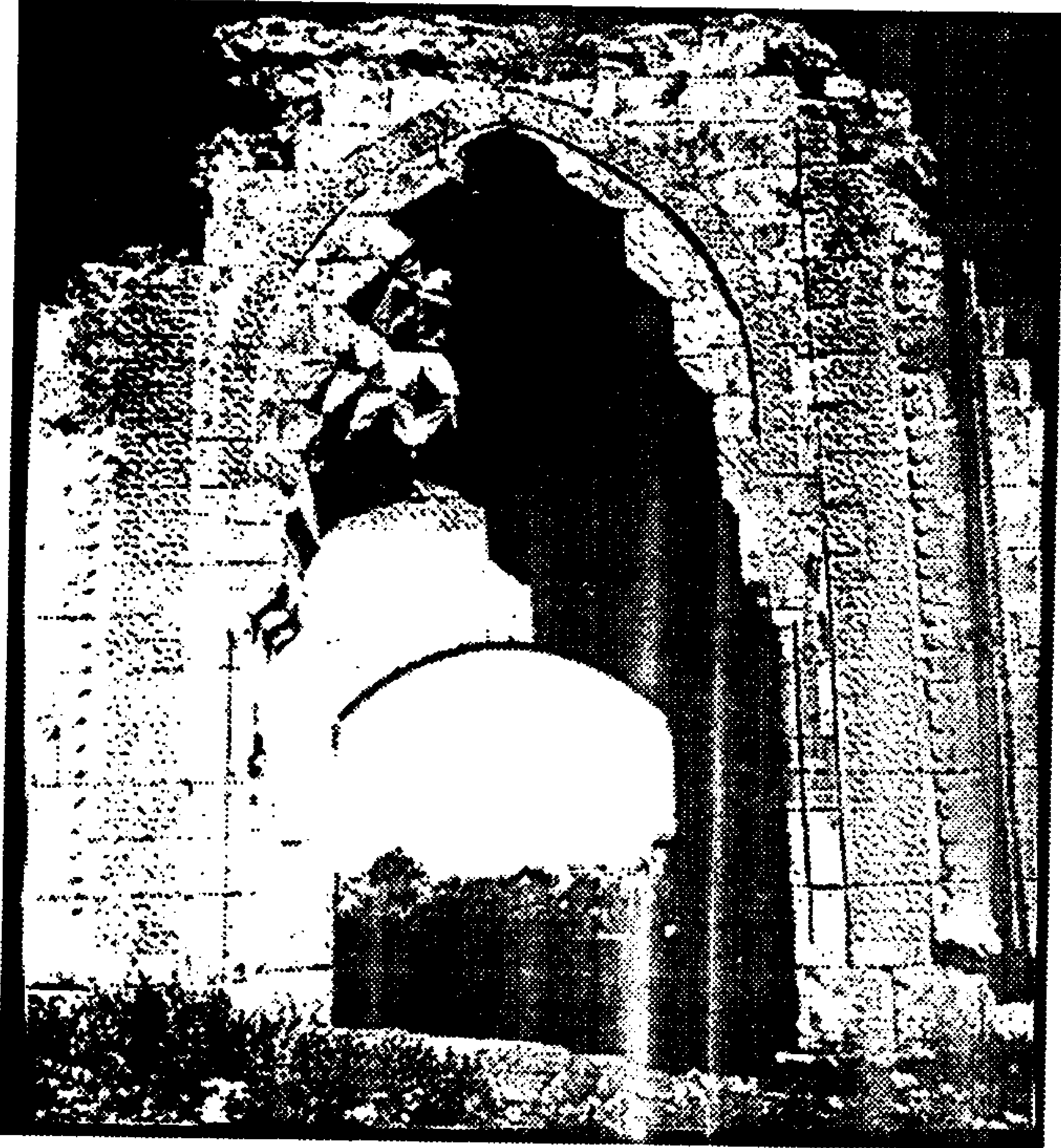
* نقلاً عن : أوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

الزخارف الخارجية لمستشفى دار الشفاء بسيواس



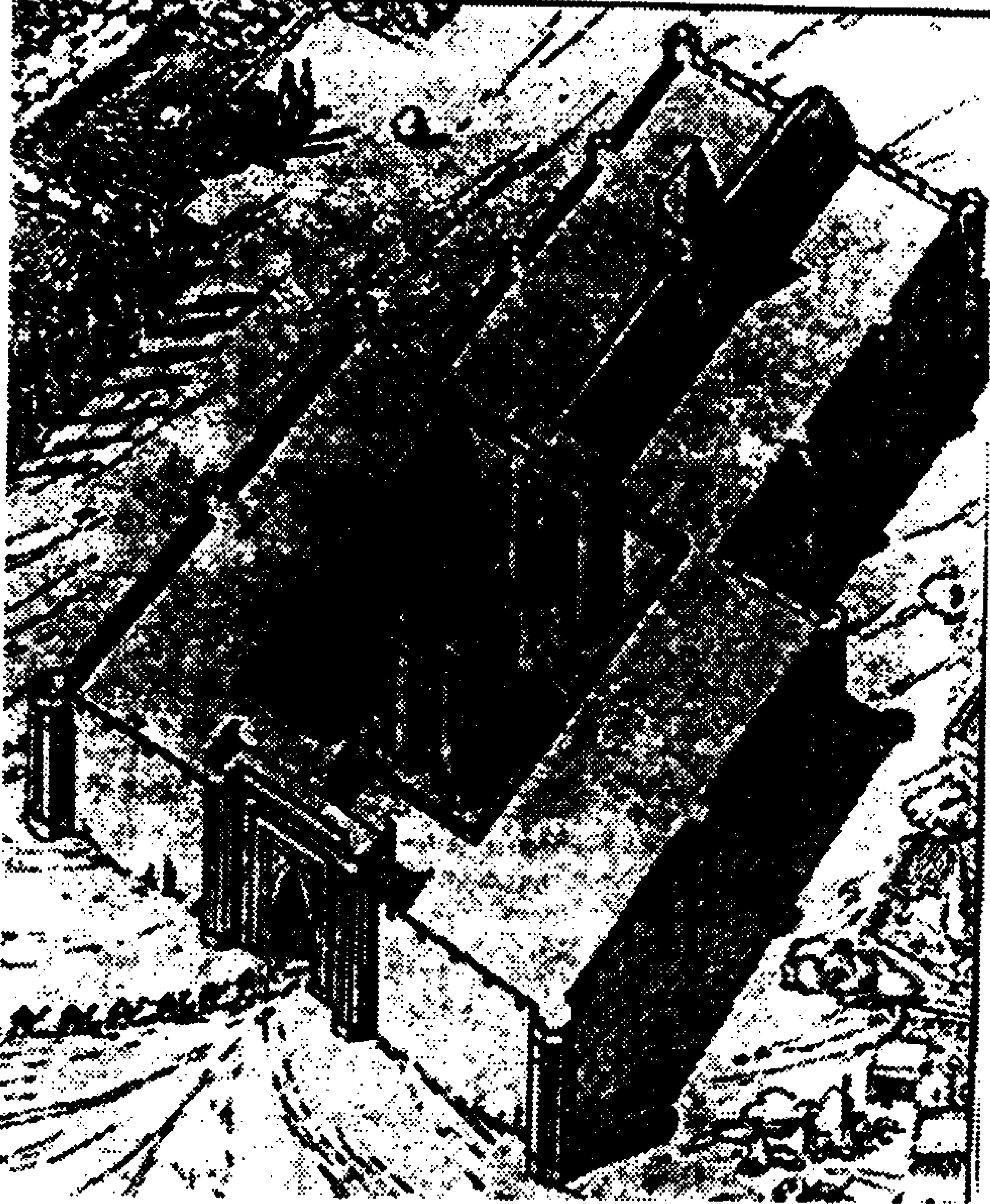
* عن : أوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

الزخارف الخارجية لخان اودير



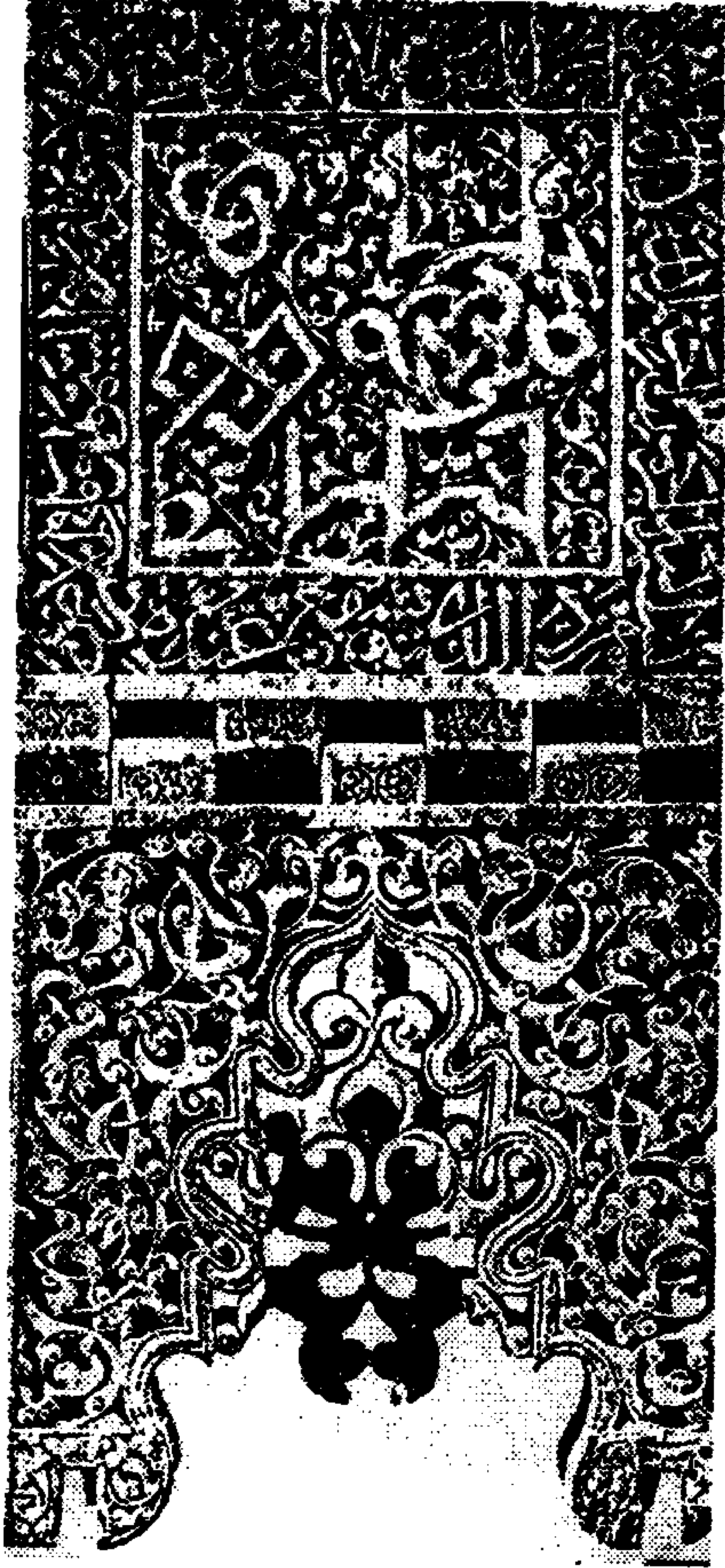
* نقلاً عن : اوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

خان سلطان بالقرب من قيساريه ١٢٣٢ - ١٢٣٦م *



* عن : حسن الباشا : موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية .

كرسي خشبي للمصحف كان في جامع علاء الدين كيقباذ *



* نقلاً عن : نعمت علام : فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية .

نقود لعلاء الدين كيقباذ عندما كان ملك لتوقات سنة ٦٠٩هـ *








* نقلاً عن :
Ibrahim Artouk : Istanbul Arkeoloji müzeleri Teşhudeki Islâm sikkeler Katalogu.

شعار السلطان علاء الدين كيقباذ
على الجامع الكبير في ديوريكي على المدخل الغربي *



* نقلاً عن : اوقطاي أصلان : فنون الترك وعمائرهم .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة .

ثانياً : المصادر العربية .

ثالثاً : المصادر التركية والفارسية .

رابعاً : المصادر العربية والمعربة .

خامساً : المراجع والبحوث التركية والأوربية .

سادسا : البحوث العربية .

أولاً – المصادر المخطوطة :

الجنابي : أبو محمد الشريف مصطفى بن حسن بن سنان بن أحمد بن السيد حسن الحسيني الهاشمي (ت ٩٩٩هـ / ١٥٩٠م) : العَيْلم الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ، مكتبة راتب باشا، رقم ٩٨٣هـ .

العيني : بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، مكتبة ولي الدين رقم ٢٣٩٠ ج ١٣ .

المسروري : علم الدين سنجر (عاش في القرن السابع الهجري / ألثالث عشر الميلادي) : زُبد الفوايد ولَقط الفرايد ذيل مخطوط : الأصفهاني : عماد الدين محمد بن محمد (٥٩٧هـ / ١٢٠١م) : البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، مكتبة أحمد الثالث ، استامبول رقم ٢٩٥٩.

منجم باشي : أحمد بن لطف اللّه المولوي (عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي) :
١ – صحائف الأخبار في وقائع الأعصار ، مكتبة أحمد الثالث ، استانبول رقم ١/١٢٥٤ .
٢ – جامع الدول ، مكتبة نوري عثمانية ، رقم ٣١٧١ .

ثانياً – المصادر العربية :

القرآن الكريم .

ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق د. نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

ابن الأثير : عزالدين بن الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) : الكامل في التاريخ طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

ابن أيبك : أبو بكر بن عبدالله بن أيبك (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢هـ) : كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق برند رانكه ، المعهد الألماني للآثار، القاهرة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ج٧ .

ابن بطوطة : محمد بن عبدالله بن يوسف اللواتي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) تحقيق : محمد بن عبدالمنعم العريان ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩١م .

ابن البيطار : ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد الأندلسي المالقي (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

ابن الجوزي : أبي الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٩هـ .

ابن خلدون : عبدالرحمن بن خلـدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦هـ) : تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذي الشأن الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

ابن سباط : حمزة بن أحمد بن عمر (ت ٩٢٦هـ / ١٩٢٠م) تاريخ ابن سباط (صدق الأخبار) تحقيق عمر عبدالسلام محمد تدمري ، طرابلس .

ابن الساعي : أبي طالب علي بن أنجب تاج الدين (٦٧٤هـ / ١٢٧٥م) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير تعليق حواشي مصطفى جواد ، المطبعة السريانية ، بغداد ، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م .

ابن سعيد المغربي : أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) : كتاب الجغرافيا ، حققه إسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠م.

ابن الشحنة : أبو الفضل محمد (٨٩٠هـ/١٤٨٥هـ) الدر المنتخب في مملكة حلب ، تقديم عبدالله محمد الدرويش ، دار الكتاب العربي .

ابن شداد : عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى عباره ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ، ١٩٨٧م .

ابن العبري : غريغورس أبو الفرج بن اهرون (ت ٦٨٣هـ / ١٢٨٦م) :
- تاريخ مختصر الدول ، صححه وفهرسه الأب انطون صالحاني اليسوعي ، دار الرائد اللبناني ، لبنان .
- تاريخ الزمان ، ترجمة الأب اسحاق أرملة ، دار الشرق ، بيروت ، ١٩٩١م .

ابن العديم : الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة اللّه (ت ٦٠٠هـ / ١٢٦٢م) : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، المعهد الفرنسي بدمشق .

ابن عربي : محي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) : الفتوحات المكية ، تحقيق عثمان يحيى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق د. حسن محمد الشماع ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة ، العراق ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

ابن فضل اللّه العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ / ١٣٥٠م) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، طبع بالتصوير عن مخطوطة برقم ٢/٢٧٩٧ أحمد الثالث طوبقا بوسراي ، استانبول ، إصدار فؤاد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت ، المانية الاتحادية ، مجلد ٣/٤٦ ، السفر الثاني ، الثالث ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

ابن فضلان : أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد (عاش في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي) : رسالة ابن فضلان ، تحقيق سامي الدهان ، مكتبة الثقافة العالمية ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م .

ابن كثير : إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، حققه مكتب تحقيق التراث ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

ابن المعمار : أبي عبدالله محمد بن أبي المكارم (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م) : كتاب الفتوة ، تحقيق د. مصطفى جواد ، د. أحمد ناجي القيسي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٥٨م .

ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منصور (٧١١هـ / ١٣١١م) : لسان العرب نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي شيري ، د ار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

ابن نظيف الحموي : محمد بن علي (عاش في النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) : التاريخ المنصوري ، تحقيق د. أبو العيد دودو ، مطبعة الحجاز ، دمشق ، ١٤٠١هـ .

ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، الاسكندرية ، ١٩٦٠م .

ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) : تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) تقديم محمد مهدي السيد حسن الخرسان ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

أبو شامه : شهاب الدين أبي محمد عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) :

- الروضتين في أخبار الدولتين ، دار الجيل ، بدون طبعة أو تاريخ .
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، تحقيق عزة العطار الحسيني الدمشقي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٤م .

أبو الفداء : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نورالدين علي صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) :

- المختصر في تاريخ البشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م .
- تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت .

البدليسي : الأمير شرف خان (   ) :

الشرفنامة في تأريخ الدول والإمارات الكردية ، نقله إلى اللغة العربية : ملا جميل بندي روز بياني ، مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٣٧٢هـ .

الذهبي : شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة ٦٣.

رحلة ماركوبولو : ترجمة ، عبدالعزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٧م .

الراوندي : محمد بن علي بن سليمان (٦٠٣هـ / ١٢٠٦م) : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة إبراهيم الشواربي عبدالمنعم محمد حسنين وفؤاد عبدالمعطي الصياد ، دار القلم ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

سبط ابن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي الشهير بسبط ابن الجوزي : (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج٨ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند ، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

السبكي : تاج الدين بن تقي الدين : (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٦م) : طبقات الشافعية الكبرى ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية .

السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن ابن بكر (٩١١هـ/١٥٠٥م) : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ .

العيني : بدرالدين محمود (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) : عقدالجمان في تاريخ أهل الزمان ، حوادث وتراجم عام ٦٦٥ - ٦٨٨هـ / ١٢٦٦ - ١٢٨٩م (عقد سلاطين المماليك) تحقيق د. محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

الغساني : الملك الأشرف : المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق شاكر محمود عبدالمنعم ، دار البيان ، بغداد ١٣٩٥هـ .

القرماني : أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت١٠١٩هـ / ١٦١٠م) : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت .

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت .

القلقشندي : أبي العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٥هـ .

مؤلف مجهول [١] : أخبار سلاجقة الروم « مختصر سلجوقنامه » ترجمه عن اللغة الفارسية د. محمد السعيد جمال الدين ، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ، الدوحة ، ١٤١٤هـ .

أيضاً هناك ترجمة أخرى لنفس الكتاب باسم :

ابن بيبي[٢] : ناصر الدين يحيى بن محمد (ت٦٨٤هـ/١٢٥م) : تاريخ سلاجقة الروم ، دراسة وترجمة د. محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦م .

---

(١) قام هذا المؤلف باختصار كتاب ابن بيبي الأوامر العلائية في الأمور العلائية وسماه بالاسم الموضح في المتن ، وقد عاش هذا المؤلف المجهول في النصف الثاني من القرن السابع الهجري . انظر أخبار سلاجقة الروم ص : ز ، ح ، ط ، ي .

(٢) انظر ص ٣٧٨.

النسوي : نورالدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي (عاش قبل ٦٣٩هـ / ١٢٤١م) : سيرة جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حافظ حمدي ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

النويري : شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق د. سعيد عاشور ، مركز تحقيق التراث ١٩٦٦م .

الهمذاني : رشيد بن فضل اللّه (ت٧١٨هـ/١٣١٨م) : جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن) نقله إلى العربية د. فؤاد عبدالمعطي الصياد ، راجعه د. يحيى الخشاب ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣م .

وقفيه التون ابا : وقفية شمس الدين التون أبا ، نشر عثمان توران ، مجلة بللتان (Belletan) مجمع التاريخ التركي ، ألعدد ٤٢ ، ١٩٤٧م .

وقفية جلال‌الدين قراتاي : نشر : عثمان توران مجلة بللتان (Belletan) مجمع التاريخ التركي ، العدد ٤٥ ، ١٩٤٨م .

وقفية مبارزالدين ارتقوش : نشر عثمان توران ، مجلة بللتان (Belletan) مجمع التاريخ التركي ، العدد ٤٣ ، ١٩٤٧م .

ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) : معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

ثالثاً – المصادر التركية والفارسية :

Eflaki, Ahmed : Ariflerin Menkibleri, çeviren : Tahsin yazici, Geliştirilmiş yani Basim, Remzi Kitabevi, Istanbul.

Ibn - I Bibi : El-Hüseyn B. Muhammed B. Ali El ca'ferier - Rugedi, El-Evamirü'Lalaiyye Fi'L- Umuri'l - Alaiyye, önsöz ve fihrizti hazirliyan : A dnan sadik Erzi, I Tipkibasim, Ankara, 1956.

Aksarayli : Kerimüddin Mahud : Müsameret ül ahbâr, Mogollar Zamaninda Türkiye Selçuklulari Tarihi, neşreden Osman Turan, Ankara, 1944.

القاضي نظام الدين أحمد بن علي النكَدي : الولد الشفيق ،

الحسيني : غياث الدين بن همام الدين : حبيب السير في أخبار أفراد بشر ، تهران ، ١٣٥٣ .

رابعاً – المراجع العربية والمعربة :

إبراهيم محمد الخضر :

العلاقات السياسية الخارجية بين سلاجقة والقوى الإسلامية المجاورة في آسيا الصغرى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

أحمد توني عبداللطيف :

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

أحمد عطية اللّه :

القاموس الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

أحمد كمال الدين حلمي :

السلاجقة في التاريخ والحضارة ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

أرنست كونل :

الفن الإسلامي ، ترجمة أحمد موسى ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦م .

اسمت غنيم :

الحملة الصليبية ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية ، دار الشعب ، القاهرة .

أسين بلاثيوس :

ابن عربي حياته ومذهبه ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

أنتوني بردج :

تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة أحمد غسان سبانور نبيل الجيرودي ، مراجعة د. سهيل زكار ، دار قتيبة ، ١٩٨٥م .

أوقطاي أصلان آبا :

فنون الترك وعمائرهم ن ترجمة أحمد عيسى ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، استانبول ١٩٨٧م .

بارتولد :

تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، مراجعة إبراهيم صبري ، مكتبة الأنجلو المصرية .

تمارا تالبوت رايس :

السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفي الخوري إبراهيم الداقوقي ، مراجعة عبدالحميد العلوجي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨م .

جوناثان رايلي سميث :

الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص (١٠٥٠-١٣١٠م) ترجمة صبحي الجابي ، دار طلاس ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م .

حافظ حمدي :

الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

حسن الباشا :

- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٨٩م.
- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م .

حسنين محمد ربيع :

دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

حسين محمد عطية :

إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م .

حسين مؤنس :

المساجد ، عالم المعرفة ، صفر - ربيع الأول ، ١٤٠١هـ ، يناير - كانون الثاني ١٩٨١م .

دائرة المعارف الإسلامية :

ترجمة أحمد الشنتاوي ، إبراهيم خورشيد ، عبدالحميد يونس . المجلد الرابع (٢٥) ، دار الشعب

زامباور :

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، إخراج زكي محمد حسن بك ، حسن أحمد محمود ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .

زبيدة عطا :

بلاد الترك في العصور الوسطى بينزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، دار الفكر العربي .

زكي محمد حسن :

فنون الإسلام ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

ستانلي لين بول :

الدول الإسلامية ، إضافات وتصحيحات بارتولد خليل أدهم ، عربه من اللغة التركية صبحي فرزات ، دار ابن كثير ، دمشق .

ستيفن رنسمان :

تاريخ الحروب الصليبية ، نقله إلى العربية د. السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .

سعاد ماهر :

البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار المجمع العلمي ، جدة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

سعد بن محمد بن حذيفة الغامدي :

- أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ .

- المجتمع المغولي ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

سعيد عبدالفتاح عاشور :

- الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٨م .

- قبرص والحروب الصليبية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

السيد الباز العريني :

المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١م .

طلال محمد محمود شعبان :

المدارس الباقية في قونية والقاهرة خلال عصري السلاجقة والروم والمماليك البحرية، رسالة كتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ، ١٤١٦هـ.

عاصم محمد رزق :

معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة المدبولي ، ٢٠٠٠م .

عبدالمعطي الخضر :

تاريخ العمارة ، منشورات جامعة حلب ، كلية الهندسة المعمارية ١٤١٨ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٧ - ١٩٩٨م .

عثمان توران :

الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية ، ترجمة د. علي محمد عودة الغامدي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

عصام الدين عبدالرؤوف :

بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م .

علي محمد عودة الغامدي :
- بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، المكتبة الفيصلية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
- انطالية في عصر الحروب الصليبية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

عماد الدين خليل :
الإمارات الأرتقية في الشام وبلاد الجزيرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

ف. هايد :
تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمة أحمد محمد رضا ، مراجعة عزالدين فوده ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

فؤاد عبدالمعطي الصياد :
المغول في التاريخ ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة .

كلود كاهن :
الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة د. أحمد الشيخ سينا للنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م .

كليفورد، أ. بوزورث :
الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي دراسة في التاريخ والأنساب ، ترجمة : حسين علي اللبودي ، مراجعة : د . سليمان العسكري ، مؤسسة الشراع العربي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥م .

كي لسترانج :
بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ .

محسن محمد حسين :
الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦م .

محمد أحمد دهمان :
معجم الألفاظ التاريخية ، دار الفكر ، دمشق الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

محمد التونجي :

المعجم الذهبي فارسي – عربي فرهنكَك طلائي ، دار العلم للملايين ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢م .

محمد صالح قزاز :

الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ، مطبعة القضاء ، النجف ، ١٣٩١هـ .

محمد عبدالعزيز مرزوق :

الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

محمد فؤاد كوبرلي :

قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٥م.

محمد قنديل البقلي :

التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٣م .

محمود الشرقاوي :

رحلة مع ابن بطوطة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

مروان المدور :

الأرمن عبر التاريخ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .

موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م ، ج٢٧ .

نبيلة إبراهيم مقامي :

فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٩٤م .

نوره عبدالله باذياب :

« قونية عاصمة سلطنة سلاجقة الروم » دراسة تاريخية وحضارية ، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

يلماز أوزتونا :

تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا ، استانبول ، ١٩٨٨م .

يوسف عزت :

تاريخ القوقاز ، ترجمة عبدالحميد غالب ، طبع بمطبعة عيسى البابي ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م .

خامساً - المراجع والبحوث التركية والأوربية :

Ali Sevim, Erdoğan Merçil : Selçuklu devletleri Tarihi, Türk Tarih kurumu Basimevi, Ankara, 1995.

Ali Sevim, yaşar Yücel : Türkiye, Fetih, Selçuklu ve Beylikler Dönremi, Türk Tarih kurumu yayinlami, Ankara 1989.

Cevdet, M. : Sivas Darüşşifasi Vokfiyesi ve tercümeni (The Waqfiyya of The Hospital at sivas and a commentaiy upon it) Istanbul, 1938.

Coşkun Alptekin : seçuklu devletinin Askeri Teşkilatinin Eyyubi Devleti Askeri Teşkilatina Tesiri, Belleten C. LIV, sayi. 209, 4/1990.

Enver Behnani şapolyo : selçuklu Imparaloluğu Tarihi, Güven Matbaasi Ankara, 1972.

Erdoğan Merçil : Bizansta selçuklu Hanedan mensuplai, XI Türk Tarih kongresinden ayribasim, Türk Tarih kurumu Basimevi, Ankara. 1994.

Na'l-Baha Ve kullanilişina Dair örneklen, Belleten, C.LX, Nisan 1996, sayi : 227'den ayribasim Türk Tarih kurumu Bavimvi, Ankara 1996.

Esin Kâhya : Anadolu Selçuklularinda Bilim, Erdem, Sayi. 13, G.5, 1/1989.

Herbert Jansky : Selçuklu sultanl arindan Birinci Alâeddin keykubad 'in emniyet politikasri, 60. Doğum yili Münasebetiyle Zeki velidi Togan ' a Armağan. 1950 - 1955.

Ibrahim Artouk. Cevriye Artuk :
Istanbul Arkeoloji müzeleri Teşhirdeki Islâmî sikkeler kataloğau, millî Eğitim Basimevi, istanbul, 1971.

Islâm Ansiklopedisi, Ikince Baski Istanbul, 1977.

Ismail Hakki YzunCarşili : Osmanli devleti Teşkilâtina medhal, Türk Tarih kurumu Basimevi, Ankara Baski. 3, 1984.

M. Zeki Oral : Kubad Abâd çinileri Belleten, Sayi. LXVI.

M.Cevdet : Sivas Derüşşifasi Vakfiyesi ve tercümesi, The Wagfiyya of the Hospital at sivas and a commentary upon it. Istanbul 1938 .

Mihin Eren : Theodar I. Laskaris 1204-1222. ve I. Giyaseddin keyhusreu, Selçuklu Araştirmalari Dergisi, III, Güven Matbaasi, Ankara, 26 Agustos, 1971.

Nejat Kaymaz: Anadolu Selçuklu Devletinin Inhitatinda Idare Makanizmanin Rolü Tarih Araştirmaalari Dergisi, Ankara, 1961. Vol.I.II.

Osman Turan :
- Türkiye Selçuklulari Hakkinda resmi vesikalar, Türk Tarih kurumu Basimevi, Ankara, Baski 3, 1988.
- Selçuklular Zamaninda Türkiye, Boĝanziçi yayinlari kültür, istanbul, Baski. 4, 1969.
- Selçuklular Târihi ve Türk - Islâm medniyet, Boĝaziçi yayinlari kültür istanbul, Baski, 5, 1969.
- Türkiy selçuklularinda Toprak Hukuku, Belleten, C.XII, sayi, 47, Ankara, 1948.
- Selçuk kervansaraylari, Belleten C.X, sayi. 39, Ankara, 1948.
- selçuk Türkiyesi Ve Dünya Ticareti Türkyurdu, 50, C.10, sayi. 1/1960.

Salim Koga : Sultan Izzeddin keykavus ile melik Alaeddin keykubad arasind geçen otorite mücadelesi, Belleten, LIV c. sayi, 211, Ankara, 12/1990.

Yaşar yücel : Anadolu Beyliklerinde Devlet Teşkilâti ve Toplum Hayati.

إسماعيل غالب :

تقويم مسكوكات سلجوقية ، قسطنطينية ، ١٣٠٩هـ .

أحمد توحيد :

أنطاليه سور لري كتابه لري ، تورك تاريخ انجمني ، مجموعة سي ، رقم ٩ (٨٩) اون بشنجي سنه ، امايس ١٣٤١هـ .

إسماعيل حقي :

أناطولي تورك تاريخي وثيقة لرندن (توقاد) ، كتابه لر ، وكالتي معارف ، استانبول ، ١٣٤٥هـ .

خليل أدهم :

قيصرية شهري ، مباني إسلامية ، وكتابة لري ، مطبعة اورخانية ، استانبول ، ١٣٣٤هـ .

مكرمين خليل :

- مرعش اميرلري ، تاريخ عثماني انجمني ، مجموعة سي استانبول ، ١٩٢٤م .

Alexis G.S. Savvides : Byzantiom in Near east its relations with the seljuk sultanate of rum Aisia minor The Armenians of celicia The mongols (A.D.C. 1192-1237) Thessalonica 1981.

Claude Cahen :

- Pre-Ottoman Turkey, Translated from The French by J. Janis william, London, 1968.
- Le Commerce Anatolien Au Debut DU XIIIe siecle, Turcobyzantina et Oriens christianus, London, 1974.
- Q uestions D'Histoire De la province De Kastamonu Au XIIIe siecle, Turcobyzartina et Oriens christianus, London, 1974.
- Selçuki Devletleri Feodol Devletler mi idi ? çeviren - L. Güçer. istanbul ünive. iktisatFakültesi mecmuasi c.17, sayi. . 10,1955.

Jr. Speros Vryonis :

The Decline of medieval Hellenism in Asia minor and The process of Islamization from the Eleventh Through the Fifteenth century, Berkeley los Angelos London, 1971.

Kenneth M. Setton :

A history of the Crsades, Vol. II, London, 1909.

M.E. Martin :

Notes and Documents the venetian - seljuk treaty of 1220, The English Historical review Longman, Vol. XCV, No. 375, Oxford April. 1980.

Pîrî Reis :

Kitab - I Bahriye, Minstry of Culture and Tourism of The Turkish Republic, Ankara, 1988.

Stevenson, W. B. :

The Crusadrs in The Eest Cambridge. 1972.

The Cambridce History of Islam Vol. IA. London. 1970.

The Encyclopeadia of Islam. Vol. IV Leiden, E. J. Brill, 1978.

سادساً – البحوث العربية :

إبراهيم خميس إبراهيم :

الحيل والخدع العسكرية الإسلامية منذ بداية الغزو الصليبي حتى وفاة نورالدين محمود زنكي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٨م .

اسمت غنيم :

امبراطورية في المنفى ، ثيودور لاسكاريس وإحياء الامبراطورية في نيقية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد ٣٦ ، ١٩٨٨م .

رأفت محمد النبراوي :

درهم أيوبي يسجل مصاهره ملكية ، مجلة العصور ، المجلد الأول ، الجزء الأول، ١٩٨٧م .

عبدالرزاق زقزوق :

نقد فضي مصور في متحف حماة باسم السلطان السلجوقي كيخسرو بن كيقباذ الحوليات الأثرية العربية السورية ، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف ، الجمهورية العربية السورية ، المجلد ٢٥ ، الجزء الأول والثاني ، ١٩٧٥م .

عبدالله عبدالرحمن الربيعي :

العلاقات بين زعماء المسلمين والصليبيين من خلال المؤرخة المنسوبة إلى القائد الأرمني سمباد ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، ١٤١٥هـ .

علي محمد عودة الغامدي :

- معركة ميريوكيفالوم ٥٧٢هـ / ١١٧٦م من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي ، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ .
- حصن بغراس ودوره الحربي في عصر الحروب الصليبية ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود في أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي (٦٠١ - ٦٢٢هـ / ١٢٠٥ - ١٢٢٥م) ، المؤرخ المصري ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد التاسع عشر، يناير ١٩٩٨م .
- الراهب الفرنسيسكاني ريموند لول ومحاولاته نشر النصرانية في شمال افريقية ، مجلة المؤرخ العربي ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، العدد السادس ، المجلد الأول ، مارس ١٩٩٨م .

محمد باقر الحسيني :

نقدان مصوران من الذهب نادران في العالم للسلطان السلجوقي غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ ، المسكوكات ، وزارة الثقافة والإعلام ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، العدد الأول ، تموز ١٩٦٩م .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الفصل الثالث :

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

الفصل السادس :